المركز القومى للترجمة



المشروع القومى للترجمة

الطبعة الثانية

أساطير شعبية من أوزبكستان

الجزء الثانى

ترجمة

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

2/98

هذا هو الجزء الثانى من كتاب الأساطير الشعبية الأوزبكية الذى يضم حكايات متنوعة شديدة الثراء بمختلف الحكم والمعانى الإنسانية التى تحملها هذه الأساطير. وسوف يتعرف القارئ على الكثير من أوجه الشبه والتماثل بين هذه الأساطير والأساطير العربية، وذلك نتيجة التراث الإسلامى المشترك الذى ربط بين شعوب الشرق وبين عدد كبير من الشعوب الآسيوية التى ينضوى تحتها الشعب الأوزبكى. وقد كانت أوزبكستان تمثل منارة مشرقة فى عهد الحضارة الإسلامية المزدهرة، فمن تلك البلاد خرج العشرات من صناع الحضارة وعلمائها الأجلاء مثل البخارى والبيرونى وغيرهما من المفكرين والأدباء.

إن الأساطير الشعبية الأوزبكية تمثل نتاجا فنيا رائعا للإبداع الشعبى. لقد تشكلت تلك الأساطير عبر قرون من الزمن ونسجت حكاياتها المتنوعة على ألسنة الرواة والحكاة الذين نقلوها من جيل إلى آخر. وخلال تلك الرحلة الزمنية الطويلة التى قطعتها تعرضت الأساطير إلى العديد من التغيرات التى دائما تصيب سائر الفنون الشعبية والفلكورية؛ تمثلت تلك التغيرات فى غربلة الأساطير وتنقيتها من الشوائب الداخلية والمبتذلة وصقل جوهرها الإبداعى حتى وصلت إلينا فى أبهى وأرقى صورة فنية.

أساطير شعبية من أوزبكستان
(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٩٨٨/ ٢
- أساطير شعبية من أوزبكستان (الجزء الثانى)
- عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة لمجموعة من الأساطير الشعبية الأوزبكستانية

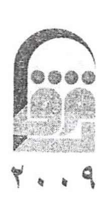
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

أساطير شعبية من أوزبكستان
(الجزء الثانى)

ترجمة: عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ٢٩‏١١٠ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 4 - 344 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة 7

ابن الفقير 13

أركينجا 41

أرنازار وكيمونازار 77

الأربعون زوجا 111

الأيادى الماهرة 127

البلبل الصدّاح 133

زهرة جولى ريحان........................ 161

العنزة الفطنة 173

الفأر الحكيم 183

الفتيات الخمس 197

القدح المدهش 231

المصباح السحرى 245

ألمظ الشمطاء 259

الهمام والجنية 271

إيجور وتوجور 293

بادل البطل 301

بكتمير البطل 321

ابن الصياد حكيم 341

سوسامبل 359

صاحب جان وأحمد جان 371

الكروان الحكيم 391

ناصر الأصلع 397

محستار 413

كاراسوتش ذات الحكمة 467

مقبل الحجار 503

مقدمة

هذا هو الجزء الثانى من كتاب الأساطير الشعبية الأوزبكية الذى يضم حكايات متنوعة شديدة الثراء بمختلف الحكم والمعان الإنسانية التى تحملها هذه الأساطير. وسوف يتعرف القارئ على الكثير من أوجه الشبه والتماثل بين هذه الأساطير والأساطير العربية. وذلك نتيجة للتراث الإسلامى المشترك الذى ربط بين شعوب الشرق وبين عدد كبير من الشعوب الآسيوية التى ينضوى تحتها الشعب الأوزبكى. وقد كانت أوزبكستان تمثل منارة مشرقة فى عهد الحضارة الإسلامية المزدهرة. فمن تلك البلاد خرج العشرات من صناع الحضارة وعلمائها الأجلاء، مثل البخارى والبيرونى وغيرهم من المفكرين والأدباء.

إن الأساطير الشعبية الأوزبكية تمثل نتاجا فنيا رائعا للإبداع الشعبى. لقد تشكلت تلك الأساطير عبر قرون طويلة من الزمن، ونسجت حكاياتها المتنوعة على ألسنة الرواة والحكاة الذين نقلوها من جيل إلى آخر. وخلال تلك الرحلة الزمنية الطويلة التى قطعتها، تعرضت الأساطير إلى العديد من التغيرات التى تصيب دائما سائر الفنون الشعبية والفلكلورية. تمثلت تلك التغيرات فى "غربلة" الأساطير، وتنقيتها من الشوائب الدخيلة والمبتذلة، وصقل جوهرها الإبداعى حتى وصلت إلينا فى أبهى وأرقى صورة فنية.

تعكس الأساطير فى جوهرها الواقع المادى الذى تعيشه الشعوب. وهى مرآة صادقة لعادات تلك الشعوب ومعتقداتها الروحية والدينية. ولهذا فإن الأساطير كثيرا ما تصبح خير معين لدراسة الظواهر التاريخية الاجتماعية والحضارات القديمة.

الأساطير الشعبية ثمرة للوعى الاجتماعى والإبداع الجماعى للشعوب. والدليل على ذلك أنها عندما تلقى بالضوء على مراحل تاريخية معينة نجدها تفعل هذا من منظور وإدراك شعبى. فهى تجسد فى صورة فنية صادقة الآمال التاريخية للشعوب. كما تبرز الأساطير أخلاقيات وسلوكيات تلك الشعوب. فتتغنى فى حكاياتها بأحلامهم حول السعادة المنشودة والعدل الاجتماعى.

خصائص الأساطير الشعبية الأوزبكية

الأساطير الشعبية الأوزبكية تتميز بالإيجاز الشديد والمعانى المكثفة، وأيضا بالحيوية والوصف الدقيق للملامح الرئيسية التى تتسم بها الشخصيات. وهى كثيرا لا تذكر اسما معينا للبطل أو الشخصية المقدمة، بل نجدها تصف نماذج عامة بمسميات عامة : الغنى، الفقير، الكريم، البخيل... إلخ. أما الصدام والتفاعل بين تلك الشخصيات فيدور فى بناء فنى بسيط يتسم فى نفس الوقت بالعمق والإقناع.

كانت الأساطير الشعبية تنتقل عبر الزمن بالوسائل الشفهية. فكان ذلك سببا لتعرضها إلى الصقل المستمر والتكثيف الدائم. وأصبح من النادر أن تجد فيها وصفا زائدا للأحداث أو تفاصيل لا حاجة لها. ونتيجة لذلك، فقد أصبحت الأسطورة الشعبية ــ على الرغم من صغر حجمها ــ مشبعة بعالم رحب من الأفكار والمشاعر الإنسانية والمعانى المكثفة.

فى الأساطير الشعبية الأوزبكية تتنوع الملامح الداخلية والخارجية للبطل. كما تتطابق تلك الملامح مع الثقل الفكرى الذى تعبر عنه. وتركز الأساطير على إبراز الطبائع المتنوعة للشخصيات الاجتماعية وعلى الجوهر الروحى لتلك الشخصيات .

تنبض الأساطير الأوزبكية بحس شاعرى إنسانى يتمثل فى استثارة وتحفيز مشاعر القارئ نحو الإحساس بالعدل والعدالة. وعلى الرغم من بساطة

الصراعات الإنسانية فى تلك الأساطير، فإنها تكشف لنا عن السمات الرئيسية للعلاقات الاجتماعية بين البشر. فيشعر القارئ لدى قراءته لها بالتعاطف والمودة إزاء البطل الطيب الخيّر، وبالمشاعر المعاكسة تجاه الشخصية النقيض.

فى قلب كل أسطورة تنبض دماء الواقع. فالخيال الأسطورى الذى جسد آمال الشعوب، كان دائما يمهد السبيل أمام التطور فى جميع مجالات الحياة الاجتماعية والروحية. منذ أقدم العصور كان الإنسان يحلم بالطيران وملامسة السحاب فى السماء، بالسفر إلى البعيد والحركة فى زمن قصير، وغيرها من الأحلام الأسطورية التى تحولت فيما بعد إلى حقائق .

الأساطير الشعبية الأوزبكية تفيض بقدرة حيوية فائقة. وفيها يصبح الخيال شكلا من أشكال التعبير عن الحكمة والآمال، والمستقبل السعيد للناس. والجوهر الرئيسى فيها هو السعى الدائم إلى التغلب على مصاعب الحياة وتجاوزها والدعوة إلى النضال من أجل المستقبل المشرق. لقد اخترع الناس الزورق والشراع حتى يسبحوا ضد التيار. وخلقوا القوس والسهم لقتل الوحوش المفترسة التى لا يستطيعون الاقتراب منها. وأبدعوا الكثير من أدوات العمل التى جعلت الإنسان سيدا بلا منازع على الأرض. إن كل ذلك يدخل ضمن الجانب السياسى والاجتماعى للحياة البشرية. فعندما تعلو الفكرة وتتخطى حدود التنفيذ العملى لها، تتحول إلى صورة خيالية مجازية، وهذا بالتحديد هو فن الأسطورة الشعبى الرائع .

الأساطير الشعبية الأوزبكية تمتلئ بالكثير من المثل التعليمية والقيم الجمالية الرائعة. كما تحتل مساحة كبيرة فيها موضوعات الحب والصدق العميق. إن الخيال فى تلك الأساطير والتحليق معها يساعد على تهذيب الأفكار وصياغتها فى صور

فنية مضيئة مما يحقق الهدف من البناء الفنى والفكرى للأسطورة. فالخيال المشرق والفرح الصادق فى الأسطورة كانا دائما الدافع للبشر فى سعيهم من أجـل العدالـة والمساواة والفوز بالسعادة. كما كان الخيال الأسطورى وسيلة فعالة لنشر الأفكـار والنضال من أجل الحرية والديمقراطية. وظلت الأسطورة الشعبية دائما تبعث لـدى الناس مشاعر التفاؤل والأمل بالسعادة فى أحلك الأوقات وأشدها عليهم. وفى كـل هذا نستطيع أن ندرك السر فى خلود الأساطير الشعبية وبقائها على مر الزمن .

ابن الفقير



في زمن من الأزمنة القديمة عاش أحد الفقراء. وكان الفقير قد جاوز الثمانين من العمر.

عاش الفقير وزوجته يعتمدان على مصدر وحيد للرزق. فقد كان العجوز يخرج إلى الغابة صباح كل يوم ليجمع حزمة من الحطب، ويذهب بها بعد ذلك إلى سوق المدينة ليبيعها مقابل بضعة دراهم قليلة.

وفى أحد الأيام لم يحالفه الحظ فى بيع الحطب الذى حمله إلى السوق فعاد إلى بيته بأيد خاوية. وجلس أمام الزوجة التى سألته:

ـ ما الذى أحضرته لنا اليوم؟ إننى منذ الأمس لم أذق طعم الزاد.

رد العجوز قائلا: آه يا زوجتى، اليوم لم يقبل أحد علي شراء الحطب منى.

أجابت الزوجة فى استياء: هكذا إذن هو الحال، لم تبع شيئا وبالطبع لم تشتر شيئا ولو كان لدينا نقود لكنت اشـتريت بعض اللحم وطهوت به حساء شهيا، ولامتلأت بطوننا من الشبع. لكن ما فائدة البكاء على اللبن المسكوب؟ أريدك عندما تخرج فى الغد أن تطلب العون من جارينا لجمع الحطب معك. وما تجنيه من مال مقابل حزمة الحطب التى تحملها تشترى لنا به لحمًا وأرزًا وجزرًا. أما مقابل الحزمتين اللتين يحملهما جارينا فسوف نطهى البلوف (من أشهر المأكولات الشعبية انتشارا فى أوزبكستان وبعض بلدان آسيا الوسطى، وهى تتكون من لحم الضأن والأرز والجزر. المترجم) .

كان هذا ما فعله العجوز. ففى الصباح قام مناديا على جاريه وطلب العون منهما. وانطلق ثلاثتهم يحملون الحبال على ظهورهم متجهين صوب الغابة.

ومضوا يجمعون الحطب من أرجاء الغابة. وبعد أن جمعوه فى حزم واستعدوا لربطه فوق ظهورهم إذا بريح عاتية تهب على المكان فتحمـل معها الحزم الثلاث وتبعثرها بعيدًا عاليا في الهواء.

صار العجوز يصرخ مولولا:

ـ يا للمصيبة ويا للنحس، لقد نمنا بالأمس أنا وزوجتى جوعى بلا طعام، ويبدو أننا سوف نبقى اليوم على نفس الحال.

قال الجاران يهدآن من روع العجوز: لا تبك أيها الوالد فنحن اليوم سوف ندبر لكم الطعام بطريقة أو بأخرى، وغدا عندما تهدأ الرياح نخرج معك ثانية نساعدك فى جمع الكثير من الحطب.

وفى الصباح التالى ذهب الجاران إلى العجوز وخرجوا جميعا إلى الغابة مرة أخرى. وفجأة شاهدوا على جانب الطريق حفرة أسفل شجرة عالية. وعندما نظروا إليها وجدوا بها الحزم الثلاث التى فقدوها بالأمس.

قال الجاران وهما مغتبطان: ها هى حزم الحطب التى جمعناها، هيا اهبط الى الحفرة أيها الوالد وألق إلينا بالحطب.

هبط العجوز إلى الحفرة ورفع حزمة من الحطب وإذا به يرى أسفلها ثلاث صرر مملوءة بالنقود الذهبية.

كان العجوز رجلا أمينا، فلم يفكر للحظة فى إخفاء الكنز عن جاريه. فربط بكل حزمة من الحطب صرة من الذهب وهتف مناديا يقول:

ـــ لكل منا صرة من هذه الصرر بالعدل والتساوى، أما حزم الحطب الثلاث فأرجو أن تحملوها إلى منزلى.

لمعت عينا الجارين بالجشع لما شاهدا الذهب.

ودارت بخاطر الاثنين فكرة شيطانية.

تلفتا حولهما وقال أحدهما للآخر:

ـــ اهجم أنت على ظهر العجوز ريثما أقيد يديه من الخلف، وبعد ذلك نقوده إلى النهر ونذبحه هناك، ثم نضع رأسه تحت حجر الطاحون. أما عن رغبته التى طلبها منا فسوف ننفذها له بالطبع ونقوم بنقل حزم الحطب الثلاث الى بيته.

قيد الجاران العجوز وساقاه إلى النهر.

ثم أخذا يشحذان السكين بينما صرخ العجوز يسترحمهما:

ـــ ما الذى تنويان فعله بى؟ ولماذا تقيدان يدى؟

أجاب الجاران: نقيدك لأننا سوف نقتلك ونحتفظ بالذهب كله لأنفسنا.

رجاهم العجوز: أتوسل إليكم ألا تقتلونى، فإننى قد هرمت وصرت على شفا حفرة من القبر، بالإضافة إلى أن زوجتى سوف تضع مولودا فى الأيام القادمة، فامنحونى الفرصة قبل غروب العمر كى أرى مولودى إن كان ولدا أو بنتا.

ـ كلا ، لابد من قتلك.

ـ لكن العجوز صار يتوسل إليهم من جديد:

ـ خـذوا كل الذهب لكم فلن أخبر أحـدا بشىء، لكن دعونى أحتفظ بالحطب له.

غير أن الجارين أصما الأذان عن السمع واستمرا فى شحذ السكين.

حينئذ تيقن العجوز من دنو نهايته فقال:

ـ أرجو أن تبلغا زوجتى بوصيتى الأخيرة وأخبراها بالتالى: " فى أثناء عودة زوجك إلى البيت وهو محمل بالحطب تعرض ثلاث مرات إلى ريح عاتية، فتملكه الغضب وانطلق يسير بعيدا حتى اختفى عن أعيننا". وقال إذا ضعت زوجتى ولدا أخبروها أن تسميه "دود" (كلمة دود فى اللغة الأوزبكستانية تعنى "العون" المترجم)، وإذا وضعت بنتا فلتسميها كما يحلو لها.

بعد ذلك قتل الجاران العجوز وقطعا رأسه. ثم ألقوا بالجثة فى النهر ووضعا الرأس تحت حجر الرحى. وحملوا الحزم الثلاث فوق ظهورهم ومعها صرر الذهب وانطلقوا صوب القرية.

ذهب الجاران بحزم الحطب إلى منزل العجوز وقالا لزوجته:

ـ إن طباع زوجك غريبة حقا وقد أتعبنا غاية التعب. ففى الطريق إلى البيت وقع على الأرض ثلاث مرات، فتملكه الغضب ورحل إلى مدينة أخرى. وقبل أن نفترق أوصانا أن نبلغك التالى: "لو رزقت بولد فسميه دود، وإذا كانت المولودة بنتا فسميها كما يحلو لك".

حملت زوجة العجوز حزم الحطب الثلاث إلى داخل المنزل وانخرطت فى بكاء مرير.

لنترك الزوجة تواصل البكاء ولنر ماذا جرى للجارين.

أصبح الاثنان من أغنى أغنياء المنطقة بأسرها. وأنفقا نصف صرة من الذهب على بناء قصر منيف يسكنانه. وصارا من كبار التجار وأخذا يرسلان أعوانهما وقوافلهما للتجارة إلى شتى المدن وأقصاها.

ومنذ ذلك الحين أصبح الجاران لا يرتديان ثيابا إلا من الحرير والمخمل. وتطوق خاصريهما أحزمة مطعمة بالذهب والأحجار الكريمة. ويتكآن فى سيرهما على عصى من الفضة الخالصة.

والآن لنعد إلى زوجة الفقير. فقد وضعت ولدا وسمته كما أوصى زوجها — دود.

مرت الأيام والساعات وكبر دود.

بلغ الثامنة من العمر. ولم تكن أمه تسمح له أبدا بالخروج من فناء البيت، بل كانت تحرص على أن يظل قابعا داخل أسوار المنزل. وكانت الأم وابنها كثيرا ما يربطان الأحزمة حول بطنيهما من قلة الرزق. فقد كانت لا تكسب سوى القليل من غزل الخيط وبيعه إلى بعض السماسرة.

جلس دود ذو الثمانية أعوام وقد أصابه الملل من محبسه داخل البيت. وعندما تناهت إلى سمعه من خلف سور المنزل أصوات الفتية الصغار وضحكاتهم صار يبكى وقال لأمه:

— اسمحى لى يا أمى بالخروج إلى الشارع كى ألعب مع الأولاد.

ـــ سوف أسمح لك يا ولدى لكن بشرط واحد، وهو أن أضع قناعا على وجهك. وإذا طلب منك الأولاد أن تكشف وجهك فأجب عليهم قائلا: "كلا لن أكشفه".

وضعت الأم قناعا على وجه دود وتركته يخرج إلى الشارع. وهناك ظل دود يلعب ويمرح مع الأولاد الآخرين حتى حلول المساء. وعندما حل به الجوع عاد مسرعا إلى داخل المنزل وطلب قائلا:

ـــ أحضرى لى خبزا يا أمى.

أجابت الأم: آه يا ولدى الحبيب، للأسف لا يوجد فى منزلنا ولا كسرة واحدة من الخبز، ولا مفر لنا من أن تعمل مثلما كان يعمل والدك. فلنخرج معا إلى الغابة ونجمع حزمتين من الحطب، نبيع واحدة ونستخدم الأخرى لطهى طعام العشاء.

خرج الاثنان إلى الغابة وصارا يجمعان الحطب، لكن الأم شعرت بآلام شديدة فى ظهرها فقالت لابنها:

ـــ سوف أرقد للراحة قليلا يا بنى أما أنت فيمكنك اللعب حولى حتى أنهض.

رقدت الأم أسفل شجرة وراحت فى النوم. وعندما صحت من نومها تلفتت حولها فلم تر أثرا لابنها دود.

أخذت الأم تصرخ وتنادى باسمه بصوت عال: "دووود".

لم تعثر الأم على ابنها فذهبت إلى ضفة النهر وصارت تنادى: "دووود". فى هذا الوقت كان ملك البلاد يصطاد فى هذه الأرجاء يرافقه ثمانمائة فارس. وعندما تناهى صوت الأم إلى مسامعه قال لمرافقيه:

ـــ هناك امرأة تصرخ منادية: "دود" ـــ "العون". فربما عضها ثعبان أو لدغها عقرب سام. وصراخها على هذا النحو يعنى أنها تطلب النجدة. فأسرعوا إليها وأحضروها إلى هنا.

أسرع رجال الملك إلى مصدر الصراخ، وعادوا بالمرأة الملتاعة إلى الملك.

سأل الملك: لماذا تصرخين وتولولين أيتها المرأة؟ هل عضتك حية سامة؟

أجابت الأم: لقد تاه منى ابنى الصغير واسمه دود، لهذا فأنا أبحث عنه وأنادى عليه.

قال الملك فى دهشة: ألم يكن هناك اسم آخر غير هذا الاسم تطلقونه عليه؟

وهنا روت الأم للملك كيف خرج زوجها الفقير مع جاريه الاثنين لجمع الحطب ولم يعد إلى البيت. كما روت عن وصيته لها التى تركها معهما. ثم حكت عن خروجها مع ابنها لجمع الحطب وعن الآلام التى أصابتها فى ظهرها، وعن نومها ثم صحوها وعدم عثورها على دود.

سأل الملك: وماذا عن الجارين اللذين خرجا مع زوجك إلى الغابة لجمع الحطب؟ هل مازالا على قيد الحياة؟

قالت : نعم، مازال جارانا السابقان على قيد الحياة وقد أصابا الكثير من الثراء الفاحش. إنهما التاجران الشهيران اللذان يقيمان فى أفخم القصور بالقرب من السوق، ولا يجلسان إلا على أرائك من الفضة.

فكر الملك فى نفسه قائلا: "أليس من الجائز أنهما قاما بقتل العجوز؟".

استدعى الملك ثلاثة من قواده وقال لهم:

ـــ أريد منكم أن تنطلقوا جميعكم إلى المدينة وتدخلوها من جوانبها الثلاثة. وهناك اهتفوا بصوت عال منادين: "دود". ومن يرد على هذا النداء من الأولاد ضعوه على الفور فوق جواد وابعثوا به إلىّ.

ذهب القواد الثلاثة إلى المدينة ونادوا: "دود". وكان هناك ولد يجلس فى مطعم للكباب يأكل اللحم. وعندما سمع الولد النداء خرج مجيبا.

سأل القائد: ما اسمك؟

أجاب الولد: اسمى دود.

قال القائد: ما الذى أتى بك إلى هنا بينما أمك تدور مولولة فى أرجاء الغابة للبحث عنك وهى تكاد تفقد عقلها من فرط الحزن؟

ثم أجلس القائد الصبى على الحصان وذهب به إلى الملك.

لما رأى الملك الصبى وقد غطى وجهه بقناع أمره قائلا:

ـ انزع القناع من على وجهك.

أجاب الصبى: ولماذا يا مولاى تريد منى خلع القناع؟ تحدث فأنا أستطيع سماعكم دون أن أكشف وجهى.

عرض الملك: إذا نزعته فسوف أقبض على قتلة أبيك وأعثر على جثته، فما قولك؟

أجاب الصبى: إن هذا الأمر رهن بإرادة أمى.

أمر الملك بإحضار أم الولد وسألها قائلا:

ـ إن ولدك يقول بأنه لا يستطيع نزع قناعه إلا بأمرك، فاطلبى منه أن ينزعه.

قالت الأم: إنه مازال صغيرا يا مولاى وملكنا العظيم، ولن يفيدكم فى شىء رؤية وجهه.

أصدر الملك أوامره لقواده بإحضار الجارين اللذين صارا من أثرياء التجار.

لم يمر سوى وقت قليل حتى كان التاجران ماثلين أمام الملك وهما موثوقى الأيدى. ثم أمر الملك بحل وثاقيهما وسألهما قائلا:

ـ أخبرانى أين قتلتم والد هذا الصبى؟ إذا قلتم الحقيقة فلن أهدر دماءكم.

فكر التاجران وفكرا، حتى هداهم التفكير إلى قول الحقيقة مادام الملك قد وعد بعدم إهدار دمائهم. وقررا الاعتراف بكل شىء.

ـ لقد قمنا بقتل جارنا على ضفة النهر.

حل الفزع بالجميع عندما سمعوا اعتراف الجارين.

سأل الملك: ولماذا قمتم بقتله؟

حكى التاجران تفاصيل الوقائع كما جرت:

ـ عندما قال لنا العجوز الفقير عن وصيته الأخيرة قمنا بقطع رأسه وألقينا بجسمه فى مياه النهر. ثم اقتسمنا الذهب فيما بيننا حيث حصل كل منا على صرة ونصف. وبهذه الوسيلة صرنا من الأغنياء...

واصل الملك طرح أسئلته وقال:

ـ وكم من الذهب تبقى معكم؟

أجاب التاجران: لقد بقيت صرتان كاملتان.

أمر الملك رجاله: أحضروا هاتين الصرتين على الفور.

سرعان ما جلب الرجال الصرتين ووضعوهما أمام الملك.

استدعى الملك الصبى دود وقال:

ـ لك صرتان من الذهب، واحدة مقابل قتل والدك، والصرة الأخرى هى نصيبه السابق. فخذهما حلالا لك، وأخبرنى إن كنت راضيا أو لا.

أعلن دود: لقد غفرت عن موت أبى، وسوف أكتفى بنصيبه فقط من الذهب ولا أريد الصرة الأخرى.

وطلب دود إعطاء الذهب لوالدته. أما الذهب فى الصرة الأخرى فقد أمر الملك بتوزيعه على قواده ورجاله. وقال لدود:

ـ سوف يبحثون عن رفات أبيك حتى يعثروا عليها ويدفنوها بالطريقة اللائقة. والآن اكشف عن وجهك حتى أنظر إليه.

قال الصبي في عناد: إنني مازلت في السابعة من العمر فقط، وليس في وجهي ما يستحق النظر إليه.

صرخ الملك في غضب ورفع سيفه ملوحا به أمام الصبي قائلا:

ـ اكشف عن وجهك الآن بالحسنى حتى لا تندم.

تملك الهلع من دود فنزع القناع من على وجهه. نظر الملك إليه وما لبث أن سقط من على عرشه فاقدا لرشده. حينئذ قال دود:

ـ احملوا الملك بسرعة إلى النهر حتى يستعيد وعيه.

ما إن فتح الملك عينيه حتى سأل قائلا:

ـ أين دود؟

أحضروا دود أمام الملك.

سأل الملك الصبي قائلا:

ـ أية زهرة أنت ومن أي بستان جئت؟ هل أنت جني صغير؟ أم ربما أنت ابن لجنية مسحورة؟ أي إعجاز أبدعك على هذه الصورة؟

ـ لقد كان والدي رجلا فقيرا، أما أمي فها هي تقف أمامكم ـ رد دود وجثا على ركبتيه بجانب أمه.

ـ إني ملك لسبعة بلاد، ولم أر في حياتي من قبل صبيا بهذا الجمال. ولم أرزق بولد ولا ببنت. فلتكن ولدا لي تمرح في رياض واسعة وتجلس على عرش من الذهب، وأجعل منك ملكا من بعدي.

أجاب دود: إن عمري مازال في السابعة يا مولاي ولم يجف بعد لبن أمي من على شفتي. ولست جديرا بالسكن في قصرك ولا أستطيع أن أصبح ولدا لك، ولا يمكنني بعد التمييز بين الصالح والطالح من البشر. لذلك من الأفضل أن

تمنحنى أرض الوادى. وسوف آمر بحفر السواقى لريه بالماء وبناء البيوت والمنازل كى يعيش هناك الفقراء من الناس. وبعد مرور سبع سنوات سوف تثمر الأشجار وتزدهر البساتين والحقول حينئذ يمكنكم أن ترسلوا فى طلبى.

قال الملك: حسنا سوف أمنحك أرض الوادى لتفعل بها ما شئت. لكن أريدك ألا تنسى أنك من الآن قد صرت ابنا لى وأنا أصبحت والدا لك.

أعطى الملك للصبى ووالدته حصتهما من الذهب، ثم جمع وزراءه وقواده ورجاله وخرج إلى الجبال للصيد.

أما دود فذهب مع أمه إلى أرض الوادى.

قال دود: يا أمى سوف أصنع لك مؤقتا كوخا من البوص كى تعيشى فيه لوقت قليل ريثما أجلب ألفا أو ألفين من العمال للبناء.

فى اليوم التالى جلب أعدادًا كبيرة من العمال الذين شرعوا على الفور فى حفر السواقى لتجرى المياه فى أرجاء الوادى. ثم شيدوا الكثير من المنازل التى أسكنها دود بالفقراء والمعدمين. بعد ذلك أخذ السكان الجدد ــ طبقا لتوجيهات دود ــ يزرعون آلاف الأفدنة بمختلف المحاصيل والأشجار وحولوها إلى بستان ضخم مزدهر أطلقوا عليه اسم دود.

مرت سبعة أعوام وأرسل الملك قواده فى طلب دود. وضع القواد دود فى قفص من الذهب الخالص وحملوه على حصان وأسرعوا به إلى الملك.

رحب الملك بالفتى دود قائلا:

ــ لقد أصبحت الآن ملكا لى. لعلك لم تنس أنك ابنى وأننى والدك. والآن انزع القناع من على وجهك واجلس على العرش.

أجاب دود: أرجو أن تأذن لى بالذهاب إلى أمى وطلب الموافقة منها.

كان الملك قد أقام لأمه قصرا به أربعون درجة من اللؤلؤ والألماظ. وعين لها أربعين جارية وأربعين خادمة يقومون على رعايتها وتلبية أوامرها. وكانوا فى كل يوم يقومون بطهى البلوف لها المصنوع من سلق أربعين مخًّـا من الضأن.

حضر دود إلى أمه وقال لها:

ـ يا أمى العزيزة، إن الملك يطالبنى ثانية بنزع القناع من على وجهى. وهو يجلس مع الوزراء والحكماء والقواد ورجال البلاط. وإنى أخشى أن يفقد الملك مرة أخرى وعيه لو أننى نزعت القناع. وربما اندس بين الحضور عدو للملك ينتهز الفرصة ويقوم بقتله وهو فاقد للوعى وأصبح أنا الملوم فى نهاية الأمر.

قالت الأم لابنها: افتح فمك يا بنى.

فتح دود فمه فنفخت الأم بداخله وقالت:

ـ الآن يمكنك الذهاب والجلوس على العرش ولا تخش شيئا.

عاد دود إلى القصر وجلس على يمين الملك. ثم نزع القناع من على وجهه.

انبهر الجميع من جمال الفتى وهتفوا فى صوت واحد:

ـ تهانينا القلبية لك يا مولانا الملك بحضور ابنك.

أغدق الملك على الحضور اللآلئ وأحجار الماس.

خرج دود إلى البستان الملكى يتريض به. وما إن شاهدته الطيور حتى صعقت من حسنه وصارت تحط عليه من كل جانب. هرب دود من الطيور وسار إلى مربط الجمال. شاهده رجال القوافل فاخذوا يلتفون حوله مشدوهين بجماله، ففر دود منهم وذهب إلى جناح الحريم بالقصر. وما إن رأته الفتيات حتى أحطن به من كل جانب فاضطر إلى الخروج هاربا للشارع. وهناك سار خلفه أربعون من البوابين يمتدحون جماله ويطرون على بهائه. فعاد دود إلى القصر ودلف إلى حجرة

سرية، وارتمى على فراش من اللباد وراح يغط فى نوم عميق. رأى دود فى منامه جنية رائعة الجمال تأتيه محلقة من جبل كوخى كاف وهى تحمل فى إحدى يديها سيخًا ممتلئًا بقطع الكباب المشوى، وباليد الأخرى تحمل قدحا كبيرا مملوءا بالنبيذ. ثم أخذت الجنية تطعم دود من الكباب وتسقيه من النبيذ وبعد ذلك طارت محلقة مرة ثانية. استيقظ دود ونظر حوله فلم ير أثرا للجنية الجميلة.

دلف دود إلى عش الطيور الملكية واختار صقرا من صقور الصيد ووضعه فوق ذراعه وحمل قوسا وجرابا مملوءًا بالنبال والأسهم وخرج إلى إصطبل القصر. وانتقى من هناك الفرس تولبار وركبه منطلقا به للبحث عن الجنية التى ظهرت فى حلمه.

قطع دود السهول والفيافى، وعبر الجبال والبحيرات حتى وصل أخيرا إلى جبل كوخى كاف الذى يضم وادى سيزم. وظل دود ثلاثة أيام وثلاث ليال يسير فى دروب الجبل حتى رأى غزالا يخرج من أحد الكهوف ويفر هاربا نحو الوادى. أخذ دود يطارد الغزال فى الوادى.

مرت سبع ليال وسبعة أيام ودود يسير فى الوادى حتى وصل أخيرا إلى شاطئ النهر. وهنا توقف دود وغرز بالأرض عصا وضع عليها الصقر.

ألقى الفتى بجسمه على الشاطئ يستريح. وفجأة لمح رجلا عجوزا معمما يمضى قبالته على الضفة الأخرى للنهر ويرتدى عباءة صفراء ويسير متكئا على عكاز.

كان وجـــه العجوز مشرقا. ووقف أمام دود الذى انحنى له باحترام. قال العجوز للفتى:

ــ أيها الفتى الصغير، لا ينبغى عليك المكوث هنا طويلا. فالجان والعفاريت تمرح فى مياه هذا النهر. إنى أعلم أنك قد جئت للبحث عن المحبوبة.

لكنها ليست من نسل الإنس بل جنية من العالم الآخر. وهى تحيا وتعيش تحت الماء، ولا أمل لك في الحصول عليها من قاع النهر.

حينئذ انهمرت الدموع من عينى دود وأخذ يبكى بحرقة ومرارة.

أشفق العجوز على دود قائلا: حسنا حسنا سوف آتى لك بالجنية. لكن عليك أن تغمض عينيك ولا تفتحهما إلا بعد مرور سبع لحظات وليس قبل ذلك.

أغمض دود عينيه ثم فتحهما بعد مرور سبع لحظات فوجد نفسه مع العجوز على الضفة الأخرى للنهر دون أن يشعر كيف حدث ذلك الأمر. قال العجوز للفتى:

ـ عليك الآن يا بنى الذهاب إلى تلك الشجرة هناك. سوف ترى أن جذعها من الزمرد وأغصانها من الياقوت وأوراقها من الماس. بجانبها بيت تنام فيه الجنيات والجان. يضم البيت إحدى وأربعين حجرة تضىء كلا منها شموع من اللآلئ إياك أن تنظر إليها. بل اذهب إلى الحجرة الأخيرة وادخلها. سوف تجد فيها خزانة بالحائط بها ثلاث قرعات. خذ الوسطى منهم واجلبها لى.

فعل دود مثلما نصحه العجوز. فدخل الحجرة الأخيرة للمنزل وأحضر منها القرعة الوسطى.

ـ ها هى يا بنى التي رأيتها فى منامك، فخـذها لك. والآن أغمض عينيك ولا تفتحهما إلا بعد مرور سبع لحظات.

بعد مرور سبع لحظات رأى دود بجواره فرسه تولبار.

هتف العجوز من الضفة الأخرى مخاطبا دود:

ـ لقد مضى عليك أربعة عشر يوم لتصل إلى هنا. والآن سوف ألقنك تعويذة تنطقها فتعود إلى بيتك فى لمح البصر.

حمل دود القرعة والصقر على يديه وقفز راكبا فرسه.

لقن العجوز دود كلماته الأخيرة للطريق وقال: ـــ تذكر يا بنى ألا تترك الجنية بل احتفظ بها ولا تضيعـــها. ولا تمزح مع القرعة فى أثنـــاء الطريق حتى لا تجلب المتاعب فوق رأسك.



مضى دود يسير لبعض الوقت ثم توقف بفرسه وصار يفكر:

"لقد رأيت جنية فى منامى، أما العجوز فلابد من أنه من السحرة المشعوذين، فما الداعى لأن أمضى حاملا قرعة جوفاء؟"

رفع دود القرعة وهمّ برميها على الأرض عندما سمع فجأة صوتا عذبا رقيقا يقول:

ـ لقد آلمتنى كثيرا.

امتشق دود سيفه من غمده وشق به القرعة فرأى بداخلها فتاة جالسة لم يشهد من قبل أحدا فى جمالها تستحق أن يسميها بالقمر لولا أن لها شفتين مرسومتين، وتستحق أن يسميها بالشمس لولا أن لها عينين رائعتين. وعلى خدها الأيمن ترقد شامة بديعة. وتزين رقبتها أربعون حبة من الجواهر واللآلئ والماس.

ما إن رأى دود الفتاة حتى تسمر من هول المفاجأة وكاد يفقد صوابه.

قفزت الجنية من القرعة وصارت تهوى عليه بطرف ردائها حتى تعيده إلى وعيه.

ـ أيتها المحبوبة الرائعة، من أى بستان قطفت يا أندر الزهور؟ ولأى أنواع من البلابل تنتمين؟ أأنس أنت أم من الجنيات الخارقات؟ ومن الذى أبدعك بهذا الجمال؟ .. خرجت تلك الكلمات من فم دود الذى عاد إليه رشده بالكاد.

قالت الجنية للفتى: إنك لم تستمع إلى نصيحة العجوز ولم تتعامل مع القرعة بالحذر المطلوب وجلبت لنفسك المتاعب ولم يعد هناك سوى ثلاث وسائل كى أعود إلى بيتى.

قال الفتى المشدوه بجمال الجنية: يا أجمل مخلوقات الكون إننى سوف أحملك معى على فرسى، وأدثرك بردائى الذهبى وغطائى المخملى.

قالت الجنية: كلا لا يمكننى ركوب الفرس، أحضر لى عربة تجرها الجياد.

ـ يا جوهرتى الغالية، إن المسافة الباقية إلى المدينة قصيرة للغاية، فلنذهب حتى نصل إلى مشارف المدينة. وهناك سوف أتركك فى أحد الأكواخ المتواضعة، ثم أسبقك إلى القصر وأحضر أربعين جارية لمرافقتك، مع قافلة من العربات التى تصاحبها فرق الموسيقى كى يحتفلوا بك. وبعد ذلك أذهب بك إلى قصر منيف له سلم من ثمانين درجة. درجاته كلها من المرمر وسقفه من المرجان وقبابه من الياقوت الأحمر.

وافقت الجنية بعد أن سمعت ما قاله دود. فجلست معه على الفرس وانطلقا معا إلى المدينة. وعندما وصلا إلى مشارفها أنزلها دود فى أحد الأكواخ الفقيرة وسار بمفرده نحو القصر لإحضار العربات والمشاعل. ظلت الجنية وحيدة بالكوخ، ثم خرجت إلى السقف وصارت تتطلع من وراء غطائها الذهبى إلى المكان وعلى وجهها ابتسامة فاتنة. نظرت الجنية الجميلة فرأت امرأة عجوز تجلس قبالتها على جانب الطريق. ابتسمت لها الجنية وهى لا تدرى أن تلك العجوز ما هى إلا ساحرة جبارة. ففى وجبة واحدة يمكنها أن تأكل أربعين خروف، وأن تشرب أربعين قدحًا من الماء. وبأنفاسها تستطيع أن تدير أثقل أحجار الرحى وزنا.

سرعان ما لمحت الساحرة العجوز بعينيها الجنية صاحبة الابتسامة.

"من أين أتى هذا الضياء فجأة؟" .. فكرت الساحرة وحملت إبريقا من الفخار ذهبت به إلى الشارع متصنعة الخروج من أجل الماء.

ابتسمت الجنية ثانية للعجوز وانحنت لها من مكانها على السقف فى احترام.

نظرت الساحرة إليها وسألتها قائلة:

ـ من فضلك يا ابنتى العزيزة، ألا يمكنك النزول إلى أسفل ومساعدتى فى ملء هذا الإبريق بالماء؟

هتفت الجنية تعترض بغضب:

ـ ماذا تقولين؟ إننى لست خادمة لك.

ـ لقد خطر ببالى أن حسناء مثلك لو ذهبت إلى عين الماء فسوف ينعكس ضياء جمالها على صفحته ويتلألأ أكثر فأكثر حتى يصبح المكان أكثر إشراقا. وحينئذ يصل الضوء إلى حجرتى المظلمة التى أغزل فيها الصوف كى أحصل على وجبة لطعامى.

قالت الجنية ضاحكة: تريدين منى أن أنير الماء؟ إننى جنية يمكننى أن أتحول إلى ثعبان أو حمامة أو حتى امرأة عجوز.

هزت الساحرة رأسها متصنعة الدهشة وقالت بلطف:

ـ لو أنك جنية حقا كما تقولين فهيا تحولى أمامى إلى حمامة كى أصدق كلامك.

صاحت الجنية بصوت مثل الطيور وتحولت إلى حمامة. غير أنها لم تكن حمامة عادية بل كانت حمامة مسحورة: قدماها من المرجان، جناحاها من الياقوت، ومنقارها من اللؤلؤ.

ثم صاحت الجنية مرة أخرى وعادت إلى هيئتها السابقة.

قالت الجنية بلهجة إباء وتعال: لقد تكبد دود الكثير من المصاعب والمتاعب كى يأتى بى من موطنى إلى هنا، وفى نهاية المطاف تطلبين منى إحضار بعض الماء.

قالت الساحرة بنبرة حزن: حسنا يا ابنتى لا داع لأن تتعبى نفسك سوف أتدبر أمرى بطريقة أو بأخرى للحصول على الماء من العين.

أشفقت الجنية على العجوز وأصابها الخجل من سلوكها معها.

ـ انتظرى أيتها الجدة، سوف أهبط إليك وأساعدك فى الحصول على الماء .. هتفت الجنية منادية على العجوز وأسرعت تلحق بها فى الطريق. ثم تناولت

منها الإبريق وذهبت إلى العين. وما إن مالت الجنية بالإبريق لتملأ الماء من العين حتى دفعتها العجوز من الخلف فأوقعتها فى الماء واختفت على الفور بداخله.

ذهبت العجوز إلى الكوخ الذى ترك به دود الجنية. وغطت وجهها وجسمها بالغطاء الذهبى حتى اختفت داخله.

وسرعان ما عاد دود يرافقه خمسمائة من الفرسان على خيولهم، وأربعون جارية فى عربات عجلاتها من الفضة وأسقفها من الذهب.

دلف دود إلى داخل الكوخ ورفع الغطاء الذهبى ليرى أمامه العجوز الشمطاء المخيفة تنظر إليه بعينين جاحظتين.

خر دود على الأرض فاقدا وعيه. التف من حوله الفرسان ورشوا وجهه بالماء حتى عاد إليه رشده فسألوه:

ـــ ماذ جرى لك أيها الأمير؟

إلا أن الخجل منع دود من سرد ما جرى أمام الجميع، فاقترب مسرعا من العجوز وسألها قائلا:

ـــ هل أنت الجنية بعينها أم أنك واحدة أخرى؟

أجابت الساحرة: نعم، أنا هى الجنية التى أحضرتها معك.

ـــ دعينى إذن ألقى نظرة أخرى على وجهك.

ـــ كلا، لا أستطيع أن أريك وجهى حتى أصبح زوجتك، وأضع لك ابنا، ويصبح فى السابعة من العمر. حينذاك فقط يمكنك أن ترى وجهى وليس قبل هذا، حيث إننى قد أقسمت على ذلك ولن أحنث بقسمى. وأنا جنية يمكننى التحول إلى أى شكل أو صورة، ثعبان أو حمامة كانت أو امرأة عجوز كما رأيتنى الآن.

طلب دود راجيا من الساحرة: أتوسل إليك أن تعودى إلى هيئتك الجميلة حتى أذهب بك إلى قصر الملك.

ـــ كلا، إننى لا أتراجع أبدا عن قولى. فإن شئت خذنى على صورتى هذه إلى القصر. وإن لم ترغب فسوف أتحول إلى حمامة وأطير عائدة إلى موطنى فى جبل كوخى كاف.

"سبع سنوات من الانتظار ليست بالوقت الطويل بالنسبة إلى فتى جسور مثلى" .. فكر دود فى نفسه وقال للساحرة:

ـــ حسناء، هيا اركبى العربة.

قالت العجوز معترضة: هذا أمر لا يجوز، احملنى أنت بنفسك وضعنى بداخلها.

حمل دود الساحرة بين يديه إلا أنه سقط متهاويا على الأرض من ثقل وزنها.

ضحكت العجوز مقهقهة وقالت:

ـــ هيا اذهب وامتطِ جوادك أيها الجسور.

قفز دود على جواده. وما إن لكزه حتى خرجت فجأة من العين فرس شهباء رائعة الجمال ذات عرف فضى، وصارت تصهل وتدور حول دود. انبهر الحاضرون بجمال الفرس ورشاقتها. كما أعجب دود بها لدرجة أنه اندفع إليها وأخذ يربت على رقبتها بحب ويقبلها. رأت الساحرة ما جرى فأمرت قائلة:

ـــ اربطوا هذه الفرس إلى العربة.

ربط الخدم الفرس الشهباء إلى العربة الذهبية التى ركبت بها الساحرة. أما الأمير فامتطى جواده، وسار الجميع فى طريقهم. وفى لمح البصر وصلوا إلى قصر الملك الذى صار ينثر اللآلئ والزمرد على الحضور ابتهاجا بهذه المناسبة. ورافقت الوصيفات العروس إلى جناحها الخاص.

ظلت الساحرة قابعة بجناحها تختبئ داخل الغطاء الذهبى دون أن تكشف وجهها لأحد.

في هذا الوقت كان دود قد أخذ الفرس ذات العرف الفضى التى خرجت من العين وضمها إلى الإصطبل الملكى حيث ربطها هناك. جلس دود بجوار الفرس ولم يغادرها حتى منتصف الليل. فظل يطعمها ويداعب عرفها ويقبل رقبتها. وكانت الفرس أيضا تميل برأسها عليه وتداعبه.

حينئذ أمرت الساحرة وصيفاتها أن يطلبوا الحضور من عريسها.

دلف دود إلى جناحها وانحنى أمامها يحييها. لكن الساحرة انفجرت فى وجهه ثائرة تقول:

ـ اسمعنى جيدا أيها الفتى ولك الخيار، فإما أنا أو تلك الفرس الشهباء. وإلا فسوف أتحول إلى حمامة وأطير عائدة إلى ديارى. لو كنت ترغب فى الحياة معى فينبغى عليك الإسراع بالزفاف حتى أضع لك طفلا فى القريب العاجل.

سمع دود كلمات الساحرة وانحنى لها فى احترام. ثم خرج والدموع فى عينيه إلى الملك. وما إن رآه الملك وهو على حاله من الحزن والهم حتى سأله:

ـ من الذى سبب لك كل هذا الحزن يا ولدى؟ أخبرنى عنهم حتى آمر بقطع رقابهم ولو تكومت فوق بعضها البعض مثل برج عال.

بدأ دود فى الحديث وقال: مولاى الملك لقد جلبت من جبل كوخى كاف قرعة مسحورة. وفى الطريق قمت بشقها فخرجت منها فتاة رائعة الحسن والجمال. وعندما وصلنا إلى مشارف المدينة تركت الفتاة فى أحد الأكواخ وذهبت إلى القصر كى أحضر لها العربة لتنقلها. وعندما رجعت إلى المكان الذى تركت فيه فتاتى الجميلة لم أجد سوى عجوزا قبيحة جاحظة العينين. وزنها يوازى وزن أربعة عشر شخصا. وقالت العجوز إنها تستطيع أن تتحول إلى حية أو حمامة أو تعود جنية كما كانت. حينئذ رجوتها أن تعود إلى هيئتها السابقة كجنية جميلة حتى يمكننى أن أرافقها إلى القصر لكنها اعترضت قائلة: "لقد قطعت عهدا على نفسى ألا أكشف وجهى لأحد أبدا حتى أضع لك ولدا يصبح عمره سبع سنوات. وإن لم ترض بهذا فسوف أتحول إلى حمامة وأطير راحلة إلى ديارى بجبل كوخى كاف". فكيف

لا أحزن ولا أغتم وقد وقعت فى حب الجنية وافتتنت بجمالها الأخاذ. وعندما سرنا فى الطريق إلى القصر خرجت فجأة من العين فرس شهباء ذات عرف فضى رائعة الجمال، وصارت تدور وترقص حولى. حتى إن الحضور جميعهم أصابتهم الدهشة والذهول من فرط جمالها ورشاقتها. وأمرت العجوز بربط الفرس إلى عربتها. وصارت الفرس فى سيرها تقطع الأربعين خطوة فى خطوة واحدة منها. وبعد أن وصلنا إلى القصر وجدت نفسى منجذبا إلى هذه الفرس الرائعة لا أستطيع أن أحول عينى عنها أو تركها. حينئذ طلبت العجوز منى الإسراع بالزفاف منها. لكننى لا أعرف كيف يمكننى الزواج بعجوز قبيحة مثلها!!

قال الملك: لا تحزن يا بنى فإن الجنيات بالفعل يمكنهم التحول إلى أى شكل أو صورة. ولابد من أن فتاتك الحسناء تريد أن تختبرك لبعض الوقت. وينبغى أن يتم الزفاف بأسرع وقت. فليس هناك أروع من أن يولد لك ابن.

أقام الملك الاحتفالات بالزفاف، والتى استمرت لأربعين يومًا وليلة. وفى الليلة الموعودة ظل الخدم يسقون دود من الخمر حتى ثمل، ثم ساقوه بعد ذلك إلى عروسه العجوز.

فى صباح اليوم التالى خرج دود إلى فناء القصر ورأى الفرس الشهباء. فاندفع إليها يقبلها ويمسد على رقبتها بيده ويداعبها. وأمر أن يملأوا لها وعاء بالشربات وآخر بالسكر.

مرت الأيام وجرت الأسابيع والشهور، وأعلنت الساحرة أنها سوف تضع ولدا فى القريب العاجل. فتقلبت أطوارها وأخذت تصرخ مطالبة بلحم مشوى. ونادت دود قائلة له:

ـ أريد منك أن تطلب الجزار ليحضر هنا على الفور ويقوم بذبح الفرس الشهباء ذات العرف الفضى وطهى لحمها لى.

أخذ دود يجادل ويتنازع فى الأمر مع زوجته العجوز بلا جدوى. وفى النهاية رضخ لمطلبها وطلب من الجزار باكيا والأسى يفطر قلبه، أن يذبح الفرس

الشهباء. وما إن دخل الجزار إلى الإصطبل لتنفيذ أمر دود حتى سقط الساطور والسكين من يديه على الأرض: فقد تحولت الفرس التى كانت تقف أمامه إلى فتاة حسنها لا يبارى.

أسرع الجزار إلى دود وركع أمامه قائلا:

ـــ مولاى الأمير، هذه ليست بفرس عـــلى الإطـــلاق، بـــل إنها جنـــية ولا يمكننى ذبحها ولا تطاوعنى يداى على ذلك.

قال الجزار ما قاله وذهب لحاله.

ابتهج دود لما سمعه. لكن فرحته قطعها صراخ الساحرة العجوز وهى تنادى وتطالب بشى لحم الفرس على وجه السرعة وإحضاره لها.

أحضر الخدم جزارا آخر. لكنه رفض بدوره قائلا:

ـــ إنها أجمل ما فى هذا القصر، فكيف تريدون ذبحها؟ هل فقدتم عقولكم؟ إننى لست من آكلى البشر.

وخرج هو الآخر مسرعا من القصر.

قال دود: ماذا جرى للجزارين؟ هل فقدوا أبصارهم؟

أما الساحرة العجوز فظلت تصرخ منادية:

ـــ اذبحوا لى الفرس الشهباء، أريد أن آكل لحمها المشوى على وجه السرعة.

عثر الخدم على جزار آخر وأحضروه.

قال الجزار: حسنا سوف أذبح لكم الفرس الشهباء، على أن تتحملوا وزر ذبحها.

واصلت الساحرة العجوز صراخها المخيف حتى أصم دود أذنيه واكتفى بالقول:

ـــ حسنا، سوف أتحمل وزرها.

ربط الجزار الحبال حول أقدام الفرس الشهباء كى يطرحها على الأرض. إلا أنها رقدت من تلقاء نفسها ونظرت إلى دود بعينين حزينتين.

ضرب الجزار رقبة الفرس بالسكين. أصابتها السكين فى ثلاثة مواضع حيث اندفعت ثلاث قطرات من الدم وسقطت بجانبها. وإذا بثلاث من أشجار الحور ينبثقون بارتفاع خمسة أذرع فى مكان الثلاث قطرات.

وهنا دخلت مسرعة جارية الساحرة العجوز وهتفت قائلة:

ـــ إن مولاتى تطالب بكبد الفرس.

أعطى الجزار الكبد للجارية . والتهمته العجوز ومن بعده اللحم كله.

أما دود فقد خرج إلى الصيد بعد أن أصابه الحزن والضيق جراء حرمانه من فرسه المحبوبة.

بعد مرور تسعة أشهر، وتسعة أيام، وتسع ساعات، وتسع دقائق، وضعت الزوجة لدود مولودا ولدا.

طلبت العجوز دود للحضور من رحلة صيده وقالت له:

ـــ لقد آن الأوان لأن نصنع لابننا أرجوحة نهدهده فيها. لذا أريد منك أن تأمر بقطع شجرات الحور الثلاث ليصنعوا منها أبوابا لجوانب القصر الأربعة وأرجوحة لولدنا الصغير.

لم يرغب دود فى قطع شجرات الحور الثلاث، إلا أنه لم يرغب أيضا بالدخول مع زوجته التى منحته ابنا فى نزاع وجدال بلا طائل. لذا فإنه أحضر نجارا إلى القصر وأمره بقطع الشجرات وصناعة الأبواب منها والأرجوحة.

ما إن شاهد النجار شجرات الحور حتى سقطت من يديه البلطة والمنشار.

ـ مولاى الأمير، إنهم ليسوا بشجر بل فتيات حسناوات. فماذا يضيرك لو أن الحسناوات الثلاث ظللن يقمن فى القصر؟

ـ اقطعهم كما أمرتك .. قال دود الذى فاض به الكيل من إلحاح زوجته.

قال النجار: حسنا، يمكننى قطعهم لكن الذنب تتحمله أنت.

أجاب دود: حسنا، سوف أتحمل أنا ذنبهم.

حينئذ اجتمع ستة من النجارين والصناع حول أشجار الحور الثلاث لقطعها. إلا أن الأشجار مالت من تلقاء نفسها حتى وقعت على الأرض. صنع النجارون أرجوحة من خشب الأشجار وأربعة أبواب لجوانب القصر كما طلبت الساحرة العجوز. وضعوا المولود الجديد فى الأرجوحة ونثروا من حوله اللآلئ البيضاء. إلا أن الأرجوحة فجأة صارت تضيق حتى اعتصرت الوليد بداخلها ومات. صرخت الساحرة العجوز: "دود" وهرعت نحو الباب. لكن ضلفتى الباب أخذتا تعتصرانها بينهما وتعتصرانها. أسرع دود إليها فحررها منهما وحمل طفله الرضيع الميت من الأرجوحة وهو يبكى. عندما رأت النساء دود يبكى بحرقة لموت ابنه قلن له:

ـ إنك مازلت بعد شابا صغيرا ويمكنك إنجاب العديد من الأبناء، ولا داع أن تقتل نفسك من الحزن. فمن يموت لا يمكنك أن تعيده إلى الحياة. والمثل يقول: البقعة السوداء مهما غسلتها لن تعود بيضاء أبدًا.

خرج دود ملتاعا من الصدمة إلى الشارع. وعند البوابة شاهد صعلوكا عجوزا يتسكع بجوارها.

أخرج دود من جيبه لؤلؤة كبيرة ومد يده بها نحو الصعلوك. إلا أن الصعلوك لم يأخذ اللؤلؤة منه بل أشار إلى النشارة وبقايا الخشب المتبقية من عمل النجار فى الأشجار الثلاث وقال:

ـ أكون ممتنا لك لو تعطينى هذه النشارة وقطع الخشب الباقية هنا كى أشعل بها المدفئة فى الليل البارد.

رد دود: خذها فهى لك.

وما إن همّ الصعلوك بجمع النشارة وقطع الخشب حتى ارتفعوا كلهم فى الهواء وصعدوا فاختفوا فى السماء.

عاد الصعلوك إلى بيته فلم يجد كوخه المتهالك. بل رأى مكانه قصرا منيفا قد شيد وله سلم من أربعين درجة. صعق الرجل من الدهشة وخرّ على الأرض فاقدا وعيه. وبعد أن ثاب إلى رشده ذهب إلى جاره ليعرف منه حقيقة الأمر وإن كان هذا هو بيته السابق أم أنه قد أخطأ العنوان وجاء إلى حى غير حيه. ما إن رآه الجار حتى اندفع اليه قائلا:

ـ فليحترق بيتك أيها الرجل، لا ندرى كيف ومن أين ظهر هذا القصر المسكون بالعفاريت والجان. ولا نعرف كيف يمكننا العيش هنا بعد ذلك، فالجميع خائفون يرتعدون من وجوده بجوارهم.

صعد الصعلوك الدرجات الأربعين للقصر الذى ظهر مكان كوخه ودلف الى داخله. نظر الصعلوك فرأى جنية وحولها عفريتان يهبطون من السقف.

عندما رأت الجنية أن الصعلوك لم يتملكه الخوف لدى رؤيتهم طردت العفريتين وقالت:

ـ مرحبا بك أيها الصعلوك المبجل، إن هذا القصر ملك لك. وليس عليك سوى ارتداء ثيابك.

منحت الجنية للصعلوك ثيابا بديعة الصنع والجمال. وعندما ارتدى الثياب الوجيهة رافقته إلى الحجرة المجاورة وأشارت له إلى صندوق كبير رابض على الأرض وقالت:

– أيها الوالد، افتح هذا الصندوق وخذ منه بعض اللؤلؤ والجواهر واخرج لبيعها. وبثمنها أريد منك أن تقيم وليمة ضخمة تدعو إليها جميع سكان المدينة ومعهم أيضا الملك وابنه دود. وعندما يحضرون أريدك أن تضع على كتف كل منهم رداء ذهبيا.

فعل الصعلوك كما طلبت منه الجنية. فأحضر أربعين قدرا ضخمًا وضعهم على أربعين موقدا. وظل لأربعين يومًا وليلة يطهى اللحم والبلوف ويقدمه لسكان المدينة والفقراء والمعوزين.

قال الملك: "لا يليق بملك مثلى أن يلبى دعوة صعلوك". ولم يذهب الملك إلى الوليمة بل أرسل أربعين من فرسانه بدلا منه وعلى رأسهم دود.

خرج الصعلوك إلى الجنية وقال لها:

– لم يلب الملك الدعوة يا ابنتى العزيزة، بل أرسل ابنه دود على رأس أربعين من الفرسان. فما قولك؟

أجابت الجنية: إن عدم حضور الملك أمر عادى وأريد منك أن تبالغ فى إكرامهم وضيافتهم، وأن تغدق على الفرسان بالملابس الثمينة التى جلبت من أرجاء العالم السبعة. وأن تهدى دود الرداء الملكى الفاخر ليرتديه. ثم قم معه بجولة ليتفقد معالم القصر، وفى النهاية أحضره إلى مجلسى.

فعل الصعلوك ما أمرته به الجنية وفى النهاية قاد دود إلى مجلسها. انحنى كل منهما للآخر ثم وقفا متسمران من الدهشة يتبادلان النظرات. وعندما عادا إلى شعورهما تحدثت الجنية:

– إنى أرى قرعة تقف على أكتافك مكان الرأس يا دود، وأصابتنى الدهشة من كيفية استسلامك لكل ما تقوله أو تطلبه منك الساحرة العجوز. فالفرس الشهباء ذات العرف الفضى التى خرجت من عين الماء لم تكن سواى. ومع ذلك فقد قبلت أن يربطونى إلى عربتها وأن أقوم بجر الساحرة الشمطاء حتى القصر. وفى نهاية المطاف خضعت لنزوتها ورضيت لى الذبح. وعندما تحولت إلى ثلاث شجرات من

الحور أمرت النجار بقطعى وصنع الأبواب والأرجوحة من خشبى. ليس فقط ذلك بل حررت العجوز منى عندما اعتصرتها بين ضلفتى. وأخيرا عندما طلب منك الصعلوك بقايا الخشب والنشارة وراحت تطير فى الفضاء حتى اختفت لم تدرك شيئا من وراء ذلك.

هتف دود: آه يا محبوبتى الغالية لقد أدركت الآن كل شيء. وقفز مسرعا يهبط الدرجات الأربعين لسلم القصر. ثم وثب على ظهر جواده وانطلق به حتى وصل إلى قصره. ودخل إلى حجرة زوجته الساحرة التى كانت تغسل شعرها فى هذا الوقت وصاح فيها قائلا:

ـ أيتها الزوجة، هيا قدمى لى بعضا من فنونك السحرية وتحولى إلى حمامة.

ـ مازال الوقت مبكرا لعرض فنونى السحرية أمامك، ولن أفعل هذا قبل أن أضع لك مولودا ثانيا، وبعد أن يصبح فى السابعة من العمر، حينذاك سوف أتحول إلى حمامة .. ردت الساحرة على طلب دود.

هجم دود على الساحرة وأمسك بها من شعرها وصار يسحبها حتى أخرجها من القصر وسلمها إلى الحراس وأمرهم بتمزيقها إربا إلى خمسين قطعة.

بعد ذلك ذهب دود إلى الملك وقال له:

ـ أيها الوالد المبجل، أريد منك مكافأة للخبر السار الذى سأقوله لك، لقد عثرت أخيرا على محبوبتى.

قرعت الطبول ونفخت الأبواق ابتهاجا بالخبر السار. ووضع دود جنيته فى عربة مزدانة بكل ما هو ثمين. وانطلقا معا نحو القصر ترافقهم أربعون وصيفة يركبون أربعين عربة. واستمرت الأفراح والليالى الملاح لأربعين يومًا وليلة. ونصّب الملك دود حاكما على البلاد. وهكذا استطاع دود ابن الفقير هو والجنية الحسناء أن يحققا كل أمانيهما وأحلامهما المرجوة.

أركينجا



كان لأحد الملوك ثلاثة من الأبناء.

وفى أحد الأيام السعيدة طلب الملك أبناءه للمثول أمامه وقال لهم:

ـــ أبنائى الأعزاء، لقد نويت أن أزوجكم. فما قولكم فى هذا الأمر؟

رد الأبناء قائلين:

ــ الأمر أمرك يا والدنا وليس هناك مانع من زواجنا. لكن من الأفضل أن تختار لنا ثلاث فتيات من أب واحد. فيتزوج أكبرنا من أكبرهن، والأوسط من الوسطى، والأصغر من الصغرى بينهن. وإلا فلن يمكننا الزواج.

أعطى الملك أوامره بالبحث عن عرائس لأبنائه. مضى الرسل والأتباع يبحثون فى كل الأرجاء لكنهم لم يعثروا على رجل واحد لديه ثلاث بنات فى عمر الزواج.

كان الملك يقتنى صقرا عزيزا إلى نفسه. وكان يحبه كثيرا حتى إنه أمر بتعليق جرس من الذهب الخالص فى قدمه. وفى أحد الأيام أخذ الملك صقره المحبوب مع صقّــاره وخرج معه إلى الصيد. وفى أحد الأماكن المكشوفة الواقعة خلف المدينة انطلق أحد الطيور من خلف الشجيرات النامية على جانب الطريق ومضى محلقا فى السماء. وفى الحال أطلق الصقار الصقر الذى اندفع محلقا خلف الطريدة والجرس يرن مجلجلا فى قدمه. لكن الطائر نجح فى الهروب من مطارده واختبأ بين الأحراش. وفجأة دار الصقر وحلق جانبا حتى اختفى تماما عن أنظار الصيادين.

استشاط الملك من الغضب وثار حنقه وهتف يقول:

ــ أيها الصقار، أريد منك أن تعثر على صقرى بأية وسيلة وتعيده إلىّ، وإذا لم تفعل فسوف أصادر كل ما تملك حتى آخر خيط. أما أنت فسوف أهرسك هرسا، وأحول رأسك الفارغ إلى عجينة بلا ملامح، وأجعلهم يغرقونك فى قدر مملوء بالزيت المغلى. كى تتعلم الحفاظ على مقتنيات الملك. سوف أبيدك من هذا العالم وأطردك من هنا حتى تتشرد هائما فى أرجاء الدنيا.

وظل الملك طويلا فى هياجه وسخطه يصرخ ويولول مثل المرأة السوقية تماما. حتى أنهكه الصراخ فامتطى فرسه وقفل عائدا إلى المدينة وهو يرغى ويزبد.

ولحق به الصقار بالكاد فدخل إلى القصر وشرع يتوسل إلى الملك أن يمنحه مهلة أربعين يومًا حتى يبحث عن الصقر الضائع ويعيده خلال تلك المهلة.

وافق الملك وذهب الصقار إلى بيته وهو فى حالة من الغم والكرب. وكانت له ابنة فى الحادية عشر من العمر. لما رأته على حاله من الحزن سألته قائلة:

ــ ما لى أراك حزينا هكذا يا والدى؟

قال الوالد: لم يعد لى سوى الحزن والهم يا ابنتى بعد أن ضاع صقر الملك. ونزلت المصيبة برأسى بعد أن منحنى الملك مهلة أربعين يوم للعثور على الصقر. وإن لم أنجح فى العثــور عليه فإن الملك سوف يمزقنى إربا ويصادر كل ما أملك. فماذا أفعل؟ أسدى لى نصحك يا ابنتى وأخبرينى عن السبيل للخروج من هذه البلوة التى حلت بى.

ــ والدى العزيز، لقد ظهر لنا على مر القرون أن الملوك كلهم يظلمون شعوبهم ويسومونهم العذاب. كما أنهم يتسمون بطبيعة متعالية. فإذا مثلت أمامهم ينبغى عليك الوقوف فى إذعان وسكون كالصنم، حابسا أنفاسك بــلا أدنى حركة، ولا تفكر حتى مجرد التفكير فى أن تقاطع الملك أو تعترض على ما يقوله وإلا تفقد رأسك ثمنا لما فعلته. ومن يقع عليه بصر الملك فهو من المنكوبين أصحاب الحظ العاثر. هذا كله فى الوقت الذى تنتشر فيه السرقة والجريمة. فالبعض يسطو على الخزائن، والآخرون ينهبون الناس وينتزعون منهم كل ما تقع عليه أيديهم. ولا يبقى للفقراء سوى التعاسة والعذاب. فهم يسلبونهم آخر ما لديهم حتى الرمق الأخير. والناس يعيشون فى فزع ورعب وما إن يروا الملك على عرشه حتى يخروا ساجدين أمامه فى خنوع. والملك راض كل الرضى عن استتباب النظام وسيادة القانون فى عاصمته. أما عن الأحوال فى بقية أرجاء البلاد فهو لا يعلم ولا يريد أن يعلم عنها شيئا. فالمهم عنده أن يركع الناس أمامه فى خشوع، وأن يزحف الجميع وراء عرشه المهيب. ويركض الأتباع والحاشية من خلفه كالعبيد تماما. لكن عليك أيها الوالد ألا تغتم. والطائر ينبغى بالطبع العثور عليه. فضع بعض النقود الذهبية

فى حافظتك، وأسرج فرسك وانطلق بها إلى الوادى فربما تنجح فى العثور على الصقر الضائع.

أعجب الصقار بكلمات ابنته التى نصحته بها. فأسرج فرسه الرهوان وملأ خرجه بالعملات الذهبية وخرج إلى الوادى يبحث عن الصقر.

كان الرهوان سريعا كالبرق. فقطع الطريق الذى يستغرق ستة أشهر فى ثلاثة أيام. اشتد الظمأ بالصقار لكن المكان كان مقفرا خاليا من الماء. ترجل الرجل من على الفرس وربطه إلى صخرة كبيرة. ثم رقد على الأرض واضعا خرجه أسفل رأسه وملتحفا بالسماء وراح فى نوم عميق. وظل مستغرقا فى سباته طوال الليل. طلع النهار وارتفعت الشمس عاليا فى كبد السماء وانتصف اليوم والرجل مازال يغط فى نومه.

بالقرب من المكان مر عجوز ذو لحية بيضاء. نظر العجوز فرأى فرسا واقفا مربوطا، وبالقرب منه رجل راقد فى العراء. فكر العجوز فى نفسه: "يا ترى هل هذا الرجل نائم أم أنه ميت؟ فإنه لا يتحرك على الإطلاق، فلأنظر إليه عن كثب". وعندما اقترب العجوز من الرجل ورآه يغط فى النوم صاح به قائلا:

ـ لماذا تنام فى العراء يا بنى؟ ومن أين جئت إلى هنا؟

نهض الصقار واقفا على قدميه وانحنى للعجوز باحترام وقال:

ـ مرحبا أيها الجد، إننى واحد من خدم الملك أعمل صقارا فى بلاطه. وقد صحبته فى رحلة صيد وضاع خلالها صقر الملك الأثير لديه. وقد مرت على ثلاثة أيام وثلاث ليال لم أذق طوالهم زادا ولا شربة ماء وأنا أبحث عن الصقر، حتى أصابنى الإنهاك والتعب فرقدت هنا ورحت فى النوم. وهذه باختصار هى المصيبة التى حلت بى فلم أعد أعرف ماذا أفعل أو أين يمكننى البحث عن الطائر.

قال العجوز:

ـ حسنا، لقد فهمت حكايتك يا بنى، أنت رجل طيب، فلتذهب معى إلى بيتى.

سأل الصقار: وأين يقع بيتك أيها الجد؟ هل هو بعيد عن هنا؟

ـ إنه ليس بعيدا على الإطلاق، بل قريب من هنا.

اصطحب العجوز الصقار إلى بيته. أصابت الصقار الدهشة والذهول عندما توقفا أمام بيت كبير رائع الجمال. دعا العجوز ضيفه وأدخله إلى مضيفة فخيمة منيرة مفروشة بأفخر الرياش المكسى بالحرير والمخمل، وتغطى أرضيتها الأبسطة الثمينة والوسائد الغالية. ولها ستون نافذة تطل على فناء واسع غرست فيه خمسمائة حلقة مربوط بكل منها مخلة من الصوف.

فكر الصقار فى نفسه: "إن مليكنا نفسه لا يملك مثل هذه الحجرة الفخمة ولا مثل هذا الثراء. فمن يا ترى صاحب كل هذا؟ لابد من أنه لأحد الملوك أو الوجهاء".

فى هذا الوقت قدم العجوز لضيفه الشاى والخبز وكل أنواع الفطائر ودعاه إلى تناول الطعام. وبعد برهة من الوقت قال له:

ـ أرجو ألا تغضب منى وأن تعذرنى يا بنى، فإن الفضول يدفعنى إلى سؤالك عن كيفية حدوث هذا الأمر الذى جرى معك وأريد أن أسمع تفاصيله منك.

قال الصقار بلهجة أسى:

ـ ليس هناك ما يدعو إلى الغضب منك أيها الجد. وسوف أقص عليك الحكاية من أولها. كان لملكنا صقر أثير لديه. وقد أحب الملك الصقر حبا شديدا حتى إنه علق بقدميه جرسا من الذهب الخالص. ومنذ وقت قريب استطاع طائر ذو جناحين كبيرين أن يسبقه فى الطيران. عندئذ انحرف الصقر فى تحليقه خلف الطائر حتى اختفى عن الأنظار. وقد طلبت من الملك مهلة أربعين يومًا للعثور

عليه وخرجت لذلك الغرض. واليوم هو الرابع الذى مر علىَّ فى البحث عن الصقر الضائع دون أن أجد له أثرا. وأرجو منك أيها الجد أن تسأل السكان المقيمين هنا عنه، فربما رآه أو عرف مكانه أحد منهم.

قال العجوز: نعم يا بنى، إنه من الجيد أن تعثر على طائرك المفقود

نظر الصقار عبر النافذة فرأى ثلاث خيام ذهبية. إحداها كبيرة الحجم، والثانية أقل حجما، والثالثة أصغرهم جميعا. وفجأة خرجت ثلاث فتيات من الخيمة الأخيرة إحداهن فارعة الطول، والثانية أقصر، والثالثة قصيرة القامة للغاية. ركضت الفتيات وهن يضحكن فى مرح إلى الخيمة الثانية ثم إلى الثالثة. وهكذا صرن يركضن ويقفزن من خيمة لأخرى.

سأل الصقار: لمن هذه الخيام أيها الجد؟

أجاب العجوز قائلا: إنها خيامنا يا بنى.

ـــ ومن هؤلاء الفتيات اللاتى يركضن من خيمة إلى أخرى؟

ـــ إنهن بناتى.

ـــ وهل جميعهن من أم واحدة أم من عدة أمهات؟

ـــ إنهن جميعا من أم واحدة وأب واحد يا بنى.

ـــ وهل هن متزوجات أم مازلن عذارى؟

ـــ إنهم لم يتزوجن بعد.

ـــ وما اسمك أيها الجد؟

ـــ اسمى هو نادر البهى يا بنى.

ـــ وهل هذه الأرض ملك للملك أم أنها ملك لك؟

ـــ كل ما تراه هنا هو ملك لى يا بنى. فإنى اقوم بإطعام خمسمائة فرس، وأيضا هناك خمسمائة من الفرسان يأكلون من خبزى. وهذه كلها أملاكى.

قال الصقار: حسنا، لقد أزف الوقت لرحيلى.

قال نادر: كلا يا بنى، من الأفضل أن تقضى ليلتك هنا وغدا يمكنك الرحيل. فمنذ أربعة أيام يحط على الخيمة الوسطى كلما حل المساء طائر له جرس ذهبى فى قدمه. وربما يكون هذا الطائر هو صقرك الضائع.

ـــ وفى أى وقت بالتحديد يحط الطائر هنا أيها الجد؟

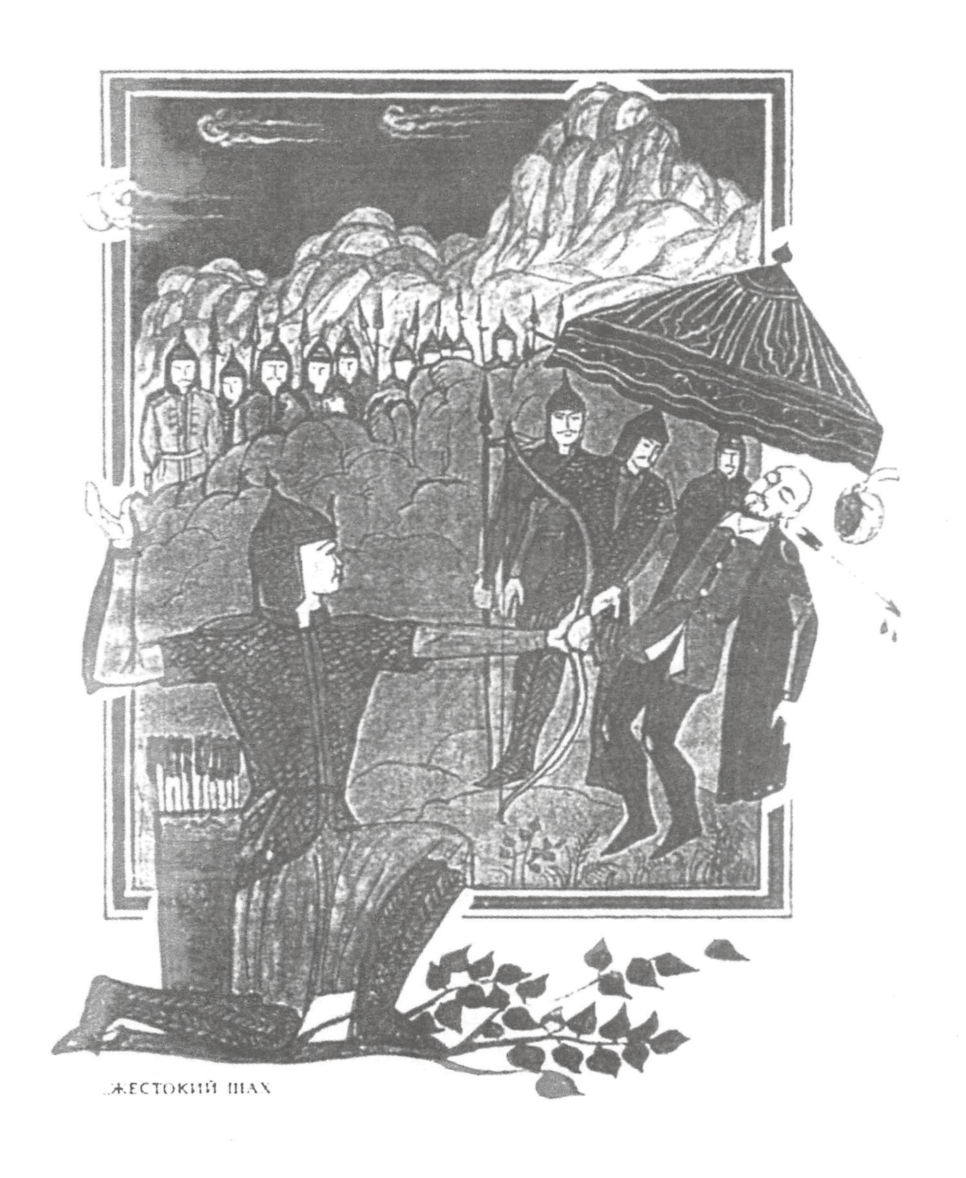
أجاب العجوز:

ـــ فى منتصف الليل عندما يخلد الجميع إلى النوم يأتى الطائر ويهبط جالسا فوق قمة هذه الخيمة الذهبية. ومع ظهور أول خيوط للفجر فى وقت مبكر للغاية يرحل الطائر محلقا من حيث أتى. يمكنك أن تذهب للنوم فى هدوء ولا تشغل بالك به. وعندما يظهر الطائر فسوف أقوم بإيقاظك على الفور.

نام الصقار نوما عميقا. وعندما انتصف الليل ظهر الطائر فى سماء المكان وجرسه الذهبى يجلجل فى الهواء. ثم ما لبث أن حط فوق الخيمة الذهبية واستقر أعلاها. فى هذه اللحظة دخل العجوز إلى المضيفة وأخذ يوقظ الصقار.

ـــ هيا انهض بسرعة يا بنى فقد وصل الطائر. افتح عينيك وانظر إليه جيدا كى تعرف إن كان هو طائرك المفقود أو لا.

انتفض الصقار وصحا من نومه. ثم هرع مسرعا نحو النافذة ينظر منها فى لهفة. فرأى صقره الضائع يقف ساكنا أعلى الخيمة الذهبية الوسطى. فرح الصقار وهتف يقول:



ЖЕСТОКИЙ ШАХ

ـ آه أيها الصقر العزيز لو تعلم، فإننى بسببك غادرت بيتى وتركت زوجتى وأولادى لأجوب الوديان أبحث عنك. بى بى بى ، جل جل جل، تعالى إلى هنا تعالى. هيا طر وحط على يدى كما فى السابق.

وأخذ الصقار ينادى على الطائر الذى سمع الصوت المألوف لديه فحلق فى الفضاء وهبط فى هدوء على يد الصقار.

اغتبط الصقار وكاد يطير من الفرح فصار يربت على الصقر ويمسد بيده على ريشه. وبعد ذلك أوصد النافذة وجلس معه على فرش طرى. ثم ربت على جناحه فطار الصقر وحط فوق النافذة المغلقة وخلد الصقار للنوم. ولما صحا عند الفجر جلس ينتظر بفارغ الصبر وصول صاحب الدار. وعندما دخل العجوز إلى المضيفة أسرع الصقار يزف إليه الخبر فى سرور وقال:

ــ أيها الجد، إن هذا هو طائرى المفقود، وقد نجحت فى العثور عليه بفضلك وحققت ما أسعى إليه فى رحلتى الشاقة. وإنى لن أنسى لك صنيعك ما حييت، وقد صرت والدا عزيزا لى. فاسمح لابنك أيها الوالد أن يرحل عائدا إلى موطنه وداره.

لكن العجوز اقترح عليه قائلا:

ــ ولم العجلة يا بنى؟ فلتبقى فى ضيافتنا لبعض الوقت ريثما تستريح وتستجمع قواك، وبعد ذلك ترحل إلى بيتك.

وهكذا مكث الصقار فى ضيافة العجوز وعاش عنده خمسة عشر يومًا وليلة. ومنحه العجوز هدية ثمينة وألبسه ثيابا جديدة من رأسه إلى أخمص قدميه. وفى يوم الرحيل أمر بإحضار أفضل رهوان من أفراسه ووضع عليه سرجا ولجاما من الذهب الخالص وأعطاه للصقار. كما أمر أحد أتباعه أن يرافقه فى الطريق لمسافة يوم من السفر. بعد ذلك قام الصقار بوداع مضيفه الكريم وامتطى فرسه وانطلق فى طريق العودة. قضى الصقار ليلته الأولى فى حراسة مرافقه. ثم ودعه وانطلق بمفرده مواصلا رحلته فى طريق البيت. وظل الرجل يقطع الطريق فى الليل والنهار ولا يتوقف إلا لفترات قصيرة يطعم فيها الفرس ويأخذ لنفسه قسطا قليلا من الراحة. وأخيرا وصل إلى بيته عند انتصاف الليل فى اليوم التاسع

والثلاثين، فى عشية اليوم الأربعين من المهلة المحددة التى منحها له الملك. وفى البيت هرعت الزوجة لاستقباله فى لهفة وقلق ومعها ابنته. وصاحت الابنة فى فرح تقول:

ـ لقد نجحت فى العثور على الصقر يا والدى.

رد الصقار: نعم، وغدا سوف أحمله إلى الملك وأنجو بذلك من الموت المحقق.

فى صباح اليوم التالى حمل الصقار الطائر وذهب به إلى قصر الملك. فرح الملك فرحا كبيرا بصقره العائد. ومن فرط سعادته كافأ الصقار وأمر بتعيينه حاكما على إحدى المدن القريبة. وعندئذ تنفس الصقار الصعداء وقرر أن يحكى للملك عما دار بخلده فى أثناء الطريق:

ـ مولاى المعظم، أرجو أن يتسع صدرك لما أقوله، وألا يثور غضبك علىَّ لما أحكيه، وأن تعطينى الأمان والرحمة إذا تكلمت.

ـ تكلم وقل ما تريد.

ـ فى أثناء رحلة البحث عن الصقر نزلت ضيفا على أحد العجائز الوجهاء. ورأيت عنده من الثراء والأبهة ما لم أره فى أى مكان آخر ولا يوجد لهم مثيل فى العالم. فالمكان الذى يعيش فيه الرجل ليس بالبيت ولا بالقلعة، إنما قصر منيف رائع الجمال. فناؤه الداخلى يضم ثلاث خيام من الذهب الخالص تعيش فيها ثلاث فتيات هن بنات العجوز. إحداهن فارعة الطول، والثانية أقصر، والثالثة قصيرة القامة للغاية. وهن جميعا بنات من أم واحدة وأب واحد ويصلحن أن يكن زوجات لأولادكم. وقد فكرت فى نفسى قائلا: "إن الملك لو وافق على هذا الأمر فيمكن طلب التقدم إليهم للزواج بأولادك".

اعترض الملك على اقتراح الصقار قائلا:

ـــ لا يمكنني مصاهرة رجل من عامة الشعب. فلا يكفى أن يكون غنيا كى أزوج أولادى من بناته، بل ينبغى أن يعود أصله إلى الأصول النبيلة والعريقة ليصبح ندا لى.

رد الصقار: إن والدهم العجوز تبدو عليه الأصالة والنبل. وثروته قد تفوق ما لديكم من ثروة ومال.

قال الملك: إذن فلتصبح أنت خاطبا لبناته وتطلبهم لأولادى. فما قولك فى العودة إلى هناك مرة أخرى؟

وافق الصقار قائلا: أقبل ما تأمرنى به يا مولاى. على أن ترسل معى تسعة آخرين من الوجهاء والباكوات لمرافقتى.

عين الملك تسعة من علية القوم ليرافقوا الصقار فى مهمته وانطلق الجميع فى طريقهم. ومضوا طويلا يقطعون الطرقات والدروب والوديان حتى وصلوا أخيرا إلى أملاك نادر البهى. كان الصقار معروفا فى المكان فتقدم الجميع إلى البوابة وطرقها. استقبلهم نادر بنفسه بالترحاب والاحترام ودعاهم إلى الجلوس بالمضيفة وأكرم وفادتهم. فمد أمامهم الموائد الزاخرة بأطيب المأكولات والمشروبات من كل الأنواع والأصناف. وبعد أن أكلوا وشربوا سألهم قائلا:

ـــ اسمحوا لى أيها الضيوف الأعزاء أن أسألكم عن موطنكم وعن سبب تشريفكم لى. ففى المرة السابقة جاء الصقار يبحث عن صقره الضائع. أما فى هذه المرة فيبدوا لى من هيئتكم أنكم مبعوثين من قبل أحد ما. فمن الذى أرسلكم ؟ ولأى غرض أتيتم إلى هنا؟

وقف الصقار وانحنى باحترام أمام العجوز وقال:

ـــ لقد حزرت حقيقة الأمر أيها الجد، فقد جئنا إليك رسلا من ملكنا الذى كلفنا بمهمة خاصة. فإن ملكنا لديه ثلاثة من الأبناء، ثلاثة من الصقور. وأنت لديك

ثلاث فتيات تمرحن معا فى هذا البيت. فهل يمكن أن يصبحن طيور السعادة للصقور اليافعة الثلاثة؟ نحن باختصار نطلب منك أيدى بناتك لأمرائنا الشبان. ولهذا السبب جئنا نطلب تشريفك لملكنا وكلنا رجاء ألا ترفض مصاهرته وأن تصبح نسيبا له.

أجاب العجوز:

ـ لقد صنعتم خيرا بمجيئكم إلى هنا، وإنى سعيد لرؤيتكم. لكن الأمر يتطلب بعض الوقت. فإن لدى الكثير من الأقرباء والأشقاء الأصغر والأكبر منى سنا. وينبغى على أن ألتمس النصح والمشورة لديهم قبل الموافقة على هذا الأمر. فالناس بدون المشورة لا يمكنهم حتى حياكة معطف واحد. بالمشورة يصبح المعطف جميلا مريحا فلا يتلف أو يحاك معيبا. وسوف ندرس أمر زواج بناتى من أبناء الملك ثم أعطيكم ردى: بنعم أو بلا.

اجتمع العجوز مع أشقائه وأقربائه وأصدقائه المقربين وقال لهم:

ـ لقد أرسل الملك خطابه إلىَّ يطلب بناتى للزواج من أبنائه الأمراء. فما رأيكم فى هذا الأمر؟

أصابت الصدمة الحضور من الأقارب والأصدقاء لدى سماعهم هذا الخبر وغضبوا من العجوز وقال له البعض محتجين:

ـ لدينا أيضا الكثير من العرسان.

وقال آخرون فى اعتراض: وهل هناك نقص فى عدد الشباب عندنا؟

ـ هناك الكثير من الفتيان الأخيار الطيبين، ويمكن اختيار العرسان من بينهم.

ـ لن نعطى بناتك للملك فى جميع الأحوال.

وانتهى الأمر إلى رفض الجميع واعتراضهم. ولم يوافق أحد منهم على زواج البنات من أبناء الملك. عندئذ قال نادر:

ــ لكن الخاطب فى هذه المرة ليس شخصا عاديا، وإنما هو الملك بشحمه ولحمه. فهل من اللائق أن أقابل طلبه بالرفض؟ لو أننى فعلت هذا فربما يثور على ويرسل جنده إلى هنا لمهاجمتى. حينئذ لن نستطيع أن نقف فى مواجهته. إنكم جميعا تقولون فى حسم "لن نعطيه بناتنا"، ألا يمكننا الإجابة على طلبه بصورة أخرى؟ إن من يرفض عرضا بالزواج ينبغى عليه أن يضع العراقيل أمام طالب الزواج. أليس من الأفضل أن نطــلب من الملك مهرا كبيرا أو شيئا صعب المنال نادر الوجود فى العالم؟

قابل الجميع فكرة العجوز بالاستحسان والثناء، ومضوا جميعا فى وضع القوائم المطلوبة التى ينبغى على العرسان أن يجلبوها مهرا للعرائس. وظلوا ثلاثة أيام وثلاث ليال جالسين يكتبون القوائم والأشياء المطلوبة. وفى نهاية الليلة الثالثة انتهوا من وضعها فجمعوها فى جوال ضخم امتلأ بها عن آخره ولم يتسع لها. عندئذ جمعوا ما بقى من هذه القوائم فى كيس كبير امتلأ بها وربطوه بإحكام من أعلى. ثم حملوا الجوال والكيس إلى المضيفة وأعطوهم لخطاب الملك. وأخبرهم العجوز بقراره ومنحهم الهدايا الثمينة وأطعمهم أطيب المأكولات قبل أن يغادروا المكان. أما الصقار فألبسه ثيابا فاخرة من رأسه إلى أخمص قدميه. وعندما تأهب الضيوف للرحيل أمر العجوز خدمه بإحضار عشرة أفراس من أفضل الخيل لديه فى الإصطبل وأعطاهم للضيوف. كما سخر لهم عشر رجال ليرافقونهم فى الطريق لمسافة يومين من السفر. ودع الضيوف نادر وانطلقوا فى طريق العودة نحو ديارهم. وظلوا يقطعون الطريق لعدة أيام وليال متتالية حتى وصلوا أخيرا إلى مدينتهم وذهبوا لتوهم إلى قصر الملك. وبعد أن علم الملك بوصولهم أمر بمثولهم أمامه على وجه السرعة. وما إن رأى الصقار حتى بادر فى لهفة بسؤاله قائلا:

ــ أذئب جئت أم حمل؟

رد الصقار: فى هذه المرة ذئب يا مولاى.

قال الملك: ما دمت ذئبا فلتقص على كيف سارت الأمور معكم.

- لقد طلب نادر مهرا كبيرا للغاية، وقد أعطانا القوائم التى سجل فيها مطالبه لإتمام الزواج.

- وأين هذه القوائم؟

أجاب الصقار:

- إنها هناك عند المدخل. وهى عبارة عن جوال ضخم مملوء إلى آخره بالإضافة إلى كيس كبير مكتظ بها.

أرسل الملك خدمه لإحضار القوائم، وجلس يفكر فى الوسيلة التى يمكنه بها قراءتها كلها فى أسرع وقت ممكن. وبعد تفكير أمر بجمع أفضل الكتّاب وذوى العلم والمعرفة وإحضارهم إلى القصر. وعندما حضر الكتاب والعلماء أمرهم بالتفرغ لقراءة هذه القوائم حتى الانتهاء منها كلها على وجه السرعة. فعكفوا عليها لثلاثة أيام وثلاث ليال يقرأونها حتى انتهوا منها وأخبروا الملك بفحواها. عندئذ أدرك الملك أن العجوز يطلب مهرا لبناته يفوق الخيال من الثروات والكنوز.

أطرق الملك برأسه فى إحباط وقال:

- إن أملاكى وأموالى كلها لا تكفى لدفع هذا المهر.

خيم الصمت على الجميع وظلوا ساكنين خشية غضب الملك وثورته.

عندئذ هتف الصقار قائلا:

- إن مطالب مولانا الملك مطاعة ولا يمكن التراجع عنها. فإذا طلب لبن العصفور ينبغى علينا إحضاره. فلو أنك تمنحنى ثقتك يا مولاى وتوكلنى فى إدارة

شئون البلاد لثلاثة أيام، وتعطينى الخاتم الملكى، فسوف أجمع لك بنفسى من الثروات ما تحتاجه لتلبية طلب العجوز ودفع مهر بناته.

وافق الملك على عرض الصقار وأعطاه الخاتم الملكى، وجعله حاكما على البلاد لمدة ثلاثة أيام. وبعد أن تبوأ الصقار الحكم أمر ولاة المدن أن يجلبوا إلى القصر من المال والذهب والثمين ما يعادل خمس دخلهم كإتاوة للملك، وذلك خلال مهلة عشرين يومًا. وقبل أن تنتهى هذه المدة حمل الولاة إلى قصر الملك من المال والذهب والنفيس كميات هائلة اكتظ بها القصر حتى امتلأت أركانه، ولم يعد به مكان للمزيد منها. وعلى الرغم من ذلك فقد استمر تدفق الأغراض والأشياء الثمينة إلى العاصمة من كل أطراف المملكة لدفع الإتاوة المفروضة للملك. وعندما انتهت مهلة العشرين يوم ذهب الصقار إلى الملك وقال له:

ـــ مولاى الملك المعظم، لقد نجحت فى مهمتى وأصبح كل شيء جاهزا، ويمكنك الذهاب لإلقاء نظرة على ما تم جمعه من الأشياء الثمينة والثروات والمال.

شاهد الملك الثروة الهائلة التى جمعها له الصقار. ثم أمر الخطاب أن يتأهبوا للرحيل. وتم إعداد القافلة الكبيرة وتحميلها بالمهر الذى فاق حجمه ما طلبه العجوز لبناته فى القوائم المكتوبة. وعندما انتهى الإعداد للسفر جمع الملك أبناءه الثلاثة وقال لهم:

ـــ أبنائى الأعزاء، أعدوا نفسكم للسفر فسوف نرحل لخطبة الفتيات لكم.

أخذ الابن الأكبر والأوسط يستعدان للرحيل، أما الابن الأصغر أركينجا فقال لأبيه:

ـــ سافر أنت يا والدى برفقة إخوتى الاثنين وسوف أبقى أنا بالقصر. واحمل معك خنجرى لتخطب به عروسى ـــ وأخرج الأمير خنجره وأعطاه للملك ـــ فلا يجوز أن يظل القصر خاويا بلا سيد عليه. وأرجو أن يتسع صدرك لى فتستمع منى لثلاث نصائح وتأخذ بهم. فى اليوم الأول لعودتك إلى هنا وأنت فى

الطريق مع العرائس سوف يكون الجو حارا والقيظ شديدا فى الوادى الذى تسير به. ولن تجد هناك نقطة ماء واحدة حتى يحترق الناس من شدة العطش ويموت مائتان من جنودك من قلة الماء. وسوف يصيح الناس يتوسلون إليك مطالبين: "لنعد أدراجنا يا مولانا الملك حتى لا يموت الناس فى هذا الوادى المقفر الأجدب". لكن عليك ألا تستمع إليهم ولا تعود أدراجك. وفى اليوم التالى سوف تهب عليكم عاصفة رملية هوجاء وتتسبب فى مقتل مئتى جندى آخر. وعندئذ سوف يطالبك الناس بالعودة ويلحون فى طلبهم. فلا تأخذ بندائهم ولا تعد أدراجك، بل واصل المضى فى طريقك دون أن تلتفت إلى الخلف. وفى اليوم الثالث سوف تهطل الثلوج بغزارة حتى تكسو جميع الدروب والطرقات، ومن فرط غزارتها تغطى كل المكان من حولك بارتفاع قامة الإنسان. وسوف يضطر الناس إلى التوقف عن السير ويتجمدون من شدة الصقيع حتى يموت منهم مائتا رجل مرة أخرى. وحينئذ يصرخ الناس مستنجدين بك: "عد بنا يا مولاى حتى لا نموت جميعا". لكن عليك المضى قدما فى طريقك دون الالتفات إليهم.

ثم قام أركينجا بوداع والده وشقيقيه الذين انطلقوا فى طريقهم وظل هو بالقصر.

غادر الملك المدينة تحيطه مراسم التوديع والاحتفالات ويرافقه عدد كبير من المقربين والحاشية وهو على رأسهم فى الطريق إلى الرحلة البعيدة. طال الوقت وهم يقطعون الأراضى ويعبرون الدروب والمسالك. ومرت أيام كثيرة على القافلة وهى تعبر الوديان القاحلة الجرداء الخالية من الماء حتى وصلوا أخيرا إلى أملاك نادر. استقبل العجوز بالترحاب والحبور الملك وأبناءه ورفاقه وقدم له فروض الولاء والطاعة. وأمر أتباعه بقيادة الأفراس إلى مرابطها حيث سرجت بسروج من الذهب ووضع لها التبن فى المعالف. ثم قام نادر فدعا الملك وأبناءه ورفاقه المقربين إلى المضيفة الفاخرة التى ازدانت لمقدمه بأفخر الرياش والأثاث. وبعد الانتهاء من عبارات الترحيب المتبادلة مدت الموائد وقدمت الأطعمة الشهية من كل الأصناف. تناول الملك قليلا من كل طبق ونوع ثم قال:

ـ أيها العجوز، لقد أحضرت لك المهر الذى طلبته. فأخبر بناتك كى يجهزن أنفسهن للزفاف المَيمون.

بدأ العجوز فى حمل مهره إلى بيته وأعطى أوامره فى التو بالإعداد للزفاف. وانطلق المنادون والرسل فى كافة الأرجاء والأنحاء يعلنون للأقارب والأصدقاء والمعارِف عن إقامة الاحتفال بالزفاف ويدعونهم إلى حضوره.

فى هذا الوقت أقيمت مواقد ضخمة وضعت عليها أوان مرزكشة كبيرة لطهى البلوف. واجتمع الأصدقاء والأقرباء والمعارف والمقربون فى حشد كبير وبدأ الاحتفال والمرح. واستمر لمدة أربعين يومًا وليلة تم بعدها عقد القران. فتزوجت ابنة نادر الكبرى من الابن الأكبر للملك، والابنة الوسطى من الابن الأوسط. أما الصغرى فقد زفت إلى الخنجر الذى أرسله الأمير أركينجا مع والده بدلا منه.

وانقضى الاحتفال وتفرق المدعوون كل إلى بيته. وقام الملك بوداع صهره وغادر المكان مع قافلته عبر البوابة بصحبة أبنائه وزوجاتهم الصغار. كان الملك فى المقدمة يتبعه المقربون والحاشية، ثم الحراس والقادة، ومن خلفهم الجنود والفرسان. وفى مؤخرة القافلة يسير الخدم وحاملو الأمتعة والزاد.

لم يمض عليهم فى الطريق سوى ساعتين حتى هبت فجأة رياح رملية ترابية ساخنة. وصارت تلفح الأجساد والوجوه والأيدى بحرارتها. وهبطت أشعة الشمس بقسوة على المكان كخيوط من اللهب. فاختنق الناس من القيظ الشديد وتشققت الشفاه وجفت الحلوق ويبست العروق عند الجميع. ومهما بحثوا لم يعثروا حولهم على نقطة واحدة من الماء تروى ظمأهم المتأجج. وفى اليوم الأول مات مائتان من جند الملك بعد أن جهدهم العطش. وأصبح الناس يتوسلون إلى الملك أن يعود أدراجه. وهتف الكثير منهم يقولون: "لقد قتلت العديد من الناس فعد أدراجك

أيها الملك". غير أن الملك صم أذنيه عن السمع ولم يلتفت إلى ما يقـولونه، بل واصل المضى قدما إلى الأمام.

فى اليوم التالى هبت عاصفة رملية هوجاء. وعاد الناس مرة أخرى يستنجدون بالملك ضارعين: "أيها الملك، كيف يُمكن لنا السير فى خضم هذه العاصفة؟" إن الناس يتساقطون صرعى من حولك، عد أدراجك". لكن الملك لم يستمع إلى أحد منهم أو يلتفت إليه، وانطلق مواصلا طريقه للأمام. ومات فى هذا اليوم أيضا مائتان من أتباعه الفرسان.

وحل اليوم الثالث فانخفضت فجأة حرارة الجو ولف البرد المكان. ثم هطلت الثلوج وغطت الوادى بطبقة سميكة ارتفعت إلى قمم الناس. تجمد الناس والجياد من الصقيع ولم تصل أقدامهم إلى الأرض الصلبة من غزارة الثلوج المحيطة بهم. ولم يستطع العديد منهم مواصلة السير وظلوا فى الوادى وقد تجمدت أوصالهم من البرد. ومات أيضا فى هذه المرة مائتان من الجنود. أما من بقى منهم على قيد الحياة فصرخوا ثائرين يقولون: "كم من الناس لقوا حتفهم؟ وسوف يحصد الموت أرواحنا نحن أيضا من بعدهم. لماذا لا تعد أدراجك أيها الملك؟ فلتحترق أنت وقصرك الملعون.

نظر الملك من حوله فرأى الناس يجرجرون أقدامهم وهم يسيرون بالكاد متثاقلين فى جماعات متفـرقة أو فرادى. ولم يـبق من القافلة سـوى القليـل وقد غاص معظمهم فى الثلوج لا يستطيعون الخروج منه. ولم يعد بمقدور الملك نفسه أن يتحمل الزمهرير القاسى. فأدار لجام فرسه ومضى فى طريق العودة. وظل طويلا مع أبنائه وزوجاتهم يجوبون الصحارى والوديان هائمين على وجوههم وقد تاه عنهم الطريق وبدا لهم المكان غريبا ومجهولا تماما. وعند حلول المساء تراءى للملك بيت فى الأفق. وعندما دنوا منه ظهر لهم قصر منيف يقف منفردا على الأرض. دلف الجميع الى الداخل عبر بوابات القصر المفتوحة وربطوا جيادهم إلى مرابط الخيل بالإسطبل، ثم دخلوا إلى حجرات القصر وراحوا فى نوم عميق.

صحا الملك فى الفجر وقام من فراشه ونظر عبر الباب فرأى سورا حديديا عاليا قد انبثق فجأة ليحيط بالقصر من كل جانب. ونهض الآخرون من نومهم وخرجوا إلى الفناء ليشاهدوا السور ويستطلعوا الأمر. كان السور محكما ليس به مخرجا أو ثغرة للخروج. وأصبح الملك مع أبنائه وزوجاتهم حبيسين داخل القصر. أصاب الفزع الجميع وصاروا يركضون إلى الأمام وإلى الخلف وهم يصرخون فى هلع ولا يجدون منفذا للهرب من القصر. إلا أنهم عثروا أخيرا على بوابة ضخمة موصدة بالمزلاج. كان هناك جنى دميم مسخ الخلقة ينام عند هذه البوابة. وعندما سمع الأصوات ووقع الأقدام هب من نومه وقام. كان الجنى طويلا بصورة مذهلة. فقد ارتفعت قامته عن الأرض إلى أكثر من خمسين مترا. ورأسه كانت مثل كرة مفلطحة كبيرة الحجم. كما كان صدره سميكا هائل العرض، حتى يبدو لك من البعد أنه جبل من الجبال وليس كائنا حيا. والغريب أن عينيه كانتا صغيرتين للغاية مقارنة بجسمه الضخم. وله أنف أحدب طويل كالمنقار فى هيئته، ومنخران واسعان تشبه فتحة كل منهما غمد السيف الكبير الذى يتأرجح حول خصر الفرسان. وتتدلى على جانبى جسم الجنى خفان بمخالب طويلة حادة بدلا من الذراعين. كانت قدما الوحش طويلتين مكتنزتين من أعلاهما نحيفتين فى أسفلهما. حتى إنهما بدتا للناظر كعامودين رفيعين مرشوقين فى الأرض. وكان الوبر الكثيف يغطى صدر الجنى بغزارة شديدة تعادل وبر ثلاثين من الأغنام.

صاح الملك فى الجنى قائلا:

ـ أفسح لنا الطريق أيها الجنى وافتح لنا البوابة كى نخرج منها.

رد الجنى: سوف أفتح لك البـوابة إذا أعطيتنى ابنـك أركينجا الذى ظل بالقصـر، أما لو رفضت عرضى فلن أسمح لك بالخروج فتظل حبيسا هنا إلى الأبد.

صاح الملك بنفاذ صبر قائلا:

ـ هاه، أتطلب منى أن أعطيك ابنا واحدا؟ لو كان لدى مائة من الأبناء لأعطيتهم لك جميعا عن طيب خاطر، فافتح لنا البوابة على وجه السرعة.

أخرج الجنى مفتاحا من أسطوانة معلقة حول خصره وأدخله فى فتحة بالمزلاج. ثم أداره مرتين ورفع المزلاج فاتحا البوابة. امتطى الملك الجياد هو ومن معه وانطلقوا سريعا يخرجون من البوابة وهم يتنفسون الصعداء. ومضى الجميع فى طريقهم مرة أخرى.

وهكذا، ضحى الملك بابنه وقبل أن يعطيه للجنى مقابل إنقاذ حياته. ولم تخف هذه الأخبار عن أركينجا الذى استعد من فوره للرحيل، فلم ينتظر عودة أبيه وشقيقيه. بل انتعل حذاء كبيرا من الجلد السميك، وارتدى أسمالا مهلهلة كالدراويش، وقبض بيده على عكاز حديدى وانطلق فى طريقه إلى الجنى.

وفى الطريق بين القفار القاحلة قابل أركينجا والده الملك العائد إلى مدينته بصحبة الشقيقين والزوجات الصغار.

سأل الملك أركينجا: ما الذى أتى بك إلى هنا يا ولدى؟ ولماذا تسير فى هذه الهيئة الرثة؟ إن عروسك هنا تتوق إلى لقائك بعد أن زفت إلى خنجرك الذى أرسلته معى.

أجاب أركينجا قائلا:

ـ أيها الوالد، لقد أعطيتك ثلاث نصائح قبل رحيلك. فأخذت باثنتين منها ولم تأخذ بالثالثة ولم تواصل طريقك بل عدت أدراجك. وعندما طلبنى منك الجنى قربانا له وافقته على ذلك. ولا يجوز للابن أن يخرج عن طاعة أبيه حتى لا يصبح عارا عليه. والآن لا تغضب منى ولا تذكرنى بسوء لأننى ذاهب لتوى إلى الجنى.

سأل الملك: وماذا أفعل الآن بعروسك يا ولدى؟

قال أركينجا: فلترفع الخمار عن وجهها. ألم ترحل آملة فى أن ترى زوجها؟ دعنى أتحسس وجنتيها الناعمتين بأناملى ولو مرتين. وأملأ أنفاسى بعطر وجهها الطيب حتى لا يصيبها اليأس والإحباط ويحرقها الشوق فى وحدتها.

بعد هذه الكلمات رفع أركينجا الخمار عن وجه عروسته. وتحسس بيده وجهها الناعم مرتين. ثم قبلها فى وجنتيها لأول مرة وتنهد قائلا:

ـــ وداعا يا أملى، وإلى لقاء مجلل بالسعادة. انتظرينى سبع سنوات ريثما أعود.

انتهى أركينجا من كلمات الوداع ومضى مبتعدا عن الفرس الذى كانت تمتطيه عروسه. ثم انطلق مسرعا فى طريقه إلى قصر الجنى المرعب. بكى الملك بمرارة وانسابت دموعه الحارة. وسار يواصل طريقه مع أبنائه وزوجاتهم والمقربين ومعه من نجوا من الموت فى أثناء الكوارث والعواصف التى تعرضوا لها. ومن فرط حزنه لم يشعر كيف وصل إلى القصر.

أما أركينجا فقد سار على فرسه يقطع الوادى رافعا أطراف ثوبه الرث، حاملا شوقه الجارف إلى عروسه فى قلبه الفتى، بينما الأفكار السوداء تعصف بذهنه عن مصيره البائس. وبعد مرور ثمانية أيام وثمان ليال وصل إلى أرض الجنى المخيف. فعبر البوابة المواربة ودلف منها الى داخل القصر. ثم نظر فرأى الجنى يغط فى النوم عند البوابة فجلس بجانبه منتظرا. وظل فى جلسته لثلاثة أيام وثلاث ليال وهو يحاول إيقاظ الجنى النائم بلا جدوى. فقط فى اليوم الرابع صحا الجنى من سباته وفتح عينيه فشاهد أركينجا جالسا بجواره.

عندئذ قال أركينجا:

ـــ اسمعنى جيدا أيها الجنى، لقد طلبتنى من والدى وها أنا بين يديك. فما الذى يمكننى أن أصنعه لك؟ قل لى وسوف أنفذ ما تريد.

أجاب الجنى قائلا: فى بقعة بعيدة من هذا العالم توجد بلد يحكمها ملك يدعى سفروكوش لديه ابنة رائعة الجمال فاتنة المحاسن اسمها هونوم. لو رأتها عيناك لا يمكنك رفعهما عنها. وقد وقعت فى غرامها وتملك حبها من قلبى. ومنذ ذلك الحين وأنا لا أعرف الراحة ولا النوم. وفى يوم من الأيام رأيت فى منامى إنسانا يقول لى: "هناك ملك قريب من هنا له ابن يدعى أركينجا. هذا الابن هو الوحيد فى العالم الذى يمكنه الحصول لك على هذه الفتاة". ولهذا السبب طلبتك من والدك. فإننى أحتاج إليك كى تحضرها إلىّ. وفى المقابل سوف أمنحك كل ما أملك من الثروة والمال والذهب، ومعهم قصرى وقطعانى من الأغنام والماشية فى سبيل إحضارك لى الحسناء هونوم.

بعد أن استمع أركينجا إلى حديث الجنى أخذ منه ما استطاع حمله من الذهب وملأ جيوبه به. ثم انطلق فى طريقه للبحث عن البلاد البعيدة التى تعيش فيها الجميلة هونوم. ومرت عليه ستة أيام وست ليال وهو يقطع الطرق والدروب. ثم رأى فلاحا يحرث الأرض على جانب الطريق فاقترب منه وقال:

ـ مرحبا أيها الوالد، أرجو لك العافية والصحة الوافرة كى تظل تحرث ولا يحل بك التعب فى عملك الشاق.

رد الفلاح:

ـ ولك أيضا الصحة والعافية يا بنى، والشكر الجزيل على كلماتك الطيبة.

سأل أركينجا: ما الذى سوف تزرعه هنا؟

قال الفلاح فى حسرة:

ـ آه يا بنى، إننى أحرث هذه الأرض منذ سبع سنوات ولم تخضر أو تنبت حتى الآن.

سأل أركينجا قائلا:

ـ كيف تحرث الأرض؟ وهل تبذر البذور فى وقت الحرث وهى مازالت معزوقة؟

ـ كلا لا أبذرها إنما أحرثها فقط. ربما لهذا السبب لم تنبت شيئا؟ .. قال الفلاح جملته وضار يفكر لبرهة ثم هتف ثانية:

ـ ما قولك أيها الصديق أن أترك هذا العمل وأنضم إليك فى صحبتك؟ وسوف أكون تابعا لك لو قبلت طلبى، مقابل أن تطعمنى الخبز حتى الشبع.

رضى أركينجا بطلب الفلاح. عندئذ قام الفلاح بتحرير الثيران من المحراث الذى كانوا يجرونه، وأطلقهم فى الوادى يرعون وسار يتبع أركينجا.

مضى الاثنان فى الطريق وهما يقطعان السهول والوديان، ويعبران الحقول والقرى لثلاثة أيام وثلاث ليال. وأخيرا خرجوا إلى واد فسيح حيث قابلهم أحد الرعاة مع قطيع من الأغنام. جلس الاثنان بالقرب منه لينالا قسطا من الراحة. بعد وقت قليل قام الراعى بذبح إحدى الغنمات وشفى لحمها. ثم قام بشيها حتى نضجت وطابت. بعد ذلك أحضر قدحا مملوءا بالرمال وصار ينثرها فوق اللحم. وعندما رأى أركينجا ما يفعله الراعى صاح به مستنكرا:

ـ ما هذا الذى تفعله أيها الراعى الأحمق؟ لقد كان لديك لحم طيب وقمت بإفساده. فلماذا نثرت الرمل على اللحم؟ وما القصد من فعلك هذا؟

اعترض الراعى وأجاب قائلا:

ـ هذا ملح نثرته على اللحم. أليس من الواجب تمليح اللحم؟

قال أركينجا: وهل تظن أن هذا بملح؟ إن الملح لا يكون على هذه الصورة أبدا.

دهش الراعى وقال: أتخبرنى أن الملح لا يكون على هذه الصورة؟ إذن كيف يكون الملح؟

رد أركينجا: هذا مجرد رمل، أما الملح فهو أبيض ونظيف.

قال الراعى فى حسرة: آخ أيها الصديق، إننى لم أكن أعلم، ألا يمكنك أن تطعمنى حتى الشبع ولو مرة واحدة ملحا حقيقيا؟ خذنى بصحبتك كى أكون رفيقا لك وألبى كل أوامرك.

رضى أركينجا بطلب الراعى. عندئذ ساق الراعى أغنامه إلى جانب من الوادى وجمع أغراضه ومضى فى إثر أركينجا والفلاح. وسار ثلاثتهم طوال نهار كامل بليله. وفى اليوم التالى شاهدوا على البعد شيئا يركض قبالتهم. وبعد أن اقتربوا منه رأوا قطة برية ضخمة تطارد جرذا وتكاد تقبض عليه. وقرر أركينجا إنقاذ الطريدة من براثن الصياد. فما إن ركضت القطة بجانبه حتى هوى على ظهرها بخنجره الحاد فشطرها إلى نصفين. أسرع الجرذ إلى منقذه وتحدث بصوت آدمى قائلا:

ـــ لقد أنقذت حياتى يا أركينجا من الموت المحقق، فاطلب منى ما شئت وأنا أنفذه لك فى التو واللحظة.

قال أركينجا ساخرا:

ـــ كيف أطلب شيئا منك وأنت مجرد فأر جبلى قليل الحيلة ولا يمكنك مساعدتى؟

ـــ إنك مخطئ يا صاحبى فى تصورك هذا عنى. فأنا لست جرذا عاديا، بل إننى ملك كل الفئران فى الوادى. وهذه القطة التى أنقذتنى من براثنها كانت تطاردنى منذ عام كامل. لهذا سوف أكافئك على صنيعك معى. فإذا حلت بك ضائقة أو واجهتك المصاعب تذكّرنى وسوف أهب لنجدتك وأكون فى عونك.

قال الفأر كلماته هذه ونتف خصلة من وبره أعطاها لمنقذه. وأخذ منه أركينجا الخصلة وأخفاها فى طيات ملابسه.

ثم تابع أركينجا سيره مع الفلاح والراعى ومضوا يواصلون طريقهم.

وأخذوا يجدون طويلا فى سيرهم وهم يقطعون الوادى المترامى الذى لا نهاية له. وفجأة سمعوا صوت طنين عال. فذهبوا إلى مصدر الطنين ورأوا ذبابة عالقة فى خيوط العنكبوت وهى تحاول الفكاك منها بلا جدوى. وبالقرب منها يقف العنكبوت متحفزا لالتهامها بينما وقفت بينهما جرادة تمنعه من التقدم نحو الذبابة.

صاح أركينجا: أيتها الذبابة المسكينة، سوف أحررك من أسرك الآن.

وقتل أركينجا العنكبوت ثم أمسك الذبابة برفق وحررها من الخيوط الملتفة حولها. عندئذ هتفت الذبابة تقول:

– لقد انقذتنى يا أركينجا من المصير الأسود الذى كاد يهلكنى. وسوف ألبى لك كل ما تطلبه منى نظير إنقاذك لى من براثن العنكبوت ومن الموت المحقق الذى كان ينتظرنى.

قال أركينجا ضاحكا:

– لكنك مجرد ذبابة صغيرة لا حول لك ولا قوة. فماذا بوسعك أن تفعلى لى؟

– لا تظن أننى ذبابة بسيطة. بل إنى ملكة الذباب بأسره. فخذ هذه القطعة من جناحى واحتفظ بها. وإذا ألم بك مكروه أو صادفتك مشكلة فتذكرنى وأحرقها وسوف أهرع إلى نجدتك على الفور. وضع أركينجا قطعة الجناح داخل حزامه وأخفاها. وفى هذه اللحظة قفزت الجرادة أمامه وقالت:

– أيها العزيز أركينجا، إنك لم تنقذ الذبابة فقط من الموت، بل حررتنى أنا الأخرى معها. فاطلب منى ما شئت وأنا ألبيه لك.

نظر أركينجا إلى الجرادة فى استهانة وقال:

– إنك جرادة صغيرة ضعيفة. فكيف يمكنك مساعدتى؟

ـ أنت لا تعلم أن جميع الجراد فى هذا الوادى يخضعون لسلطتى ويعتبروننى ملكة عليهم. وقد قضيت الصيف كله وأنا لا شاغل لى سوى حماية الذبابة من العنكبوت الذى أراد أن يمتص دمائها. والآن بعد أن قتلته فقد تحررت أنا أيضا بفضلك. فإذا واجهتك مهمة يصعب القيام بها أو وقعت فى ورطة عليك أن تتذكرنى وأحرق هذا الجزء من جناحى. عندئذ سوف تجدنى أمامك فى العون.

وقطعت الجرادة جزءا من جناحها وأعطته لأركينجا الذى دسه داخل منديل بزناره. ومضى الأمير بعد ذلك مواصلا طريقه مع رفيقيه. ساروا لمدة طويلة فى أرض الوادى حتى لمحوا أمامهم أشجارا مثمرة وبجانبها يجرى الماء فى قناة طويلة. وفجأة شاهد أركينجا نملة تتشبث بقشة سايحة فى الماء وهى توشك على الغرق. صاح أركينجا قائلا لرفيقيه:

ـ انتظرا ريثما أنقذ النملة المسكينة وأساعدها على الوصول إلى الشاطئ.

ثم رفع النملة من فوق القشة ووضعها برفق على شاطئ القناة.

صاحت النملة تقول:

ـ لقد أنقذتنى من الموت يا أركينجـا. فمنذ سـبع شـهور وأنا عالقة على هـذه القشة ولا استطيع الوصول إلى الشاطئ حتى أشرفت على الهلاك. فاطلب منى ما تشاء وأنا ألبيه وأكون عونا لك فى أوقاتك العصيبة. فإننى ملكة النمل جميعه وهو يأتمر بأمرى. فهذه قطعة من شاربى احتفظ بها وأحرقها عندما تقع فى ضائقة أو تحتاج إلى مساعدة. وسوف أشم رائحتها وأهرع إلى نجدتك على الفور.

ثم قطعت النملة جزءا من شاربها وأعطته لأركينجا الذى وضعه بزناره فى المنديل. وانطلق مع رفيقيه يواصلون السير فى طريقهم.

سرعان ما وصلوا إلى نهر عريض. وصار أصحابه يبحثون عن موقع مناسب لعبور الشاطئ عندما تناهى إلى مسامعهم صوت زئير مخيف صادر من خلف أعواد القصب النامية. عندئذ صاح أركينجا فى أصحابه قائلا:

ــ انتظرونى هنا ريثما أذهب لأستطلع الأمر.

ومضى أركينجا بين أعواد القصب حيث مصدر الصوت. وظل يسير حتى خرج إلى مكان مكشوف ورأى نمرا هائل الحجم يرقد على العشب ويزأر مستنجدا بصوت عال. كانت إحدى سيقان القصب قد انغرست فى قدمه حتى منعته من الحركة.

قال أركينجا وهو يقترب من النمر:

ــ يا للحيوان البائس، سوف أحررك الآن من قيدك.

سأل النمر: وكيف يمكنك أن تفعل هذا؟

رد أركينجا: سوف أقوم بالحفر أسفل الساق حتى أصل إلى جذورها وأقطعها. ثم أنتزع الساق من قدمك وأضمد لك الجرح حول قدمك.

قال النمر متألما: فلتفعل ما تراه صوابا. فإن الحياة لدى أثمن من الجرح وألمه.

شرع أركينجا بالحفر أسفل الساق. ثم هبط إلى الحفرة حتى وصل إلى الجذور فقطعها. ثم صعد إلى حيث يرقد النمر وانتزع الساق من قدمه وضمد له الجرح ونظفه بالماء. كان النمر يصرخ طوال الوقت من شدة الألم. وفجأة ظهرت من بين أعـــواد القصب ثلاث من النمور الصغيرة واندفعت نحو النمر تلعقه بألسنتها وتقفز على جسمها مداعبة.

قالت النمرة: أنا ملكة كل النمور فى هذه الأرجاء. وهم جميعا يخضعون لسلطانى. وقد أنقذتنى من عذاب وألم مبرح كاد يودى بى إلى الهلاك. ونظير عملك

الطيب معى فإننى سوف أرد لك الصنيع وألبى كل ما ترغب فيه. فاطلب من ما شئت وأنا أعطيه لك.

قال أركينجا: أعطنى من أبنائك هذا النمر الصغير الذى يقفز على رقبتك.

أعطت النمرة ابنها الصغير لأركينجا الذى حمله وذهب به إلى أصحابه. ومضى الجميع بعد ذلك يواصلون سيرهم بالوادى.

مر عليهم ثلاثة شهور وهم يقطعون الطرقات والدروب فى أرض الوادى حتى وصلوا أخيرا إلى مملكة تركستان الكبيرة المزدهرة. وبعد مرور بضعة أيام وصلوا إلى عاصمتها. وعرجوا على أحد البيوت التى تقع على مشارف المدينة. وطلبوا من العجوز ربة البيت السماح لهم بقضاء ليلتهم عندها.

استيقظ أركينجا فى الصباح الباكر وخرج فرأى الناس يحملون تابوتا به أحد الموتى إلى المقابر. عاد أركينجا إلى فناء البيت وسأل العجوز:

ـ من هذا الميت الذى يحملونه إلى المقابر؟

قالت العجوز بحزن وهى تتنهد:

ـ آه لو تعلم يا بنى بالمصيبة التى حلت برءوس التعساء من الناس. فإن ملكنا له ابنة لا تبارى فى الحسن والجمال. وقد ذاع صيت جمالها فى البلاد حتى إن الجميع يريدون الزواج منها. لكن الملك وضع شروطا صعبة للزواج بابنته. فمن ينجح فى تنفيذها له الحق فى أن يصبح زوجا لها. ومن يفشل فى تنفيذ شروطه يفقد رقبته. أما الشروط المجحفة فهى كالتالى: على من يتقدم لابنته أن يأكل فى ليلة واحدة من المساء حتى الصباح ألف رغيف من الخبز. ويلعق بلسانه ألف حفنة من الملح. ثم يشرب مائة إناء من اللبن الرائب. وبعد ذلك يخلط ألف جوال من القمح بألف من الشعير وألف من حبوب الذرة. وعليه أن يفصل كل منهم عن الآخر ويضعهم فى أجولة مستقلة كما كانوا من قبل. بالإضافة إلى ذلك كله ينبغى عليه أن

يأكل ألف حمل من البرسيم من الأوراق حتى الجذور. وهذا ليس كل ما فى الأمر، بل عليه أن يقوم بحفر نفق بطول ألف متر يصل إلى داخل القصر. وآخر هذه الشروط هو أن يصرع الأعور ذا العين الواحدة.

سأل أركينجا:

ـ ومن يكون الأعور؟

أجابت العجوز: هذا الأعور مصيبة أخرى قد حلت بنا. ففى طرف المدينة بالقرب من الطريق الكبير يقع جبل شاهق الارتفاع هائل الحجم. فى هذا الجبل يوجد كهف يعيش فيه منذ زمن طويل ساحر أعور العين. يتناثر على رأسه شعر طويل مشعث مثل شعور كل السحرة. وله عين واحدة فقط. وأنف معقوف كأنف الجوارح. وفمه يطبق على أنياب حادة بدلا من الأسنان. ولحية بيضاء طويلة مثلثة الشكل مثل لحية الجدى. وهو يستهين بحياة الناس. فعندما يهبط الليل لا يسمح لأحد بالمرور. وقد قتل العديد من البشر. وأياديه عظمية تنتهى بمخالب حادة بدلا من الأصابع. يختطف بها المرء فى قسوة ويجره الى كهفه حيث يذيقه صنوف العذاب حتى يموت. وهكذا يا ولدى لم يستطع أحد حتى الآن أن ينفذ الشروط التى وضعها الملك لزواج ابنته. فكم من الناس ماتوا فى سبيل ذلك، وكم من الأرواح الشابة أزهقت، حدث ولا حرج. وعند مطلع الفجر فى كل يوم يخرج الناس لدفن أحد هؤلاء البؤساء.

قال أركينجا:

ـ استمعى جيدا لما سوف أقوله لك أيتها الجدة. فأنا أريد منك الذهاب إلى قصر الملك وإخباره بأننى سوف أقوم بتنفيذ كل شروطه.

ذهبت العجوز إلى قصر الملك لكن الحراس لم يسمحوا لها بمقابلته. عندئذ صارت تلح وتتوسل إليهم حتى ساقوها فى آخر الأمر إلى الوزير. استمع الوزير إلى ما قالته وأبلغ الملك بحديثها. فسمح الملك للوافد الغريب بالشروع فى تنفيذ

شروطه. غير أنه أمر بالتأكيد على المهلة الممنوحة له لتنفيذ تلك الشروط كي لا تتجاوز الوقت المحدد من المساء وحتى الفجر.

عادت العجوز إلى بيتها وقالت:

ــ لقد قمت بما طلبته مني يا بني. وأذن لك الملك بتنفيذ شروطه. وعليك الآن أن تسعى وتحاول القيام بالأمر كما ينبغي. فقد أعدوا لك هناك كل شيء.

حمل أركينجا وأصحابه المعاول وخرجوا لحفر الخندق. وتوقفوا عند مسافة ألف متر من القصر حيث وضعت كافة الأغراض المطلوبة لتنفيذ الشروط. وبدأوا جميعا في الحفر بهمة ونشاط. وأخذوا يحفرون ويرفعون التراب وقسموا العمل فيما بينهم. فكان واحد منهم يحمل التراب إلى خارج الحفرة والآخران يقومان بالحفر. واستمروا طويلا في العمل بكل قوتهم. ثم نظروا فرأوا الأمر يسير بصورة غير مرضية ووتيرة بطيئة على الرغم من حماسهم. فقد مضى الكثير من الوقت ولم يحفروا سوى القليل من النفق المطلوب. عندئذ تذكر أركينجا الفأر الذي أنقذه. فأخرج من زناره خصلة الوبر وأشعل بها النار. في هذه اللحظة خرجت أعداد غفيرة من الجرذان من جحورها تحت الأرض وتدافعت حشودها من جميع الأنحاء مثل كتائب العسكر وصارت تحفر النفق مع أركينجا.

هتف أركينجا قائلا:

ــ أحسنتم صنعا أيها الفئران، وشكرا لكم على عونكم لي. هيا احفروا هذا النفق حتى يصل إلى قصر الملك قبل انبلاج الصباح.

وانطلقت الفئران تحفر وتحفر في الأرض.

بعد ذلك أخرج أركينجا الجزء المقطوع من جناح الذبابة وأشعل به النار. وفي التو ظهرت في الجو من جميع الأنحاء أسراب لا تحصى من الذباب وهي

تطن فى الهواء حتى امتلأ بها. أسرع أركينجا وأصحابه بسكب الأوانى المملوءة باللبن الرائب على الأرض وهتف الأمير قائلا:

ـ أيها الذباب، ها هو اللبن الرائب الذى تحبونه، فاشربوا ما تشاؤون حتى لا يظل منه نقطة واحدة عند الصباح.

هجمت أسراب الذباب فى الحال على اللبن المسكوب تلعقه بنهم.

ثم أخرج أركينجا من زناره القطعة المقطوعة من جناح الجرادة وأشعل بها النار. وفى لمح البصر كانت السماء قد اكتست بأسراب هائلة من الجراد.

قال أركينجا مخاطبا الجراد:

ـ لقد وضعت تحت تصرفكم ألف حمل من البرسيم الأخضر الشهى، وأريد منكم التهامه قبل طلوع الصباح.

انقضت أسراب الجراد على حقل البرسيم المجاور وأخذت تلتهم منه بشراهة وحماس.

بعد ذلك حمل أركينجا شارب النملة فى يده وأحرقه. وفى نفس هذه اللحظة زحفت جيوش من النمل من كافة الأركان قادمة نحوه. فقال أركينجا لها:

ـ أيها النمل العزيز، إننى أطلب منكم العمل من الآن وحتى الصباح. فهناك كومة كبيرة من خليط القمح والذرة والشعير. وعليكم أن تفصلوا كل نوع على حدة وتجمعونه فى جوال مستقل. القمح فى أجولته والذرة فى أخرى والشعير فى أجولة ثالثة.

اندفعت جيوش النمل فى العمل وفصل الحبوب عن بعضها. وسرعان ما امتلأت الأجولة بها فأسرع أركينجا وأصحابه بربط كل جوال يمتلئ بالحبوب ووضعه جانبا. وفى لمح البصر اختفى تل الحبوب المخلوطة وأصبح كل من القمح والذرة والشعير مفصولين فى أجولة مستقلة.

حينئذ نظر أركينجا إلى الفلاح وقال له:

ــ لقد طلبت منى فى وقت من الأوقات أن أطعمك خبزا حتى تشبع. وها هنا أمامك ألف رغيف من الخبز. فعليك أن تأكلهم هنيئا مريئا حتى الصباح، ولا تترك كسرة واحدة منهم.

ثم وقف أركينجا أمام الراعى وقال له:

ــ لقد أخبرتنى أنك لم تذق الملح فى حياتك ولا مرة واحدة ولا تعرف حتى شكله. وقد رافقتنى كى أطعمك الملح حتى الشبع. فها هنا أمامك ألف حفنة من الملح الأبيض عليك أن تأكلها كلها حتى طلوع الفجر.

خرج كل من الفلاح والراعى ليأكلا الخبز والملح. عندئذ أحضر أركينجا نمره وقال له:

ــ أريدك اليوم أن تساعدنى فى القضاء على الساحر الأعور. فاذهب إلى مكانه فى الجبل وقم بمراقبة الكهف الذى يقيم به. وعندما يخرج منه اقبض عليه بمخالبك ولا تدعه يفلت منك فى جميع الأحوال.

انطلق النمر يركض بخطوات سريعة نحو الكهف. وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخرا فى الليل فإن الساحر العجوز لم يخرج بعد لاصطياد فريسته. كمن النمر بالقرب من فتحة الكهف وظل ينتظر. وعندما انتصف الليل سمع صوت حفيف خافت صادر من قلب الكهف. تحفز النمر ورقد متأهبا. ثم خرجت من الكهف رأس ذات شعر مشعث وأنف طويل معقوف كمنقار الطير ولحية طويلة. لمعت عينا النمر فى الظلام كجمرتين من النار، وانقض على الساحر فطرحه أرضا قبل أن يخطو خطوة واحدة. وأنشب مخالبه فى جسده وغرس أسنانه الحادة فى رقبته.

مضى الوقت حثيثا وساد الظلام أرجاء المكان. ثم شق خيط من الضوء السماء جهة الشرق واقترب طلوع الفجر. غير أن أركينجا ظل يتابع العمل بلا كلل أو توقف. كانت جيوش النمل هى أول من انتهت من مهمتها وفصلوا الحبوب عن بعضها. يليها الذباب الذى شرب كل اللبن الرائب. وبعدهم أتت أسراب الجراد على حقل البرسيم والتهمته بالكامل. وأخيرا انتهت جحافل الفئران من حفر النفق المؤدى إلى قصر الملك. كما أكل الفلاح والراعى كل الخبز والملح. وعند الشروق لم يبق من الخبز كسرة واحدة ولا من الملح ذرة واحدة.

قدم أركينجا فروض الشكر والعرفان إلى أعوانه وأذن لهم بالعودة إلى مواطنهم. فطارت أسراب الجراد محلقة فوق حقل البرسيم حتى حجبت أشعة الشمس المشرقة. وتلتها جماعات الذباب التى ارتفعت طائرة فى السماء. وانطلقت جحافل الفئران عائدة إلى جحورها ومن خلفهم مضت جيوش النمل متفرقة إلى أوكارها فى أنحاء الأرض.

وفى الصباح استيقظ أهالى مدينة تركستان ونظروا حولهم واعترتهم الدهشة لما رأوه. فقد تحققت كل الشروط التى وضعها الملك. واختفى فى أثناء الليل جبل الحبوب المخلوطة ببعضها من القمح والذرة والشعير وأصبحت الحبوب مرتبة بنظام كل نوع على حدة فى أجولة منفصلة. واللبن الرائب تم شربه بالكامل، والخبز والملح قد اختفيا ولم يبق منهم سوى الأوانى الفارغة. كما شاهدوا النفق المحفور فى الأرض بارتفاع قامة الإنسان وبطول ألف متر. ويصل حتى بوابة الخروج من قصر الملك التى تطل عليها نوافذ القصر. وفى أثناء معاينة الناس للأوانى الفارغة والنفق جاءت أعداد غفيرة من الفلاحين تتحدث عن حقل البرسيم الذى التهمته اسراب الجراد حتى آخر وريقة منه. وتحدث آخرون عن الساحر الأعور الذى يرقد صريعا عند مدخل كهفه بعد أن قتل الكثيرين منهم من قبل. أما الأميرة الحسناء هونوم فقد تملكتها الدهشة والحيرة لما عرفت أن أحدا نجح فى تنفيذ كل شروطها

للزواج. ودفعها الفضول إلى التعرف على الفتى الهمام الذى نجح فى ذلك. فذهبت إلى العجوز التى ما إن رأتها حتى قالت لها:

ـ أهلا بك يا ابنتى. تعالى هنا وانظرى إلى هذا الشاب الشجاع الذى استطاع أن يحقق كافة شروطك .. وأشارت العجوز بيدها إلى أركينجا.

هتفت هونوم قائلة:

ـ أنت هو إذن الفتى أركينجا بشحمه ولحمه الذى رآه الجنى فى منامه وطلب من والده أن يأتى بك إليه. وبما أنك قد نجحت فى تنفيذ شروطى فسوف تأخذنى إلى الجنى. وذلك بعد أن تحقق مرادنا جميعا أنا وأنت والجنى. وإننى أتمنى لك التوفيق فى تحقيق أمانيك. لقد هرم والدى وصار عجوزا ولا يمكنه إدارة شئون البلاد، وأصبحت أنا ملكا للجنى. لذلك فإننى أمنحك القصر وأرجو منك الجلوس على العرش لتصبح ملكا على تركستان.

غير أن أركينجا لم يرغب فى أن يصبح ملكا. فوضع رفيقه الفلاح على العرش ونصّب الراعى وزيرا معه. أما النمر فأطلقه قائلا فى وداعه:

ـ أنت الآن حر طليق، فعد سريعا إلى النمرة أمك وتمتع بصحبتها.

بعد أن انتهى أركينجا من وضع الأمور فى نصابها قرأت هونوم تعويذة سحرية ظهر على أثرها صندوق كبير، ثم وضعت أركينجا بداخله وأغلقته. وبعد ذلك حملت الأميرة الصندوق وارتفعت به محلقة فى الهواء. ثم طارت عدة مرات فوق القصر وانطلقت نحو منزل الجنى حاملة الصندوق حتّى وصلت إليه. هبطت الأميرة فى القصر ونظرت فشاهدت الجنى يغط فى نوم عميق عند البوابة وقد وضع إحدى أذنيه أسفل رأسه بدلا من الوسادة وغطى الأذن الأخرى. وضعت هونوم الصندوق على الأرض وفتحته وأخرجت منه أركينجا، ثم هتفت بصوت عال تقول:

ـــ لماذا أنت نائم أيها الجنى الكسول؟ هيا انهض وانظر من قدم إليك.

تردد صوت هونوم يخترق آذان الجنى فى سباته. فانتفض ووقف أمام هونوم يتفحصها بعينيه وهو غير مصدق لما يراه. فلما تأكد من وجودها اغتبط كثيرا، ومن فرط سعادته لم يعرف فى البداية كيف يمكنه أن يكافئ أركينجا ويشكره على صنيعه. ثم أقام احتفالا كبيرا بهذه المناسبة السارة. وبعد انتهاء الاحتفال فتح الجنى خزائنه لأركينجا وأغدق عليه الكثير من الذهب والأحجار الكريمة وغيرها من الكنوز الثمينة. ولكى يحمل وينقل هداياه فتح له أبواب الإصطبلات لينتقى منها أفضل الجياد والأفراس. فقام أركينجا بجمع ذهبه وكنوزه الأخرى ووضعها فى أكياس ربطها فوق الجياد. ثم امتطى رهوانا منهم وانطلق يقودهم إلى طريق العودة. وظل أركينجا طويلا يسير ويقطع الدروب والصحروات والسهول ويعبر الأنهار حتى وصل أخيرا إلى موطنه ودخل مدينته.

سبع سنوات بالتمام قد انقضت منذ رحيل أركينجا. فما إن دخل القصر حتى عانقه والده ووالدته فى سعادة وسرور. ثم أسرع أركينجا إلى عروسه يملى عينيه بها. وبعد مرور بضعة أيام أقيمت الاحتفالات الصاخبة والولائم العامرة بمناسبة زفاف العروسين. واستمرت الاحتفالات لمدة أربعين يومًا وليلة حيث دعى الجميع ليرقصوا ويغنوا ابتهاجا بالزواج الميمون. وهكذا تحققت أمانى وأحلام أركينجا بعد زواجه من الابنة الصغرى للعجوز نادر .

أرنازار وكيمونازار



يحكى أن رجلا ثريا فاضلا يدعى نازار عاش فى أحد الأزمنة البعيدة. وكان له من الأبناء ثلاثة ومن البنات ثلاث. كان أكبر الأولاد يدعى برينازار، والأوسط حاجى نازار، والأصغر أرنازار. كان الابنان بيرنازار وحاجى نازار شقيقين من زوجة نازار الأولى. أما أرنازار والبنات الثلاث فقد أنجبتهم الزوجة الثانية الأصغر. كان الابن الأصغر أرنازار هو الابن الأثير لدى نازار.

قضى نازار حياته فى بحبوحة من العيش. ومضت أيامه فى هناء وسعادة ولم يعكر صفوها شيء. فلم يعلّم أولاده علما ولا حرفة. ولم ير أحد منهم ضرورة للتعليم ووجع الرأس مع وجود والد من أثرياء القوم وأغناهم.

لم يكن غريبا أن يكبر الابنان الأكبر والأوسط بلا أسرة أو زواج. فقد كانا يقضيان أوقاتهما فى لعب الميسر دون أن يشغل بالهم شيء. أما الابن الاصغر أرنازار فقد كان وديعا متواضعا ذكيا، ولم يشابه شقيقيه فى صفاتهم السيئة.

ومع مرور الأعوام أصاب نازار العجز والهرم. ولما شعر بدنو أجله نادى على أبنائه وأعلن لهم عن وصيته.

قال الوالد للابن الأكبر بيرنازار:

ــ أعطيك يا ولدى البستان الكبير الفلانى، الواقع فى المكان الفلانى بكل الأبنية والدور الواقعة بداخله. كما لك منى أيضا صرتان مملوءتان بالذهب. هذا ميراثك منى تأخذه عندما أرحل عن الدنيا.

ثم أوصى الوالد بمنح الابن الأوسط حاجى نازار بستانا آخر وصرة مليئة بالذهب.

وأخيرا جاء الدور على الابن الأصغر أرنازار فقال له نازار:

ــ أخبرنى يا بنى، ماذا تبغى أن أترك لك؟

رد الابن أرنازار قائلا:

ــ إننى لا أحتاج إلى شيء يا والدى سوى أن أراك بصحة وعافية.

ــ سوف أترك لك أيضا يا أرنازار بستانا بأبنيته. بالإضافة إلى ذلك ــ وهنا تحدث العجوز بصوت هامس خفيض ــ أترك لك خنجرا. لكن عليك ألا تريه لإخوتك ولا لأى أحد كان بأى حال من الأحوال. فهو خنجر سحرى وسوف يكون عونا لك فى حياتك.

أخرج العجوز خنجرا من تحت وسادته وضغط على نصله بإبهامه قائلا بصوت خفيض:

ــ كيمونازار.

وانشق الحنجر فى التو واللحظة وظهر فى الحجرة من حيث لا ندرى شاب صغير ترتسم على وجهه إمارات الفطنة والذكاء وقال:

ــ سمعا وطاعة.

أمر العجوز كيمونازار قائلا:

ــ أحضر لى قدحا مليئا باللبن الرائب.

وفى لمح البصر ظهر قدح مملوء باللبن الرائب أمام العجوز الذى قال لابنه:

ــ أرأيت بنفسك يا ولدى أرنازار؟ فى أى وقت من الأوقات عندما تريد أى شىء يمكنك ان تنادى على كيمونازار ليلبيه لك. لكن ينبغى عليك ألا تذكر شيئا عن هذا الخنجر لأى أحد كان.

وأضاف العجوز قائلا:

ــ فى اليوم الذى أرحل فيه عن الدنيا سوف يأتى إليك رجل عجوز فزوجه لشقيقتك الكبرى. وفى اليوم التالى سوف يأتى عجوز آخر زوجّه لشقيقتك الوسطى. ثم فى اليوم الثالث سيحضر عجوز ثالث فأعطه شقيقتك الصغرى.

وبعد مرور بضعة أيام مات العجوز نازار.

وفى يوم الوفاة حضر إلى البيت رجل عجوز وقال:

ــ لقد جئت فى طلب شقيقتكم الكبرى.

وتذكر أرنازار وصية أبيه فأعطى شقيقته للعجوز ورحلت معه. وفى اليوم التالى ظهر عجوز آخر وطلب قائلا: "جئت فى طلب شقيقتكم الوسطى". ولبى

أرنازار سؤال الرجل وسمح له بالرحيل مع شقيقته الوسطى. ثم حضر عجوز أخير فى اليوم الثالث وطرق باب المنزل هاتفا: "أريد منكم الشقيقة الصغرى". فوافق أرنازار وتركه يرحل مع شقيقته الصغرى.

أما عن الشقيقين الأكبر والأوسط فقد ازدادت رذائلهما بعد رحيل الأب أكثر من السابق. وانغمس كل من بيرنازار وحاجى نازار فى ألعاب القمار وأدمناه تماما حتى خسرا بسببه كل ذهبهما وبساتينهما وبيوتهما التى ورثاها عن أبيهما. ولم يشغلا بالهما حتى بالعجائز اللذين أتوا إلى البيت، ولا عن السبب الذى جعل أرنازار يعطيهم شقيقاته الثلاث. وأولى أرنازار كل الرعاية للبستان، فكان يرعى أشجاره ويسقيها فى أوقات منتظمة. وعاشت معه أمه ينفق عليها من ريع البستان. ولما حضر إليه شقيقاه المفلسان يطلبان المساعدة، أعطاهما أرنازار ما يكفيهما من الذهب والفضة. غير أن بيرنازار وحاجى نازار سرعان ما خسرا الأموال ثانية فى الميسر. وذهبا مرة أخرى يتوسلان إلى أرنازار كى يمنحهما المال. لكنه فى هذه المرة لم يعطهما شيئا، بل جعلهم يقيمان معه بعد أن خسرا بيوتهما.

لكن الشقيقين لم يقدّرا سماحة أرنازار وكرمه معهم فأضمرا له الشر وعقدا العزم على السوء وتهامسا يقول كل منهما للآخر:

ــ كيف يمكن أن يحدث هذا؟ أيعيش أرنازار فى رغد وثراء ونتسول نحن كسرة الخبز؟ هل هو أفضل منا أو أكثر ذكاء؟ فلنقتله ونغتصب ثروته لأنفسنا.

وعندما حل المساء تسلل الأخوان إلى الحجرة التى ينام بها أرنازار. غير أن أقدامهما زلت فاصطدما بزير نحاسى عند باب الحجرة وأوقعاه على الأرض. واستيقظ أرنازار من نومه على صوت ارتطام الزير.

نهض أرنازار ينظر حوله فرأى شقيقيه يقفان على رأسه وهما يشهران الخناجر بأيديهما. هتف أرنازار يقول لهما:

ــ إننى لم أقدم لكما سوى الخير والرحمة، ولم أبخل عليكما بشىء.

ــ لكننا سوف نقتلك فى جميع الأحوال.

قال أرنازار:

ـ إن قتل الأخ القريب لهو من أبشع الذنوب التى تقترف. وإنى أتحسر عليكما وأحزن لما تريدان القيام به. فخذا كل ما عندى من الذهب والبستان والبيت وكل ما تركه لى المرحوم أبى. وسوف أرحل بعد ذلك بعيدا عن أنظاركما.

ـ أعطنا ما عندك وارحل إلى حيث تريد وسوف نتركك تعيش.

وترك أرنازار للأخوين كل ما يملك. ومن فرط قسوتهما لم يسمحا له بوداع أمه العزيزة.

مضى أرنازار هائما على وجهه وظل يسير ويسير حتى وصل إلى صحراء قاحلة. ونظر فشاهد راعيا يسوق قطيعا من الماعز. فبادله أرنازار بملابسه الثمينة وارتدى الأسمال التى كان يضعها الراعى ومضى مواصلا طريقه. وظل طويلا يجوب الأرجاء والطرقات حتى انتهى به الأمر إلى إحدى المدن. فذهب إلى السوق وعمل فى دكان يبيع الكباب واللحم المشوى.

كان صاحب الدكان يقوم بتشفية اللحم وتقطيعه ووضعه بالأسياخ، ثم يناولها إلى أرنازار الذى يشويها على النار حتى يطيب اللحم عليها. وازدهر العمل فى الدكان بعد مجىء أرنازار وبدأ الثراء يصيب صاحبه. وكان الرجل بخيلا شحيحا لا يعطى أرنازار شيئا مهما اجتهد أو عمل.

وكان هناك رجل عجوز يأتى إلى السوق كل يوم حاملا زلعة مملوءة باللبن الرائب. وكان يظل جالسا حتى يبيع كل ما بها ثم يرحل مغادرا المكان.

وفى أحد الأيام نادى أرنازار على العجوز ووضع أمامه ثلاثة أسياخ من اللحم المشوى وقال له:

ـ لابد من أن التعب قد أصابك أيها الوالد، فاجلس وكل هذا اللحم.

أكل العجوز اللحم والخبز وقال شاكرا:

ـ فليتحول التراب فى يديك إلى ذهب أيها الفتى الكريم.

عندئذ سأل أرنازار العجوز:

ـــ هل يوجد لديك أبناء أيها الوالد؟

ـــ وهل كنت أخرج إلى السوق وأنا فى هذا العمر لو كان عندى ابن؟

رد أرنازار: فلتأخذنى إذن ابنا لك.

فرح العجوز وأخذ أرنازار ابنا له وذهب به إلى البيت.

صار أرنازار يساعد العجوز وخرج معه إلى السوق يبيعان اللبن الرائب. وهكذا عاش الاثنان معا.

وفى إحدى المرات خرج العجوز مع أرنازار إلى السوق فشاهدا الشمس تشرق من الشرق ومن الغرب أيضا. نظر أرنازار واعترته الدهشة فسأل يقول:

ـــ ما هذه المعجزة أيها الوالد؟

أجاب العجوز:

ـــ إن ما يسطع من الشرق هو الشمس الحقيقية، أما النور من الغرب فهو انعكاس لوجه ابنة ملكنا حاكم البلاد وليس نور الشمس الحقيقى.

فى نفس هذه الليلة جلس أرنازار حتى راح العجوز فى النوم، ثم ذهب إلى الزريبة وأخرج من جيبه الخنجر مناديا:

ـــ كيمونازار.

انشق الخنجر وصدر عنه صوت يقول:

ـــ سمعا وطاعة.

وفى لمح البصر ظهر الفتى الصغير أمام أرنازار.

ـــ فلتحول هذه الزريبة إلى مضيفة رائعة مفروشة بأجمل الأبسطة والرياش، وتنيرها بالقناديل والمصابيح الفضية. وتمد بها من الحائط إلى الحائط

موائد كبيرة زاخرة بأشهى وأطيب المأكولات والنبيذ. وبعد ذلك تأتى بابنة الملك المشرقة بالنور إلى هنا.

على الفور تحولت الزريبة إلى مضيفة رائعة الجمال تجلس بها ابنة الملك المشرقة. ثم دخل إليها أرنازار وركع أمامها باحترام وهو مازال يرتدى الأسمال التى بادل بها ملابسه مع الراعى.

تملكت الدهشة من المشرقة بالنور ورفعت حاجبيها فبديا مثل قوسين رفيعين.

عندئذ همس أرنازار:

ـــ أنت يا كيمونازار، هيا ألبسنى ثيابا فخمة تليق بالأميرة.

ونظرت المشرقة فرأت أمامها شابا وسيما فى هيئة جميلة وثياب مهندمة بدلا من الهيئة القذرة والأسمال البالية التى ظهر بها. فضحكت المشرقة ملء ثغرها ومدت يدها البيضاء نحو أرنازار. وجلس الاثنان معا يتسامران فى لهو ومرح وسعادة.

صحت زوجة العجوز فى منتصف الليل وخرجت إلى الفناء فرأت نورا ساطعا ينبعث من الزريبة. اقتربت المرأة تنظر بداخلها وأصابها الذهول. فقد شاهدت مضيفة فخمة جميلة مرتبة مكان الزريبة المهملة. فهتفت من الدهشة تقول: "يا الله، كيف حدثت هذه المعجزة؟".

وأسرعت إلى العجوز توقظه وهى تهمس له:

ـــ هيا انهض وقم بسرعة، هيا قم واذهب إلى الزريبة لتنظر ما حل بها.

نهض العجوز وخرج إلى الزريبة ينظر إليها، وإذا بها معتمة تماما على حالها السابق ولا شىء جديد حل بها. عندئذ قال العجوز لزوجته ساخرا:

ـــ يبدو أنك رأيت حلما فى منامك أيتها المرأة العجوز.

وعاد الرجل إلى حجرته لينام.

وفى المساء التالى ذهب أرنازار إلى الزريبة من جديد وأخرج خنجره السحرى وأمره:

ـ كيمونازار، هيا افعل اليوم كما فعلت بالأمس.

وتحولت الزريبة مرة أخرى إلى مضيفة فاخرة.

وجلس أرنازار بها برفقة ابنة الملك المشرقة بالنور وهما فى لهو ومرح.

وللمرة الثانية صحت الزوجة العجوز من نومها وتسللت إلى الزريبة تنظر بداخلها. ثم عادت إلى زوجها توقظه من سباته.

خرج العجوز مع زوجته يستطلع الأمر ولم ير شيئا جديدا فى الزريبة، فقال لها بغيظ:

ـ ماذا جرى لك؟ هل فقدت عقلك أيتها المرأة؟ إننى لا أفهم لماذا تخرفين على هذا النحو. انظرى بنفسك إلى ابننا، إنه نائم على أريكته كالعادة.

ومضت عدة أيام على الفتى والأميرة وهما يجلسان معا كل ليلة يقضيان الوقت فى مرح وسرور.

وفى إحدى المرات ذهب أرنازار إلى العجوز وقال له:

ـ أيها الوالد العزيز، أريدك أن تذهب إلى الملك لتخطب لى منه الأميرة المشرقة بالنور.

دهش العجوز ورد قائلا:

ـ ماذا حل بعقلك يا بنى؟ لقد تقدم إليه عشرات من الأمراء وأبناء الملوك يطلبون ابنته للزواج ولم يحصل أحد منهم إلا على الرفض. فكيف تطلب ابنته وأنت الراعى المعدم الفقير؟ أين نحن وأين هو يا ولدى؟

لكن أرنازار اعترض قائلا:

ـ نحن الوحيدين الجديرين بطلب ابنته للزواج. أرجوك أن تذهب إلى قصره أيها الوالد وتخطب لى الأميرة.

ـ ألا تدرك ما تطلبه منى يابنى؟ كفاك هراء وكن عاقلا فيما تقول.

ـ اذهب إلى الملك وجرب أن تخبره بما أطلبه، وإننى على يقين بأنه لن يرفض مطلبك. ابتسم العجوز فى دهشة وخرج حاملا مكنسة. ثم صار يكنس بها الفناء أمام عتبة قصر الملك.

(فى العهود القديمة فى أوزبكستان كانت التقاليد تقضى بأن يذهب الخاطب إلى أعتاب بيت العروس ويقوم بكنسه كعلامة لطلب الزواج منها. المترجم)

وشاهد الحراس العجوز وهو يكنس الفناء أمام بوابة القصر فأخبروا الملك بما رأوه.

ـ مولانا الملك، لقد حضر إليك أحد الخطاب.

قال الملك: ومن يكون هذا الخاطب؟

رد الحراس: نحن لا نعرف هويته، بل شاهدنا فقط عجوزا فقير الهيئة يكنس الفناء أمام بوابة القصر.

أمر الملك قائلا: أحضروه إلى هنا.

أحضر الحراس العجوز إلى الملك الذى رحب به قائلا:

ـ أهلا وسهلا بك أيها الوالد، ما هى شكواك إذن؟

سجد العجوز أمام الملك فى خشوع وقال:

ـ معذرة أيها الملك المبجل، إننى رجل فقير لدى ابن يعمل راعيا. وقد وقع ابنى فى غرام ابنتكم المشرقة بالنور. لذلك جئت أطلبها منك للزواج من ابنى.

ثار حنق الملك وصاح مناديا:

ـ فليحضر السياف إلى هنا.

وعلى الفور ظهر السياف الذى أمره الملك فى حسم قائلا:

ـ اقطع رأس هذا البائس المختل.

وعلى الفور قطع السياف رأس العجوز ووضعها بجوار جثته الهامدة.

وظل أرنازار ينتظر طويلا عودة الأب لكنه لم يعد أبدا إلى البيت.

عندئذ أخرج أرنازار خنجره السحرى من جيبه وصاح:

ـ كيمونازار.

رد الفتى الصغير: سمعا وطاعة.

ـ أخبرنى أين الرجل العجوز؟ أين يوجد والدى الثانى؟

أجاب كيمونازار: لقد قتله الملك.

أمره أرنازار قائلا: فلتعيده إذن إلى الحياة.

وفى لمح البصر ظهر العجوز أمامه سليما معافى كما فى السابق.

سأل أرنازار العجوز: لماذا تأخرت فى العودة؟ وبماذا أجابك الملك؟

ـ إن الملك يا ولدى قد رفض أن يعطينا ابنته المشرقة بالنور. وما إن انتهيت من النطق بطلبى حتى نادى على سيافه وأمره بقطع رأسى. ولا أدرى كيف بقيت حيا بعد ذلك.

عند الفجر ذهب أرنازار إلى العجوز وصار يوقظه:

ـ أرجوك أن تنهض يا والدى وتذهب إلى القصر لتخطب لى الأميرة المشرقة.



خاف العجوز ورد: "كلا لن أذهب إلى هناك". لكن أرنازار ظل يلح ويطلب منه حتى أقنعه بالذهاب. وخرج العجوز إلى القصر وشرع فى كنس الفناء مرة أخرى.

ومن جـديد أمسك به الحراس وقادوه إلى الملك الذى أصابه الذهول وهتف يقول:

ـ يا للهول، إنك مازلت حيا. كيف حدث هذا الأمر؟ لابد من أنك رجل شديد البأس. فلتحضروا السياف إلى هنا.

على الفور ظهر السياف الذى أمره الملك:

ـ أريد منك أن تمزق بسيفك هذا العجوز إلى أربعة أجزاء.

وقطع السياف الرجل العجوز المسكين إلى أربعة أجزاء.

جلس أرنازار طويلا ينتظر عودة العجوز الذى لم يعد أبدا. فطلب الفتى من كيمونازار أن يعيده إلى الحياة.

ومرة أخرى أرسل أرنازار العجوز إلى القصر ليخطب له الأميرة المشرقة. وللمرة الثالثة أمر الملك غليظ الكبد بقتل العجوز.

وهكذا ظل العجوز لأربعين يومًا يذهب إلى القصر كل صباح يخطب ابنة الملك. وفى كل مرة كان الملك يأمر بقتله بأبشع الوسائل. غير أن أرنازار كان يعيده ثانية إلى الحياة.

وفى اليوم الواحد بعد الأربعين قال الوزير للملك:

ـ مولاى الملك، إنك تأمر بقتل العجوز الذى يبعث إلى الحياة بعد كل مرة يموت فيها. ولابد من أن هناك فى الأمر سرًا لا نعلمه. وإننى أرى ألا تقتله بعد اليوم. بل ضع أمامه شروطا صعبة التنفيذ لا يقدر على تحقيقها، واطلب منه مهرا يستحيل عليه تقديمه . حينئذ يصبح لك الحق الشرعى فى رفض مطلبه.

وافق الملك على الأخذ بنصيحة الوزير.

وعندما ساقوا إليه العجوز مرة أخرى صاح الملك فيه قائلا:

ـ أمنحك مهلة ثلاثة أيام. ينبغى عليك قبل انقضائهما أن تأتنى بثلاثمائة فرس محملين بالذهب والفضة. ومعهم ثلاثة آلاف جمل، وأيضا ثلاثين ألف رأس من الغنم. حينئذ سوف أعطيك ابنتى زوجة لابنك.

رجع العجوز إلى بيته وانهال على أرنازار ضربا بعكازه قائلا له:

ـــ لقد ذقت الأمرين بسببك أيها الراعى. كيف لى الحصول على الثروة التى طلبها الملك؟

رد أرنازار مبتسما: أبشر أيها الوالد، فمن هذه اللحظة صارت المشرقة لنا، وسوف أجلب للملك كل ما طلبه.

مر يومان، وحل اليوم الثالث ولم يظهر أى شىء بعد، ولم يسمع أى صوت بعد. ثار غضب العجوز وصاح يسأل أرنازار:

ـــ أين هى الثروة التى وعدت بإحضارها؟ كنت تتباهى بأنك سوف تحضر كل شىء. وها هو اليوم الثالث ولم أر شيئا بعد مما وعدت به. وأنا لا أملك سوى بقرة وخروفين فى فناء البيت. فأين الجياد والجمال والماعز؟ وماذا أقول للملك الآن؟

ـــ أرجو أيها الوالد أن تتفضل وتخرج لإلقاء نظرة أمام بوابة البيت.

خرج العجوز من باب البيت ونظر فرأى الطريق مكدسا عن آخره بالجمال والجياد والماعز. بينما يعلو فى الفضاء صهيل الجياد وصراخ الجمالين وثأثأة الماعز. والناس قد أتوا من كل صوب وحدب فى المدينة يتفرجون على القطعان هائلة الحجم.

ولم يكتف أرنازار بذلك بل قام فى الصباح بطلب كيمونازار وأمره قائلا:

ـــ أريدك أن تعد لى ضعف ما طلبه الملك من كل شىء.

وفى القصر وقف الوزراء جميعهم والحاشية والخدم يصرخون متوسلين:

ـــ كفى كفى، فلم يعد هناك مكان ولا وسع للمزيد من الرءوس.

مضت أيام كثر. وذات مرة بينما كان أرنازار يتجول حزينا فى سوق المدينة. شاهد فجأة متسولا يقف بجوار موقد الفطائر يلتقط من بين الرماد فضلات الطعام ويأكلها بنهم وشراهة.

اقترب أرنازار من المتسول ونظر إليه عن كثب وعرف فيه شقيقه الأوسط.

تملكت الدهشة من أرنازار وهز رأسه أسفا ومر بجوار شقيقه الذى لم يتعرف عليه. ثم رأى قبالته شحاذا آخر يسير وهو يسحب بحبل فى يده حمارا محملا بالحطب ويقوده نحو الحمام. ولما تمعن أرنازار بنظره فى الشحاذ عرف فيه شقيقه الأكبر. وتملكت أرنازار دهشة أكبر وذهب إلى البيت فأخرج خنجره مناديا:

ـ كيمونازار.

ـ سمعا وطاعة.

ـ أحضر لى شقيقى الاثنين إلى هنا.

على الفور ظهر كل من بيرنازار وحاجى نازار أمام أرنازار. وجثا الشقيقان عند قدميه. وعلم أرنازار أنهما بعد أن خسرا كل أملاكهما، سارا يجوبان البلاد والأصقاع ويمتهنان الأعمال الوضيعة.

مسد أرنازار بيده على رأسيهما وأنهضهما. ثم جعلهما يغتسلان ويهذبان شعوريهما. وألبسهما ثيابا جديدة حتى صارا فى النهاية يشبهان البشر. واشترى لكل منهما فرسا يركبه.

كان للملك ثلاث بنات. وكانت أصغرهم هى الأميرة التى ملكت قلب أرنازار. وكانت أجملهم جميعا. وكان وجهها يفيض بالضياء حتى أطلقوا عليها المشرقة بالنور. ولم يرغب الملك أن يزوج ابنته الجميلة لأحد الرعاة. لذلك قرر أن يحتفظ لنفسه بكل الرءوس التى جلبها إليه دون أن يفى بوعده ويزوج الراعى للأميرة.

وأمر الملك بوضع بناته الثلاث فى شرفة عالية. وأعلن للناس فى كل أرجاء المدينة:

ـــ على جميع الشبان والفتيان بالمدينة أن يحضروا ويمروا أسفل الشرفة الملكية، وذلك كى تختار الأميرات بأنفسهن من بينهم أزواجا لهم.

وأتى الفتيان من جميع أنحاء المدينة على صهوة الخيول المطعمة وأجمل الجياد الجميلة المزركشة يمرون أسفل الشرفة ويستعرضون أنفسهم للأميرات. وفعل بيرنازار وحاجى نازار مثلهم. فتزينا وسارا يجربان حظهما. رمت الابنة الكبرى بتفاحة إلى بيرنازار فالتقطها وصعد بفرسه إلى الشرفة. ثم قبل الأميرة فى جبهتها وهبط بها إلى أسفل. بعد ذلك ألقت الابنة الوسطى بتفاحة إلى حاجى نازار فصعد إليها وقبلها فى جبهتها. ثم نزل بها إلى أسفل الشرفة.

أما الابنة الصغرى المشرقة بالنور فلم يقع اختيارها على أحد من الفتيان العابرين بشرفتها. ولم تلق إلى أحد منهم بتفاحتها.

عندئذ سأل الملك وزرائه قائلا:

ـــ هل ظل أحد من الشباب فى المدينة لم يمر بالشرفة الملكية؟

رد الوزراء: هناك عجوز يعيش فى طرف المدينة لديه فتى راع يعيش بزريبة بيته. هذا الفتى لم يأت بعد إلى الشرفة.

أمر الملك قائلا: فليحضر هو الآخر إلى هنا ليمر أمام ابنتى.

أحضر الوزراء الفتى أرنازار وهو فى هيئة الراعى راكبا حمارة عرجاء ومر أسفل الشرفة. وتعرفت الأميرة المشرقة بالنور إلى أرنازار فرمت له بتفاحتها.

وصعد أرنازار بحماره إلى الأميرة فى شرفتها. وقام بتقبيلها فى جبهتها، ثم هبط بها إلى أسفل.

حينئذ هتفت الأخت الكبرى تقول:

ـــ يا لك من حمقاء يا أختى، كم من الفتيان الحسان مروا من أمامك فلم تلق بالا إليهم. ثم يقع اختيارك فى النهاية على راع بائس الهيئة.

أجابت الأميرة الصغيرة: الطيور على أشكالها تقع. فحتى لو كان راعيا فقيرا معدما فلن أتزوج سواه.

ثار الملك من الغيظ والغضب لاختيار ابنته للراعى. لكن الأمر أسقط فى يده واضطر إلى إقامة الاحتفالات بالزفاف. واستمرت الأفراح وليالى الملاح فى البلاد لأربعين يومًا وليلة. وتزوجت بناته من الأشقاء الثلاثة. ومنح قصرا كبيرا لكل من صهريه الأكبر والأوسط وابنتيه الكبرى والوسطى. أما الابنة الصغرى وزوجها فمنحهم إسطبلا عاريا. ذلك لأنه لم يغفر لابنته المشرقة بالنور اختيارها لراع فقير كى تتزوجه. وفى المساء نادى أرنازار على كيمونازار وطلب منه تحويل الإسطبل إلى قصر منيف لا مثيل له فى البلاد. وذهب إلى زوجته الصغيرة يتسامران ويمرحان فى أرجاء القصر.

وفى الصباح كان القصر يختفى ويعود إسطبلا كما كان.

ذات يوم حمل بيرنازار وحاجى نازار الأسلحة والذخائر وخرجا للصيد. وظل الاثنان طوال اليوم يرتحلان بين السهول بحثا عن طريدة بلا جدوى. فعادا إلى البيت محبطين خاويا الوفاض. وفى نفس هذا اليوم خرج أرنازار أيضا إلى الصيد. فحمل سلاحه وركب حماره وخرج إلى الوادى. فنجح فى صيد الكثير من البط والأوز وعاد بهم فى المساء إلى الإسطبل.

ثم قام بتحمير بطتين وأوزتين وأرسلهم إلى الملك برسالة يقول فيها: "هذا لكم من أصغر الأصهار".

وفى الصباح طلب الملك صهريه الأكبر والأوسط وقال لهما:

ــ أريدكم أن تخرجوا للصيد، فإننى أهوى الطرائد والفرائس كثيرا.

خرج الشقيقان للصيد وظلا طوال اليوم يجوبان السهول والوديان بحثا عن أى طريدة بلا طائل. وفى المساء عادا يجران أذيال الخيبة بأيد خاوية. أما أرنازار فلم ينتظر أن يطلب منه الملك شيئا. وأعد حماره وعلق على جانبيه سبتين من الخوص وخرج للصيد. ولم يعد إلى الإسطبل إلا بعد أن امتلأت الأسبتة بالبط

والأوز والكروان والدراج وغيرهم من الطيور. فانتقى منهم أفضل الطرائد وأرسلها إلى الملك.

ثار حنق الملك على صهريه الأكبر والأوسط وكف عن دعوتهم إليه في القصر.

تبادل بيرنازار وحاجي نازار الحديث فيما بينهما ثم ذهبا إلى أرنازار وقالا له:

ــ بع لنا أيها الأخ بعضا من طرائدك.

أجاب أرنازار: كلا لا أستطيع.

غير أن الشقيقين لم يتركاه وظلا يسألانه ويتوسلان إليه حتى قال لهما في النهاية:

ــ حسنا، بشرط أن أضع على ظهريكما وسما، وعندئذ يمكنكما الحصول على الطرائد.

فكر الشقيقان: "لن يضيرنا الوسم في شيء، فليضعه كيفما شاء".

نزع الشقيقان قمصانهما ووسمهما أرنازار على ظهريهما. ثم أعطى كل منهما سبتا مملوء بالطرائد وخرج مرة أخرى إلى الصيد. وكالعادة نجح في اصطياد الكثير من البط والأوز وطيور الدراج.

عاد أرنازار إلى إسطبله وأخرج خنجره السحري مناديا:

ــ كيمونازار.

ــ سمعا وطاعة.

ــ أريدك أن تطهو من التسع بطات وجبة شهية لا نظير لها في العالم ولا يقدر على طهيها أمهر الطباخين وأشطرهم.

على الفور كانت البطات قد أعدت وتم تحميرها.

وضع أرنازار البطات على وعاء بديع الصنع وحمله إلى الملك. وما إن فاحت فى الجو الرائحة الذكية للطعام حتى سال لعاب الملك وجلس إلى المائدة يتناول طعام العشاء مع وزرائه. وفى نفس هذا الوقت وصل الشقيقان الأكبر والأوسط حاملين إلى الملك الطعام الذى أعدوه من البط.

إلا أن الملك لم يلق بالا إلى الطعام الذى أحضراه وقال لهما:

ــ أنتما الاثنين لا تساويان معا صهرى الراعى.

وذات مرة فى الخريف عندما نضجت ثمار الشمام وصار قطافها لازما، دعا الفلاحون بإحدى القرى الملك إلى حضور مهرجان الشمام فى قريتهم. ولبى الملك الدعوة وذهب إلى الاحتفال بصحبة عائلته وحاشيته والوزراء. كما ذهب إلى القرية أيضا بناته الثلاث وصهراه الأكبر والأوسط. أما صهره الأصغر أرنازار فلم يرافقهم إليها.

وعندما مد الفلاحون موائد الطعام وبدأوا فى وضع أطباق المأكولات عليها، ظهر فى هذه اللحظة فارس فى رداء احتفالى رائع الجمال يمتطى فرسا مسرجا بالذهب والأحجار الكريمة. وعلى جانبى فرسه ركض فارسان على جوادين مسرجين بالذهب وصار يقومان بالألعاب البهلوانية والرقص بالجياد. اعترت الدهشة الملك لما رأى الفارس وعرف فيه صهره الأصغر أرنازار. فأمر وزراءه أن يستقبلوه باحترام ويدعونه للجلوس إلى مائدة الطعام.

جلس أرنازار بجوار زوجته وقبلها برقة فى جبهتها.

عندئذ سألت الأخت الكبرى شقيقتها الصغرى قائلة:

ــ من هذا الفارس؟ ولماذا يقبلك؟

ردت الأميرة الصغيرة: إنه زوجى.

صاحت الأخت الكبرى بدهشة: أتمزحين؟ هل من المعقول أن هذا الفارس الجميل هو زوجك الراعى؟

اكتفت الأميرة المشرقة بالنور بالابتسام ولم تجادل أختها.

وبدأ المهرجان وجلس كل من الشقيق الأكبر والأصغر على يمين الملك ويساره دون أن ينظرا إلى أرنازار كما لو أنهما لا يعرفانه.

حينئذ قام أرنازار بسؤالهما قائلا:

ـــ من الذى اصطاد لكما البط الذى حملتماه فى سبتين؟

نظر الحضور إلى الشقيقين يترقبان الإجابة. ورد بيرنازار وحاجى نازار فى صوت واحد قائلين:

ـــ نحن بالطبع الذين قمنا بصيده. ولم يصده لنا أحد آخر.

ـــ إن هذا محض كذب، فقد اصطدته لكما بنفسى.

أجاب الشقيقان: أنت الكاذب ولم تصد شيئا لنا.

توجه أرنازار إلى الملك وقال:

ـــ مولاى الملك، إن صهريكما لا يقولان الحقيقة. فهما لا يقدران حتى على صيد عصفورة صغيرة. إنما أنا من قام بالصيد لهما. وقد وسمتهما على ظهريهما من أجل ذلك الأمر. وإن لم تصدقوا ما أقوله فاجعلهما يكشفان ظهريهما أمامكم.

أمر الملك صهريه أن يكشفا ظهريهما له. ورأى الجميع الوسم عليهما. وفضح أرنازار أمر شقيقيه الكاذبين.

وبعد انتهاء مهرجان الشمام عاد الجميع إلى قصر الملك.

وقف أرنازار أمام الملك وطلب منه راجيا:

ـــ أرجو أن تأذن لى بالرحيل لثلاثة أيام للقيام بأمر مهم.

أذن له الملك بالرحيل.

خرج الراعى إلى النهر وأخرج خنجره السحرى ونادى قائلا:

ـــ كيمونازار.

ـــ سمعا وطاعة.

ـــ أريدك أن تشيد لى قصرا فوق النهر لكنه لا يلامس الماء ولا يحجب سقفه السماء.

وفى لمح البصر ظهر على شاطئ النهر قصر يسلب الألباب من روعته. ثم عاد أرنازار إلى الملك وقال:

ـــ لقد عدت يا مولاى. وأطلب الإذن بالرحيل ومغادرة قصركم مع زوجتى المحبوبة ابنتك الأميرة. فقد وجب علينا الخروج من هنا.

قال الملك فى دهشة: إلى أين تريد الرحيل؟

رد أرنازار: سوف نرحل الى بيتنا، فقد أصبح لدينا الآن قصرنا الخاص. وكفى العيش فى الإسطبل مع المشرقة بالنور.

وهنا دفع الفضول الملك أن يقول سائلا:

ـــ وأين يقع قصرك هذا؟

أجاب أرنازار: سوف ندعوك لزيارتنا، وعندئذ يمكنك أن تعرف موقعه.

واصطحب أرنازار الأميرة المشرقة بالنور. وعاشا معا فى قصرهما الرائع الواقع على ضفة النهر. وكان أرنازار يحصل على كل ما يريده ويحتاجه من كيمونازار.

كان أرنازار أحيانا يخرج إلى الصيد ترافقه زوجته. وكان يقول لها عندما يخرج بمفرده:

ـــ لا تسمحى لأحد أبدا بالدخول إلى القصر. وإذا دفعتك الرغبة للخروج منه فعليك رفع الدرج بعد أن تهبطى إلى أسفل.

ولنترك أرنازار سعيدا مع زوجته فى حياتهما بالقصر الرائع ولنستمع إلى أمر آخر.

تردد بين الناس فى أرجاء البلاد خبر يقول:

"يعيش فى طرف المدينة رجل عجوز يرتزق من بيع اللبن الرائب. وللعجوز ابن راعى تزوج من الابنة الصغرى للملك. وقد دفع مهرا لها ثلاثمائة فرس وثلاثة آلاف جمل، وأيضا ثلاثين ألف رأس من الغنم. هذا كله بالإضافة إلى كميات هائلة من الذهب والفضة لا تعد ولا تحصى. ويعيش الراعى الآن مع الأميرة المشرقة بالنور فى قصر بديع مدهش يقع فوق النهر دون أن يلامس الماء..!!".

وصلت هذه الأخبار إلى مسامع الملك كاراخان.

استدعى الملك كاراخان ساحرة عجوز شريرة قلبها حالك السواد وقال لها:

– تقول الأخبار إن أحدا من الملوك له صهر من الرعاة. وقد دفع هذا الراعى مهرا كبيرا للغاية إلى الملك من أجل ابنته. ولم يحدث منذ خلق آدم أن حصل أحد على مثل هذا المهر الضخم. كما يقولون إن الراعى بعد أن تزوج من الأميرة ابنة الملك، قام ببناء قصر بديع لا نظير له فى العالم. وأريد منك الذهاب إلى تلك البلاد التى تجرى فيها هذه الأمور ومعرفة جميع الأسرار التى يخفيها الراعى. والوسيلة التى استطاع بها أن يحصل على كل هذه الثروات وأن يشيد قصرا فوق الماء.

ردت الساحرة تقول: سمعا وطاعة يا مولاى.

وانطلقت العجوز فى طريقها لمعرفة السر الذى يخفيه أرنازار.

وصلت الساحرة إلى قصر أرنازار ونادت على المشرقة بالنور وصارت تقول لها:

ـــ إننى امرأة عجوز وحيدة فى هذا العالم. فخذينى إليك لأكون خادمة مخلصة مطيعة لك.

ردت الأميرة: لدينا عدد كبير من الخدم ولا نحتاج إلى المزيد منهم.

غير أن العجوز لم تيأس وظلت عشرة أيام تقف أمام القصر تتوسل أن يأخذوها.

وذات مرة قالت المشرقة بالنور لأرنازار:

ـــ منذ عشرة أيام تقف أسفل القصر امرأة عجوز ترجو وتتوسل أن تعمل لدينا خادمة. كما تقول بأنها وحيدة مقطوعة من شجرة. فما قولك لو أننا رأفنا بحالها وأخذناها تعمل هنا؟. ولن تجلب لنا ضررا ولا سوء.

وافق أرنازار على طلب الأميرة وأصبحت الساحرة خادمة بالقصر.

وصارت العجوز تسير باروقة القصر وهى فى دهشة من أمرها. فالدقيق لا يعجن فى أى مكان هنا، والفطائر لا تعجن أيضا هنا. ورغم ذلك فالموائد عامرة دائما بالخبز والفطائر المسكرة والحلوى.

وفكرت الساحرة فى نفسها: "لابد من أن هناك سرا فى هذا الأمر".

وأخذت تتودد إلى ابنة الملك بشتى السبل والطرق الماكرة.

وفى أحد الأيام خرج أرنازار إلى الصيد وقالت الساحرة للأميرة:

ـــ إن زوجك مثير للدهشة والإعجاب يا مولاتى. فالناس يقولون بأنه دفع مهرا هائلا لك. كما أنه شيد لك هذا القصر الرائع الفريد فى العالم. أليست هذه معجزة من المعجزات؟ ألا يمكنك سؤاله عن مصدر هذا الثراء والغنى الفاحش؟

فى المساء سألت ابنة الملك زوجها:

ـــ كيف استطعت أن تدفع لأبى المهر الكبير الذى طلبه؟ وكيف أمكنك إقامة هذا القصر؟

رد الزوج قائلا: هذا سر لا يمكنني البوح به لأحد ولا حتى إليك.

ولم يخبرها أرنازار بشيء عن سره.

وفى اليوم التالى صارت العجوز تبث بكلماتها إلى الأميرة وتثير فضولها قائلة:

ـ قولى له يا مولاتى: إنك مخادع ولا تحبنى، فلو أنك تحبنى حقا لما أخفيت عنى شيئا وأطلعتنى على كل أسرارك.

فى المساء جلست ابنة الملك بجانب أرنازار تقول له:

ـ أنت لا تحبنى كما تدعى، ولو أنك تحبنى حقا لكشفت لى عن أسرارك.

وانهمرت دموع الأميرة وأخذت فى البكاء. ولم يتحمل أرنازار أن يرى دموعها ورق قلبه لها فقال:

ـ لقد حصلت على كل هذه الثروة بفضل هذا الخنجر.

وأخرج أرنازار خنجره السحرى وصار يريه للأميرة التى أصابتها الدهشة وقالت:

ـ طوال هذه المدة الطويلة التى عرفتك فيها لم أعلم شيئا عن هذا الخنجر.

رد أرنازار: إننى أحمله فى جيبى طوال النهار، وفى الليل أضعه أسفل الوسادة.

فى الصباح التالى سألت الساحرة العجوز الأميرة:

ـ كيف الحال؟ هل أخبرك بسره يا ابنتى؟

ـ نعم، لقد عرفت السر وراء أمره .. ردت الأميرة على الساحرة وقصت عليها كل ما قاله لها زوجها.

ـ إذن عليك أن تأخذى الخنجر من أسفل وسادته عندما يروح فى النوم، وأحضريه كى نحاول معرفة سره الدفين.

فى المساء عاد أرنازار متعبا من رحلة الصيد وراح فى سبات عميق. فمدت الأميرة يدها بحذر أسفل وسادته وأخرجت الخنجر السحرى. ثم ذهبت به إلى العجوز التى ظلت طويلا تقلبه بيديها وتتفحصه. وما أن تركتها الأميرة وخرجت لأحد الأمور حتى صاحت الساحرة منادية:

ـ كيمونازار.

ظهر الفتى الصغير من تحت الأرض وقال:

ـ سمعا وطاعة.

أمرت الساحرة تقول:

ـ أريدك أن تحمل الراعى إلى مستنقع الوادى البعيد وتتركه هناك. ثم تنقل هذا القصر بكل ما به وأنا معه أيضا إلى أرض الملك كاراخان.

وقبل طلوع الصباح تراءى لأرنازار حلم فى المنام. فرأى نفسه وقد خرج إلى الصيد يحاول طوال اليوم أن يصيد شيئا بلا جدوى. وفجأة ظهر أمامه نمر كبير الحجم فأطلق عليه النار مرة وثانية لكنه لم يصبه. وظل يطلق النار عليه حتى نفذت الذخيرة من سلاحه فانقض عليه النمر يهاجمه. عندئذ أخرج أرنازار خنجره وأخذ ينادى مستنجدا: "كيمونازار". لكن كيمونازار لم يلب النداء أبدا. وفى هذه اللحظة ارتفع صوت صراخ زوجته: "أغيثونى، أنجدونى". وصحا أرنازار من نومه.

نظر أرنازار ورأى نفسه راقدا فى المستنقع بالوادى.

وفكر فى نفسه: "آخ، لقد حذرنى والدى قبل موته ألا أكشف سر الخنجر لأحد، وأنا لم ألتزم بنصحه وكشفت السر لزوجتى. وها أنا قد فقدت قصرى وزوجتى وكل شىء".

خرج أرنازار من المستنقع ومضى هائما على وجهه حتى وصل إلى كوخ له بوابة حديدية. طرق على البوابة وسمع صوت المزلاج ينزاح وخرجت من البيت شقيقته الصغرى التى تركها للعجوز يأخذها بعد موت أبيه. وتعرف كل منهما على الآخر فتعانقا فى حرارة. وقادته الأخت إلى داخل البيت. سأل أرنازار أخته قائلا:

ـــ ما هذا الكوخ يا أختاه؟

ردت الأخت: أنه مسكن للجان. وقد عرفت أن العجوز الذى أخذنى إلى هنا بعد موت والدنا ما هو إلا جنى حقيقى. وعليك أن تحترس منـــه يا أخى حتى لا يلتهمك عند عودته لأنه من آكلى لحوم البشر. وقد استطعت أن أتعلم بعض السحر من هذا الجنى. والآن من الأفضل أن أنطق بتعويذة سحرية لأحولك إلى تفاحة قبل مجيئه. لكن قبل ذلك سوف أعد لك بعض الطعام فلا من أن الجوع ينهش معدتك.

بينما كان أرنازار يستجمع قواه المنهكة هبت فجأة عاصفة هوجاء فى السماء فزمجر البرق ولعلع البرق. وأصاب الهلع الأخت فقالت:

ـــ إنه الجنى قد عاد، وأزف الوقت لأقرأ التعويذة وأسحرك.

وتحول أرنازار إلى تفاحة.

وصل الجنى المخيف إلى مدخل البيت وصرخ يقول:

ـــ توجد فى الهواء رائحة إنسان، لابد من أن بالبـــيت آدمى. لن أدخـــل إليه الآن.

بينما دعت الفتاة الجنى للدخول قائلة:

ـــ لما لا تدخل البيت؟ لقد زارنى اليوم شقيقى الذى أعطانى لك.

زأر الجنى بصوت هادر:

ـــ وأين هو الآن شقيقك؟

ـ لقد سحرته إلى تفاحة كى لا تلتهمه عن غير قصد .. قالت الأخت وحولت التفاحة مرة أخرى إلى أرنازار فعاد إلى هيئته الحقيقية.

وحكى أرنازار للجنى كل ما جرى له. واستمع الجنى إلى حكايته ثم قال:

ـ لقد رأيت الساحرة منذ فترة وهى تطير بالقصر من فوقنا. وقد أردت الإمساك به فى أثناء نقله لكن أختك منعتنى من القيام بذلك. على أية حال يمكنك البقاء هنا وسوف ألقنك الكثير من السحر والتعاويذ التى يمكنها أن تساعدك.

قضى أرنازار شهرا كاملا لدى الجنى يتعلم منه ويحفظ التعاويذ السحرية. وصار يلقى بإحدى التعاويذ فينقلب إلى طائر. وينطق بأخرى فيعود إنسانا مرة أخرى.

وبعد أن مر شهر عليه فى بيت الجنى طلب أرنازار منه الإذن بالرحيل قائلا:

ـ لقد لقنتنى العديد من التعاويذ السحرية وإنى لشاكر لك ولتعليمك لى. والآن أرجو أن تساعدنى كى أرحل للبحث عن زوجتى وقصرى وخنجرى السحرى.

حمل الجنى أرنازار على ظهره وطار به محلقا فى الفضاء. وطار طويلا فوق الجبال والوديان حتى هبط به على الأرض أمام بوابة أحد الأكواخ.

قال الجنى لأرنازار:

ـ هذا الكوخ لأخى الأوسط. وهو الذى جاء إليك بعد وفاة والدك وأخذ أختك الوسطى. فاطلب منه العون وسوف يساعدك فى قضاء حاجتك. قال الجنى ما قاله واختفى من المكان.

طرق أرنازار باب الكوخ فخرجت إليه امرأة شابة وسألت تقول:

ـ من بالباب؟

تعرف أرنازار من الصوت على شقيقته فقال:

ـــ ألا تعرفيننى يا أختاه؟ أنا شقيقك أرنازار.

عانقت الأخت أخيها ورحبت به فى سعادة.

وبعد ذلك قادته إلى داخل البيت وقالت له:

ـــ لقد اقترب وقت عودة الجنى، ومن الأفضل أن أسحرك قبل عودته.

وسحرت الأخت أرنازار فحولته إلى تفاحة.

ثم تعالت أصوات الفرقعة والصفير وجاء الجنى يحوم هائجا فوق البيت.

ـــ فلتهدأ وتسكن.

رد الجنى بصوت مخيف: لماذ يحمل الهواء لى رائحة آدمية؟

قالت الفتاة: لا يوجد أحد هنا.

ـــ إنك تكذبين، وإننى على يقين من وجود إنسان فى البيت.

ـــ إنه شقيقى الأصغر الذى قبل أن تأخذنى بعد موت أبى. وقد جاء لزيارتى.

هبط الجنى على الأرض ودخل إلى الحجرة سائلا:

ـــ وأين هو شقيقك الآن؟

سألت الأخت: وهل تعدنى ألا تلتهمه لو أخبرتك بمكانه؟

ـــ أعدك بإننى لن ألتهمه.

وسحرت الأخت الوسطى التفاحة فحولتها إلى أرنازار مرة أخرى.

قص أرنازار حكايته على الجنى. ولما انتهى منها قام الجنى فحوله إلى حمامة وتحول هو الآخر إلى حمامة أيضا وطارا الاثنان معا صوب بيت الجنى الأكبر.

هبط الاثنان أمام مدخل أحد الأكواخ. وأعاد الجنى أرنازار إلى هيئته الإنسانية وقال له:

ـــ فى هذا الكوخ تقطن أختك الكبرى، فاطرق بابها فإننى عائد إلى البيت.

طرق أرنازار باب الكوخ فخرجت إليه امرأة شابة تسأله:

ـــ من بالباب؟

وعرف أرنازار فى المرأة الشـــابة أخته الكبرى. فعانقها بحرارة ورحبت به الأخت.

وفجاة هبت رياح عاتية سرعان ما انقلبت إلى عاصفة منذرة بعودة الجنى الثالث إلى البيت.

عندئذ سحرت الأخت الكبرى أرنازار وحولته الى إبرة رشقتها بياقة ثوبها.

أما الجنى فأخذ يحلق ويحلق طائرا حول البيت. وصاحت الأخت منادية بصوت عال:

ـــ كفاك تحليقا واهبط إلى الأرض.

رد الجنى: تفوح بالمنزل رائحة إنسان.

ـــ لا يوجد أحد بالبيت.

ـــ أنت تكذبين ولا تقولين الحقيقة.

ـــ أرجوك أن تغفر لى، فقد جاء لزيارتى شقيقى الذى سمح لك أن تأخذنى بعد موت والدى.

هبط الجنى على الأرض ودخل إلى المنزل وسأل الأخت قائلا:

ــ أين شقيقك؟.

ــ وهل تعدنى ألا تلتهمه؟

ــ نعم أعدك. والآن أخبرينى بمكانه.

عندئذ نزعت الأخت الكبرى الإبرة من ياقة ثوبها وحولتها إلى أرنازار ثانية.

قص أرنازار على الجنى كل ما جرى له من أحداث وطلب منه العون.

وقضى أرنازار مع الجنى ثلاثة شهور يتعلم فيها التعاويذ السحرية وفنون السحر. وأخيرا قال أرنازار للجنى:

ــ لك جزيل شكرى وامتنانى على تعليمك ودروسك لى فى السحر. والآن أرجو منك أن تساعدنى فى العثور على زوجتى واستعادة قصرى وخنجرى السحرى.

قال الجنى: لقد شاهدت الساحرة بينما كانت تطير بالقصر فوق البيت. وقد أوشكت على الإمساك به لكن أختك منعتنى من ذلك. وعليك أن تحلق طائرا نحو مدينة الملك كاراخان.

وتحول كل منهما إلى صقر وطارا فى الهواء حتى وصلا إلى مدينة الملك كاراخان. وعندما هبطا إلى الأرض قال الجنى للفتى:

ــ عليك المكوث هنا حتى يهبط الليل. ثم حول نفسك بعد ذلك إلى حمامة وطر إلى قصر الملك كاراخان. وعندما يخلد الملك إلى النوم اسحر نفسك إلى عصفور وطر إلى حجرته. ثم التقط خنجرك المفقود من أسفل وسادته.

قال الجنى ما قاله لأرنازار وأضاف قائلا قبل أن يطير مبتعدا فى الفضاء:

ـ عندما تعود طائرا بقصرك وتحلق به فوق بيتى، ألق علينا بنظرة كى نطمئن لسلامتك.

كمن أرنازار ينتظر هبوط الليل. وبعد غروب الشمس مباشرة ألقى أرنازار بتعويذة سحرية تحول على أثرها إلى حمامة وطار محلقا حتى حط على شباك حجرة الملك كاراخان. وصار يهدل ويلتقط الحب من على النافذة. ولما انتصف الليل راح كاراخان فى النوم وعندئذ ألقى أرنازار بتعويذة أخرى تحول على أثرها إلى عصفور. وطار إلى داخل الحجرة حيث حط على الوسادة. ثم دس منقاره أسفلها والتقط خنجره السحرى وطار محلقا به نحو النافذة مرة أخرى. وقرأ تعويذة أعادته إلى هيئته الإنسانية. بعد ذلك نادى بصوت خفيض:

ـ كيمونازار.

أجاب كيمونازار: سمعا وطاعة.

خبط أرنازار بيده على رأس كيمونازار مداعبا وقال له:

ـ أين اختفيت طوال هذه المدة؟

ـ لقد كنت هنا طوال الوقت.

ـ وكيف واتتك الجرأة على أن تخدعنى؟

ـ إن هذا ليس بإرادتى. فأى إنسان يستحوذ علىّ يمكنه أن يأمرنى فألبى طلبه ورغباته دون أى اعتراض أو تحفظ. هذه هى الصفة السحرية التى اتسم بها. وقد حذرك أبوك قائلا: ألا ترينى لأحد أيما كان، ولا تخبر أحدا بشىء عنى. إلا أنك خالفت وصيته لك وأخبرت زوجتك عنى. وقامت لقلة خبرتها وحسن طويتها بالثرثرة عن سرى مع الساحرة العجوز التى استغلت السر لمصالحها.

سأل أرنازار: واين توجد زوجتى الآن؟

ـ لقد أراد كاراخان أن يتزوج منها. إلا أن زوجتك أظهرت إخلاصا شديدا وحبا كبيرا لك ولم تقبل بخيانتك ورفضت عرضه بكل الطرق. فثار كاراخان واستشاط غضبا وألقى بها فى زنزانة تقوم على حراستها الساحرة العجوز بنفسها.

قال أرنازار:

ـ أرجو منك يا كيمونازار أن تحول الملك والساحرة إلى حجرين.

وفى نفس اللحظة التى انتهى فيها أرنازار من طلبه تحول الملك كاراخان والساحرة العجوز الى حجرين أصمين.

أسرع أرنازار إلى الزنزانة التى حبست فيها زوجته. ونظر إليها عبر كوة صغيرة فرآى النور يغطى أركانها التى عكست وجه الأميرة المشرقة. وشاهد زوجته جالسة فى ركن تبكى فى حرارة وأسى وتولول قائلة:

ـ فرقوا بينى وبين صقرى المحبوب، ولم يعد لى أحد يحمينى بعد الآن.

وفى هذه اللحظة فتح أرنازار باب الزنزانة واندفع نحو زوجته يعانقها وقال:

ـ لقد جبت الصحارى المقفرة واحترقت بأشعة الشمس وأنا أبحث عنك.

وأجابت ابنة الملك قائلة:

ـ لقد عانيت الكثير يا حبيب الروح ومعشوق القلب...

وهنا أخرج أرنازار خنجره ونادى قائلا: كيمونازار.

ـ سمعا وطاعة.

ـ أريدك أن تعيد القصر إلى موقعه السابق.

فى لمح البصر ارتفع القصر فى السماء. وطار فوق بيوت الجان فشاهدوه مع شقيقات أرنازار واطمأنوا لنجاحه فى مهمته.

عاد القصر إلى مكانه القديم على الشاطئ فوق مياه النهر.

وعاش أرنازار وابنة الملك كما فى سابق عهدهما.

وفى أحد الأيام ذهب أرنازار إلى الملك ودعاه مع حاشيته والوزراء جميعا لزيارته.

كان الملك فى شوق وفضول لرؤية القصر المدهش فقبل الدعوة على الفور. وجمع زوجاته وبناته وأصهاره وحاشيته ووزرائه ليصاحبوه فى زيارة صهره الراعى.

أمر أرنازار كيمونازار أن يفرش الأرض فى طريق الملك كله بالأبسطة الفاخرة. وأن يصطف على جانبى الطريق صفان من الخدم والخادمات فى أجمل هيئة. وعندما كان الملك يمر بينهم كان الخدم ينحنون هاتفين:

ــ أهلا ومرحبا بمولانا المعظم.

صعد الملك مع حاشيته إلى القصر.

ونظر فلم ير الراعى فى استقباله. بل شاهد شابا بهى الطلعة رائع الهيئة يرتدى ملابس الأمراء. تملكت الدهشة من الملك وبناته وصهريه وحاشيته والوزراء لما رأوه.

استقبل أرنازار وزوجته الضيوف بكل الترحاب وأكرموا وفادتهم، ودعوهم إلى مائدة زاخرة بأطيب الماكولات والشراب. ثم عزفت فرقة من العازفين أنغاما عذبة ساحرة، وقامت الراقصات بالرقص والمرح طوال الليل. ومنح أرنازار جميع ضيوفه الهدايا والملابس الثمينة.

وقبل نهاية الجلسة نهض أرنازار وقال للملك:

ــ أرجو أن تقبل اعتذارى يا مولاى على استقبالنا لك فى هذا المكان الفقير بدلا من الإسطبل الذى كنا نعيش فيه.

احمر وجه الملك من الخجل وقال:

ــ اغفر لى يا ولدى العزيز. فلم أكن أعلم شيئا عن حقيقة أمرك.

أمر أرنازار كيمونازار أن يعيد الحياة إلى الملك كاراخان والساحرة العجوز. وعندما عادا إلى الحياة أمر الملك بشنقهما عقابا لهما على تآمرهما وغدرهما.

وعندما عاد الملك إلى قصره أمر بإقامة الاحتفالات والأفراح فى أرجاء البلاد لأربعين يومًا وليلة. وقد عدنا لتونا من هذه الاحتفالات التى دعينا إليها جميعا.

الأربعون زوجا



كان لأحد الملوك أربعون من الأبناء. ولما كبر أبناؤه قرر الملك أن يزوج ابنه الأكبر. فتذمر بقية الإخوة عندما عرفوا بالخبر وأسرعوا إلى والدهم طالبين منه أن يزوجهم مثل أخيهم. عندئذ طلب الملك من وزيره أن يعثر على رجل لديه أربعون بنتا كي يتخذهن زوجات لأبنائه الأربعين.

طال البحث وطال حتى سمعوا أن هناك أحد الملوك الجبابرة قد أنجب أربعين من البنات. لكن مملكته كانت تقع على مسافة بعيدة للغاية. والسفر إليها يستغرق ستة شهور بالتمام والكمال.

أحضر الملك الساحرة الماكرة مستون وأمر بإعطائها الجمل اليامون. وطلب منها أن تسافر إلى البلاد البعيدة وتقابل الملك الجبار فى قصره لتطلب باسمه بناته الأربعين للزواج من أبنائه الأربعين.

قفزت الساحرة مستون على ظهر الجمل اليامون وانطلقت على الطريق. غير أنها لم تقطع الطريق على راحتها مثل بقية المسافرين، وإنما مضت أقدام الجمل اليامون السريعة تنهب الدروب والطرق والجبال نهبا. ولم يعط الجمل الساحرة فرصة كى تستريح أو حتى تغمض عينيها، فقطع الطريق الطويل فى ستة أيام وست ليال بدلا من ستة شهور. توقف اليامون عند قصر الملك وبرك على خفيه الأمامين ثم الخلفين. نزلت الساحرة من فوقه ولم تدخل إلى القصر بل ظلت واقفة عند البوابة. ولجأت إلى الحيلة كى تشغل أنظار الجميع، فصارت تمسح الطريق وتنظفه.

فى لمح البصر خرج الخدم والحراس وقبضوا على مستون وساقوها إلى الملك.

كان الملك أشد سوادا من الليل الفحيم.

سأل الملك المرأة: ما الذى أتى بك إلى هنا؟

أجابت العجوز مستون: مولاى الملك، لديك أربعون بنتا، وقد حضرت كى أخطبهن منكم لأربعين ولدا من أبناء الملوك.

قال الملك: نعم لدى أربعون بنتا بالفعل لكننى لن أزوجهن إلا لأربعين ولدا من أب واحد وأم واحدة.

قالت العجوز: طلبكم محقق يا مولاى، فإن ملكنا له أربعون ولدا من صلبه ومن أجمل الفتيان على الأرض.

ـــ وإننى فى هذه الحال لا أمانع فى تزويج بناتى منهم لكن بشرط واحد لدى: أن يأمر ملككم بحفر قناة بطول المسافة التى تستغرق ستة أشهر من السفر بين بلاده وبلادى، وذلك لتصل مياه أنهاره بأنهارى.

بعد أن أعلن الملك عن شرطه سمح للساحرة بالانصراف.

عادت الساحرة مستون إلى بلادها بنفس الطريقة التى رحلت بها. وذهبت إلى الملك وأخبرته قائلة:

ـــ مولانا ملك العالم، لقد وافق الملك الجبار على زواج بناته من أبنائكم بشرط واحد، وهو أن تأمروا بحفر قناة طويلة بطول المسافة بين بلاده وبلادكم والتى تستغرق ستة شهور من السفر، وذلك كى تتصل مياه أنهاركم بمياه أنهاره.

قبل الملك هذا الشرط.

وتنفيذا لأوامر الملك جمعوا جميع الناس والخلق وساقوهم إلى الوادى حيث أكرهوهم على حفر القناة بالسخرة. وفى غضون شهر كان الناس قد حفروا بطول اثنين وثلاثين كيلو مترا.

تناوب أبناء الملك فى كل يوم الإشراف على أعمال الحفر. حيث كانوا يراقبون الناس ويدفعونهم إلى العمل حتى لا يتكاسلوا فى الحفر ويعملون بنشاط وهمة. تذمر الكثيرون وانتشر السخط بين الناس بسبب تركهم ديارهم وأسرهم للعمل فى الحفر. وجاء الدور على أصغر أبناء الملك للإشراف على الأعمال.

كان الناس يصيحون بصوت عال شاكين:

ـــ فليسقط هذا العمل. ليت أبناء الملك لا يتزوجون أبدا. كيف يرغموننا على ترك أسرنا وبيوتنا وأعمالنا لنحفر هذه القناة؟

بعد أن سمع الابن الأصغر للملك هذه الشكاوى صرف الناس إلى بيوتهم وجعلهم يتركون العمل فى الحفر.

علم الإخوة الأكبر بما جرى فهجموا على أخيهم الأصغر وأشبعوه ضربا. أخذ الأخ الأصغر يبكى ويبكى ورقد على ضفة القناة حتى راح فى النوم.

بعد طلوع الفجر مر رجل عجوز بالقرب من الفتى فأيقظه وسأله قائلا:

ـ لماذا تنام هنا يا بنى؟

حكى الفتى للعجوز كل ما جرى.

قال العجوز: لا تحزن يا بنى. إن حفر هذه القناة ليس بالأمر الصعب، وسوف أخبرك بنصيحة اسمعها منى جيدا، إن هذه القناة التى تحفرونها لها ميزة غريبة، فإن أحد طرفيها يقع فى موسم الصيف والآخر فى موسم الشتاء. وعندما يحين موعد الخروج إلى احتفالات الزفاف لا تذهب مع إخوتك بل أرسل معهم خنجرك بدلا منك. سوف يعود أشقاؤك من الزفاف مع زوجاتهم الفتيات من نفس الطريق الذى ساروا به فى الذهاب. فبعد أن يقطعوا نصف الطريق سوف تهب عليهم فجاة رياح عاصفة وتسقط الأمطار منهمرة، وبعد سقوط المطر ينزل الثلج وتبدأ الصخور فى الوقوع من السماء. فى هذا الوقت سوف يظهر أمام إخوتك بيت أبيض على الطريق. فعليهم أن يتجنبوه ويبتعدوا عنه ولا يدخلوه بأى حال من الأحوال. وبعد وقت قصير سوف تعود السماء صافية بلا غيوم ويصبح الجو صحوا. وإننى أقول لك هذا الكلام كى تبلغه لوالدك، فإياك أن تنسى كلمة مما قلته.

وقف الرجل العجوز متكئا على عصاه وأمر الفتى:

ـ أغلق عينيك الآن.

أغلق الفتى عينيه ومضت برهة قصيرة وأمر العجوز ثانية:

ـ يمكنك الآن فتح عينيك.

أطاع الفتى الأمر وفتح عينيه وأصابه الذهول.

ففى الفترة القصيرة للغاية التى أغلق فيها عينيه كانت القناة قد تم حفرها على طول الطريق الذى يستغرق ستة شهور من السفر. وجرت مياه الأنهار من بلده واتحدت مع مياه الأنهار الأخرى للبلاد البعيدة.

ومرة أخرى طلب العجوز من الفتى أن يغلق عينيه ففعل.

قال العجوز: افتحهما الآن.

فتح الفتى عينيه فلم ير أثرا للرجل العجوز. ورأى نفسه ممددا كما كان نائما بالأمس على شاطئ القناة.

فى هذا الوقت وصل أشقاؤه التسعة والثلاثون إلى شاطئ القناة. ونظروا فإذا المياه تجرى فيها ولا يمكنهم أن يصلوا بأبصارهم إلى نهايتها. أصابتهم الدهشة لما رأوه واصطحبوا شقيقهم الأصغر إلى الملك.

ـ لقد قمت بحفر القناة بنفسي ووحدت مياه الأنهار بين البلدين .. قال الأخ الأصغر وأخبر الملك بما قاله الرجل العجوز. اغتبط الملك وفرح بابنه الأصغر كثيرا وأمر الجميع بالتأهب للرحيل والسفر.

سر أبناء الملك بهذه الأخبار واستعدوا كلهم للسفر عدا الابن الأصغر الذى أخذ بنصيحة العجوز فذهب إلى الملك وأعطاه خنجره قائلا:

ـ أنا لن أرحل معكم، لكن أعطيك خنجرى ليسافر بدلا منى.

خرج الملك فى طريقه البعيد على رأس أبنائه التسعة والثلاثين، وبصحبته أعداد كبيرة من القوات والفرسان.

مضت عليهم الشهور وهم فى سفرهم يقطعون الطرقات ويصعدون التلال ويهبطون الوديان ويعبرون الفيافي حتى وصلوا أخيرا إلى بلاد الملك والد الأربعين بنتا.

لما عرف الملك الجبار بوصول الضيوف أمر بفرد الأبسطة فوق الطرقات وتعليق الزينات والأعلام. وخرج على رأس جنوده يستقبل الزوار.

قامت الأفراح والاحتفالات فى البلاد أربعين يومًا وليلة بمناسبة الزفاف. وفى النهاية وبعد أن تمت مراسم الزفاف تزوج الأبناء التسعة والثلاثون من البنات التسع والثلاثين. وبسبب تخلف الابن الأصغر عن الحضور جعلوا الابنة الصغرى تتزوج من الخنجر الذى أرسله ليكتمل زواج الأبناء والبنات جميعا.

أمر الملك أبناءه بالاستعداد لرحلة العودة إلى الديار.

أوامر الملك مطاعة وتنفذ فى الحال.

ثلاثة شهور مرت عليهم فى طريق العودة وأصبحوا الآن فى منتصف الطريق بأحد الحقول. وفجاة انهمر المطر يتساقط عليهم. وبعد سقوط المطر صار الثلج يهطل بغزارة، ثم أخذت الصخور تهوى من السماء على رءوسهم. وهنا شاهد الجميع بيتا أبيض اللون يقع على جانب الطريق. طلب الأبناء من والدهم السماح لهم بالذهاب إلى البيت الأبيض والاحتماء به.

ـ لكن أخاكم الاصغر قد حذر من دخول هذا البيت .. قال الملك ولم يسمح لهم.

وقف الأبناء غاضبين.

ـ هل نظل فى العراء حتى نقتل من أجل كلمات حمقاء صرح بها الصبى الجاهل؟ .. هتف الأبناء ودخلوا إلى المنزل مخالفين أمر والدهم الملك.

أمر الملك قواته بالبقاء فى أماكنهم بالحقل وذهب مع أبنائه إلى البيت الأبيض. وما إن دلفوا إلى داخل البيت حتى صفت السماء تماما وأشرقت الشمس ثانية.

كان كل شىء يدل على الفخامة والثراء داخل المنزل الأبيض. ففى فناء البيت كانت هناك أربع نافورات فى الأركان الأربعة تتدفق منهما المياه البللورية ويتطاير رذاذها فى الهواء ملطفا للجو. وفوق عدد من الطاولات وضعت أطباق البلوف الساخن واللحم المشوى. وأسفل أشجار الحور فرشت الأبسطة الحريرية

والوسائد المخملية وبجانبها صوان عليها كئوس الشربات المسكر لمن يرغب فى الجلوس والراحة. كما يوجد فى الفناء مربط خاص ومعلف مملوء بالطعام لكل فرس من الأفراس.

غير أن البيت والفناء كانا خاليين تماما من أى مخلوق أو إنسان. على أية حال جلس الملك مع أبنائه التسعة والثلاثين، والأربعين زوجة، وأكلوا بشهية ونهم حتى شبعوا وامتلأت بطونهم. وبعد ذلك رقدوا كلهم وراحوا فى النوم.

فى الصباح استيقظ الجميع فى نشاط وهمة وأخذوا يستعدون للرحيل. وعندما تأهبوا لمغادرة البيت من الفناء ظهر أمامهم تنين مرعب سد عليهم المخرج فلم يستطيعوا مبارحة المكان. ثم قال التنين فاغرا فاهه وكاشفا عن أسنانه الضخمة:

ـــ عليكم أولا أن تدفعوا لى المقابل كى أتركوكم ترحلون من هنا.

ندم الملك لتركه جنوده بالخارج. لكن الندم لم يجده شيئًا واقترح قائلا:

ـــ فلتأخذ ما شئت أيها التنين من المال والكنوز والجياد.

لكن التنين زأر بصوت مخيف قائلا:

ـــ لا أحتاج الى مال أو كنوز أو جياد، بل أعطنى ولدك الأصغر وسوف أكتفى به ولا أريد منك شيئا آخر.

حزن الملك واغتم، لكن أبناءه التسعة والثلاثين همسوا له قائلين:

ـــ حسنا، أخبره كذبا بموافقتك على إعطائه شقيقنا الأصغر حتى نماطله ونبتعد عنه فى الطريق ولن يمكنه اللحاق بنا بعد ذلك.

أقنع الأبناء والدهم باقتراحهم. فأعطى الملك وعدا للتنين أن يعطيه ابنه الأصغر. عندئذ ابتعد التنين عن البوابة، وخرج الجميع مع الزوجات الأربعين ومضوا يواصلون طريقهم. مرت عليهم ثلاثة أيام وثلاث ليال. وفجأة فى اليوم الرابع لاح لهم فى الأفق شىء يطير فى مواجهتهم لكنهم لم يقدروا على تمييزه. ساروا فى طريقهم بعض الشىء حتى اتضحت لهم هوية الشىء الطائر. لم يكن

سوى الأخ الأصغر الذى شفطه تيار الهواء المرسل من فم التنين. طار الفتى المسكين بالقرب منهم ولم يستطع أن ينطق سوى بضع كلمات:

ـــ أيها الوالد، أريدك أن تعطى لأى أحد آخر تختاره الزوجة الشابة التى أحضرتها لى.

عبرهم الفتى طائرا حتى وصل إلى فناء البيت الأبيض وسقط على الأرض فى مواجهة التنين الذى كان بانتظاره على أحر من الجمر. دار التنين مرتين حول الفتى ولمس بخده وجنته وقال له:

ـــ يمكنك أن تختار بنفسك الوقت الذى تغادر فيه الدنيا، أبعد يوم أم بعد أربعين يومًا؟

فكر الفتى قليلا وأجاب قائلا:

ـــ بعد أربعين يومًا.

ـــ إذن يمكنك النجاة لو فعلت ما أطلبه منك. ففى إحدى البلاد تعيش ابنة لأحد الملوك. احضرها لى قبل مرور الأربعين يوما وأنت تنجو. أما لو فشلت فسوف ألتهمك على الفور .. قال التنين ولعق أسنانه بلسانه.

أسقط فى يد الفتى وانطلق فى طريقه لتنفيذ أمر التنين.

مرت عدة أيام والفتى يجد فى سيره. ونظر وهو يسير فرأى أعدادا هائلة من النمل تسد الطريق أمامه. خشى الفتى على النمل أن يدهسه بأقدامه فظل ينتظر حتى حل المساء. ثم زحف ملك النمل إلى الفتى وسأله قائلا:

ـــ لماذا تجلس هنا؟

رد الفتى: أنتظر حتى يعبر النمل كى لا أدهسه بقدمى.

ـــ لك منى جزيل الشكر أيها الفتى الطيب، وربما يأتى الوقت لنرد لك فيه صنيعك هذا .. قال ملك النمل وأعطى الفتى حفنة من العشب ليحتفظ بها.



مضى الفتى مواصلا طريقه. ومرت عدة أيام عليه وهو سائر حتى شاهد على جانب الطريق أسدين يتعاركان من أجل أرنب لم يستطيعا اقتسامه بينهما. أخذ الفتى الأرنب من الأسدين وقطعه بسكين إلى نصفين أعطى واحد كل من الأسدين نصفا بالتساوى.

صاح الأسدان: لك منا جزيل الشكر يا ابن الإنسان فنحن هنا منذ ثلاثة أيام فى نزاع وعراك. ولم نستطع تقسيمه بيننا حتى جئت أنت وساعدتنا.

ونزع كل من الأسدين خصلة شعر من لبدته وأعطاها للفتى قائلين له فى وداعه:

ـ احتفظ بها معك فقد تحتاج إلينا فى يوم من الأيام.

واصل الفتى طريقه وظل يسير ويسير حتى وصل الى قرية عند حلول المساء. ثم رأى عجوزا بالطريق فسألها أن تسمح له أن يبيت ليلته عندها. أخذته العجوز إلى بيتها وسألته:

ـ من أين قدمت أيها الفتى؟ وإلى أين مقصدك؟

لم يرغب الفتى فى البداية أن يصارح العجوز بمقصده. لكنها صارت تلح عليه فى الحديث حتى اعترف لها عن نيته فى أخذ ابنة الملك إلى التنين.

تنهدت العجوز فى حزن متأثرة بكلمات الفتى وقالت:

ـ لا تذهب يا بنى ولا تفكر فى القيام بهذا الأمر لأنه يفوق قدراتك. إنك مازلت شابا فلا تلقى بنفسك هباء فى التهلكة. لقد فقدت أبنائى السبعة عند الملك. ذلك لأنهم أرادوا الحصول على ابنته. لكنه وضع شروطا لم يقدروا على تحقيقها فماتوا واحد بعد الآخر وبقيت أنا وحيدة فى هذه الدنيا. لذا من الأفضل لك أن تنسى هذا الأمر يا بنى ولا تفكر ثانية فى ابنة الملك. كما أنه هناك غيرها الكثير من الفتيات الحسناوات. لتختر لك واحدة منهن وأنا أزوجك منها بنفسى، وأتخذك ابنا لى عوضا عن أبنائى الذين فقدتهم.

قال الفتى: أيتها الأم، لقد عاهدت التنين أن أقوم بهذ الأمر، فإما أن أنفذ عهدى هذا، أو يلتهمنى التنين فور انقضاء المهلة.

فى صباح اليوم التالى لم يستمع الفتى إلى توسلات العجوز ولم يلتفت إلى دموعها المنهمرة، وذهب إلى قصر الملك بالمدينة معلنا عن نفسه للحراس. دقت الطبول وفتحت بوابة القصر وخرج الخدم لمرافقة الفتى إلى مجلس الملك.

ـ لو أنك قادم من أجل الحصول على ابنتى فاعلم أن لدى ثلاث شروط ينبغى عليك تنفيذها. وإذا أخفقت فى تنفيذ أحدهم فسوف أقطع رأسك. فمن الأفضل لك ألا تحاول، وعد من حيث أتيت ورأسك فوق قدميك.

قال الفتى للملك: أخبرنى بشروطك يا مولاى.

قال الملك: الشرط الأول: سوف آمر بنثر الحبوب على الأرض من أربعين جوالا، وعليك جمع الحبوب كلها إلى آخر حبة. أما الشرط الثانى: فقد ورثت عن أبى ثورين سمينين، سوف أعطى أوامرى بذبحهما وسلقهما. ولك مهلة حتى الصباح كى تلتهمهم ولا تترك منهم سوى العظم. والشرط الثالث: ورثت عن أبى أيضا زيرا ذو أربعة أطراف بفتحة مكشوفة موجودا عند بوابة القصر وهو فارغ من الداخل. فإذا سرت بالقرب منه ثم عدت ومررت بجانبه أريده أن يكون مملوءا بالذهب. هذه هى الشروط التى ينبغى عليك القيام بها، فإذا نجحت فى ذلك لك ابنتى، واذا أخفقت فسوف تفقد رأسك لا محالة.

رافق أتباع الملك الفتى إلى خارج المدينة، وهناك نثروا على الأرض الحبوب من أربعين جوالا وغادروا المكان تاركينه بمفرده. صار الفتى يفكر طويلا فى الأمر لكنه لم يتوصل إلى شىء فانحنى على الأرض يجمع الحبوب بيديه. ثم جلس يستريح وقد أصابه الحزن واليأس وهو يفكر فى نفسه: هل من الممكن تنفيذ مثل هذه الشروط؟ وفجاة تذكر الفتى حفنة العشب التى أعطاها له ملك النمل. فأخرجها من زناره وفركها ثم أشعل النار فيها. انتشر الدخان فى أرجاء المكان وضرب أنوف أسراب النمل التى تجمعت من كل صوب وحدب حول الفتى.

قال النمل: اطلب منا ما تشاء، فنحن طوع أمرك ورهن إشارتك.

صاح الفتى: أيها النمل أريد منكم العون فى تنفيذ المهمة الصعبة التى ألقيت على كاهلى، وهى جمع الحبوب المتناثرة على الأرض وجمعها فى الأربعين جوالا.

فتح الفتى الأجولة ووضعها متجاورة على الأرض. وأخذت أسراب النمل تعمل بهمة فى جمع الحبوب وحملها داخل الأجولة.

عند حلول المساء انتهى النمل من مهمته وامتلأت الأجولة الأربعون بالحبوب. ثم جاء الخدم يسوقون أربعين جملا حمّلوا عليهم الأربعين جوالا، ومضت القافلة ومعها الفتى متجهين إلى قصر الملك.

فى اليوم التالى أمر الملك بإحضار الثورين السمينين اللذين ورثهما عن أبيه وقال للفتى:

ـ لديك مهلة حتى الصباح كى تأكل لحم هذين الثورين، وبعد ذلك اجمع عظامهما فى هذا الجوال وأحضره الى هنا.

خرج الفتى مع الثورين إلى خارج المدينة، وربطهما إلى شجرة ثم جلس أسفلها يفكر فى الوسيلة التى تمكنه من التهام كل هذه الكمية من اللحم، لكن تفكيره لم يهده إلى طريقة تساعده فى القيام بذلك. اسلق ما تشاء أو ضعها على الشواء يصبح الحال سواء، ولا يستطيع إنسان واحد أى كان أن يلتهم ثورين كاملين فى وجبة واحدة. انهمك الفتى فى التفكير وفجأة تذكر الأسدين. فأخرج من طيات ملابسه الخصلات التى أخذها منهم وقام بإشعال النار فيهما. عندئذ سمع صوت زمجرة مرعبة وفى لمح البصر ظهر أمام الفتى الأسدان.

قال الأسدان: اطلب منا ما تشاء، فنحن على أهبة الاستعداد لتنفيذ كل ما تأمرنا به.

أشار الفتى على الثورين للأسدين. وعلى الفور انقض الأسدان عليهما فى ضراوة، وأعملا فيهما بأنيابهما تمزيقا وتقطيعا. وعند حلول الصباح كان الأسدان قد التهما لحم الثورين ولم يبق منهما سوى العظام الملساء فقط.

جمع الفتى العظام ووضعها داخل الجوال، وذهب مسرعا إلى قصر الملك.

كان الجميع مازالوا نائمين عندما ارتفع صوت الفتى يصرخ قائلا:

ـ إنى أكاد أموت جوعا، ألا يوجد شىء يؤكل بالله عليكم؟

أيقظوا الملك من نومه. فتح الفتى الجوال وألقى ما به من عظام على البساط المفروش.

قال الوزراء ورجال البلاط وهم فى ذهول للملك: ما هذه المعجزة؟ ومن هذا الشاب؟ لابد من أنه جن حقيقى أو أحد العفاريت أو وحش مريع.

أمر الملك أن يحضروا اللبن الرائب والخبز للفتى الذى التهمهم بنهم وشراهة. فشرب فى جرعة واحدة وعاء ضخما من اللبن الرائب، وأكل ثمانية أرغفة من الخبز.

أعلن الملك أن الوقت قد حان لتنفيذ الشرط الثالث والأخير.

كانت الفتاة ابنة الملك آية فى الرقة واللطف. وقد فرحت كثيرا بنجاح الفتى فى تنفيذ الشرطين الأول والثانى.

تسللت الفتاة خلسة إلى الحديقة ووقفت تنتظر ظهور الفتى فى الطريق الذى سوف يمر منه عند حوض الزهور.

مضى الفتى سارحا مطأطأ الرأس لا يفكر إلا فى الشرط الثالث والسبيل إلى تحقيقه. ولم يلحظ فى شروده ابنة الملك وهى تتقدم نحوه. خلعت الفتاة من أصبعها خاتما ذهبيا مطعما بالماس أعطته للفتى وقالت له:

ـ خذ هذا الخاتم أيها الفتى، وعندما تمر بالقرب من الزير الموجود عند البوابة ألق به فى داخله واعبره سريعا دون النظر إليه. وقبل أن تعود وتمر به ثانية سوف يغلى الزير ويفور ويفيض بالنقود الذهبية.

أخذ الفتى الخاتم من الأميرة وشكرها جزيل الشكر. ثم مضى فى طريقه خارجا إلى البوابة حيث رأى الزير هناك. فرمى الخاتم فيه وعبره دون أن ينظر إليه كما حذرته الفتاة. أخذ الزير يغلى ويفور حتى امتلأ بالنقود الذهبية. وعندما عاد الفتى يمر بجانبه مرة أخرى حمله الخدم على أيديهم ودخلوا به إلى قصر الملك.

قال الخدم للملك: مولانا حاكم العالم لقد أصبحت ابنتكم الآن ملكا لهذا الشاب.

جمع الملك شعبه وأمر بإقامة الاحتفالات فى كل الدنيا. وبعد انتهاء احتفالات الزفاف تم عقد القران بين الفتى وابنة الملك وأصبحت الأميرة زوجة له. واقتربت من الانتهاء مهلة الأربعين يوما الممنوحة من التنين ولم يبق إلا يوم واحد. أصاب الفتى الهم والكرب وأخذ يتنهد فى حزن.

سألت ابنة الملك: لماذا تتنهد هكذا فى حزن؟

لم يكن الفتى قد أخبر الأميرة بشىء عن التنين حتى هذه اللحظة. لذلك أجاب قائلا لها:

ـ لقد اشتقت إلى رؤية أبى وأمى.

فى اليوم التالى ومع شقشقة الفجر تأهب الفتى للرحيل والسفر واقترح على الأميرة قائلا:

ـ يمكنك السفر معى أو البقاء هنا والخيار لك كما تشائين.

غير أن ابنة الملك قررت الذهاب معه. وخرج الاثنان معا إلى الطريق. ثم قالت الفتاة:

ـ ما الذى يحزنك هكذا؟

عندئذ اعترف الفتى بكل شىء وأردف قائلا:

ـ لابد لنا من أن نسرع الخطى فلو تأخرنا فى الوصول عن الموعد سوف يقوم التنين بالتهامنا.

حزنت الفتاة حزنا شديدا وقالت:

ـ لماذا لم تخبرنى عن هذا الأمر حتى الآن؟ لقد كان بأيدينا كل الوسائل التى تجعلنا نهزم ذلك التنين، وحتى الآن لم يتأخر الوقت بعد للقيام بذلك. فعد

سريعا إلى القصر وأدلف إلى حجرتى، سوف تجد بها صندوقا بداخله حمامة فافتحه وأقطع رأس هذه الحمامة. وعندئذ سوف تخرج من فمها دودة عليك أن تقتلها فور خروجها، فتكون بهذه الطريقة قد قتلت التنين ذاته. وإلا فإن التنين سوف يلتهمك أيضا بعد أن يلتهمني.

ما إن أنهت الفتاة كلماتها حتى أخذ التنين يشفط الهواء بفمه ويسحب إليه الفتاة التى طارت مبتعدة مع التيار صوب التنين.

انطلق الفتى كالسهم على حصانه حتى وصل إلى قصر الملك. وبحث عن مفتاح حجرة ابنة الملك ودلف إلى داخلها. ثم عثر على الصندوق بالحجرة وفتحه. وعندما همّ بالإمساك بالحمامة إذ بها تطير من الصندوق. أسرع الفتى بإغلاق باب الحجرة وأخذ يطارد الحمامة لمدة طويلة حتى نجح أخيرا فى القبض عليها وقطع رأسها. ثم أخرج الدودة من فمها ودهسها بقدمه.

خرج الفتى من القصر، ووثب على فرسه منطلقا فى طريقه.

فكر الفتى: "يا ترى كيف أحوال زوجتى؟ هل هى حية أو ميتة؟ أيكون التنين قد ابتلعها قبل أن أقتل الدودة؟". ثم أسرع إلى البيت الأبيض ونظر فرأى ابنة الملك راقدة على الأرض فاقدة الوعى والتنين أمامها صريعًا لا يفصله عنها إلا ثلاثة أقدام فقط.

حمل الفتى زوجته الشابة على يديه ووضعها أمامه على الفرس وسار بها. ظل الفتى يسير ويسير والفتاة فى غيبوبتها لا تفيق. بكى الفتى من الحزن فسقطت قطرات الدمع على وجه الفتاة ففتحت عينيها وفرحت لما رأته.

تنفس الفتى الصعداء وقال برضى:

ـ لقد مات التنين وأنقذت حياتنا، والآن تخلصنا للأبد من هذا الوحش المخيف. سوف نذهب الى موطنى ولا حاجة لنا بعد ذلك إلى بيته الأبيض.

مرت الكثير من الأيام وهما فى سفرهم حتى وصلا إلى موطن الفتى. وفى نفس هذا اليوم قامت الاحتفالات بمناسبة زواجهما ثانية ومرح الجميع ورقصوا أربعين يوما وليلة. وعاش الفتى والفتاة حياة رغدة سعيدة بعد أن تحققت كل أمانيهما وأحلامهما.

الأيادى الماهرة



عاش فى إحدى القرى فلاح فقير. ذهب الفلاح بابنه رفيق إلى النجار وقال له كالعادة:

ـــ أعطيك هذا الصبى، لحمه لك وعظامه لنا.

عمل الصبى لسنوات طويلة عند النجار حتى تعلم منه فنون الصنعة وأتقن أسرارها. وفى أحد الأيام نام رفيق وشاهد فى منامه حلما: جاء إليه عدد من الفتيات الحسان وصرن يمرحن ويلعبن معه ثم قلن له:

ـــ هيا انهض، ألا تشبع من النوم أبدا؟

كانت إحدى الفتيات على قدر كبير من الحسن والجمال. وكانت الفتيات الأخريات أقل منها جمالا. فأحاطن بها ليخفينها عنه. غير أن رفيق استطاع أن يبصرها.

ومنذ هذا اليوم لم تبرح صورة الفتاة الحسناء مخيلة رفيق وظل يفكر بها طوال الوقت. وسرعان ما أصاب الهزال الفتى من شدة الشوق والتفكير فى الفتاة.

حزن الأب والنجار لما أصاب رفيق وطلبوا له أشهر الأطباء والحكماء لعلاجه. لكن أحدا منهم لم ينجح أو يقدر على شفائه. وصار الفتى يسير كالشبح من شدة الهزال والشحوب. وبعد طول نقاش وإلحاح حكى الفتى لأبيه عن الحلم الذى شاهده. عندئذ صنع الوالد والنجار حصانا خشبيا وطلبا من رفيق الركوب عليه. ثم شرحا له قائلين:

ـــ إذا أردت الطيران لأعلى عليك أن تجذب أذنه اليمنى، ولو أردت الهبوط لأسفل اجذب الأذن اليسرى.

ومضى رفيق فى طريقه للبحث عن الفتاة. فركب الحصان وطار محلقا حتى وصل فوق الصحارى والفيافى المقفرة، فجذب الأذن اليسرى لحصانه وهبط به بالقرب من إحدى القرى. كانت هناك امرأة عجوز تجلس بجوار عين كبيرة للماء. قام رفيق بتحية العجوز فردت عليه بلطف مرحبة وقالت:

ـــ هنا لا تحط الطيور ولا يرنو إنسان ببصره، فماذا أتى بك إلى هذا المكان يا بنى؟

حكى رفيق للعجوز عن الفتاة الحسناء التى يبحث عنها بعد أن تراءت له فى المنام.

أرادت العجوز أن تساعده فقالت له:

– اليوم ستحضر الفتيات للسباحة فى العين. وسوف تكون فتاتك من بينهن. فقم بمغافلتها وإخفاء ثوبها عندما تنزل معهن إلى الماء. وعندما تكتشف اختفائه سوف تضطر إلى البقاء فى العين.

أخذ الفتى بنصيحة العجوز فاختبأ خلف العين منتظرا ظهور الفتيات. وبعد طلوع الفجر حلقت خمس يمامات وهبطت على ضفة العين. ثم تحولت اليمامات إلى فتيات وركضن إلى العين يسبحن في مائها. نظر رفيق وعرف أنهن نفس الفتيات اللاتى ظهرن له من قبل فى المنام. وكانت من بينهم الفتاة المحبوبة الحسناء. واقترب رفيق متسللا نحو ثوبها لكن الحسناء لمحته بطرف عينيها، فخرجت مسرعة من الماء وصفعته على وجهه. ثم تحولت إلى يمامة وحلقت مبتعدة فى الهواء. بعد ذلك تحولت بقية الفتيات أيضا إلى يمام وطرن خلفها.

عاد رفيق محبطا مهموما إلى العجوز وحكى لها ما جرى معه. وسألها عن مكان إقامة الفتيات. فقالت له العجوز:

– إنهن يعشن فى بلاد الجبال التى تشرق الشمس منها.

ركب رفيق مرة أخرى حصانه الخشبى وانطلق به فى طريق البحث. وسرعان ما صار يحلق فوق الجبال المرتفعة. ونظر من عل فرأى الفتيات يتجولن فى الوادى. كانت الفتيات تفضن جمالا يتلألأ مثل النجوم فى الليل. إلا أن معشوقته كانت أكثرهم روعة وأحلاهم طلعة.

وجذب رفيق الأذن اليسرى لحصانه فهبط به على الأرض. ثم أخفى الفتى حصانه واختبأ فى ركن يراقب الفتيات. مضت الفتيات فى مرح ولهو حتى أدركهن التعب فرقدن على العشب الأخضر وغلب عليهم النعاس.

تسلل رفيق فى هدوء إلى مكان محبوبته النائمة. وخلع من إصبعها خاتما ترتديه، ووضع بدلا منه خاتمه. ثم عاد إلى مكانه السابق.


„УМЕЛЫЕ РУКИ"

وعندما استيقظت الحسناء من نومها نظرت فى يدها وشاهدت خاتما غريبا. فاعترتها الدهشة ولم تخبر أحدا من الفتيات بذلك الأمر. وسارت تدور فى المكان باحثة عن صاحب الخاتم المجهول. وعندما رأت رفيق هتفت تقول:

ـ ماذا تفعل فى هذا المكان أيها الفتى؟ لو عرف أبى بوجودك هنا لأمر بتمزيقك إربا.

اعترف رفيق للفتاة بشجاعة أنه شاهدها فى منامه ووقع فى هواها منذ تلك الحظة. ووقعت الفتاة هى الأخرى فى حب رفيق، فجلست خلفه على الحصان

الخشبى، وطارا معا إلى القرية التى توقف عندها من قبل. وعاش الاثنان مع المرأة العجوز فى بيتها.

وعندما أنجبت الفتاة ولدا قرر رفيق أن يسعد أبيه بهذا الحدث، فجلس على حصانه الخشبى مع زوجته وانطلقا معا فى الليل نحو قريته.

وفى الطريق توقفا بأحد الأماكن لقضاء الليل. وكان المكان خاليا من الماء والحطب. فطار رفيق بمفرده على الحصان للبحث عن الماء والحطب. وابتعد كثيرا حتى شاهد دخانا يتصاعد من أحد البيوت فهبط نحوه. ودخل إلى البيت وطلب بعض الفحم المشتعل. وبعد ذلك وضعه علي الحصان وطار عائدا. لكن الشرر المتقد من الفحم أصاب الحصان الخشبى فأحرقه. ووجد رفيق نفسه وحيدا فى مكان ناء بعيدا عن زوجته.

طال انتظار الحسناء لرفيق وصارت تبكى فى مرارة. حتى مرت بها قافلة فركبت معهم إلى المدينة. وهناك عاشت مع طفلها لدى أناس طيبين. وكبر الابن رسول جان وصار يسأل عن أبيه. فعلقت الزوجة صورة رفيق على البوابة وقالت لابنها:

ـــ اجلس هنا وانظر بعينيك إلى الشارع. فإذا اقترب أحد من الناس نحو الصورة وأمسك بها أسرع بالنداء عليّ.

جلس رسول جان أمام البوبة يراقب الطريق.

وكان رفيق طوال السنين الماضية يبحث عن زوجته وابنه حتى ساقته الأقدار إلى تلك المدينة.

ومضى يسير فى شوارع المدينة حتى رأى صورته فذهب وحملها فى دهشة وصار يتطلع إليها مذهولا. وعندما شاهده رسول جان أسرع إلى أمه يخبرها.

تعرفت الأم فورًا على رفيق بالرغم من تبدل هيئته وطول لحيته وملابسه الرثة.

كاد رفيق يطير من الفرح وعانق زوجته وابنه.

وفى زمن وجيز استطاع رفيق أن يصنع حصانا من الخشب. وركبه مع زوجته وابنه وطار به عائدا إلى قريته.

سعد الأب بعودة ابنه سليما معافيا مع زوجته المحبوبة. فأقام الأفراح والموائد ودعا إليها الجميع. وشكر رفيق معلمه النجار على تلقينه فنون الحرفة وأسرارها. وتحققت كل أحلام الجميع وأمانيهم.

البلبل الصدَّاح



فى أحد الأزمنة القديمة عاش ملك طاغية شرير. ولسنوات طويلة كان الملك يحكم شعبه بالحديد والنار. فلم يترك لأحد لقمة للعيش أو كسرة من الخبز يأكلها. وفرض على شعبه مختلف الضرائب والجبايات.

وهكذا استطاع الملك أن ينهب كميات هائلة من الذهب والفضة والأحجار الثمينة، حتى لم يعد بوسعه أن يجد مكانا يتسع لهم.

فى يوم من الأيام جمع الملك جميع الصناع المهرة فى البلاد وأمرهم قائلا:

ـ اصنعوا لى شجرة عظيمة، جذعها من الياقوت، فروعها من الذهب، وأوراقها من الزمرد، وثمارها من اللآلئ. وأن تكون أوراقها كثيفة متلاصقة حتى لا يمر من خلالها ضوء واحد من ضياء الشمس.

عندما سمع الناس بأوامر الملك صاروا يرددون قائلين:

ـ كى يصنعون مثل هذه الشجرة لابد لهم من أن ينزعوا من علينا آخر ثوب يسترنا.

إلا أن الملك قام بقمع جميع المعارضين له بمنتهى القسوة والشدة. فأمر بقطع الكثير من الرءوس، وألقى بالآخرين فى غياهب الزنازين.

استغرق صنع الشجرة العظيمة سبع سنوات بالتمام والكمال.

وأمر الملك بوضع فراشه أسفل شجرته الثمينة، وأصبح ينـــام مجاورا لها لا يفترق عنها.

فى يوم من الأيام شعر الملك بسخونة فى خده الأيمن. فتح عينيه ورنا ببصره، فرأى بقعة صغيرة فى حجم المليم من السماء الزرقاء تطل بين أوراق الزمرد، وعبر هذه البقعة تسلل شعاع ضئيل من الشمس وسقط على خد الملك.

صرخ الملك قائلا:

ـ لابد من أن هناك لصا أشر قد سرق ورقة من أوراق شجرتى. من يأتنى بهذا الوغد سأجعله يغرق فى بحر من الذهب. وإذا لم تعثروا عليه فإننى سوف أحرق المدينة بأسرها وأنثر رمادها فى مهب الريح.

قام الوزير الجالس على يمين الملك وقدم النصح إليه قائلا:

ـ من الأفضل يا مولاى أن تضعوا فى الليل أربعين حارسا من المحاربين الأشداء كى يقبضوا على اللص.

وافق الملك على اقتراح الوزير.

أحاط بالشجرة، أربعون من الفرسان المدججين بالسلاح. لكن بعد حلول منتصف الليل راح الجميع فى النوم وهم وقوف.

استيقظ الملك فى الصباح ليجد ورقة أخرى قد اختفت من أوراق الشجرة واتسعت بقعة الضوء حتى أصبحت فى حجم خمسة قروش. ثار الملك وهاج إلى درجة أن كل شعرة من شعره وقفت منتصبة كالإبرة المسنونة.

هتف الملك: فليحضر السيافون إلىّ على الفور.

مثل أمام الملك أربعة عشر سيافًا يرتدون الخوذات السوداء. وامتشقوا سيوفهم البتارة من أغمادها وقالوا:

ــ من الذى دنت ساعته وحان أجله كى نزيح رأسه من فوق جسده؟

ــ أعدموا هؤلاء ــ أمر الملك مشيرا إلى الأربعين حارسًا.

لكن الوزير تدخل هنا وقال:

ــ لو أننا قطعنا أربعين رأسا كل يوم، فلن يبقى لنا أحد من المحاربين فى الدولة يا مولاى. ومن الأفضل أن تضعوهم فى السجن ونأتى بجنود غيرهم يحرسون الشجرة.

اقتادوا الحراس إلى مصيرهم الأسود بالسجن.

وهنا ينبغى التنويه أن لملكنا هذا ثلاثة من الأبناء.

قال الابن الأكبر لوالده:

ــ اسمح لى أن أحرس الشجرة فى هذه الليلة. وسوف أنجح فى القبض على اللص.

قبل الملك طلب الابن.

وقف الابن الأكبر يحرس الشجرة. وما إن انتصف الليل حتى غالبه النوم وراح فى سبات عميق. ومع طلوع الفجر شاهد الملك بقعة الضوء وقد اتسعت حتى صارت فى حجم الطاقية.

فورا حكم الملك على ابنه الأكبر بالإعدام.

تدخل الابن الأوسط قائلا: لقد حان دورى الآن لحراسة الشجرة، وإذا لم أقبض على اللص فالموت يكون قدرى مع أخى الأكبر.

وما إن حل منتصف الليل حتى قهر النوم جفونه. وفى الصباح اتسعت البقعة بين الأوراق وصارت فى حجم رغيف الخبز الكبير.

ارتفعت عينا الملك إلى جبهته من فرط الغضب فبدا مثل القط الهائج. وصرخ مناديا:

ــ إلىّ سريعا بالجلادين.

لكن الابن الأصغر رجاه متوسلا وقال:

ــ اسمح لى أن آخذ قوسا وسهما، وسوف أصرع هذا اللص بهما.

وسمح له الملك بالمحاولة.

بعد أن هبط الليل وقف الابن الأصغر بجوار الشجرة. ثم شد قوسه على السهم وصار يدور برأسه إلى اليمين تارة وإلى اليسار تارة أخرى.

وانتصف الليل وأخذ النعاس يغالبه ويداعب جفونه. فأخرج سكينه من جيبه وجرح به أصبعه، ونثر الملح والفلفل فوق الجرح ، فطرد الألم النوم من عينيه وظل مستيقظا.

وقف الأمير الصغير متأهبا يترقب الأحوال. وقبل الفجر مباشرة حلق بلبل عجيب فوق الشجرة وحط عليها. كان منقار الطائر من الياقوت، وقدماه من الذهب،

وجناحاه من اللؤلؤ والمرجان. وأخذ البلبل يغرد تغريدا جميلا تطرب له الأرض والسماء ليس له مثيل.

رغم أن الأمير أشفق على البلبل الجميل من الموت، إلا أنه صوب سهمه ناحيته وارتجفت يداه وهو يطلقه نحوه. فمر السهم بالقرب من جناحه وأوقع ريشة منه.

طار البلبل مبتعدا فى السماء.

استيقظ الملك من نومه. فتقدم منه الأمير الصغير حاملا قوسه فى يد، وبالأخرى يحمل ريشة الطائر وقدمها إلى الملك قائلا:

ــ لقد أصبت بسهمى الطائر الذى سرق أوراق شجرتنا الثمينة، لقد كان بلبلا رائع الصوت يغرد بصوت ليس له مثيل. ولم يصبه سهمى بل أوقع فقط هذه الريشة من جناحه.

أمسك الملك بالريشة فى يده ورأى أنها أثمن من مجموع الضرائب التى يجمعها فى سبع سنوات.

فرح الملك وأمر بإطلاق سراح ولديه والحراس من السجن.

وفى نفس هذا اليوم أعلن الملك للجميع:

ــ من يأتنى بهذا البلبل سوف أضعه بجانبى على العرش ليقاسمنى حكم المملكة، وإذا لم تجلبوه لى فسوف أضرم النار فى جميع أرجاء المدينة حتى أسويها بالأرض.

مثل أمام الملك كل من الابن الأكبر والابن الأوسط. وقدما فروض الطاعة والولاء وسجدا أمامه قائلين:

ــ أتسمح لنا أن نلبى نداء الواجب يا مولانا ؟

سمح الملك لابنيه .

ارتدى الأميران ملابس التجار وغادرا المدينة للبحث عن الطائر.

مرت ثلاثة أيام وفكر الأمير الأصغر فى نفسه قائلا:" لن ينجح إخوتى فى العثور على شىء، وعندئذ سوف يثور والدى ويحرق المدينة بأسرها، لا مفر لى من الذهاب بنفسى".

ذهب الأمير إلى الملك وقال له:

ـــ أيها الوالد المبجل، اسمح لى أنا أيضا أن ألبى نداء الواجب وأخرج للبحث عن البلبل الصدّاح. وإذا وافقت فسوف أرحل. وإذا رفضت فسوف أرحل أيضا.

لم يرغب الملك فى السماح للابن الأصغر بالرحيل. لكنه فى النهاية رضخ لمطلبه بسبب إلحاحه الشديد.

واضطر الملك إلى تجهيز الابن الأصغر بالزاد والزواد وخرج الأمير فى طريقه.

مضى الأمير يقطع الطرقات والدروب بسرعة كبيرة. وبعد مرور أسبوع أدرك شقيقيه.

سار ثلاثتهم طويلا طويلا يقطعون الطرق والوديان حتى وصلوا إلى مفترق ثلاثة طرق. وقبالة كل طريق منهم كان هناك حجر منقوش عليه كتابة. أمام الطريق الأول كان على الحجر كتابة تقول: "من يذهب فى هذا الطريق يعود سالما فى بريق". أما الكتابة على الحجر الثانى تقول: "من يذهب فى هذا الطريق يقابله الخطر المحيق". أما على الحجر الثالث فقد كتب التالى: "إذا ذهبت من هذا الطريق فلن تعود أيها الصديق".

اختار الأخ الأكبر الطريق الأول. والأوسط وقع اختياره على طريق المخاطر. أما الشقيق الأصغر فقد اختار طريق اللاعودة ليمضى به.

ودع الأشقاء بعضهم وافترقوا كل فى طريقه.



سار الأخ الأوسط فى الطريق وهو يفكر: "إن طريق المخاطر هذا غير مأمون العواقب، ولا يدرى المرء أين يكمن الخطر ومتى يظهر. من الأفضل لى أن أذهب مع شقيقى الأكبر فى الطريق المأمون". ثم عاد أدراجه وانضم لأخيه فى الطريق الأول. وسار الاثنان معا.

وصل الشقيقان إلى إحدى المدن الغريبة. فجلسا يستريحان تحت أشعة الشمس، وشربا اللبن الرائب. ثم أخذ كل منهما يمشط للآخر شعره.

في هذا الوقت خرجت ابنة ملك المدينة إلى شرفة قصرها ووقع نظرها على الشقيقين.

"أليس من العيب أن يجلسا أمامي ليمشط كل منهما شعر الآخر؟".. فكرت الفتاة وهي غاضبة وألقت عليهما ببقية من تفاحة كانت تأكلها، فأصابت بها رأس الشقيق الأكبر. التفت الشقيق الأكبر ونظر فرأى الأميرة الحسناء واقفة في شرفتها.

"لابد من أن الأميرة قد وقعت في غرامي" .. فكر الأخ الأكبر وظل جالسا مع شقيقه الأوسط بالقرب من القصر.

وفي المساء هبطت خادمة من القصر اقتربت من الشقيقين وسألتهما قائلة:

ـــ لماذ تجلسان هنا ولا تغادران إلى حال سبيلكما؟

قال الشقيق الأكبر: إن الأميرة قد وقعت في غرامي، حتى إنها ألقت عليَّ بقطعة من التفاحة، ثم ابتسمت لي في سحر وأطلقت ضحكة فاتنة، فكيف لي أن أرحل بعد ذلك؟.

صرخت الخادمة في هلع وخوف: هيا اغربا من هنا بسرعة، حتى لا يثور غضب الأميرة وتأمر بجز رأسيكما.

خاف الشقيقان مما سمعاه وارتعدت فرائصهما من الهلع فغادرا المكان على الفور.

أصبح الشقيقان يقيمان بالمدينة. ومرت الأيام يومًا بعد يوم حتى نفذ منهما الزاد والمال الذي أعطاه لهما الوالد للطريق. وصارا الاثنان معدمين حتى إنهما اضطرا للنوم على أعتاب أحد الدكاكين.

عمل الشقيق الأكبر خادما في مخبز حقير يقدم الخبز والفطائر. أما الأوسط فعمل وقَّادا يشعل الحطب أسفل القدور في مطبخ، بأحد المطاعم المتواضعة.

والآن فلنستمع إلى ما جرى مع الشقيق الأصغر.

مر عليه صباح بعد صباح، ومساء يتبعه مساء. وأخذ يعبر الأنهار من واحد إلى آخر، وبحيرة بعد الآخرى، ويخترق الجبل بعد الجبل، ويسبر الدروب والممرات. والتهم الأمير فى أثناء ذلك مخزونه من الزاد حتى لم يبق معه سوى شطيرة صغيرة يابسة.

وأخيرا وصل الشقيق الأصغر إلى عين ماء نمت على شاطئها شجرة عملاقة كثيفة الأفرع.

ربط الشقيق الأصغر فرسه بالشجرة، وأخرج الشطيرة الأخيرة من جرابه. ثم غمسها فى ماء العين وكسرها إلى بضعة قطع صغيرة. وما إن همّ بأكلها حتى لمح على البعد سحابة من الغبار ترتفع فى الهواء. ونظر فرأى قردا هائل الحجم ينطلق كالسهم صوبه.

قفز الشاب من الخوف مسرعا يتسلق الشجرة. وصل القرد فالتهم الشطيرة ومسح فمه ونادى على الأمير بصوت آدمى قائلا:

ــ انزل من فوق الشجرة.

"لابد من أن الشطيرة لم تشبعه ويريد أن يلتهمنى بعدها".. فكر الأمير فى نفسه وصعد متسلقا إلى أعلى الشجرة.

قفز القرد على الغصن السفلى للشجرة ونادى ثانية:

ــ هيا انزل من مكانك أيها الآدمى. فلو رآنا الطير على هذا الحال لحرق جناحيه من السخرية، ولو رآنا إنسان لأشعل النار فى قدميه. هيا احكِ لى ما الذى أتى بك إلى هذا المكان؟

هبط الأمير من فوق الشجرة وصار يقص على القرد حكايته من بدايتها الى النهاية.

ــ وإذا لم أنجح فى العثور على البلبل الصدّاح فسوف يحرق والدى المدينة بأسرها ويسويها بالأرض .. بهذه العبارة أنهى الأمير حكايته فى حزن شديد.

قال القرد: يقول المثل "لو أطعمك أحد مرة واحدة، عليك أن تسجد له أربعين مرة". لقد كان من الأفضل لى ألا ألتهم شطيرتك. أما الآن وبعد أن أكلتها فلابد لى من أن أرد لك الصنيع. هيا امتطى حصانك فسوف يبتسم لك الحظ وتحصل على البلبل وتنقذ مدينتك من الخراب.

جلس الاثنان على ظهر الحصان وانطلقا فى طريقهما حتى وصلا إلى سياج عال يحيط بحديقة واسعة.

قال القرد: سوف أبدأ فى حفر نفق تحت الأرض يفضى إلى داخل الحديقة فانتظرنى هنا، وإن مرت خمسة أيام ولم أعد إليك فارحل على الفور وعد من حيث جئت.

وشرع القرد على الفور فى الحفر.

فى اليوم السادس عاد القرد وهتف قائلا:

ـ لقد حفرت سردابا يفضى بك تمامًا إلى أسفل القفص الذى به البلبل الصدّاح، والقفص عليه سبعة أغطية. يمكنك الآن أن تزحف إلى آخر السرداب، ثم انتظر حتى يغفو الحراس واحمل بعدها قفص الطائر إلى هنا. وإياك أن تنزع الأغطية من على القفص بأى حال من الأحوال.

زحف الأمير عبر السرداب إلى نهايته وظل ينتظر كما أشار عليه القرد.

كان هناك عشرة من الحراس المناوبين الذين سرعان ما راحوا جميعا فى سبات عميق وهم فى أماكنهم. مر الأمير بالقرب من الحراس وحمل قفص الطائر وقفل عائدا. أراد الأمير أن ينظر داخل القفص ليتأكد من أنه الطائر المطلوب وما إن رفع أول غطاء من السبعة حتى صار البلبل يشدو بصوت رنان صعق له الأمير من المفاجأة حتى أوقع القفص من يده.

استيقظ الحراس فقبضوا على الأمير وقادوه إلى الملك.

نادى الملك على السياف وأمره قائلا:

ـــ فلتقطعوا يديه حتى يصبح هذا اللص عبرة.

وهنا تدخل الوزير وقال للملك:

ـــ لنصبر على عقاب الشاب يا مولاى حتى نسمع حكايته ونعرف سبب سرقته للطائر.

ـــ فلنسمع حكايته أولا .. وافق الملك، وقص الأمير حكايته من البداية الى النهاية.

حينئذ قال الوزير للملك:

ـــ لو أننا أنزلنا العقاب بهذا الفتى الشجاع للحق العار بنا. من الأفضل أن تبعثوه للقيام بمهمة من المهام الصعبة.

استحسن الملك نصيحة الوزير وقال للفتى:

ـــ ارحل من هنا متجها صوب غروب الشمس، وسوف تظل فى الطريق على حصانك تسعة شهور حتى تصل إلى مدينة تلوح أمامك. على هذه المدينة ملك له ابنة تنام فى صندوق من الذهب. إذا نجحت فى إحضار الفتاة إلى هنا، فسوف أمنحك البلبل الصدّاح مكافأة لك.

عاد الأمير إلى القرد وقص عليه ما جرى معه.

امتطى الاثنان مرة أخرى صهوة الحصان، وانطلقا فى طريق الرحلة البعيدة.

امتدت رحلتهما لتسعة أشهر حتى وصلا أخيرا إلى مشارف مدينة كبيرة. نزلا فى أحد الحقول وبدا القرد من جديد فى حفر سرداب تحت الأرض. وبعد مرور تسعة أيام وتسع ليال انتهى القرد من الحفر وعاد إلى الأمير.

قال القرد: لقد حفرت سردابا تحت الأرض يصل بك إلى قصر ابنة الملك، وعليك عندما تصل إلى هناك أن تصعد سلما من أربعين درجة، ثم تعبر أربعين

حجرة، وسوف تجد شرفة فيها أميرة حسناء كالبدر تجلس فوق صندوق من الذهب، يحيط بها أربعون حارسا. وعندما ترغب الأميرة فى النوم فإنها تزيح غطاء الصندوق وترقد بداخله. فعليك فى الأول أن ترفع الغطاء وتنظر داخل الصندوق إلى عينى الأميرة إن كانتا مفتوحتين أو مغمضتين. فلو أنها نائمة وعيناها مفتوحتان يمكنك أن تحملها وتخرج بها. أما لو كانت عيناها مغمضتين فلا تقترب منها إطلاقا.

زحف الأمير عبر السرداب تحت الأرض حتى وصل إلى القصر. وصعد أربعين درجة من السلم. ثم عبر أربعين حجرة ووصل إلى الشرفة. ونظر فرأى الأميرة الحسناء جالسة يحيط بها أربعون حارسا. وكان النظر إلى الأميرة يفقد المرء صوابه من فرط حسنها الوضّاء. وها هى رقدت لتنام داخل صندوقها الذهبى، وغفا الحراس من حولها. رفع الأمير غطاء الصندوق ونظر بداخله فرأى الأميرة وعيناها مغلقتين. حينئذ كان عليه الرحيل على الفور. إلا أنه كان مسلوب العقل والإرادة.

نسى الأمير تعليمات القرد ومال فوق الأميرة كى يقبلها. فغام وجهها من أنفاس الأمير الساخنة وفتحت عينيها.

هتفت الأميرة صارخة: ماذا تريد أيها الإنسان؟

استيقظ الحراس على صوت الأميرة، فانقضوا على الأمير وأوثقوه، ثم اقتادوه إلى الملك.

ثار الملك وغضب وأمر بإعدام الفتى على الفور.

لكن الوزير تدخل وأشار على الملك قائلا:

ـــ تريث يا مولاى، فلو أننا أعدمنا هذا الفتى سوف يعلم بأمره الصغير قبل الكبير، وتلوك ألسنة العامة فى البلاد هذه الفضيحة. ومن الأفضل أن نرسله فى مهمة صعبة.

أخذ الملك بنصيحة وزيره وقال:

ـ سمعت أن بحر قلزم يقع على مبعدة تسعة أشهر من الترحال. وفى هذا البحر توجد جزيرة الألماس. على هذه الجزيرة يعيش ساحر يدعى أرزاق لديه فرس يسمونها كارا كالديرجوتش. هذه الفرس تستطيع أن تقطع فى لمح البصر رحلة تستغرق شهرا. فإذا استطعت أن تأتينى بها تصبح الأميرة ملكا لك.

عاد الأمير إلى القرد وجلس يبكى بمرارة حظه العاثر. أخذ القرد يواسيه وقال:

ـ لا تحزن أيها الأمير، ولو حالفنا الحظ فسوف أحصل لك على الفرس كارا كالديرجوتش.

مرة أخرى انطلق الاثنان على الطريق. فعبرا الجبال والوديان والصحارى حتى وصلا إلى البحر.

رأى الأمير البحر يمتد أمامه فى الأفق بلا نهاية فحزن واغتم. وقال للقرد:

ـ سوف نهلك إذا حاولنا اجتياز هذا البحر.

هدأ القرد من روع الأمير قائلا:

ـ كن مقداما فيما تفعله ولا تخشى شيئا.

وشرع القرد فى حفر نفق تحت البحر. وبعد أن مر أربعون يوما وأربعون ليلة عاد القرد.

ـ لقد حفرت نفقا يفضى بك إلى حافرى الفرس الأماميين. وعليك أن تخرج رأسك بحذر من الحفرة. عندئذ سوف تصهل الفرس كارا كالديرجوتش، فيستيقظ الساحر أرزاق على صوتها وينهض من فراشه خارجا ويضرب الفرس ثم يعود لينام ثانية. وحينئذ تخرج برأسك مرة أخرى وسوف تصهل الفرس ويأتى أرزاق فيضربها ويعود إلى فراشه. وفى المرة الثالثة تخرج من مكمنك متسللا بحذر، حاملا هذا القسطل المملوء بالزبيب، وتضعه حول رأس الفرس حتى

لا تعطيها فرصة للصهيل مرة أخرى. وتحدث معها قائلا: "أيتها الفرس الطيبة كارا كالديرجوتش، إلى متى تظلين فى خدمة هذا المالك الشرير الذى يسومك العذاب؟ ". وبعد ذلك خذ الفرس وأنت مطمئن. ولا تشغل بالك بوضع السرج أو اللجام عليها، بل عد بها سريعا بعد ذلك.

ظل الأمير يكرر تعليمات القرد حتى حفظها عن ظهر قلب. ثم سار عبر النفق تحت البحر حتى وصل إلى موقع الفرس. أطل الأمير برأسه فرأى كارا كالديرجوتش وقد انتصبت أذناها ورفعت ذيله وصارت ترقص فى مكانه.

وما إن شعرت الفرس بوجود الغريب حتى صارت تصهل بصوت عال. وسرعان ما أتى الساحر مهرولا. كان طويل القامة كالمنارة، عريض الكتفين كفرعى شجرة ضخمة، له فم مثل المغارة، وعينان مثل جوالين مهترئين، ومنخاره كموقد للخبز، وجسمه مثل جسم الفيل. وكان الساحر يطلق اللهب من فمه.

صرخ الساحر فى الفرس: أنت أيتها الحثالة لو حلق طائر هنا لاحترق جناحاه، وإن ظهر إنسان هنا لاشتعلت قدماه. فهل تشمين رائحة آدمى هنا؟

ضرب الساحر الفرس عقابا لها وخرج لينام.

أطل الأمير برأسه من سردابه مرة ثانية. وصهلت الفرس من جديد. فأتــى الساحر يمسك بعصى فى يده وصرخ فى الفرس يسبها قائلا:

ـــ ليتك تهلكين فى مكانك. هل تشمّين رائحة آدمى؟ لو أنه كان تحت الأرض أو حتى فى أعالى السماء فلن يفلت منى. ولو أمسكت بإنسان فسوف أبتلعه فى فمى هذا.

أشبع الساحر الفرس ضربا ورحل لينام. فخرج الأمير من مخبئه تحت الأرض. وقفز برشاقة نحو الفرس ثم وضع القسطل المملوء بالزبيب حول رأسها وقال لها:

ـ أيتها الفرس الطيبة كارا كالديرجوتش، إلى متى تظلين فى خدمة هذا المالك الشرير الذى يسومك العذاب؟

مسد الأمير بيده على رأس الفرس وقفز على ظهرها. ثم نغزها فى جنبها وأغمض عينيه. هزت كارا كالديرجوتش عرفها، وخرج من جنبيها جناحان هائلان ومضت تحلق بهما فى السماء كالصقر. ومن حوافر الفرس خرجت صاعقة ضربت جبهة الساحر فأيقظته.

ـ توقفى توقفى .. صرخ الساحر مناديا، وأطلق مخالبه وانطلق يطارد الفرس.

طارت كارا كالديرجوتش فوق مياه البحر. وأصبح الساحر خلفها تماما حتى إنه أمسك بذيلها. وهنا رفسته كارا كالديرجوتش بقائميها الخلفيتين رفسة قوية أصابته فى وجهه، فتمزق فمه كالخرقة البالية وسقط فى البحر ليغرق فيه.

قطعت الفرس رحلة التسعة أشهر فى تسعة أيام. بعدها وصل الأمير إلى المدينة ورأى القرد جالسا يطقطق بفمه حبات الفول السودانى.

سأل القرد: والآن ما الذى سنفعله؟

أجاب الأمير: نعطى الملك كارا كالديرجوتش ونأخذ الفتاة.

ـ هل من المعقول أن يتنازل المرء عن مثل هذه الفرس؟ اسمعنى جيدا. سوف أتخفى فى هيئة فرس. وعليك أن تقدمنا نحن الفرسين الاثنين إلى الملك ليختار منا. وسوف يقع اختياره على. ثم تمتطى مع الفتاة صهوة كارا كالديرجوتش وتذهب للحصول على الطائر.

تنكر القرد فى هيئة فرس رائعة الجمال حتى إن كارا كالديرجوتش بدت أقبح من الحمار مقارنة به.

ساق الأمير الحصانين إلى القصر. ونظر الملك من النافذة فرأى فرسين رائعين لونهما أسود فاحم، وجلدهما أملس مثل عصفور الجنة.

أمر الملك وزيره: أحضر هذا الشاب إلى هنا فإننى معجب بفرسيه وأريد شراءهما لو قبل ببيعهما.

نادى الوزير على الأمير.

سأل الملك: كم تريد ثمنا لهاتين الفرسين؟

ــ أنا لا أبيعهما بمال، بل أقايض فرسا منهما بابنتكم الأميرة.

ــ ما هذا الذى تقوله أيها الأحمق؟ هل يعقل أن أبادل ابنتى بحصان؟

حينئذ ذكّر الأمير الملك بوعده له أن يبادله ابنته بالفرس كارا كالديرجوتش.

عندئذ قال الملك لوزيره: دبرنى أيها الوزير وقل لى ماذا أفعل؟

قال الوزير: إن الرجل الحق لا ينقض عهده، والنمر لا يعود أدراجه من حيث أتى، ولا مفر من تنفيذ ما قطعته من وعد.

صرح الملك قائلا: سوف أمنحك ذهبا مقابل إحدى الفرسين، وأقايضك بالأخرى نظير ابنتى الأميرة، وبذلك أحصل على الفرسين معا.

لكن الفتى أجاب قائلا للملك:

ــ أقايض إحدى الفرسين بابنتكم، أما الأخرى فسوف تصبح مطية لها للتريض والصيد.

حينئذ سأل الملك وزيره:

ــ أى الفرسين أفضل أيها الوزير؟ هيا اختر لى.

أبدى الوزير إعجابه بكارا كالديرجوتش.

ــ يا عديم الذوق، ها هى ذا الفرس الجيدة .. أشار الملك إلى القرد الفرس واختارها.

بعد ذلك أمر الملك بمنح ابنته مع صندوقها الذهبى الذى تنام فيه إلى الأمير.

وطلب الملك أن يذهبوا بالقرد الفرس إلى الإسطبل ويربطوها هناك. لكن الفرس رفعت ذيلها وانتصبت أذناها، ثم قطعت اللجام بأسنانها وأخذت تعض كل من وقف أمامها، وترفس من جاءوا خلفها. ولم تتركهم يربطوها بأى حال من الأحوال. وضع الملك على باب الإسطبل مزلاجا ضخما، كما وزع أربعين حارسا على سقف الإسطبل، ثم نام بنفسه عند الباب مباشرة. وعندما هبط الليل عاد القرد إلى هيئته الحقيقية. ثم استطاع أن يتسلل عبر ثقب بالحائط إلى خارج الإسطبل وفر هاربا.

فى صباح اليوم التالى نظر الملك إلى داخل الإسطبل عبر كوة فى الباب فلم يلمح أثرا للفرس. حزن الملك حزنا شديدا فنادى على وزيره وحكى له ما جرى.

مضى الوزير يواسى الملك ليخفف حزنه.

ـ إن كارا كالديرجوتش كانت فرسا للساحر أرزاق. ويسيطر الساحر على العديد من الأرواح الطيبة والأخرى الشريرة. وكم من الملوك حاولوا الحصول على كارا كالديرجوتش وفقدوا رءوسهم فى سبيل ذلك. ولابد من أن الساحر أرزاق استطاع أن يعيد الفرس إليه مرة أخرى. ومن حسن الطالع أنه لم يمسنا بأذى. فاطرح الحزن جانبا يا مولاى. كما أنك أيضا زوجت ابنتك من الأمير الذى مازال يملك إحدى الفرسين.

والآن فلنستمع إلى ما جرى مع الأمير.

حينما وصل الأمير إلى الحديقة التى بها قفص البلبل الصدّاح كان القرد جالسا عند سورها يطقطق بفمه حبات الفول السودانى.

سأل القرد: والآن ماذا سوف نفعل؟

أجاب الأمير على سؤال القرد: نبادل الفتاة بالبلبل الصدّاح.

ـــ أيها الغز الأحمق، هل يعقل أن تبادل هذه الفتاة الحسناء بالطائر؟ من الأفضل أن أتحول إلى فتاة رائعة الجمال حتى تبدو الأميرة مقارنة بى مثل عجوز فى التسعين. ثم تذهب بنا معا إلى الملك، وسوف يقع اختياره علىّ.

ـــ أليس من الأفضل حينئذ أن أترك الفتاة هنا وأذهب معك بمفردك؟

ـــ كلا، وذلك كى يختار الملك بنفسه ويتحمل نتيجة اختياره.

تحول القرد إلى فتاة آية فى الحسن. فوضع الأمير كلا من الفتاتين فى صندوق وخرج بهما إلى المدينة متجها صوب قصر الملك.

وصل الأمير وقدم فروض الولاء وطلب العطف من الملك. نظر الملك إليه من نافذته وأمر الخازن قائلا له:

ـــ امنح هذا الغريب شيئا من المال هبة منى.

تدخل الوزير وهتف يقول:

ـــ إن هذا الفتى الواقف عند باب القصر ليس بشحاذ يا مولاى، بل إنه الفتى ابن الملك الذى أرسلته إلى البلاد البعيدة ليحضر لك الأميرة الحسناء.

نادى الملك على الفتى وسأله:

ـــ هل نجحت فى مهمتك أيها الفتى الهمام؟

رد الأمير: نجحت يا مولاى.

سأل الملك: وأين هى الفتاة إذن؟

ـــ لقد طلبت منى أن أحضر لك فتاة واحدة، لكننى أحضرت فتاتين. فاختر منهما من تروق لك، أما الأخرى فسوف أحتفظ بها لنفسى.

فتح الأمير الصندوقين. عطست الفتاتان فى وقت واحد وخرجتا تتمخطران. صعق الملك وطار لبه من حسنهما. وما إن وقع بصره عليهما حتى شعر بوخز كوخز الإبر فى صدره، واخترق سهم الحب قلبه فوقع فى الهوى وذهب عقله.

سأل الملك وزيره: أيهما آخذ ؟

أشار الوزير إلى الأميرة. لكن الملك وقع فى غرام الفتاة القرد. فأخذها وأعطى الأمير البلبل الصدّاح.

خرج الأمير من المدينة وامتطى صهوة كارا كالديرجوتش. ثم وضع على إحدى قدميه الصندوق الذهبى الذى تجلس بداخله الأميرة، وحمل على قدمه الثانية قفص البلبل الصداح، وانطلق فى طريق العودة.

أما الملك فقد أعلن بين الناس عن زفافه الميمون، وقرر إقامة الأفراح والليالى الملاح فى البلاد احتفالا بهذا الزفاف. وفى أثناء مأدبة العرس قام القرد متسللا عبر فتحة بالسور إلى خارج القصر ثم اختفى دون أن يترك أثرا.

والآن حان الميعاد لتسمعوا ما جرى للأمير.

ما إن حط الأمير رحاله عند الشجرة الكبيرة حتى رأى القرد جالسا بجوارها يطقطق بفمه حبات الفول السودانى.

سأل القرد: والآن ما الذى ستفعله؟

أجاب الأمير: سوف أعود إلى دارى.

ـ قبل ذلك أدعوك إلى بيتى لتحل علىَّ ضيفا لثلاثة أو أربعة أيام ثم ترحل إلى دارك.

ـ لكن بيتك حفرة أو جب بأحد الجبال ولن يتسع لى.

ضحك القرد مقهقها وقال:

ـ إنك حتى الآن لا تعرف من أنا، فلنذهب كى ترى بنفسك.

سار الأمير خلف القرد يتبعه. فعبرا أحد الجبال حتى وصلا إلى بوابة مزدانة بالأحجار الكريمة والحلقات الذهبية. دلفا عبر البوابة وظهر أمامهما بستان رائع الجمال تتفتح الأزهار فيه بكل الأركان، وتغرد البلابل فى شدو رخيم. كما تمتد صفوف من أشجار المشمش والتين الخمرى، واكتست الحديقة بثمارهم الناضجة. وعند أركان الحديقة الأربعة قامت أربعة بيوت من الذهب. وكل بيت منهم يضم بين جنباته أربعين حجرة. وفى كل حجرة كانت تتعلم وتدرس صغار الجنيات حيث جلسوا يقرأون ويكتبون.

تحول القرد إلى جنية رائعة الحسن لم تلد مثلها امرأة من قبل.

حل الأمير ضيفا فى البستان الرائع لثلاثة أيام.

وعندما تأهب الأمير للرحيل قصت الجنية خصلة من شعرها وأعطتها له قائلة:

ـ إذا ألمت بك محنة أحرق طرف هذه الخصلة وسوف تجدنى أمامك على الفور.

سأل الأمير: ما السبب الذى جعلك تقدمين لى كل هذا العون وتساعديننى طوال تلك الأوقات؟.

ـ قبل أن ألتقى بك بزمن طويل، كنت قد قرأت الطالع وعرفت أن بلاد شروق الشمس يحكمها ملك طاغية ينتزع آخر كسرات الخبز من أفواه شعبه ليبنى شجرة من الأحجار الكريمة. وأنه لا يتورع عن تدمير المدينة بسبب هذه الشجرة. وأن لديه ثلاثة من الأبناء. أصغرهم سوف يقول: "يا له من أمر سيئ وكريه أن يدمر والدى المدينة ويشرد ناسها بسبب هذه الشجرة. سوف أعثر على الطائر الذى يسرق أوراقها وأحضره". حينئذ فكرت قائلة لنفسى: "إذا كان هـذا الفتى لا يمانع من التضحية بنفسه كى ينقذ شعبه المسكين، فكيف يرتاح لى بال وأهنأ بعرشى بين الجنيات". ومرت على سبع سنوات وأنا أبحث عنك حتى عثرت عليك.

شكر الأمير الجنية وودعها، ثم انطلق مع ابنة الملك فى طريقه.

ظل يسير طويلا ويقطع الدروب والطرقات حتى وصل إلى المكان الذى افترق فيه عن شقيقيه. وهنا شد الأمير لجام كارا كالديرجوتش وتوقف مفكرا: "يا ترى أين ذهب شقيقاى؟ لابد أن أعرف ماذا جرى معهم".

ترك الأمير الفتاة مع قفص الطائر فى كهف أمين، ومضى فى الطريق الذى اختاره من قبل الشقيق الأكبر.

وصل الأمير إلى المدينة وشاهد شقيقه الأكبر يعمل خادما فى مخبز حقير.

نادى الأمير: أيها المالك، أريدك أن ترسل بعض الفطائر مع خادمك إلى المضيفة الواقعة على الناحية الأخرى من الحانة التى أقيم بها.

رص المالك الفطائر على صحفة أعطاها للشقيق الأكبر وصفعه صفعة قوية قائلا:

ـ كن حذرا وأنت تحملها.

حمل الشقيق الأكبر الصحفة إلى فناء المضيفة.

قال الأخ الأصغر: اجلس وكل من هذا الطعام.

ـ هذا ممنوع، ولو رآنى المالك فسوف يسبنى وقد يطردنى من العمل.

ـ لن يسبك أحد، هيا اجلس وتناول الطعام هيا.

بعد أن أكل الشقيق الأكبر وشبع سأله الأصغر قائلا:

ـ من أى بلد جئت؟ وما مهنتك الأصلية؟

ـ اعمل خادما بالمخبز، وقد ولدت ونشأت فى هذا المكان.

ـ لا تخفى أمرك عنى فإنى أعرفك جيدا، ولو قلت الحقيقة سوف أصطحبك إلى بلدك.

أخذ الأخ الأكبر فى البكاء وحكى كل ما جرى معه من البداية حتى النهاية.

سأل الأمير: وهل يمكنك أن تتعرف على شقيقك الأصغر لو شاهدته أمامك؟.

ـ نعم يمكننى.

ـ كيف يمكنك؟

ـ فى أحد الأيام عندما كنا صغارًا، تأهبت للذهاب إلى النهر كى أسقى حصاني. فتعلق بى أخى الأصغر وهتف يقول: "أنا أيضا أريد الذهاب". وفجأة رفسه الحصان فى كتفه الأيسر رفسة تركت أثرا لم يزل حتى الآن.

ـ ولماذا لم تصطحب معك شقيقك كى يلهو معك؟

ـ لم أصطحبه لأننى لم أكن أحبه.

ـ هل تشبه العلامة الموجودة على كتف شقيقك هذه العلامة الموجودة على كتفى؟

عرى الأمير قميصه حتى الكتف الأيسر أمام شقيقه.

ارتمى الأخ الأكبر عند أقدامه وظل يبكى بمرارة وحرقة.

رفعه الأمير من على الأرض وكفكف دموعه. ثم ذهب معه إلى السوق فاشترى له ملابس جديدة وحصانًا أشهب. ارتدى الأخ الأكبر الملابس وامتطى الحصان وانطلق مع شقيقه الامير يبحثان عن الشقيق الأوسط. كان الأوسط يعمل وقادا فى أحد المطاعم، ولم تكن حاله أفضل من حال الشقيق الأكبر.

بعد العثور على الأخ الأوسط، ألبسه الأمير هو الآخر ملابس جديدة واشترى له فرسا وانطلق ثلاثتهم عائدين إلى بلادهم.

لما رأى الشقيقان الهدايا الثمينة التى حملها معه الأمير لوالده تملكهما الحسد ونهشت الغيرة قلبيهما، فنسيا كل أفعاله الطيبة معهما. وفى المساء تآمر الاثنان واتفقا على التخلص من أخيهما الأصغر.

لكن الفتاة الراقدة فى صندوقها سمعت الحديث الذى دار بينهما.

وعندما حطوا الرحال عند النهر وتوقفوا على شاطئه، نادت الفتاة على الأمير واختلت به وهمست له قائلة:

ــ لقد تآمر عليك شقيقاك ودبرا أمرا شريرا: إنهما يريدان قتلك فاختبئ منهما.

هبط الليل، فرقد الأمير على بساط للنوم. وبعد وقت قصير قام فملأ البساط بالرمال، ثم غطاه بردائه واختبأ فى ركن منتظرا.

وقبل طلوع الفجر بوقت قليل، اقترب الشقيقان بحذر من البساط فحملاه من أطرافه الأربعة ورموه فى مياه النهر.

قال الشقيقان: والآن يمكننا أن نأخذ لأنفسنا الفرس والطائر والفتاة.

وفجأة سمعا صوت طرطشة الماء. فنظرا نحو مصدر الصوت وإذا بالأمير يستحم فى المياه بمرح وسرور.

اغتاظ الشقيقان الشريران وتكدرا لفشل خطتهما. فركبا فرسيهما وسارا حتى وصلا إلى تلة رملية، ثم دفنا بها سيفًا له نصل حاد. ورقد كل منهما بجسمه فى الرمال حتى الخصر.

وصل الأخ الأصغر واستفسر قائلا:

ــ لماذا تغطيان جسديكما بالرمال؟

أجاب الشقيق الأكبر: لأن فيها شفاء للعمود الفقرى وللأقدام، هيا نغطيك بالرمال أنت الآخر كى تظل قدميك بصحة جيدة.

ترجل الأمير من على فرسه، ودفن شقيقاه قدميه فى الرمال حتى صارت تلسعه من سخونتها.

قال الأمير: أخ أيها الأشقاء، إن الرمال ساخنة جدا.

ـ إذن حرك قدميك حتى تبردان.

صار الأخ الأصغر يحرك قدميه حتى اصطدما بالسيف الذى بترهما إلى الركبتين.

ثم فقأ الشقيقان عينى الأمير، وأخذا الفتاة والطائر والفرس وغادرا المكان منطلقين.

وصل الشقيقان إلى والدهما وأعطياه كل ما أحضراه معهما.

اغتبط الملك كثيرا. وأمر أن تكون الفتاة عروسا لابنه الأكبر. فضمها إلى الحريم، ووضع عليها أربعين حارسا. واقتاد كارا كالديرجوتش إلى الإسطبل. أما البلبل الصدّاح فقد علق قفصه على أحد أغصان الشجرة الثمينة.

لكن البلبل الصدّاح دفن رأسه أسفل جناحه وامتنع عن الغناء. ولم يكن الحال مع كارا كالديرجوتش بأفضل، فقد عض كل من يمر أمامه ورفس كل من يمر خلفه، ولم يدع أحدا يقترب منه. أما الفتاة التى حرسها أربعون رجلا فقد ظلت راقدة فى صندوقها لا تتحرك ولا تخرج منه.

والآن فلنستمع إلى ما جرى مع الأمير.

ثلاثة أيام وثلاث ليال مرت على الأمير حتى عاد إلى ثوابة. وتذكر حينئذ خصلة الشعر التى منحتها له الجنية فقام بحرقها. وفى لمح البصر ظهرت أمامه الجنية وهى جالسة على محفل من الذهب يحيط بها الخدم والحاشية.

هتفت الجنية: من الذى الحق بك كل هذا الأذى يا سليل البشر؟

وضعت الجنية الأمير فوق محفلها وأمرت خدمها أن يذهبوا به إلى جبال كوخى كوف فى آخر العالم حيث يعيش والدها.

أمرت الجنية أتباعها أن يبلغوا رسالتها إلى أبيها:

"أرجوك منكم أن تغطسوا سليل البشر فى مياه بحر الحياة وتعالجوه بوسائلنا السحرية. وعندما يشفى الأمير بعد أربعين يوما أعيدوه إلى هنا. فإنه عزيز علىَّ مثل أخى"..

حمل أتباع الجنيات الأمير وذهبوا به إلى جبال كوخى كوف فى آخر العالم حيث يعيش والد مليكتهم.

بعد مرور أربعين يوما شفى الأمير من جراحه تماما، حتى أصبح أجمل حالا من السابق.

قالت الجنية: لن أسمح لك بالعودة لوالدك وأنت فى هذه الهيئة بل سوف أجَعلك تبدو مثل عابر سبيل متسول وبعدها أحملك إلى هناك. وإذا كان والدك قد زوج الفتاة لشقيقك الأكبر وجعل منه ملكا بدلا منه، فلن ندخل إلى المدينة بل نعود أدراجنا. ولو كان والدك يحكم البلاد كما فى الماضى فسوف أدبر لك أمر زفافك على الفتاة الحسناء.

ظل الأمير مع الجنية وهى لا تسمح له بالخروج حتى مرت ثلاثة شهور. طال شعر الأمير فى هذه الفترة حتى غطى جبهته، واستطالت أظافره. ثم أجلسته الجنية بجانبها على محفلها وطارت معه الى مدينته.

تركت الجنية المحفل على أطراف المدينة، وأخذت الأمير من يده وذهبت به إلى قصر الملك.

فى هذا الوقت كان الملك يتحدث مع وزيره.

شكا الملك قائلا: كم من الشهور قد مرت علىَّ وأنا غارق فى مستنقع الأحزان. فالبلبل لم يشدو بعد ولا مرة واحدة، والفرس لم تصهل أبدا، والفتاة لم تأكل من الطعام شيئا.

وفجاة لمح الملك فى الفناء الشاب الغريب فصاح مناديا:

ـ أنت أيها الغريب، تعالى هنا.

نظر الأمير نحو العرش فرأى شقيقيه يجلسان على جانبيه.

وما إن خطا الأمير أولى خطواته نحو عرش الملك، حتى غرد البلبل الصدّاح وأخذ يشدو فى غناء يذيب من عذوبته قلوب الناس فى العالم.

خطا الأمير خطوته الثانية فصهلت على الفور كارا كالديرجوتش بصوت عال زلزل الإسطبل. ثم قام الأمير بالخطوة الثالثة فقفزت الفتاة من صندوقها وصارت ترقص بين حراسها الأربعين.

اغتبط الملك وفرح.

ـ لقد أتيت بالسعادة معك أيها الغريب .. قال الملك وأخذ ينثر فوق رأسه النقود الذهبية.

حينئذ صرح الأمير الصغير قائلا:

ـ أنا لست غريبا، فاطلبوا من البلبل الصدّاح أن يقص عليكم حكايتى واسمعوها منه.

قال الملك فى دهشة: هل سمع أحدكم من قبل أن الطير يتكلم؟

وهنا تكلم البلبل الصدّاح بصوت آدمى وقص على الملك كل ما جرى من البداية حتى النهاية.

حينئذ أدرك الملك أن نهاية حكمه قد حلت. وعرف الناس عن الفتى الذى أنقذ مدينتهم من البؤس والدمار. فوقفوا جميعا خلف الأمير الصغير.

فر الملك الشرير مع ابنيه وهربوا من المدينة تحت جنح الليل.

أقام الأمير الأفراح والولائم للاحتفال بزفافه أربعين يوما، ودعا إليها الناس من كل صوب وفج. وهمست له الجنية في وداعه: "عندما ترغب فى رؤيتى فما عليك إلا أن تحرق خصلة شعرى فأظهر أمامك على الفور".

وهكذا تخلص الشعب من الملك الطاغية، واستطاع الأمير أن يحقق كل أمانيه.

وقد كنت موجودا بشحمى ولحمى فى هذا العرس الميمون، وأكلت الكثير من البلوف والدهن الذى أغرق شاربى ولحيتى، ثم عدت إلى منزلى بعد ذلك.



زهرة جولى ريحان



فى زمن من الأزمنة البعيدة عاشت امرأة عجوز. وكان لديها ولد أصلع. كان الأصلع يخرج كل يوم إلى الوادى لجمع الحطب ويذهب به إلى السوق لبيعه. وعاشت الأم وولدها من ريع هذا العمل.

وفى أحد الأيام كان الأصلع يجمع الحطب فى الوادى عندما شاهد حية كبيرة تزحف على الأرض وتتحدث بصوت آدمى قائلة:

ـ ساعدنى يا ابن الإنسان، أخفنى بسرعة فإن لقلقا يطاردنى. أتوسل إليك أن تنقذنى وسوف أكافئك وأنفذ لك كل ما تطلب منى.

حمل الأصلع الحية وقام بإخفائها بين طيات ملابسه.

حلق اللقلق يبحث عن الحية وظل يطير ويطير حتى يأس من العثور عليها فاختفى فى السماء.

عندئذ أخرج الأصلع الحية من ملابسه ووضعها على الأرض وقال لها:

ـ لقد ابتعد اللقلق وزال الخطر، فهل تفين بوعدك؟

ردت الحية تقول: شكرا لك يا ابن الانسان، هيا اتبعنى.

مضى الأصلع يسير خلف الحية حتى صادف أحد المعارف يدعى عليمات. فسأله عليمات قائلا:

ـ إلى أين تذهب أيها الأصلع؟

رد الأصلع: إننى أسعى خلف هذه الحية كى تمنحنى هدية.

لم يفهم عليمات ما قال الأصلع فأردف قائلا:

ـ إننى لا أفهم ما تقوله. فكيف يمكن لحية ضارة أن تهديك شيئا؟

أجاب الأصلع: لقد أنقذتها للتو من موت محقق وهى تريد أن تكافئنى على صنيعى لها.

نظر عليمات إلى الحية مفكرا ثم هتف يقول:

ـ لقد عرفتها، إنها ملكة الحيات، وقد سمعت أن لديها زهرة جولى ريحان اطلبها منها. وإذا أعطتك الزهرة فسوف أعلمك كيف تستخدمها.

رد الأصلع: من حسن الطالع أنك قد أخبرتنى عن هذا الأمر الذى كنت أجهله. ولم أكن أدرى ماذا أطلب من ملكة الحيات. والآن سوف آخذ بنصيحتك وأفعل ما قلته لى وأطلب منها زهرة جولى ريحان.

وسار الأصلع حتى وصل إلى وكر ملكة الحيات فقالت له الملكة:

ـ اطلب منى أيها الأصلع ما تشتهيه نفسك.

طلب الأصلع قائلا:

ـ يقولون إن لديك زهرة جولى ريحان، فأعطنى إياها لو كان بالإمكان.

قالت الحية فى دهشة: إنك إنسان معدم فقير، ما حاجتك إلى هذه الزهرة. أليس من الأفضل لو طلبت منى ذهبا أو فضة؟

لكن الأصلع أصر على طلبه قائلا:

ـ لا أريد سوى جولى ريحان، فإن لم تبخلى بها علىّ فأعطنى إياها.

ردت ملكة الحيات: كما تشاء، خذها فهى لك.

أخذ الأصلع زهرة جولى ريحان وعاد بها إلى قريته. وطرق باب عليمات قائلا:

ـ لقد أحضرت جولى ريحان.

فتح عليمات باب البيت للأصلع وأجلسه فى حجرته. ثم حمل جولى ريحان فى يده وقال: "جولى ريحان جولى ريحان، ياعون الفقراء والأيتام، افردى لنا بطول الحجرة مائدة زاخرة بالطعام، بها اثنا عشر نوعًا من أشهى المأكولات، واثنا عشر صنف من أطيب الفواكه".

وأكل عليمات والأصلع بنهم من الطعام حتى شبعا وبردت أكبادهم.

ونهـض الأصلع بالكاد وهو متخم من كثرة الطعام، وحمل زهرته عائدا إلى بيته.

دخل الأصلع إلى كوخه الخاوى المتواضع حيث كانت أمه البائسة تجلس بجوار موقد خابت ناره وهى تعانى وتتلوى من الجوع.

وما إنه رأت العجوز ابنها حتى صارت توبخه:

ــ أين كنت يا بنى؟ هل انشقت الأرض وابتلعتك كى تترك المنزل خاويا ليس به كسرة واحدة من الخبز؟

ــ يا أماه، لقد صادفتنى حية عندما كنت أجمع الحطب فى الوادى وتوسلت إلى قائلة: "أخفنى يا ابن الإنسان فإن اللقلق يطاردنى ويريد التهامى، أنقذنى من الموت وسوف ألبى لك كل ما تطلبه". فحملت الحية وقمت بإخفائها بين طيات ملابسى. وحلق اللقلق من فوقنا وحلق حتى يأس وطار مبتعدا دون أن يحظى بفريســـته. فأخرجت الحية إلى الأرض وسألتها: "هل تفين بوعدك لى؟". وردت الحية قائلة:

"شكرا لك يا ابن الإنسان، هيا اتبعنى وخذ منى ما تريد". وسرنا معا حتى قابلت عليمات فى الطريق وسألنى : "إلى أين تذهب؟". فأخبرته بأننى أسير مع الحية التى وعدت بمنحى هدية. فقال لى عليمات: "إن هذه الحية هى ملكة الحيات، ويقال إن لديها زهرة جولى ريحان فاطلبها منها. وذهبت مع الحية إلى وكرها ورفضت أن آخذ منها ذهبا أو فضة، بل ألححت فى طلب جولي ريحان. وبعد ذلك حملت الزهرة وذهبت بها إلى عليمات الذى أرشدنى إلى الوسيلة لاستخدامها. هذه هى كل الحكاية.

قالت الأم ساخطة:

ــ يا لك من أحمق بليد، أتأخذ زهرة بدلا من الذهب؟ ألم يكن بوسعك أن تحضر طعاما لى وأنا أتلوى من الجوع؟

سأل الأصلع: ماذا تشتهين أن تأكلى يا أماه؟

ردت الأم: إننى أشتهى البلوف، لكن من أين لنا البلوف أيها الفالح؟

حسنا يا أماه انظرى إلى ناحيتي هنا لترين بنفسك. وسوف أحضر لك اثنى عشر طبقا من أشهى الأطعمة.

وضحك الأصلع وصار يهمس للزهرة:

ـ جولى ريحان يا جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، افردى لنا بطول الحجرة مائدة زاخرة بالطعام، بها اثنا عشر نوعا من أطيب المأكولات التى تليق بوالدتى.

وفى لمح البصر تحولت الحجرة المتواضعة إلى جناح حديث فخم. ومن الحائط إلى الحائط امتدت مائدة ضخمة عليها مفرش من الحرير، زاخرة باثنى عشرة نوعا من أشهى المأكولات. لم تصدق العجوز نفسها من الفرح وفكرت بسعادة: "على الرغم من أن رأس ولدى عارية من الشعر فإنها رأس ذكية".

وأكلت العجوز حتى امتلأت معدتها وسكن جوعها. وقال لها الأصلع:

ـ أماه، أريد منك الآن الذهاب إلى الملك لتخطبى لى ابنته.

ارتعدت أوصال المرأة من الخوف وقالت بصوت مرتجف:

ـ ما هذا الذى تقوله يا ولدى؟ إننا فقراء معدمون تماما، كما أنك لست وسيما ولا حلو الطلعة. ولو ذهبت إلى الملك بمثل هذا الطلب فسوف يقتلنى شر قتل.

لكن الأصلع قال: لا تخشى شيئا يا أماه واذهبى إليه بقلب شجاع. اخرجى إليه فى الصباح الباكر ومعك مكنسة ونظفى بها الفناء أمام بوابة قصر الملك. ولو هزأ الملك بك فسوف أذهب إليه بنفسى.

ـ حسنا يا بنى، سوف أذهب إلى القصر. ولو أن الهلع يصيبنى من فكرة كنس أعتاب قصر الملك.

صحت العجوز فى الصباح الباكر. وحملت مكنستها وركبت حمارها، ثم انطلقت إلى قصر الملك وصارت تكنس الفناء أمام بوابة القصر. وبعد أن انتهت

من تنظيف الفناء ركبت حمارها ثانية وعادت أدراجها إلى البيت. وعندما عاد الملك من الجامع ورأى أن أعتاب القصر قد نظفت ثار غضبه وصرخ قائلا:

ـ من الذى واتته الجرأة لكنس الفناء أمام قصرى؟

سجد الوزراء باحترام أمام الملك قائلين:

ـ لا ندرى يا مولانا من فعل ذلك ولم نر أحدا.

صاح الملك حانقا: إذا لم تعرفوا الفاعل حتى الغد فلن يظل أحد منكم على قيد الحياة.

فى الصباح التالى حضرت العجوز مرة أخرى على حمارها وشرعت فى كنس الفناء، فقبض عليها الوزراء وساقوها إلى الملك.

وما إن رآها الملك حتى تعرف عليها وقال:

ـ ألست أم الأصلع أيتها العجوز؟

ردت العجوز: نعم أنا أمه، وقد جئت لخطبة ابنتكم له.

ثار الملك وقال: يا لك من امرأة حمقاء مختلة العقل والإدراك، كيف تجروئين على طلب ابنتى للأصلع ابنك القبيح؟ ألم يكن بوسعك العثور له على خطيبة تناسبه؟

سألت العجوز: وما الفرق بينك وبيننا أيها الملك؟ وهل نحن أقل شأنا منك؟

ما إن سمع الملك تلك الكلمات حتى كاد ينفجر من الغضب وقال:

ـ كيف واتتك الشجاعة كى تقارنى ابنك الأصلع بى وبملكى؟ إلىّ سريعا أيها الجلاد.

أمر الملك السياف فى حسم قائلا:

ـ أريدك أن تمزق هذه العجوز إلى أشلاء. ثم اجمع أشلاءها فى خرج وضعه على حمار وأطلقه يمضى بها فى العراء.

قام السياف بما طلبه الملك، فمزق العجوز بسيفه إلى أشلاء جمعها فى خرج، ثم وضع الخرج على حمار وأطلقه يسير كيفما شاء.

عاد الحمار إلى بيت الأصلع وصار يدور حوله. وفى هذا الوقت كان الأصلع جالسا يفكر:

"لماذا تأخرت أمى على هذا النحو؟ لقد أزف الوقت لعودتها منذ فترة طويلة".

وخرج الأصلع من بيته فشاهد الحمار يقف أمام البيت حاملا خرج على ظهره. وفتح الفتى الخرج فرأى به أشلاء أمه.

بكى الأصلع بمرارة وأمسك بيده جولى ريحان وقال: "جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، ابعثى أمى إلى الحياة ثانية".

وما إن أكمل عبارته حتى عادت أمه مكتملة إلى الحياة. وعطست وه... تقع على الأرض من الخرج.

فرح الأصلع ورفع أمه برفق على يديه من على الأرض. ثم دخل بها إلى البيت.

جلست العجوز على أرض الحجرة لا تفهم ما جرى لها. وقالت لابنها:

ـ ينبغى عليك العدول عن هذا الأمر فلا أمل لك فيه.

ـ أتوسل إليك يا أماه أن تذهبى إلى القصر كل صباح، وسوف يو... الملك فى النهاية.

ولما طلع الصباح ركبت العجوز حمارها مرة أخرى وذهبت إلى قصر الملك وصارت تكنس الفناء أمام بوابته. وعندما شاهدها الوزراء أصابتهم الدهشة والذهول. لكنهم رضخوا لأوامر الملك فأمسكوا بها وساقوها إليه فى القصر.

وعندما دخلت العجوز على الملك ثار هائجا وصرخ يقول:

ـ لماذا لم تقتلون هذه العجوز البغيضة بالأمس كما أمرتكم؟

رد الوزراء: مولانا الملك العظيم، لقد مزقها السياف إلى أشلاء صغيرة وجمعها فى خرج، ثم وضع الخرج فوق حمار وأطلقه فى الخلاء.

أمر الملك بحسم: أيها السياف، أريدك أن تمزق هذه العجوز الآن إلى أشلاء أمام ناظرى.

قام السياف صاغرا بتمزيق العجوز بسيفه إلى قطع صغيرة جمعها فى خرج وضعه فوق حمار، ثم أطلقه فى العراء. وسار الحمار مرة أخرى عائدا إلى البيت. فأمسك الأصلع بزهرة جولى ريحان وهمس لها: " جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، ابعثى أمى إلى الحياة ثانية".

وعلى الفور عطست الأم مرة وأخرى، ثم خرجت من الخرج. وبعد ذلك قالت للأصلع:

ـ كفانى ما جرى لى يا بنى، لا تطلب منى هذا الأمر ثانية ولا تحملنى أكثر من طاقتى.

فقال لها الأصلع: لكننى لا أستطيع العيش بدون ابنة الملك يا أماه فزوجينى منها.

أسقط فى يد المرأة العجوز. فاستيقظت فى الصباح وخرجت إلى قصر الملك للمرة الثالثة. وقبض عليها الوزراء من جديد وساقوها إلى الملك.

وما إن رأى الملك العجوز حتى طار لبه وأصابته الحيرة فيما يفعله معها.

وتقدم أحد الوزراء الخبثاء وقال للملك:

ـ مولاى المعظم، فلتطلب من هذه العجوز الشريرة عملا تعجز عن القيام به وتدفع حياتها ثمنا له فنرتاح منها.

فصاح الملك:

ـ اسمعى جيدا أيتها العجوز، اذهبى إلى ابنك الأصلع واطلبى منه أن يقيم عند مشارف المدينة خيمة كبيرة ذهبية تفضى إليها درجات حلزونية من الذهب الخالص. وتحيط بها حديقة من الزهور تغرد بها البلابل والطيور. وتتوسط الحديقة نافورة جميلة على جوانبها أشجار مورقة بأوراق من الذهب أيضا. فإذا لبَّيتِ هذا الطلب فسوف أزوج ابنتى للأصلع ابنك. والآن اغربى من أمام وجهى.

سجدت العجوز أمام الملك قائلة :"هوب". ثم ركبت حمارها وعادت إلى البيت وحكت لابنها عن شرط الملك. فرح الأصلع وقال:

ـ لا عليك يا أماه، فقد نجحتى فى عبور السد الحائل بيننا وبين الملك، والآن جاء الدور علىَّ لأعبر السد الآخر وأصل إلى ابنته. وغدا سوف يصبح كل شىء جاهزا.

فى الصباح التالى خرج الفتى إلى شاطئ النهر عند مشارف المدينة. وأمسك بالزهرة قائلا لها: " جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، هيا افعلى كل ما طلبه الملك".

وفى هذه اللحظة ظهر على الشاطئ كل ما طلبه الملك. الخيمة الذهبية والدرجات الذهبية التى تفضى إليها، والحديقة الرائعة، والنافورة بأشجارها المورقة بأوراق من الذهب. وتحقق كل ما طلبه الملك، بل أكثر وأجمل مما طلب بثلاث مرات.

وعاد الأصلع إلى البيت وهمس لزهرته قائلا: "جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، أريدك أن تأتنى بهرة غاية فى المكر والذكاء".

وظهرت على الفور من حيث لا ندرى قطة سوداء جميلة تلمع عيناها بالفطنة والمهارة، وتجلس بجوار الأصلع ناظرة نحوه وهى تلعق قدمها بلسانها. بعد ذلك قال الأصلع لأمه:

ـ والآن يا أماه يمكنك الذهاب إلى الملك لتخبريه أن شروطه قد أنجزت كما طلب. وليخرج إلى مشارف المدينة عند شاطئ النهر كى يتأكد من صدق كلامك.

ذهبت العجوز على حمارها إلى الملك وأخبرته بما قاله ابنها الأصلع.

فجمع الملك كل الوزراء وخرج معهم إلى مشارف المدينة عند شاطئ النهر. وهناك شاهد بعينيه أن كل ما طلبه قد تحقق. بل أكثر وأروع بثلاث مرات عما طلب.

وأسقط فى يد الملك واضطر إلى أن يزوج ابنته للأصلع. وأقام الاحتفالات فى البلاد بمناسبة الزفاف. واستمرت الاحتفالات وليالى الملاح أربعين يوما وليلة.

وفى أحد الأيام جلست ابنة الملك تفكر فى نفسها قائلة: "كيف استطاع الأصلع أن يقيم على شاطئ النهر كل هذه الأشياء الذهبية ؟" وذهبت إليه وسألته:

ـ كيف استطعت يا زوجى أن تعد فى زمن وجيز كل هذه الأشياء وتصنعها من الذهب؟

رد الأصلع: لا داع للحديث عن هذا الأمر الآن، فقد صار من الماضى الغابر.

غير أن ابنة الملك أخذت تلح وتطلب منه أن يخبرها بالسر فى ذلك حتى أذعن الأصلع فى النهاية وحكى لها قائلا:

ـ عندما ينطق المرء بالتعويذة المطلوبة تلبى زهرة جول ريحان كل مطالبه.

وعندما راح فى النوم تسللت ابنة الملك وحملت الزهرة هامسة لها: "جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، أريدك أن تلقى بالأصلع فى محبس ضيق يغص بالأشواك الحادة".

فى لمح البصر وجد الأصلع نفسه حبيسا فى قفص محكم الإغلاق تغطيه الأشواك الحادة. ثم حملت ابنة الملك الزهرة إلى أبيها وقالت له:

ـ لقد عرفت السر الذى استطاع به صهرك الأصلع أن يلبى شروطك. وهو كامن فى زهرة جولى ريحان.

ضحك الملك ملء شدقيه ورشق الزهرة فى عمامته.

ولنترك الملك يقهقه من السعادة فرحا ولنستمع إلى ما جرى للأصلع.

تقلب الأصلع فى نومه من جنب إلى آخر. فانغرست فى جسمه الأشواك الحادة المحيطة به. فصرخ من شدة الألم وانتفض من نومه ليرى نفسه حبيسا فى قفص ضيق مزروع بالأشواك.

اغتم الأصلع وحزن قائلا فى نفسه: "لقد كنت ماكرا أيها الأصلع لكن الأقدار أرسلت من يمكر بك".

بعد ذلك نادى على قطته الجميلة:

ـ يا قطتى المحبوبة، احضرى لى زهرة جولى ريحان أينما كانت.

ركضت القطة على الفور إلى قصر الملك.

ودخلت إلى مجلس الملك فرأته جالسا على عرشه تزين عمامته زهرة جولى ريحان. فاقتربت من الملك وصارت تموء وتتمسح بقدميه. عندئذ قال لها الملك:

ـ ماذا بك أيتها القطة البائسة؟

ومضى الملك يمسد بيده على رأس القطة وأمر وزيره:

ـ يبـدو أن هذه القـطة تموء من الجوع، فاذهب وأطعمها كما ينبغى حتى تشبع.

وبعد أن أطعم الوزير القطة حتى شبعت، ركضت وقفزت جالسة على قدمى الملك وهى تهر. وعندما خرج الملك إلى جناحه ركضت القطة تتبعه.

وقبل أن يخلد الملك للنوم خلع عمامته وعلقها على مشجب وخرج يغتسل.

ووثبت القطة على العمامة حتى أوقعت بها على الأرض. وخلعت بأسنانها الزهرة منها ثم فرت هاربة.

حملت القطة زهرة جـولى ريحان إلى قفص الأصلع الذى فرح بها كثيرا وهتف يقـول: " جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، حررينى من هذا القفص ". وفى لمح البصر اختفى القفص وتحرر الفتى.

أسرع الأصلع إلى القصر وذهب إلى الملك وقال له:

ـ أيها الملك، من يصنع شرا يصيبه شر، وقد جلبت لنفسك مصيرا أسود فتقبله. جولى ريحان جولى ريحان، يا عون الفقراء والأيتام، اسخطى هذا الملك الظالم وابنته الشريرة إلى حمارين.

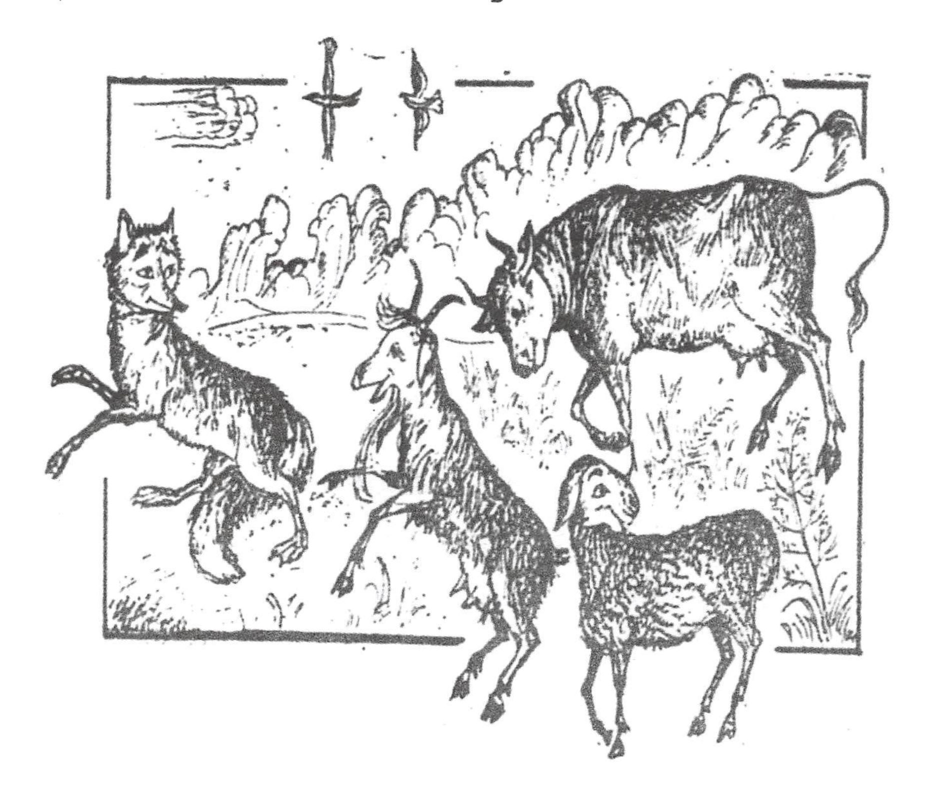
وفى هذه اللحظة تحول الملك وابنته إلى حمارين. وعندما شاهد الوزراء ما جرى أصابهم الخوف والفزع. وتقدم أحدهم من الأذكياء وقال:

ـ يا ولدى العزيز، لقد كان ملكنا طاغية سفاكًا للدماء، وكان أخرق فأساء إليك وألحق بك الأذى. فتلجلس محله على العرش وتصبح ملكا علينا. ولدى ابنة آية فى الفطنة ورجاحة العقل يسعدنى أن أزوجها لك.

وامتدت الأفراح وليالى الملاح فى البلاد أربعين يومًا وليلة بمناسبة زفاف الأصلع وابنة الوزير.

وصار الأصلع حاكما على البلاد يدير شئونها بعدل وحكمة. وتحققت كل أمانيه وأحلامه.

العنزة الفطنة



فى زمن من الأزمنة القديمة عاشت إحدى العنزات . كانت صاحبة العنزة امرأة بخيلة شريرة. فكانت تعطيها حفنة صغيرة من العشب لتأكل منها طوال اليوم. وبعد أن تنتهى العنزة من طعامها الذى لا يشبع، كانت المرأة تكيل لها من اللكمات والضربات ما يشبعها.

كانت المرأة تحتفظ بالعنزة فى زريبة مغلقة لستة أيام. وفى اليوم السابع تطلقها إلى المرج لترعى به من الكلأ. كانت العنزة فى هذا اليوم تتجول وتنطلق هنا وهناك كما يحلو لها، وتأكل ما تشاء من العشب الأخضر فى حرية وانطلاق.

وفى يوم من تلك الأيام عندما كانت العنزة ترعى فى المرج ظهرت أمامها فجأة نعجة وألقت عليها بالتحية والسلام. كانت النعجة نحيفة للغاية. لا ترى بها سوى جلد على عظم. حتى إن ضلوعها بارزة مرئية لكل ذى عين ترى، كما لو أن كل ضلع يشــير إلى نفسه قائلا:"ها أنا هنا".

ردت العنزة بلطف على تحية النعجة لها وقالت:

ـــ من ينظر إليك تضيق عيناه حتى يراك. وإذا أمعن النظر جيدا فلن يجد سوى قطعة صغيرة من الصوف بقيت فوق عظامك الناتئة كالحمل الثقيل عليها.

أصغت النعجة إلى كلمات العنزة المهين وأجابت قائلة:

ـــ إن أمرك لعجيب حقا أيتها العنزة. لما لا تنظرين إلى نفسك أولا قبل أن تنظرى إلى الآخرين؟ يقول الحكماء :"اعرف نفسك واترك الآخرين لشئونهم". ومن المعروف أيضا أن من يمشى عاريا ينبغى عليه ألا يسخر ممن يرتدى الأسمال البالية. وإذا نظرت إلى نفسك فلن تجدى على جسمك صوفا أكثر مما على.

شعرت العنزة بالخجل لما قالته. فتصالحت مع النعجة، وصارت كل منهما تحكى للأخرى عن أحوالها.

شكت العنزة تقول: إن صاحبتى امرأة سيئة الخلق طوال اليوم لا تعطينى من الطعام سوى حفنة صغيرة من العشب لا تسد الرمق. وكثيرا ما توسعنى ضربا. ولا تتركنى أخرج للرعى فى المرج خارج الزريبة إلا يومًا واحدا فقط.

بعد ذلك تحدثت النعجة عن أحوالها. واتضح أنها تعيش حياة تماثل إلى حد كبير حياة العنزة. وأيضا فلم يكن مسموحا لها بالراحة والرعى فى المرج إلا يوما واحدا فى الأسبوع.

ودار النقاش والحديث بين العنزة والنعجة وهما يفكران فى الوسيلة التى يمكنهما بها أن يتخلصا من أصحابهما القساة. وقررا فى النهاية أن يهربا.

سألت النعجة: لكن أين يمكننا الهرب؟

أشارت العنزة بقرنيها نحو الجبل البعيد وقالت:

ـــ كان والدى يقول دائما: "إن هذه الجبال البعيدة هى أفضل الأماكن للرعى والمعيشة. فهناك تجرى المياه الصافية بين الصخور، وينمو العشب الأخضر النضير، ويمرح الهواء النقى العليل. وإذا نجحنا فى الوصول إلى تلك الجبال فسوف نحيا بقية عمرنا كما لو كنا بالفردوس، وننسى كل عذاباتنا وآلامنا". غير أن والدى لم ينجح فى الوصول إلى هذه الجبال، ولم يذهب بنا إلى هناك. بل غادر عالمنا الأرضى. وقبل أن يموت أوصانى قائلا:" إذا كنت ابنتى حقا فينبغى عليك الرحيل إلى الجبال البعيدة لتسكنى هناك، حيث المراعى الخصيبة، ترعين فيها بحرية وسعادة لتنتشى روحك وروحى أيضا". لذا لو أننا نجحنا فى الوصول إلى الجبل فسوف تصبح أمورنا فى أفضل حال.

نفذت كلمات العنزة إلى قلب النعجة. وانطلقت الصديقتان على الدرب نحو الجبل. وفى أثناء سيرهما ظهرت فجأة سحابة ترابية ضخمة فى الطريق.

ـــ ما هذا الشىء هناك؟ ـــ سألت كل منهما الأخرى. واقتربتا من السحابة تتطلعان وإذا بثور يقف أمامهما. كان الثور بالكاد يجرجر أقدامه وهو فى هيئة يرثى لها. فقد كانت عيناه غائرتين ورقبته نحيلة، وعظامه ناتئة تكاد تخرج من ظهره.

ألقت كل من العنزة والنعجة بالتحية على الثور الذى اكتفى بهز رأسه قائلا:

ـــ إلى أين تذهبان أيتها الأختان ؟

ردت العنزة:

ـــ أنت الأكبر عمرا فقل لنا أولا عن وجهتك.

ـــ آه لو تعلمين بحالى أيتها الأخت، فإننى أعمل طوال الأسبوع بلا كلل ولا راحة. أجرجر أقدامى بالكاد على الأرض. وقد تركنى صاحبى كى أرعى بحرية ليوم واحد فقط. وها أنا أتجول فى المرج لأستجمع قواى بعض الشىء.

كشفت العنزة للثور عن نيتهما فى الفرار من أصحابهما إلى الجبال دون حتى وداعهم.

وهنا هتف الثور بحماس:

ـــ وأنا أيضا لم أعد أطيق هذه الحياة القاسية والأهوال التى أعانى منها. هل من المعقول أننى قد ولدت فى العالم كى أتعذب على هذا النحو؟ من الفجر وحتى غروب الشمس وأنا أعمل بلا راحة، وأحرث بمفردى مساحات كبيرة من الأرض. وعندما يحل المساء وفى طريق العودة من الحقل يربطنى المالك إلى عربة مملوءة بالحطب أجرّها خلفى، وذلك كى لا أظل بلا حمل أو أثقال. وعندما أدخل إلى الزريبة لا أجد سوى فتات الطعام الذى لا يقيم أودى. حتى كلّ جسدى وخارت قواى. فبئس الحياة التى أعيشها. لذلك وأنا أفكر منذ زمن كيف يمكننى التخلص من الظلم والعذاب الذى أعانى منه. والآن بعد أن التقيت بكما سوف أرافقكما إلى الجبال.

فرحت كل من العنزة والنعجة وصاحتا:

ـــ هذا حقا أمر جيد.

مضى الجميع فى طريقهم. وظلوا طويلا يسيرون ويسيرون حتى وصلوا أخيرا إلى الجبال.

كان المشهد رائعا للغاية مثلما وصفته العنزة. الهواء عليل، المياه صافية، والعشب الأخضر النضير يتلألأ فى المكان. انطلق الجميع فأكلوا حتى الشبع، وشربوا حتى الروى. وبعد ذلك أقاموا لهم حظيرة بجوار إحدى الأشجار ورقدوا فيها حتى راحوا فى النوم. رأت العنزة فى المنام أنها قد عادت إلى البيت وسرعان ما انقضت عليها صاحبتها وهى تصرخ فيها قائلة:" أين كنت طوال هذا الوقت أيتها

الشقية؟ الآن سوف تنالين عقابا لن تنسيه أبدا جزاء غيابك" ، وانهالت المرأة ضربا بالعصى على العنزة بكل ما أوتيت من عزم وغل. حتى علا صوت العنزة بالصراخ تستغيث وتستنجد. وهنا صحا كل من الثور والنعجة، فأيقظا العنزة من نومها.

صارت العنزة تبصق فى عبها وهى تتمتم قائلة:

ـ الحمد لله أنه مجرد حلم.

أخذ الثور يهدئ من روعها:

ـ بالطبع ما هو إلا حلم، فصاحبتك ليس لها وجود هنا، والعصا الغليظة قد بقيت هناك فى الزريبة.

وعاشوا جميعا، العنزة والنعجة والثور حياة حرة سعيدة فى الجبال. ولم يعد أحد منهم مضطرا للنهوض فى الفجر على ضربات العصى. وتحررت الرقاب من الحبال التى كانت تلتف حولها. ولم تمض فترة طويلة حتى امتلأت أجسادهم وظهرت عليهم إمارات الصحة والعافية. فقد سمن الثور وصار ضخما مهيب الطلعة. حتى إن الوحوش كانوا يفسحون أمامه الطريق لدى رؤيتهم له وهم يفكرون أن ساكن الجبال الجديد هو بالقطع ملك الوحوش المفترسة جميعا.

فى أحد الأيام قال الثور للعنزة والنعجة:

ـ أشعر اليوم بالاختناق من هواء الحظيرة المكتوم، لهذا سوف أقضى الليل فى الهواء الطلق عند سفح الجبل.

وفى الليل انخفضت درجات الحرارة وضرب الصقيع المكان فأصبح الجو باردا للغاية.

وعندما طلع الصباح خرجت العنزة والنعجة من الحظيرة وأخذتا فى النداء على الثور لكنه لم يلب النداء. فأسرعا إلى السفح يستطلعان الأمر. وشاهدا الثور واقفا وقد تجمد فى مكانه مثل قطعة الثلج، وانعقد لسانه ولم يستطع النطق.

قالت النعجة فى خوف: والآن ما الذى يمكننا أن نفعله لمساعدته؟

أجابت العنزة: لابد من تدفئته بالقرب من النار.

ثم صارت تستكشف المكان من حولها، وتسلقت شجرة وقفت عليها وهى تبحث بعينيها هنا وهناك حتى لمحت دخانا يخرج من أحد الكهوف القريبة فهتفت تقول:

ــ هيه ! لا يوجد دخان بدون نار، ولابد من أن هناك من أشعل نارا فى هذا الكهف.

هبطت العنزة من فوق الشجرة، وأخذت مع النعجة فى مساعدة الثور المشرف على الهلاك وقادتاه نحو الكهف الذى خرج منه الدخان.

وصلوا إلى مدخل الكهف فرأوا جلودا من الفراء لحيوانات النمر والدب والثعلب والذئب معلقة على أفرع إحدى الأشجار. التقطت العنزة جلود الفراء وألقت بها كلها فوق جسم الثور حتى تدفئه.

وما إن دلفوا إلى داخل الكهف حتى وجدوه مكتظا بكل أنواع الوحوش البرية. فهنا كان الدب والذئب والثعلب والفهد. وعلى المصطبة المرتفعة جلس النمر ملك الوحوش المهيب. واكتشفوا أن الوحوش تجتمع فى هذا الكهف مرة كل أسبوع. وبالتناوب يقيم كل منهم وليمة يدعو إليها الآخرين. واليوم كان الدورعلى الثعلب لتقديم وليمته، لكنه لم يأت بشىء يؤكل على الإطلاق.

صارت الوحوش تسب الثعلب وتوبخه:

ــ لماذا لم تحضر اليوم لنا الطعام؟ لا مفر من أن نلتهمك جزاء لك على فعلتك هذه.

أخذ الثعلب يتوسل إليهم قائلا:

ـ ليس الذنب ذنبى، فأنا لم أترك شبرا من الأرض إلا وبحثت فيه، لكن التوفيق جانبنى ولم أعثر على شىء يؤكل. فما الذى يمكن أن يفعله عبد مسكين مثلى إن لم يوفقه الله فى مسعاه؟

وعند هذا القول للثعلب دخلت كل من العنزة والنعجة ومعهم الثور إلى الكهف.

وما إن رأى الثعلب الزوار حتى ابتهج وضحك قائلا:

ـ لقد كنت أمزح معكم يا ضيوفى الأعزاء. انظروا بأنفسكم إلى عشاء اليوم الذى جاءنا بنفسه. فليس هناك أطيب من لحم هذه العنزة، ولا ألذ مذاق من دهن هذه النعجة، ولا أشهى طعما من فخذ هذا الثور السمين.

زمجرت الوحوش من السعادة وسال لعابهم وهم يقتربون من العنزة والنعجة والثور الذين تجمدت أوصالهم من الرعب.

ـ لقد أصبحنا فى عداد الأموات .. هتفت النعجة والثور بعد أن تملكهما الفزع. أما العنزة فلم تدع الخوف يتملكها. بل إنها تقدمت فى ثبات ورباطة جأش وأعلنت قائلة:

ـ أيها الأصدقاء الأعزاء، لقد جئت من مدينة "همنجان" حيث أعمل هناك قصابة فى مهنة الجزارة. وقد تعاقدوا معى لأذبح لهم ستين نمرا، وستين دبا، وستين ثعلبا، وأخيرا ستين ذئبا. وذلك كى أسلخ فراء تلك الحيوانات وأذهب بها إلى "همنجان". وقد عاهدتهم على القيام بهذا العمل فى فترة لا تزيد عن أسبوع. والآن لا أستطيع إلا السجود شكرا لله عز وجلّ الذى ساقنى إلى هذا الكهف الملىء بمختلف الوحوش لأختار منها ما شئت. ولا أضطر للبحث فى الغابة والتجوال بين الأحراش. وإن لم تصدقوننى فيمكنكم النظر إلى بعض جلود الفراء التى وضعتها فوق ظهر صديقى الثور.

وصارت العنزة ترفع الجلود من فوق ظهر الثور أمام الجميع.

تملك الخوف والهلع من الوحوش جميعها، من الدب إلى الذئب والثعلب والفهد. وأخذوا يتدافعون للهرب من الكهف واحدًا بعد الآخر وأطلقوا سيقانهم للريح.

أما النمر ملك الوحوش فقد ظل جالسا بمفرده ينظر إلى العنزة بعد أن أصابه الفزع. وقرر هو الآخر أن يفر من المكان. وما إن همّ بالهروب حتى أسرع الثور وسد بقرنيه مدخل الكهف ليحجز النمر بداخله. واستأسدت النعجة والعنزة وأخذوا فى نطحه. وهنا فكر النمر أن نهايته قد اقتربت، فتوسل إليهم قائلا:

ــ ارحمونى أيها الأصدقاء الأعزاء ودعونى حيا. وأنا أقسم لكم قسم النمور الملكى ألا أدع أحدا من الوحوش يقترب من هذا الجبل. ولن تطأ قدم أحد منهم بيتكم المصون بعد الآن. فاتركونى وسوف ترون بأنفسكم.

أخذ الثور والعنزة والنعجة وثيقة مكتوبة من الملك النمر يتعهد فيها بما سبق. ثم أشبعوه ضربا وطردوه.

احتفل الأصدقاء بانتصارهم وعادوا سعداء إلى حظيرتهم.

أما الوحــوش المفترسة فقد اجتمعت عند سفح الجبل وصاروا يتحدثون فيما بينهم:

ــ ما هذا الذى جرى ؟ كيف يمكن أن تخيفنا ثلاث قطع من اللحم؟

ونسى النمر الملك عهده المكتوب وقاد الوحوش فى حملة لمهاجمة العنزة والنعجة والثور.

كانت العنزة هى أول من لمحت اقتراب الأعداء. فأشارت على الثور والنعجة أن يتسلقا الشجرة ويختبآن بين الأغصان. أما هى فصعدت على سطح الحظيرة وكمنت هناك.

وقفت الوحوش المفترسة أمام الحظيرة الخالية ينظرون إليها فى دهشة وقالوا للثعلب:

ـــ أيها الثعلب، أنت قارئ الطالع وكاشف الغيب، هيا اكشف لنا عن مكانهم.

ألقى الثعلب بأوراق اللعب أمامه وانهمك فى التنجيم وكشف الطالع. والتفت الوحوش من حوله ينتظرون ما سوف ينطق به.

فجأة دوى فى السماء صوت صراخ هائل. وسقط فوق الوحوش شىء ضخم محدثا ضجة كبيرة وغبارًا كثيفًا. لم يكن هذا الشىء سوى الثور الذى تحطم تحته فرع الشجرة فصرخ من الهلع، وهوى على رءوس الوحوش ومن خلفه سقطت النعجة أيضا.

وهنا فكرت العنزة الفطنة بسرعة وهتفت من مخبئها قائلة:

ـــ خذ فوق رأسك يا قارئ الغيب، خذ فوق رأسك أيها المنجم.

ارتعبت الوحوش من المفاجأة وأخذت تعدو هاربة وهى تسابق الريح. ومنذ هذا اليوم لم يظهر أحد منهم فى هذا المكان ثانية.

وعاش الثور مع العنزة والنعجة حياة سعيدة هانئة على أرض الجبل.



الفأر الحكيم



في زمن بعيد عن زماننا عاش في الأرض أحد الصيادين. وذات يوم خرج الصياد إلى الحقل الكبير ووقف بجوار الشجرة العتيقة. فنصب شبكته ونثر أسفل الشبكة الحبوب والبذور كطعم يجذب به الطيور. ثم اختبأ في مكان قريب وجلس ينتظر وقوع الطريدة التي سوف تأكل الطعم. لم يمر سوى وقت قصير وما لبث أن

ظهر فى السماء سرب من الحمام يحلق ويطوف. حط أفراد السرب على أغصان الشجرة بالقرب من موضع الحبوب التى تلألأت أمامهم على الأرض. كان هناك بين السرب حمامة عجوز ذات جناحين زرقاوين بلون السماء. وبسبب لون جناحيها أطلق عليها أصحابها اسم "الزرقاء". أطلقت "الزرقاء" صيحة تحذير لأصحابها وقالت لهم:

ــ إياكم والهبوط على الأرض من أجل هذه الحبوب، فهذا فخ وأنا أرى شبكة الصياد وهى تتحين الفرصة للإطباق عليكم.

لم يستمع أفراد السرب الصغار إلى نصيحة الحمامة الزرقاء العجوز الخبيرة بهذه الأمور. وسرعان ما هبط السرب واحدًا بعد الآخر وصاروا يلتقطون الحبوب المنثورة من على الأرض.

كانت الزرقاء قد اعتادت الصحبة وملازمة رفاقها الآخرين فى أثناء طيرانهم ومشاركتهم طعامهم. ولهذا السبب انضمت إلى أفراد السرب المتهور وهبطت معهم تشاركهم المصير المنتظر. وفى هذه اللحظة قام الصياد بسرعة بجذب أطراف حبال الشبكة حتى أطبقت على أفراد الحمام وغطته ليقعوا جميعا فى الأسر.

هتفت الزرقاء إلى رفاقها فى الأسر: استمعوا إلى كلماتى التالية جيدا، وإذا أخذتم بنصيحتى فسوف أرشدكم إلى طريقة للخروج من هذه المحنة كى تكتب لنا النجاة.

أجاب الحمام: هيا تحدثى أيتها الزرقاء وأخبرينا ماذا نفعل. ففى المرة التى تجاهلنا فيها تحذيرك ولم نأخذ به وقعنا فى هذه المصيبة، أما الآن فسوف ننفذ كل ما تنصحيننا به.

أكملت الزرقاء حديثها: إليكم إذن ما سنفعله، سوف نخفق بأجنحتنا معا محلقين إلى أعلى فى وقت واحد، ثم تتبعوننى فى نفس الاتجاه الذى أطير نحوه.

اندفع أفراد سرب الحمام محلقين إلى أعلى فى وقت واحد. وتمزقت أطراف الشبكة التى تربطها بالأرض، لترتفع مبتعدة فى الهواء أمام ناظرى الصياد الذى ركض خلفها مذهولا وهو يحاول اللحاق بفرائسه. وظل الصياد يعدو متتبعا اتجاه الحمام كى يمسك بهم عندما يحطون على الأرض. لكن الزرقاء صارت تشجع أفراد الحمام الصغار وتحفزهم على الطيران حتى استطاعوا التحليق عاليا بعيدا فى السماء ولم يستطع الصياد أن يدركهم.

فى هذا الوقت أخذت الزرقاء تفكر وتفكر كيف يمكنهم الخلاص من حبال هذه الشبكة التى تلفهم بداخلها. وفجأة تذكرت أن لها صديقا طيبًا هو الفأر الصغير الذى يعيش فى أرض الوادى البعيدة. كان هذا الفأر شجاعا للغاية، شغولا، مجتهدا إلى أبعد الحدود، حذقا. لم يغادر أرضه أبدا، ولم يخرج طوال حياته من جحره للهو أو التسكع. وعندما كان يغادر الجحر للبحث عن الطعام فهو يتلمس خطواته بحذر. وكثيرا ما يتوقف فى أثناء طريقه يجول بعينيه فى المكان كى يتأكد من عدم وجود أية مخاطر تهدده. حينئذ يحمل طعامه عائدا إلى جحره. وبسبب كل الصفات التى اشتهر بها من الشجاعة والفطنة والقدرة على تجنب الأخطار، فقد أطلق عليه الجميع اسم الفأر الحكيم. والتصق به هذا الإسم إلى الأبد.

"لابد من الطيران إلى الحكيم، فهو الوحيد الذى يمكنه أن يخلصنا من هذه الشبكة".. حسمت الزرقاء أمرها قائلة.

حلق الحمام طويلا حاملا الشبكة فوق الحقول وقمم الجبال، حتى وصلوا أخيرا إلى أرض الوادى، وهبطوا أمام مدخل الجحر الذى يعيش به الحكيم. نادت الزرقاء بصوت مرتفع على صاحبها ليخرج اليها. وما إن سمع الحكيم صوتها المألوف حتى أطل برأسه من جحره يتشمم الهواء ويتلفت حوله ناظرا إلى المكان. وعندما التقطت عيناه الصغيرتان وجه الزرقاء ركض مسرعا نحوها. وطلبت منه الزرقاء أن يساعدهم للتحرر من الشبكة. فأخذ الفأر الحكيم يقرض حبالها بهمة ونشاط فى عدة مواضع حتى تحرر أفراد الحمام جميعا من أسرهم. ثم قادهم الحكيم

إلى مكان عشبى رطيب. وأخرج لهم من جحره الكثير من الحبوب والثمار الشهية التى كان يدخرها لطعامه، ودعاهم إلى تناولها بالهناء والشفاء.

فى الوقت الذى وقع فيه الحمام أسيرا فى شباك الصياد كان هناك غراب يقف أعلى الشجرة العجوز يراقب ما يجرى فى صمت. وقد رأى الغراب كل ما حدث للحمام. وعندما شاهد الحمام يحلق عاليا حاملا الشبكة هتف من الفرحة يقول:

ــ يا لهم من شطار حقا، استطاعوا الهرب بذكاء رغم أنف الصياد. إنهم دائما يستطيعون العثور على الطعام. أليس من الأفضل لى أن أطير خلفهم؟ فقد يحالفنى الحظ وأستطيع العيش والارتزاق بالقرب منهم .

لم يطل الغراب فى التفكير وسرعان ما حلق يضرب الهواء بجناحيه طائرا خلف سرب الحمام. إلا أن الحمام كان يطير بعيدا بسرعة كبيرة. وهم الغراب أن يعود أدراجه.

فكر الغراب قائلا فى نفسه: "إلى أين يذهبون حاملين هذه الشبكة؟ يبدو أننى لن أجد أى طعام هنا".

لكن الطمع الذى تملك الغراب جعله يستمر فى الطيران خلفهم بعيدا بعيدا، حتى رأى أخيرا الحمام وهو يحط على الأرض. وكم كانت دهشة الغراب وهو يراقب الفأر الذى خرج مسرعا من جحره يقرض حبال الشبكة ويحرر أفراد الحمام منها. ثم شاهده وهو يحمل لهم من الجحر قطع الخبز والحبوب وغيرها من أطايب الطعام. وقف الغراب مشدوها لا يصدق ما تراه عيناه. "هذا هو معنى الصداقة"، الفأر هب مسرعا إلى نجدة أصحابه، أخرجهم من محنتهم، ثم صار يطعمهم ولم يبخل عليهم بمدخراته من الزاد. وأنا من فرط غبائى كنت دائما أصطاد الفئران. أليس من الأفضل لى أن أحاول عقد صداقة مع هذا الفأر؟". هبط الغراب إلى مدخل الجحر وصاح مناديا على الحكيم. أطل الفأر من جحره وأصابه الخوف لما رأى الغراب. لكنه أخفى رعبه وتماسك قائلا بلطف:

ــ مرحبا أيها الأخ الغراب، بماذا يمكننى أن أساعدك؟

نعق الغراب وقال: كواك كواك، إننى أعيش وحيدا طول حياتى، ولم أصاحب أحـدا بالمرة، لا من الطـيور ولا من الحـيوانات. وليس لدى أقـارب ولا أصدقاء، ولا معارف ولا أى كائن حى يهتم لأمرى. فالوحوش جميعها والطيور كلها يتجنبوننى وينفرون منى. وقد مللت من هذه الوحدة ومن الحياة التى أعيشها. وبعد تفكير وتفكير قررت أن أسعى إلى صداقتك. وأحسب أننى لن أجد أفضل منك صديقا على هذه الأرض. وهذه رغبتى الحقيقية، أقولها لك بصدق وإخلاص فأرجو أن تقبل يد الصداقة الممدودة إليك.

أجاب الفأر قائلا: إن هذا لحديث طيب للغاية، لكنك أيها الغراب اعتدت دائما أن تصطاد الفئران وتأكلها. ويمكنك أن تقبض على وتلتهمنى مثلها. لهذا فأنا لا يمكننى تصديق كلماتك هذه.

أجاب الغراب مؤكدا: أنت محق فيما قلت أيها الصديق ولا أستطيع إنكار ما فعلته من قبل. فقد كنت أنقض كالصاعقة من السماء على أى فأر أراه فى أى مكان، فالتقطه وأنا طائر والتهمه. لكننى الآن قد تأكدت من أن الصداقة أفضل بكثير من العداوة والغارات الهجومية. ومنذ هذه اللحظة لا أحمل ضغينة لك فى قلبى. وأقسم لك على صدق كلماتى الغرابية هذه، وسوف ترى أننى لن أحنث بقسمى أبدا.

أصغى الفأر الحكيم جيدا إلى حديث الغراب وصدّقه وقبل عرضه. فخرج من جحره ومد يده مصافحا الغراب. وقرر الاثنان أن يصبحا صديقين إلى الأبد. وبهذه المناسبة حمل الحكيم من جحره إلى الغراب شتى أنواع الحبوب التى كان يدخرها، ودعاه كى يتناولا معا خبزا وملحا تدشينا لعهد الصداقة بينهما.

وهكذا نشأت الصداقة بين الغراب والحكيم. وفى أحد الأيام دعى الغراب صديقه إلى زيارته فى بيته وقال له:

ـــ هيا طر معى لتحل على ضيفا فى منزلى الظليل الواقع فى البستان.

رحب الحكيم بدعوة الغراب وصار يستعد للذهاب معه. وقرر الغراب فى البداية أن يحمل الفأر بمنقاره. لكنه فكر قائلا لنفسه: "لكنه قد يتألم إذا ضغطت منقارى عليه دون قصد. وإذا نسيت فى أثناء الطيران ونعقت أو فتحت فمى سهوا حينئذ سوف يهوى الفأر من عل إلى الأرض ويتحطم جسده. من الأفضل أن أحمله بين مخالبى".

حمل الغراب الفأر بين مخالبه بحذر. وخفق بجناحيه محلقا فى الهواء. وعندما وصل إلى الحديقة أفلت الفأر على الأرض وجلس فوق أحد الأغصان. كان البستان رائع الجمال. مزروعا بشتى أشجار الفاكهة والثمار من كل الأنواع والأصناف فى العالم. وتحيط به من كل الجوانب أشجار الورود والأزهار الملونة التى تكسبه سحرا وضياء. ولم يكن يقطع سكون البستان سوى شدو البلابل والعصافير المسموع فى كافة الأركان، وخرير الماء الصافى كالبنور وهو يتدفق من نافورات المياه. وافترشت أرض البستان الثمار الناضجة من كل نوع ولون. من التفاح والمشمش والكمثرى وغيرها.

أقام الغراب وليمة حافلة بما لذ وطاب للحكيم. وكان الفأر سعيدا للغاية بالحفاوة والكرم الذى أحاطه به الغراب. وبعد أن أكلا وشبعا خرج الصديقان للتريض بالبســتان. ثم ســارا معا فى الممرات يستمتعان بنسمات الهواء النقى وعبق الأزهار.

وبينما يسير الصديقان بين أشجار الورد يتجاذبان أطراف الحديث، لمحتهم السلحفاة المختبئة خلف الأزهار. كانت السلحفاة تختبئ دائما أسفل المياه، وتحت الحشائش النامية. وكانت دائما تخفى رأسها وأقدامها الصغيرة داخل درعها الآمن حتى لا يعتــدى عليها وحش مفترس. ولم يسمع أحد من قبل صوت صدر عنها. لكن فى هذه المرة لم تتمالك السحلفاة نفسها وقررت أن تنطق وتتكلم. فهى لم تر أو تسمع فى حياتها أن الفأر يمكنه السير مع الغراب فى أمان. بل ويتجاذبان معا أطراف الحديث الممتع الودى. تملك الحسد من السلحفاة فأخرجت رأسها من درعها

وزحفت فى مواجهة الأصدقاء لتسألهم عن سبب هذه الصداقة. توقفت السلحفاة بالقرب منهم وقامت بإلقاء التحية عليهم وهى تدلى بعبارات الترحيب والسؤال عن الصحة والأحوال، ثم ألقت بالسؤال الذى يؤرقها وهو : كيف أصبح الاثنان صديقين ودودين على هذه الصورة التى تراها؟ حكى الغراب للسلحفاة عما جرى للحمام، وكيف قام الفأر الحكيم بمساعدة الحمام للخروج من المحنة التى وقعوا فيها.

سمعت السحلفاة بالقصة التى حكاها الغراب، وشعرت بالرغبة الشديدة فى أن تجد لنفسها أصدقاء مخلصين أوفياء بأية وسيلة كانت. فلا يوجد شىء فى العالم أغلى من الصداقة. فهى من أفضل الأشياء على وجه الأرض، والصداقة الحقيقية لا تقدر بثمن.

أقسمت السلحفاة على أن تصبح منذ هذه اللحظة صديقة مخلصة وفية لهم إلى الأبد. بعد أن استمع الغراب إلى كلمات السلحفاة قام بدعوتها إلى بيته. واستقبلها بكل الحفاوة والاحترام وكرم الضيافة. فقدم لها الطيب والشهى من الطعام والشراب.

عند أطراف البستان امتدت تلال عالية. كانت سفوحها مغطاء بالعشب الأخضر الكثيف. فى هذا المكان كانت تعيش عنزة ترعى العشب كل يوم من الصباح حتى غروب الشمس. فتمضى بحرية هنا وهناك، وتأكل بنهم من الحشيش الأخضر اليابس ما يحلو لها. ولما تشعر بالعطش تركض إلى عين الماء الصافية فتعبّ من مياهها حتى ترتوى. وعندما شاهدت العنزة الغراب والفأر والسلحفاة يتريضون معا بسلام ومودة فى البستان هبطت إليهم واقتربت منهم تحييهم وترحب بهم.

استقبل الجميع العنزة بكل الحفاوة والفرح. ودعاها الغراب إلى بيته. وأقام لها وليمة رائعة من مختلف الأطعمة الشهية. أكل الجميع حتى شبعوا وصاروا يتجاذبون أطراف الحديث فى مودة.



МЫШОНОК МУДРЕЦ

سألت العنزة فى دهشة: كيف قامت بينهم أواصر هذه الصداقة والوئام على الرغم من اختلاف أجناسهم؟ وعندما حكى لها الغراب قصة هذه الصداقة، أعلنت العنزة بحماس عن رغبتها الشديدة فى الانضمام إلى جماعتهم لترتبط معهم بأواصر الصداقة الأزلية. قبل الأصدقاء بكل الفرح أن يحققوا رغبة العنزة، وصاروا يسألونها عن أمور حياتها وبيتها.

فى أثناء الحديث تذكر الحكيم أفراد الحمام.

ـ لابد من دعوتهم .. قال الغراب وطلب من الحكيم أن يكتب لهم دعوة ويرسلها إليهم على الفـــور.

أجاب الفأر طلب الحكيم بكل السرور. فكتب على قصاصة دعوة للحمام، وربطها حول القدم اليمنى للغراب.

خفق الغراب بجناحيه وحلق طائرا فى الفضاء. وسرعان ما وصل إلى الحمام. فحل بمنقاره الدعوة المربوطة من حول قدميه وقدمها إلى الزرقاء. بعد أن قرأ الحمام الدعوة المكتوبة طاروا جميعا مع الغراب إلى البستان. فى البداية هبط أفراد السرب على أفرع الأشجار، ثم نزلوا إلى أرض البستان. وسعد الجميع باللقاء، وصاروا يسألون بعضهم البعض عن الصحة والأحوال، ويتجاذبون أطراف الحديث والحكايات الودية.

ومر وقت طويل على الحكيم والسلحفاة والعنزة والزرقاء وبقية الحمام وهم فى ضيافة الغراب. واستطاع الغراب أن يقنعهم بالبقاء معه فى بستانه الرائع ومشاركته الحياة فيه.

فى يوم من الأيام خرجت العنزة إلى التلال المجاورة لترعى العشب النضير وتشرب من ماء العين الباردة الصافية كالبنور.

مر اليوم وغربت الشمس خلف الجبال ولم تظهر العنزة ولم تعد إلى البستان بعد. انتاب القلق جميع الأصدقاء على العنزة. لكن الظلام كان قد حل فى المكان، ولم يعد هناك جدوى من البحث عنها فى الليل. فى اليوم التالى ومع أول خيوط الصباح خرج الجميع يبحثون عن العنزة فى كل ركن لكنهم لم يعثروا لها على أثر. حينئذ هتفت الزرقاء متوجهة بحديثها إلى الغراب:

ـ اختفت العــنزة بلا أثر ورائهــا ولا نفس خلفها، وينبغى علينا أن نعرف مكانها.

طار الغراب وحلق فى الفضاء وظل يبحث ويبحث عن العنزة فى كل البقاع والأراضى بلا جدوى. وأصابه الحزن من اختفاء العنزة المفاجئ بلا أثر. وفجأة لمح الغراب بعينيه شيئا يتحرك داخل تجويف عميق بسفح أحد الجبال فهبط يستطلع الأمر. وإذا بالعنزة المسكينة هناك وقد علقت إحدى قدميها بشباك نصبها أحد الصيادين الأشرار.

عاد الغراب مسرعا إلى البستان حيث كان الأصدقاء ينتظرونه بفارغ الصبر. وما إن هبط على الأرض حتى التفوا جميعا حوله يسألون فى لهفة ويستفسرون. أخبرهم الغراب كيف أن العنزة وقعت فى شرك وأن حياتها صارت مهددة بالموت. أخذ الجميع يتصايحون ويتشاورون فيما ينبغى فعله. وهنا تحدثت الزرقاء مرة أخرى وأدلت بنصيحتها قائلة:

ـ عليك أيها الغراب أن تطير على الفور إلى مكان العنزة وتحمل معك الحكيم بين مخالبك وتنقله إلى هناك، وعلى الحكيم أن يقرض حبال الشبكة التى وقعت فيها العنزة.

حمل الغراب بين مخالبه الحكيم بحذر وطار به. واستعدت الزرقاء للطيران خلف الغراب لكن السلحفاة استوقفتها وطلبت أن تذهب هى الأخرى للنجدة وتقديم العون. وحاولت الزرقاء إقناعها بالبقاء فى البستان بلا جدوى. وعندما طارت الزرقاء كانت السلحفاة هى الأخرى قد خرجت مسرعة إلى موقع العنزة. سرعان ما وصل الغراب إلى التجويف الواقع بسفح الجبل. فأنزل الفأر على الأرض بالقرب من العنزة. وشرع الفأر على الفور فى قرض حبال الشبكة. وصلت الزرقاء وأخذت تتفحص الشبكة بعينيها وقالت:

ـ استمع لما أقوله لك أيها الصديق الحكيم كى لا يضيع جهدك هباء، لا تحاول أن تقرض حبال الشبكة كلها، بل قم بقرضها من جانب واحد فقط، وأترك الجانب الآخر سليما تماما. لأنك لو مزقت الشبكة كلها سوف يعود الصياد ويراها ممزقة ويدرك على الفور أن هذا العمل من صنع أيدينا. وحينئذ سوف يطاردنا ويذيقنا العذاب بلا رحمة أو شفقة. والأفضل تقطيعها من جانب واحد وتظل العنزة

واقفة حتى يأتى الصياد ويراها، ثم ترفس الأرض بكل قوتها وتنتفض هاربة أمام ناظريه، فيظن أنها هى التى قطعت الحبال من هذا الجانب.

فعل الفأر مثلما قالت له الزرقاء. فقرض الحبال من جانب واحد حتى تبدو الشبكة سليمة غير ممزقة للناظر إليها. أسرع الجميع بتنفيذ خطتهم حتى لا يظهر الصياد ويفاجأهم فى أية لحظة. ثم حمل الغراب بين مخالبه الفأر وطار به عائدا إلى البستان. وعاينت الزرقاء ما قام به الفأر من عمل، وحلقت بعد ذلك هى الأخرى فى الفضاء تتبع الغراب.

لم يمض وقت كثير حتى جاء الصياد ليرى شباكه وما وقع بها من فرائس، فلمح العنزة داخل شبكته. اغتبط الصياد وفرح وركض مسرعا إلى طريدته. لكن العنزة لم تنتظر حتى يصل إليها الصياد. وصارت ترفس وتقفز بكل قوتها حتى تمزقت الخيوط التى كان الفأر قد قرضها من قبل، وفرت هاربة أمام الصياد. وقف الصياد فاغرا فاهه من الذهول. وأخذ ينظر تارة إلى أثر العنزة وتارة أخرى إلى الحبال الممزقة وهو غير مصدق لما جرى. تملك الغيظ من الصياد وظل متسمرا فى مكانه لفترة طويلة من الزمن وذراعاه يتدليان بجانب جسمه. ثاب الصياد إلى رشده وهم بجمع الحبال الممزقة. لكنه فى هذه اللحظة شاهد السلحفاة وهى تسير أمامه. فقد حاولت جاهدة اللحاق بأصحابها كى تساعدهم فى نجدة العنزة، لكنها وصلت متأخرة.

أمسك الصياد بالسلحفاة والفرحة تغمره وألقى بها داخل جرابه. ثم لف الجراب بالخيط حتى أحكم غلقه ورماه فوق ظهره وحمل شبكته ومضى فى طريقه.

فى هذا الوقت وصلت العنزة سالمة إلى البستان. واستقبلها الأصدقاء بالفرح والسرور. وأخذوا يسألونها كيف ولماذا وقعت فى الشرك. فى بادئ الأمر لم يلحظ أحد غياب السلحفاة عن المجلس. لكن بعد ذلك انتبه الجميع لاختفائها.

قالت الزرقاء: لقد حذرتها مرارا وتكرارا ونصحتها بالبقاء فى البستان، لكنها لم تصغ إلىّ ولم تأخذ بنصيحتى. والآن أيها الغراب سوف تضطر إلى التحليق مرة أخرى للبحث عنها فى الطرقات وعند سفح التل حتى تعثر عليها.

وعندما طار الغراب إلى مكان الفخ الذى وقعت بها العنزة، كان الصياد مازال واقفا هناك. ورآه الغراب وهو يمسك بالسلحفاة ويلقى بها فى الجراب ثم يربطه بالحبال ويحمل شبكته ويرحل. بعد ذلك عاد الغراب إلى البستان وقص على أصحابه كل ما شاهده.

بينما احتدم الجدل والنقاش بين الأصدقاء حول الطريقة التى يمكن بها إنقاذ السلحفاة، كانت الزرقاء قد توصلت إلى خطة مدهشة لإنقاذها. وطبقا لخطة الزرقاء فقد طار الغراب حاملا الفأر بين مخالبه حتى لحق بالصياد من الخلف وظل يتابعه وهو طائر من عل. فى هذا الوقت ظهرت العنزة أمام الصياد وهى تعرج بإحدى قوائمها. ما إن رآى الصياد العنزة حتى صاح فرحا فى نفسه:" أتعرجين يا حلوة، لابد أن قدمك قد التوت وأنت تقطعين الحبال، والآن سوف أمسك بك ولن يمكنك الهرب منى". وركض الصياد مسرعا نحو العنزة التى فرت من أمامه وهى تعرج، وجرى الصياد خلفها بأقصى سرعته وبكل ما أوتى من عزم، لكن العنزة كانت أسرع منه وظلت تركض أمامه بعيدا عن متناول يديه.

تعب الصياد وتقطعت أنفاسه وصار يجرجر أقدامه بالكاد. فألقى بجرابه على الأرض كى يتخفف من أحماله وانطلق خلف العنزة. فى هذه اللحظة هبط الغراب على الأرض تاركا الفأر بالقرب من الجراب. لم يضع الفأر وقتا وشرع فى قرض الجراب حتى فتح به ثغرة كبيرة. فخرجت السلحفاة من محبسها إلى الحرية واختبأت أسفل صخرة كبيرة.

حينئذ حمل الغراب الفأر بين مخالبه وطار به عائدا إلى البستان. وبعد أن تركه هناك حلق الغراب مرة أخرى فوق الوادى حتى عثر على العنزة وهى تركض من أمام الصياد. فطار من فوق العنزة. وصاح يقول لها: "لقد تحررت السلحفاة فاهربى الآن من الصياد". ما إن سمعت العنزة كلمات الغراب حتى كفت

عن العرج وأسرعت تجرى كالسهم بكل قوائمها. ما إن رأى الصياد الغبار الذى أثارته العنزة من شدة سرعتها حتى خر على الأرض ساقطا من الإعياء.

وصلت العنزة إلى البستان فى نفس الوقت الذى حط فيه الغراب هو الآخر. فرح الأصدقاء واغتبطوا، وجلسوا فى هدوء ينتظرون عودة السلحفاة بعد أن اطمأنوا إلى سلامتها.

منذ هذا الوقت لم يعكر أحد صفو الأصدقاء. وساد السلام والهدوء فى كل مكان من حولهم. وهكذا عاشوا معا فى البستان الرائع ترفرف عليهم أجنحة السعادة والهناء يجنون ثمار الصداقة والمودة.

الفتيات الخمس



عاش فى قديم الزمان عصفور نمام وغراب نعاق. لم يكونا من الشبعى المرفهين ولا من الجوعى السائلين. وفى قديم الزمان أيضا كانت هناك مملكة من ممالك الشرق العتيقة بها حى من أحياء التجار، عاشت به فتاة تدعى كرامات خون. كانت رشيقة القوام ترفل فى الثياب الفاخرة من الحرير وتبلغ من العمر خمسة عشر عامًا. فى يومٍ من الأيام خرجت الفتاة تحمل بيدها سبتا جميلا وذهبت إلى السوق. وهناك اشترت ما يحتاجه البيت من لحم وسمن وجزر وأرز وبصل وأعشاب خضراء للطهى.

استأجرت الفتاة عاملا ليحمل لها المشتريات إلى البيت.

وضع العامل الأجير الأغراض فوق ظهره وسار بها إلى منزل الفتاة. لم ير العامل فى حياته من قبل مثل هذا المنزل الرائع. حتى إنه فغر فاهه من الدهشة والانبهار.

كان البيت آية فى الجمال. تحيط به حديقة نمت فيها كل أنواع الأشجار المثمرة. ويتوسط الفناء حوض كبير للاستحمام. تحيطه بالفناء من الجوانب الأربعة الأبسطة الفاخرة الحمراء المفروشة على الأرض. كما تنتشر به أحواض الزهور ذات الروائح العطرية الرائعة. وأمام حوض الاستحمام ربض كلبان مقيدان بسلاسل من الذهب.

دلفت كرامات خون إلى داخل البيت ثم عادت تحمل قطعة ذهبية من المال أعطتها للعامل.

أخذ الأجير القطعة وصار ينظر إليها تارة ثم إلى الفتاة تارة أخرى.

وهنا أطلت من خلف الباب فتاة حسناء وقالت:

ـ أيتها الأخت كرامات خون، أعط هذا العامل قطعة ذهبية أخرى من المال حتى يصبح راضيا عن الأجر.

ـ حسنا أيتها الأخت معتبر خون .. أجابت كرامات خون ودلفت إلى داخل البيت ثم خرجت بعد برهة تحمل قطعة ذهبية أخرى أعطتها للعامل.

أخذ العامل منها القطعة الثانية وازدادت دهشته.

عندئذ قالت معتبر خون للعامل:

ـ ما الذى يثير دهشتك هكذا؟ ألا تكتفى بالقطعتين الذهبيتين أجرا لك؟

ـ أنا لم أكسب فى حياتى أبدا قطعتين من الذهب ـ قال العامل الأجير ـ لذا أصابتنى الدهشة من أن تمنحونى قطعتين ذهبيتين مقابل هذا العمل البسيط.

ثم أردف سائلا:

ـــ هل حقا تمنحوننى هاتين القطعتين أم أنكما تمزحان معى؟

قالت معتبر خون للأجير: وما الداعى لأن نمزح معك؟ لقد منحناك بالفعل هاتين القطعتين الذهبيتين.

فرح العامل ودس القطعتين فى جيبه.

فى هذا الوقت طرق أحد على البوابة. فخرجت كرامات خون لتفتحها وترى القادم إليهم. كان هناك ثلاث فتيان من العمى، قالوا لها:

ـــ إننا غرباء عن هذه الأنحاء، فلوا أنكم سمحتم لنا بقضاء ليلتنا عندكم سوف نصبح من الشاكرين لكم. وفى الصباح سوف نرحل مواصلين طريقنا.

ردت كرامات خون قائلة:

ـــ سوف أطلب الإذن من شقيقتى الكبرى .. وأسرعت إلى داخل البيت.

قالت معتبر خون لها: ماداموا غرباء فليتفضلوا إلى البيت.

قادت كرامات خون العميان إلى الحديقة. ثم دعت معتبر خون الفتيان إلى الجلوس على الأبسطة الفاخرة. ووضعت أمامهم أطباق الحلوى والفطائر ومختلف الفاكهة. وأحضرت كرامات خون السماور والأقداح وصنعت الشاى الأسود الثقيل وراحت تصب منه للضيوف. (السماور هو وعاء جميل الشكل من المعدن لصنع الشاى يغلى به الماء وله صنبور. معروف منذ القدم وحتى الآن فى روسيا والبلدان التابعة لها. المترجم)

بعد ذلك صاحت معتبر خون تنادى:

ـــ مكرم خون.

وخرجت من البيت الفـــتاة الثـــالثة الحسناء مكرم خـــون فوقفت أمام شقيقتها تقول:

ـــ نعم أيتها الأخت.

ـــ أريدك أيتها الأخت مكرم خون أن تتولى تحضير طعام الغداء.

شرعت مكرم فى إعداد البلوف. فى الأول أخذت تقطع اللحم والبصل والجزر. ثم أشعلت الموقد ووضعت عليه القدر الكبير. وبعد أن انتهت من إعداد البلوف وضعت الغطاء على القدر. وفى أثناء هذا الوقت كان الغرباء قد انتهوا من شرب الشاى.

رفعت معتبر خون الأقداح وقالت لمكرم خون:

ـــ هاتى لنا من البيت الآلات الموسيقية كى نعزف عليها ونسرى عن ضيوفنا بعض الشىء.

أحضرت مكرم خون الدف والناى والقيثارة. فحملت معتبر خون الدف، وتناولت كرامات خون الناى، وأمسكت مكرم خون بالقيثارة. وبدأ الأخوات الثلاث فى العزف والغناء.

لنتركهم الآن فى لهوهم وغنائهم ولنقص عليكم شيئا آخر.

فى هذا اليوم قرر ملك هذه البلاد الأخذ بنصح وزيره الحكيم والعمل بها.

قال الملك: فلننظر ونعرف أحوال الرعية وماذا يفعلون فى أثناء الليل.

وتنكر الاثنان فى هيئة التجار وركبا الجياد متنقلين بين شوارع المدينة فى الليل من شارع إلى آخر ومن حى للثانى حتى وصلا إلى حى التجار الذى تقيم به معتبر خون مع أخواتها. وتناهت إلى مسامع الملك أصوات العزف والغناء من حديقة منزل معتبر خون فأعجبته أصواتهن العذبة.

استمع الملك للغناء بعض الوقت ثم التفت قائلا لوزيره:

ـــ هيا بنا ندخل إلى هذا البيت لننظر من به.

وترجل الاثنان من فوق الجياد وخبطا على بوابة المنزل. سمعت كرامات خون صوت الخبط فتركت الناى وخرجت لترى من بالبوابة.

سألت الفتاة: من هناك بالباب؟

أجاب الملك قائلا:

نحن تاجران غريبين عن هذه المدينة. وقد هبط الليل علينا عند وصولنا إلى مدينتكم. ولا نعرف بيتا نأوى إليه. حتى جئنا بالصدفة إلى بوابة منزلكم وسمعنا صوتا يشير إلى سهركم. فاسمحوا لنا بقضاء هذه الليلة عندكم. وغدا فى الصباح سوف نرحل فى طريقنا.

نقلت كرامات خون لشقيقتها معتبر خون طلب الغرباء بالمبيت. فقالت لها معتبر خون:

ـ ماداموا من الغرباء فليتفضلوا إلى البيت.

رافقت كرامات الملك ووزيره إلى الحديقة. فقاما بإلقاء التحية على الحضور. وأفسحت معتبر خون لهم مكانا جلسا فيه بالقرب من العميان. وأحضرت لهم أطباقا جديدة عليها صنوف الحلوى والطعام.

قالت الفتاة: أيها الغرباء، إذا كنتم سوف تشاركوننا مجلسنا فـأرجو منكم ألا تصيبكم الدهشة مما نفعل هنا أيا كانت أفعـالنا، ولا تطرحوا علينا الأسـئلة، وإذا خرقتم هذه الشروط وقمتم بطرح الأسئلة فسوف تنالون عقابا صارما.

وافق الجميع.

نهضت معتبر خون وأحضرت البلوف على طبق من الذهب وضعته أمام الملك ووزيره.

أما الطبق الثانى من البلوف فوضعته أمام الفتيان العميان، والثالث أمام العامل الأجير. وبعد ذلك أخذت الطبق الرابع لنفسها هى وأخواتها. أكل الجميع حتى شبعوا وشربوا الشاى بعد تناول الطعام. ورفعت الفتيات الأطباق وحملتها إلى الداخل. ثم حملن آلاتهم الموسيقية ثانية وشرعن فى العزف والغناء. بعد أن مرت نصف ساعة من الوقت حملت الفتيات آلاتهم إلى الداخل وقالت معتبر خون لشقيقتها مكرم خون:

ـ هيا أحضرى الكلبين.

جمعت كرامات خون بقايا البلوف من القدور ووضعتهم فى طبقين من الذهب وحملتهما إلى الحديقة. وقامت معتبر خون بضرب الكلبين بالسوط حتى أشرفا على الهلاك وصارا يبكيان كالبشر. عندئذ تركت معتبر خون السوط وصارت تقبل الكلبين فى رأسيهما وتمسد بيديها على جسميهما ثم وضعت أمامهم أطباق البلوف. وعندما انتهى الكلبان من تناول الطعام قيدوهما بالسلاسل مرة أخرى.

ذهل الجميع لما شاهدوه وخاصة الملك الذى نسى الاتفاق وسأل قائلا:

ـ أخبرينى يا معتبر خون، لماذا تقومين بجلد الكلبين وبعد ذلك تقبليهما وتمسدى عليهما بيديك وتقدمى لهما البلوف على أطباق من الذهب؟

ثارت معتبر خون من الغضب وقالت:

ـ ألم أحذرك من قبل؟ لماذا إذن تطرح الأسئلة؟ إن ذنبك الآن حول رقبتك فلا تغضب لما يحدث لك.

ونهضت واقفة فى مكانها وضربت راحة يدها بقبضة الأخرى. عندئذ دخل إلى الحديقة عشرة من العبيد الجبابرة وانحنوا أمامها قائلين:

ـ بماذا تأمرينا أيتها السيدة؟

ـ قيدوا هذين التاجرين وأولئك العميان الثلاثة من أياديهم وأقدامهم.

فى الحال قيد العبيد الأقوياء الجميع كما طلبت الفتاة. ثم قالت معتبر خون للعبيد:

ـ أنتم الآن أحرارا فانصرفوا كل إلى مكانه.

رحل العبيد، والتفتت معتبر خون إلى الملك والوزير والعميان:



ــ والآن أيها الإخوة سوف تقصون على بالتناوب عن المواقف الطيبة التى مرت بكم، وعن المتاعب التى عصفت بحياتكم، وسوف أحدد عقاب كل منكم طبقا للكروب والأحداث السعيدة التى مر بها.

أشارت معتبر خون إلى الأعمى الأول وأرغمته على أن يبدأ بالحديث.

حكاية الأعمى الأول

أنا الأمير شوخاك ابن ملك بلاد داجستان. عندما كنت فى الرابعة عشر من العمر أخذنى والدى مع وزيره الحكيم لأرافقه فى رحلة للصيد. وتجولت مع والدى نصطاد الطرائد والفرائس. وبعد انتهاء الصيد جلس والدى مع الوزير للراحة وجلست أنا الآخر بجانبهم. ثم نظرت إلى السلاح فرأيت مغلاق الأمان متسخا. حاولت تنظيفه وضغطت على الزناد وأنا أظن أن السلاح فارغا من الطلقات فخرجت رصاصة أصابت عين الوزير. ثار أبى على وصار يوبخنى ويسبنى.

ـ لم أكن أعلم أن السلاح محشو .. قلت وأنا أبكى. وغضب الوزير غضبا شديدا لما أصابه لكنه كظم غيظه أمام أبى ولم يفعل شيئا بى خشية منه. بعد ذلك قمنا بجمع الطرائد وعدنا إلى المدينة. ومرت ثلاثة أو أربعة شهور وقال لى أبى:

ـ ولدى العزيز، سوف أرحل فى حملة إلى خارج البلاد. وأريدك أن تسافر إلى عمك وتبقى معه للدراسة هناك. ذلك لأننى أخشى عليك أن يصيبك أذى من الوزير، فمنذ فقد إحدى عينيه وطباعه قد ساءت بدرجة كبيرة.

وفى اليوم التالى أرسلنى الوالد برفقة عدد من الفرسان إلى مدينة بستان التى كان يحكمها عمى.

مر شهر بعد الآخر وأنا أقيم ضيفا على عمى. وبعد ذلك التحقت بالمدرسة التى كان يدرس فيها ابنة عمى وابنه. كان ابن عمى حاجى طورسن يكبرنى بأربعة أعوام. بعد مرور عامين من الدراسة عرفت أن ابن عمى قد وقع فى غرام شقيقته بنت عمى تولجنوى. وأنها أيضا تبادله الحب. عندئذ أصابنى الذهول والرعب لكننى تكتمت الأمر ولم أخبر عمى بشىء.

وفى أحد الأيام علم عمى بهذا الأمر فثار وغضب وشيد قصرا مستقلا كى تعيش به تولجنوى. ثم أخرجها من المدرسة وحبسها داخل القصر. ولم يكتف بالأربعين خادمًا معها بل وضع عددا كبيرا من الحراس حول القصر وأمرهم قائلا:

ـ إذا رأيتم ولدى يحوم حول القصر فاقبضوا عليه وأحضروه إلىَّ.

مر عام آخر وطلبنى ابن عمى لأراه وقال لى:

ـ أخى العزيز، أريد منك اليوم أن ترافقنى إلى أحد الأماكن.

أجبت عليه فى دهشة:

ـ حسنا، سوف أرافقك.

ـ سوف نرحل عندما يرتفع الآذان مناديا لصلاة المغرب.

ـ حسنا.

بعد انتهاء الحصص المدرسية ذهبنا إلى البيت وتناولنا طعام الغذاء وانطلقنا فى الطريق. وبعد صلاة المغرب قادنى حاجى طورسن إلى أحد المنازل وتركنى فى الشارع ودخل بمفرده إلى المنزل. كان الليل قد هبط فى المكان. وبعد برهة من الوقت عاد حاملا فوق ظهره جوالاً مربوطًا.

ـ فلنذهب ـ قال ابن العم ومضينا نواصل السير. وعندما وصلنا إلى أطراف المدينة حل ربطة الجوال ونظرت وإذا بابنة العم تولجنوى تخرج من الجوال. أصابنى الذهول مما حدث.

ابتعد ابن العم عشر خطوات وصار يزيح الرمال من على الأرض حتى ظهر باب مدفون قام بفتحه ودفع أخته عبره إلى الداخل ومد يده ناحيتى وصافحنى قائلا:

ـ وداعا أيها الأخ، أرجو ألا تتذكرنا بالسوء أو بالذم، ولن نتقابل ثانية بعد الآن إلا فى العالم الآخر. فقد حانت نهاية قصتنا معا .. قال كلماته مودعا ثم أردف قائلا:

ـ أرجو ألا تخبر أحدا بسر هذا المكان، وقبل رحيلك انثر الرمال فوق الباب حتى تغطيه.

وهبط ابن العم إلى مدخل خلف الباب وأغلقه من خلفه. وقمت بعد ذلك بغمره بالرمال كما طلب منى ورحلت. وعندما وصلت إلى القصر سألنى العم:

ـ ألم تر حاجى طورسن؟

أجبت عليه: لقد كنا معا منذ الصباح حتى حلول المساء، ثم أخبرنى أنه ذاهب إلى مكان ما ولم أشاهده ثانية بعد ذلك.

فى الصباح أخبرنى عمى باختفاء ابنه وابنته. وذهبت إلى المدرسة بمفردى. وبعد مرور شهرين انتهيت من الدراسة فى المدرسة وتأهبت للعودة إلى مسقط رأسى ومدينة أبى.

ذاق عمى الويلات فى سبيل البحث عن ابنه وابنته حتى أشفقت عليه وحكيت له كل ما عرفته عنهم.

طلب عمى أن أرشده إلى مكانهم فقدته إلى الموقع ونبشت الرمال حتى ظهر الباب السرى. وعندما دلفنا أنا وعمى إلى الداخل رأينا الهاربين يرقدان متعانقين وهما ميتين. كان جثمانهما قد احترق واسود تمامًا حتى تفحما. نظر العم إليهما وقال:

ـ لقد كان عليكما أن تتحملا وزر ذنوبكما. وكان من الواجب علىَّ أن أعاقبكما بنفسي على هذا النحو لكننى لم أفعل.

قال عمى هذه الكلمات وخرج من الحجرة. وخرجت أنا الآخر من خلفه وأغلقت الباب، ثم نثرت فوقه الرمال ثانية كما كان. وعدت مع عمى إلى القصر وقد خبت نار أحزانه بعد أن شاهد بنفسه كل شيء.

بعد مرور أسبوع طلبت من عمى الإذن بالرحيل والعودة إلى ديارى فقال العم:

ـ لا ترحل عنى وكن ولدا لى.

فأجبت قائلا:

ـ إذن فلتسمح لي بالسفر لرؤية والدى ثم أعود ثانية إليك.

وافق العم ومنحنى الكثير من الهدايا وأرسلنى إلى الديار بصحبة عدد من الفرسان. كما بعث برسالة إلى والدى أطلعه فيها على كل الأمور.

أبحرنا في إحدى المراكب وبعد مرور بضعة أيام وصلنا إلى الشاطئ الواقع عند أطراف المدينة. وعندما بدأت فى تبديل ملابسى وارتداء ملابس جديدة رأيت حشدا من الجنود يتجه نحونا.

فكرت قائلا فى نفسى: "لابد من أنهم فرسان أبى قادمون لاستقبالى".

لكن الجنود بعد وصولهم قاموا على الفور بتقييد ساقى ويدى، وضربوا حراسى المرافقين وألقوا بى بداخل إحدى الزنازين.

مر علىَّ يومان وأنا ملقى بدون ماء ولا طعام. وفى اليوم الثالث ساقونى إلى الملك. عندئذ فقط عرفت أن الملك ليس إلا الوزير الأعور. انجلى الأمر وبان أن الملك والدى قد مات فى أثناء غيابى عن البلاد واستطاع الوزير الاستيلاء على العرش من بعده. قال لى الوزير متوعدا:

ـ هل تتذكر كيف أنك تسببت فى عورى؟ .. قال هذا وفقأ بأصابعه عينى.

ثم أمر الوزير: أيها الجلادون، اقتلوا هذا اللعين.

ساقنى الجلادون إلى مكان الإعدام فصرت أتوسل إليهم وأرجوهم مذكرا إياهم بأننى الأمير ابن الملك السابق، فأشفقوا على وتركونى أهرب من المدينة.

قال الجلادون: إذا لم تختف عن الأنظار فسوف يعلم الملك بأمرك ويأمر بقتلك وقتلنا معك.

وها أنا فى مدينتكم الآن وقد مرت عشرة أيام على رحيلى من موطنى ذقت خلالها الكثير من المصاعب والأتراح. وقد كنت جالسا فى المقهى أحتسى الشاى عندما دخل هذان الشابان الضريران. فتجاذبنا أطراف الحديث وحكى كل منا

حكايته للآخر حتى صرنا أصدقاء وجئنا معا إليكم. انتهى الأمير شوخاك من سرد حكايته.

قالت معتبر خون: كرامات خون، هيا حررى قدمى وذراعى هذا الفتى الجسور من القيود.

قامت كرامات خون سريعا بحل الحبال التى ربطت قدمى وذراعى شوخاك.

ــ والآن جاء الدور عليك لتقص علينا حكايتك أيها المغوار ــ قالت معتبر خون للفتى الأعمى الثانى.

حكاية الأعمى الثانى

أدعى الأمير غلام، وأنا ابن لملك مدينة كانون. علمنى والدى الكثير حتى صرت عالما جيدا. كان خطى فى الكتابة يتميز بالدقة والجمال. وكان كل من يرى خطى يحسدنى على جماله. ووصل صيتى فى روعة الخط إلى مسامع ملك مدينة جيرات، فكتب رسالة إلى والدى يطلب فيها منه أن يرسلنى إليه كى أعمل كاتبا وكاتما للسر فى بلاطه. وعندما أخبرنى والدى بطلب الملك لم أوافق. وعندئذ صارحنى أبى قائلا:

ــ يا بنى، أنت تعرف أن هذا الملك له سلطان كبير ونفوذ واسع، وأنا أخضع لسيادته وأطيع أوامره، فإذا لم تذهب إليه فسوف يلقى باللوم على ويعتبرنى عاصيا لأوامره. ووقتها سوف تنهال الكوارث فوق رأسى.

سمعت كلمات أبى وأجبته قائلا:

ــ إذن لا مفر من السفر إليه يا والدى.

فى اليوم التالى أرسلنى والدى إلى جيرات بصحبة خمسمائة فارس. أبحرنا بأحد المراكب لبضعة أيام حتى رسونا على الشاطئ الواقع عند مشارف مدينة جيرات. بعد ذلك تناولنا طعام العشاء ورقدنا للنوم. لكننى سرعان ما صحوت على صوت وقع حوافر الخيل.

فكرت أن الملك قد أرسل عددا من جنوده لاستقبالى وأخبرت من معى بذلك. وفجاة انقض علينا الجنود القادمون وهجموا على رفاقى فأعملوا فيهم القتل والطعن حتى صرعوا الجميع فلم يبق منهم أحد على قيد الحياة سواى. أما أنا فقد رقدت بين الجثث بلا حـــراك متصـــنعا الموت. ثم جمع الجنود الأسلحة ورحلوا عن المكان.

فى الصباح تلفت من حولى وخرجت زاحفا بين جثث القتلى. ثم بدلت ملابسى وتنكرت فى هيئة الرعاة وذهبت قاصدا المدينة. تجولت فى الشورع وعرجت على دكان للخياط. ألقيت بالتحية على الخياط فرد علىَّ هو الآخر بالتحية وأشار لى بالجلوس فجلست. سألنى الرجل قائلا:

ـــ من أنت؟ وإلى أين مقصدك؟

حكيت له عن كل ما جرى وصار معى.

ثم رجوت الرجل قائلا: لقد تعرضت لهجوم من اللصوص وذقت الأمرين فى أثناء ذهابى إلى ملككم. وإننى أخجل من الظهور أمام الملك مرتديا هذه الملابس. فأرجو أن تسمح لى بالعمل لديك لبعض الوقت حتى يمكننى شراء ملابس لائقة كى أرتديها أمام الملك.

أجاب الخياط قائلا:

ـــ إننى أعلم كل شيء عن حكايتك، ومن حسن طالعك أنك لم تذهب إلى الملك وجئت إلىَّ. فأنت بعملك هذا قد أطلت عمرك.

قلت للرجل: ما الذى تعنيه بقولك هذا؟ إننى لم أفهم شيئا.

بدأ الخياط حديثه بالكلام عن المؤامرة التى دبرها الملك ضد والدى.

قال الخياط: لقد أراد أن يستحوذ عليك ويخلع أبيك من على كرسى العرش بأية وسيلة ممكنة.

سألته: وكيف عرفت كل هذه المعلومات؟

قال الرجل: عرفتها لأننى خياط الملك وقد سمعته ذات مرة يتحدث مع وزيره عن مقدمك، وتأثرت لما عرفت عن المؤامرة التى يحيكها الملك.

كان الخياط رجلا طيب الخلق حسن الطباع. بعد ذلك قال لى:

ـ لا تحمل هما يا بنى، فغدا سوف آخذك إلى رجل حطاب لتعمل معه بعض الوقت فى الجبال حتى تحصل على ملابس جديدة وترحل عائدا إلى مدينتك.

اغتبطت بما قاله لى الخياط. ثم أخذت حبلا وبلطة وذهبت إلى الحطاب.

فى يوم من الأيام قمت من النوم مبكرا بساعة عن بقية الحطابين، فحملت حبلى وخرجت أجمع الحطب. وتوقفت فى الجبل عند شجرة جف جذعها. "لو أننى استطعت قطع هذه الشجرة فسوف أحصل منها على كمية كبيرة من الحطب أبيعها" .. فكرت قائلا لنفسى وأخذت أهوى بالبلطة عليها. تمايلت الشجرة من أثر الضربات وتهاوت واقعة على الأرض من جذورها. وظهرت فى الأرض أسفل الشجرة حفرة كبيرة. "ما هذه الحفرة؟" ـ فكرت متسائلا وقررت الهبوط إليها واستكشافها. كانت الحفرة تؤدى إلى ممر ينتهى إلى أحد الأبواب. فتحت الباب فرأيت فتاة جالسة لا يوجد على الأرض أحد فى جمالها. كانت حسناء كالبدر مشرقة كالشمس.

هتفت الفتاة تقول: يا إلهى إننى لا أصدق عينى، هل أنت من الإنس؟.

أجبت عليها: نعم إننى إنسان.

ركضت الفتاة مسرعة نحوى.

ـ أخيرا كتب لى أن أرى إنسانًا ـ قالت كلماتها وهى تذرف الدمع الغزير.

فرشت الفتاة مائدة وزينتها ودعتنى للجلوس إليها. ثم غسلت يديها وقامت بإعداد الطعام:

أكلت حتى شبعت وسألتها بعد ذلك قائلا:

ـ من أنت؟ وما الذى تفعلينه فى هذا المكان؟

صارت الفتاة تسرد حكايتها:

ـ اسمى كوموش خون، وأنا ابنة لملك مدينة بارسى. وعندما بلغت الخامسة عشرة من العمر وقع أحد الجان فى غرامى. فقام فى أثناء الليل بخطفى وأحضرنى إلى هذا المكان. ومنذ ذلك الوقت وأنا أسيرة لديه.

سألت الفتاة: ومتى قام بخطفك؟

ـ منذ عامين بالتمام.

سألتها ثانية: ولماذا لم تهربى من هذه الحفرة ورضيتى بالعيش فيها؟.

ردت الفتاة: إن الهروب من هذا المكان الملعون لأمر مستحيل.

سألت الفتاة: أين الجنى؟ ومتى يحضر؟

قالت كوموش خون: إنه الآن موجود فى كوخى كوف، ولا يأتى إلى هنا سوى مرة كل أربعين يوما.

ـ وكيف تطلبين الجنى فى حال ظهور شىء يخيفك؟

أجابت كوموش خون قائلة:

ـ عندما أرغب فى حضور الجنى أضغط بيدى على هذا الحجر، وعندئذ يظهر الوحش أمامى فى الحال.

حينئذ غافلت الفتاة وقمت بالضغط على الحجر دون أن ترانى، وعلى الفور هبت فى المكان ريح عاصفة.

ـ لقد حانت الآن ساعتى، لماذا طلبت حضور الجنى؟ هيا اهرب من هنا بسرعة ـ قالت الفتاة وهى تبكى بمرارة وأشارت إلى أحد الأبواب. دلفت إلى الحفرة المجاورة واختبأت بها كاتما أنفاسى من فرط الرعب.

حضر الجنى وسأل الفتاة:

ـ ماذا جرى؟ ماذا حدث؟

كوموش خون أجابت قائلة:

ـ ليس هناك شىء سوى أننى أعددت طعاما طيبا وطلبتك كى تشاركنى أكله.

جلس الجنى وتناول الطعام فى صمت. وفى الطريق عثر الجنى على الحبل والبلطة التى كنت أحمله فسأل الخياط:

ـ لمن هذه البلطة وهذا الحبل؟

أجاب الخياط:

ـ لا أعلم، يمكنك سؤال الحطابين عنهما، فقد عاد أحدهم منذ فترة وجيزة، ومن الجائز أنه صاحب هذه الأغراض.

فى هذا الوقت كنت قد خرجت من الحفرة وذهبت إلى المدينة عند الخياط. وهناك سألنى الجنى:

ـ هل هذه البلطة والحبل ملكا لك؟

ارتبكت ولم أدر بماذا أجيبه فقلت الحقيقة.

ـ نعم إنهما لى.

عندئذ وضعني الجني داخل جوال ثم حمله وطار محلقا بى حتى وصل إلى كوموش خون فألقى بى أمامها ووضع سيفا فى يدى وأمرنى قائلا:

ـ اقتل هذه الفتاة فورا.

قلت للجنى: ولماذا أقتلها؟ من المحال أن أقوم بقتلها ولا لأى سبب كان مهما قلت ومهما طلبت.

عندئذ نزع السيف من يدى وأعطاه للفتاة قائلا لها:

ـ هيا اقتلى هذا الفتى فورا.

لكنها ردت عليه مثلما قلت وصاحت:

ـ ولماذا أقتله؟ من المحال أن أقوم بقتله ولا لأى سبب كان مهما قلت ومهما طلبت.

حينئذ خطف الجنى السيف من يد الفتاة وقام بتمزيقها إربا إربا.

ثم سألنى الجنى: ما الطريقة التى تفضلها للموت؟

أجبت عليه: الأمر يعود إليك.

بعد ذلك قرأ تعويذة ونفخ فى وجهى فتحولت إلى قرد. ثم أمسك الجنى بى وطار محلقا فى الهواء ورمانى فى أحراش إحدى الغابات. ومرت خمسة أو ستة أيام على وأنا أقفز من شجرة لأخرى محاولا الوصول إلى المكان الذى تنبت فيه الأزهار. فعلى الرغم من هيئة القرد التى صرت فيها إلا أن عقلى ظل كما هو، غير أننى لم أقدر على النطق بالكلام. وبعد مرور أسبوع كنت جالسا أعلى إحدى الأشجار عندما لمحت فجأة مركبا تبحر فى الماء. هبطت من فوق الشجرة وصرت أسير متتبعا أثر المركب التى سرعان ما رست عند أحد الموانئ. وخرج الناس منها إلى الشاطئ، وبعد فترة صعدوا إليها مرة أخرى. وعندما قرعت الأجراس إيذانا بالتحرك تسللت إلى المركب وذهبت على الفور إلى القبطان وأنا أمد يدى لمصافحته فابتسم القبطان وصافحنى بيده. بعد مرور بضعة أيام كان القبطان

ومساعده يلعبان لعبة الشطرنج وأنا أتفرج عليهما. هزم المساعد القبطان فى اللعبة مرتين وقتل ملكه؛ وبعد ذلك كفا عن اللعب فاقترحت على القبطان بالإشارة أن ألعب معه الشطرنج. أدرك الرجل معنى إشارتى وجلس يلعب معى فهزمته. أصاب الذهول القبطان ومساعده مما حدث.

فى نفس هذا اليوم ومع طلوع الفجر وصلنا إلى مدينة قدوس. رأيت المسافرين يكتبون خطابات على الورق ويضعونها فى أظرف. فطلبت بالإشارة من القبطان أن يعطينى ورقا وقلما. فهم الرجل مقصدى وأحضر لى ورقة وريشة وأخذت أكتب رسالة. دهش القبطان لما رأى خطى فى الكتابة. انتهيت من كتابة الرسالة فوضعتها فى ظرف وأعطيتها له. فحمل القبطان رسالتى إلى ملك المدينة. وعرفت فيما بعد أنهم يرغمون الجميع على الكتابة ويرسلون كتاباتهم إلى الملك ليرى أجمل الخطوط ويختار صاحب أجمل خط منهم ليعمل كاتبا وأمين سر لديه. وعندما أعطى القبطان رسالتى للملك أعجبه خطى فقال:

ـ أحضروا لى هذا الإنسان.

ضحك القبطان وقال للملك:

ـ إن صاحب هذا الخط ليس بإنسان بل قرد.

سأل الملك: هل من المعقول أن قردك يكتب هذا الخط الجميل؟

قال القبطان: إنه ليس قردى، بل إنه يصحبنا فى أثناء السفر وقمنا بنقله معنا.

طلب الملك قائلا: حسنا، أحضروه إلىَّ.

عندئذ عاد القبطان وأخذنى معه إلى القصر.

حضر الملك ورآنى ثم أعطانى ورقة وأمرنى بالكتابة. شرعت بكتابة رسالة بخط جميل فى تأن وهدوء.

ـــ إن هذه أول مرة أرى فيها قردا يكتب ــ هتف الملك فى دهشة وعيننى كاتبا له وأمينا لسره.

فى الصباح التالى اصطحبنى الملك إلى زوجته التى قدمت لى الطعام. كانت للملك ابنة حكيمة فطنة فى الثامنة عشرة من العمر.

أرسل الملك أحد الخدم فى طلب الابنة. وما إن فتحت الفتاة باب الحجرة حتى انصرفت مسرعة عنا.

قال الملك: ادخلى يا ابنتى، لا يوجد أحد غريب هنا إلا أنا وأمك وهذا القرد.

قالت الفتاة: كلا لن أدخل، فهذا ليس قردا بل إنسان.

قال الملك معترضا: لقد طلبتك لتشاهدى هذا القرد، فهيا ادخلى إننى أسمح لك بذلك.

دخلت الفتاة وصرحت مرة أخرى:

ـــ يا والدى، إن هذا ليس بقرد بل إنه إنسان.

قال الملك: وكيف أتى لك أن تعرفى هذا؟

ـــ إننى أعرف أن هذا إنسان مسحور.

سأل الملك ابنته:

ـــ وهل يمكن تحريره من السحر؟

قالت الفتاة : نعم من الممكن لكنه من الأمور الصعبة للغاية.

قال الملك: يا ابنتى العزيزة، لو أن بمقدورك أن تعيدى له هيئته الإنسانية فافعلى هذا لأننى أحتاجه للعمل كاتبا وأمينا للسر.

لم تستطع الفتاة أن ترفض طلب أبيها فظلت طوال الليل تقرأ كتب السحر والطلاسم وتبحث فى أسرار التعاويذ. وعند الفجر عدت ثانية إلى هيئتى الإنسانية.

قدم الملك وزوجته التهانى إلىّ بمناسبة زوال السحر الأسود عنى. وبعد مرور بعض الوقت خرجنا إلى حديقة الملك نتريض فيها. عندئذ هبطت من السماء حمامة بالقرب منا فانتفضت الفتاة واقفة وقالت:

ـ لقد جاء الجنى الذى سحرك وسخطك إلى قرد كى ينازلنى.

ثم قرأت تعويذة تحولت على أثرها إلى طائر أسود ضخم. وطارت محلقة وصارت تصارع الحمامة. وفجأة حطت الحمامة على الأرض وأخذت تراوغها وتحولت إلى كلب. فحطت الفتاة على الأرض وتحولت بدورها إلى أسد وصارا يتصارعان ثانية.

وأخيرا زأرت الفتاة وتحولت إلى نار مستعرة أحرقت الجنى.

أصابتنى بعض الشرارات من النار فى عينى فأعمتنى، وماتت الفتاة متأثرة بجراح المعركة. صرخت الأم الثكلى وماتت هى الأخرى فى الحال حزنا على ابنتها. ثار الملك من الغضب وصرخ قائلا لى:

ـ اغرب فى الحال عن مدينتى أيها اللعين، لقد أردت أن أحسن إليك فكان جزائى هو ضياع زوجتى وابنتى.

وطردنى الملك من المدينة. فسرت فى الطرقات هائما على وجهى وأنا كالعارى تقذف بى الأقدار. ومرت على أيام وليال وأنا فى سيرى حتى وصلت إلى هذه المدينة. وفى المقهى قابلت هؤلاء الناس الذين جئت معهم إليكم. وهكذا انتهت حكاية الأعمى الثانى الفتى غلام.

قالت معتبر خون: كرامات خون، هيا حررى قدمى وذراعى غلام من القيود فيكفيه ما مر به من ألم وعذاب لا يتحمله أحد.

قامت كرامات خون سريعا بحل الحبال التى ربطت قدمى وذراعى غلام.

قالت معتبر خون للأعمى الثالث:

ـ والآن جاء الدور عليك لتقص علينا حكايتك أيها البطل.

حكاية الأعمى الثالث

إننى أيضا أمير من الأمراء أدعى بهرام. وأنا ابن لملك مصر. كنت أذهب مرة فى كل عام مع أصدقائى إلى مدينة قدوس للسياحة والمرح. وذات مرة حان موعد سفرى إلى مدينة قدوس فجمعت رفاقى وأبحرنا بالمركب إلى هناك. كنا فى العادة نبحر دون أية متاعب لستة أيام حتى نصل الى هناك.

لكن الطريق فى هذه المرة لم يكن سهلا. فقد هبت علينا عاصفة هوجاء، وارتفعت الأمواج العاتية وصارت تضرب المركب بقوة وضراوة.. ومرت سبعة أيام دون أن تظهر فى الأفق مدينة قدوس. وهدأت العاصفة فذهبت إلى قبطان المركب وسألته:

ـ لقد مرت علينا سبعة أيام ونحن مبحرين فى الماء، فلماذا لم تظهر فى الأفق حتى الآن مدينة قدوس؟

ـ أيها الأمير، لقد جنحنا عن وجهتنا وتهنا فى البحر بسبب العاصفة التى تعرضنا لها والأمواج التى ضربتنا. والآن حاول أن تنجو بحياتك من هنا، لأن هذا الجبل هناك الذى تراه فى الأفق له قوة مغناطيسية هائلة تشدنا إليه ـ قال القبطان المصدوم لى ما قاله من كلمات وأخذ فى البكاء بمرارة.

تملكنى الخوف مما سمعته فرميت بنفسى على الفور فى الماء. واندفعت المركب نحو الجبل المغناطيسى الذى اجتذبها إليه حتى ارتطمت به وتحطمت فوق صخوره. أما أنا فأخذت أسبح فى الماء متشبثا بالحياة. ومر على يومان وليلتان وأنا على هذا الحال. وأخيرا وصلت إلى الشاطئ فارتميت عليه ونظرت حولى فإذا بالماء يحيطنى من كل جانب.

فكرت فى نفسى: "والآن قد أصبح مصيرى هو الموت المحقق".

صرت أفكر وأفكر للوصول إلى طريقة أغادر بها هذه الجزيرة وأعملت ذهنى جاهدا بلا جدوى. ولما كنت منهكا مما عانيته فى الطريق فقد رقدت فى العراء على الشاطئ ورحت فى نوم عميق. وفى المنام رأيت الرسول عيزرا الذى قال لى:

– لا تحزن ولا تيأس يا ولدى، انهض وسر خمس عشرة خطوة للأمام حتى تجد أمامك كوخا متهالكا، فلا تخف وانطق باسم ربك الخالق وافتح الباب وادخل الكوخ. ستجد على الحائط الأيمن له سلاحا محشوا بالذخيرة كان ملكا للشيخ على، فخذه وسر لليمين عشرين خطوة حتى تجد فرسا من النحاس يقف فوق تبة صغيرة، وعلى ظهره يجلس إنسان يحمل فى يده جرسا. فتسلل نحوه خلسة وأطلق عليه النار من سلاحك. سوف يقع فى الماء من أثر الطلقة ويجلب مركبا إليك. فاصعد إلى المركب فى هدوء دون أن تنطق بحرف. وعندئذ سوف يبحر بك حتى تصل إلى الشاطئ سالما. لأن هذا الإنسان ما هو إلا سيد الماء والبحار.

صحوت من النوم وقفزت من مكانى وأنا أفكر: "فلأذهب وأرى صحة هذا الحلم". وسرت خمس عشرة خطوة للأمام وظهر أمامى كوخ عتيق. بسملت ونطقت باسم الله وفتحت الباب فرأيت على الحائط الأيمن سلاحا معلقا. تناولت السلاح الذى كان محشوا فى يدى وخرجت ثم سرت لليمين عشرين خطوة حتى رأيت فرسا من النحاس يقف فوق تبة صغيرة، وعلى ظهره يجلس رجل من النحاس أيضا يحمل فى يده جرسا. تسللت بحذر ناحيته وأطلقت عليه النار فسقط فى الماء. ثم ما لبثت أن رأيت مركبا يتهادى على سطح الماء ويتقدم نحوى ويقف على متنه أحد

الأشخاص. صعدت إلى المركب فى صمت ولم أنطق بشىء. وعندما اقتربنا من الشاطئ تملكنى الخوف وازدادت ضربات قلبى فهتفت قائلا: "يا إلهى". وفى نفس هذه اللحظة ألقى بى صاحب المركب فى الماء واختفى فى التو هو والمركب ولم يعد لهما أثر. واستطعت بصعوبة بالغة أن أصل إلى الشاطئ الذى كان مكسوا بالأشجار. وفجأة سمعت صوت عواء لقطيع من الذئاب فأصابنى الهلع وتسلقت شجرة كبيرة بجوارى واختبأت فوقها. وبعد مرور يوم رأيت وأنا على الشجرة مركبا فى الماء يتقدم نحو الشاطئ. رست المركب وخرج منها ثلاثة أشخاص ساروا مائة خطوة للأمام حتى وصلوا إلى خمائل نمت على فروعها الأشواك. نزع الأشخاص الفروع ذات الأشواك ورموها على الأرض ثم اختفوا جميعهم فجأة تحت الأرض. صرت أنظر إلى ما يجرى فى دهشة وذهول. ثم خرج من تحت الأرض رجلان من الثلاثة وصعدا إلى المركب وابتعدا بها. وعندما اختفيا عن الأنظار هبطت من فوق الشجرة وذهبت إلى المكان الذى كانوا فيه. ونزعت الفرع ذا الأشواك ورميته جانبا فظهر على الفور باب أمامى. فتحت الباب ودخلت منه هابطا تحت الأرض وسرت فى ممر ضيق طويل ينتهى بباب آخر. فتحت الباب ورأيت حجرة أنيقة فاخرة الأثاث خرج منها فتى وقف فى مواجهتى وقال لى:

ــ أتوسل إليك ألا تقتلنى أيها الأمير بهرام ــ ثم وقع عند أقدامى وأخذ فى البكاء. لم أكن أعرف هذا الفتى من قبل ولم يسبق لى رؤيته فاعترتنى الدهشة الشديدة لمعرفته باسمى وبأننى أمير من الأمراء.

سألت الفتى: كيف عرفت اسمى؟

أجاب الفتى كالتالى:

ــ أنا إبراهيم بن جلال باى من مدينة كانون. ذات مرة قرأ المنجمون الطالع لأبى وأخبروه بأننى سوف أموت بعد أربعين يومًا بيد أمير من مصر يدعى بهرام. خشى والدى من أن تتحقق النبوءة فقام ببناء هذا البيت وجعلنى أختبئ بداخله حتى لا تعثر علىَّ. واليوم هو اليوم الأربعون من المهلة التى تنبأ بها المنجمون.

تملكتنى الدهشة وصحت قائلا:

ــ إن هذا محض كذب وافتراء وليس هناك سبب يجعلنى أقوم بقتلك. فأنت لم تقم بأى سوء لى. وقد عانيت أنا نفسى من الأهوال والمصاعب حتى وصلت إلى هنا. والآن سوف نصير إخوة معا.

فرح الفتى وقام واقفا من ركوعه ثم قادنى إلى الحجرة السفلى.

كان لدى الفتى إبراهيم فى الحجرة ما لذ وطاب من الأطعمة والمأكولات. وكنت فى غاية الجوع فأكلت بشهية ونهم. وفجأة صاح إبراهيم قائلا:

ــ يوجد بطيخ أيضا فى الحجرة العليا، سوف أذهب وأحضر بعضا منه.

غير أنى اعترضت قائلا: لا تتعب نفسك، سوف أذهب أنا لإحضاره.

وعندما صعدت السلالم صاح إبراهيم مناديا:

ــ يوجد هناك سكين فأحضره معك.

كان حجم البطيخ كبيرا للغاية. أخذت واحدة ورشقت فيها السكين ونزلت هابطا السلالم. وفجأة سقطت البطيخة من يدى وتدحرجت نحو إبراهيم وأصابه السكين فى قلبه فمات على الفور. وجلست أبكى من الحزن والكرب. فقد كان الموت أفضل لى من أن آكل البطيخ. لم أدر ماذا أفعل فصعدت مرة أخرى فوق الأرض وتسلقت الشجرة الكبيرة وبقيت جالسا عليها طوال الليل. وفى الصباح ظهرت المركب ذاتها التى جلبت إبراهيم. لكنها فى هذه المرة حملت خمسة أشخاص على متنها. خرج الخمسة منها وذهبوا إلى موقع إبراهيم. وما لبثوا أن عادوا يحملون جثمانه وهم يبكون ويذرفون الدمع الغزير. صعدوا بالجثمان إلى المركب وأبحروا بها فى الماء حتى اختفوا.

بعد رحيلهم ذهبت إلى بيت إبراهيم ومكثت هناك لبضعة أيام أعيش على بقايا الطعام الموجودة. وذات يوم تسلقت الشجرة ونظرت فوجدت الماء منحسرا عن الشاطئ. فرحت كثيرا واستطعت العبور إلى الشاطئ الآخر. وبعد مرور يوم

وصلت إلى مدينة مجهولة حيث صادفت حطابا هائما كان يصلى ويبكى فى نفس الوقت. اقتربت منه وسألته:

ـ ما الذى يبكيك أيها الأخ؟

أجاب قائلا:

ـ لو كنت تريد معرفة السبب وراء دموعى فاذهب إلى السوق واشترى لى من هناك خروفا واذبحه، ثم أعطنى لحمه وضع فراءه حول جسمك. عندئذ أخبرك.

حزمت أمرى على معرفة السر وراء بكاء هذا الحطاب مهما كلفنى ذلك الأمر. فذهبت إلى السوق واشتريت خروفا. ثم ذبحته وأعطيت لحمه للحطاب وقمت بالاختباء داخل فرائه وبقيت منتظر. وفجأة هبط من السماء طائر الرخ وحملنى بمخالبه وحلق بى مبتعدا فى الهواء. وبعد أن وصل إلى مكان بالصحراء أراد أن يلتهمنى لكننى خرجت هاربا من داخل الفراء ففزع الطائر وحلق فى الفضاء حتى اختفى. ووجدت نفسى ثانية وحيدا فى الصحراء القاحلة.

لم يكن هناك أثر للحياة فى أى مكان. فأخذت أسير هائما على وجهى لبضعة أيام حتى وصلت إلى بستان فى قلب الصحراء يحيط بمنزل كبير. طرقت على البوابة فخرجت إلىّ فتاة حكيت لها عن المحن التى مررت بها.

قالت الفتاة لى:

ـ إن هذا البيت ملك لبنات ملكة كل الجنيات على الأرض. وسوف أذهب وأطلب منهم الإذن بدخولك، فإذا قبلوا سوف أخبرك بذلك ـ وذهبت الفتاة. وبعد برهة من الزمن جاء إلى البوابة بعض الفتيات. أمسكوا بذراعى وساقونى إلى ملكة كل الجنيات. ثم تركونى عندها وغادروا المكان.

حكيت للملكة عن كل البلايا التى عشتها وسألتها قائلا:

ـ لماذا تعيشين فى هذه الصحراء ولا تقيمين فى مدينتك؟

أجابت الفتاة:

– إن والدى هو ملك كل الجان. وقد وقع الجان فى غرامى. فقام والدى ببناء هذا البيت والحديقة فى الصحراء وجعلنى أختبئ هنا خشية أن يخطفنى أحد منهم. وسمح لى والدى بالذهاب لزيارته مرة كل ثلاثة شهور.

أخبرتنى الفتاة أن اسمها محبارى وحكت لى الكثير عن حياتها.

وقع كل منا فى هوى الآخر. وأعلنت محبارى لى أنها سوف ترحل بعد ثلاثة أيام إلى أبيها وأمها وتطلب الإذن منهم بزواجنا.

ثم قالت محبارى: وبعد ذلك نقيم عرسا كبيرا ونعيش معا كزوجة وزج.

تحولت الفتاة مع الأربعين وصيفة إلى سرب من الحمام وطاروا محلقين فى الفضاء. وبقيت أنا وحيدا فى البيت أنتظر عودة المحبوبة.

كان هذا المكان يضم أربعين حديقة كل واحدة منهم أروع من الأخرى. قررت أن أنتهز فرصة غياب محبارى وأذهب لأشاهد الحديقة الأربعين التى حظرت علىَّ دخولها من قبل. كانت هذه أروع من كل الحدائق الأخرى، تنتشر بها أندر الزهور وأجملها على الأرض. وتصدح فيها البلابل والطيور المختلفة.

أعجبنى البقاء فى هذه الحديقة ولم أرغب فى الخروج منها. فصرت أتجول فى طرقاتها حتى رأيت حماما واسعا للسباحة مصنوعا من الذهب والفضة. وكانت المياه فيه صافية بللورية حتى إن القاع كان مرئيا للعين. وبالقرب من الحمام وقف فرس ثابت لا يتحرك كما لو كان قد سمر فى مكانه، وعليه لجام وسرج من الذهب وبجانبه يتدلى سوط ذهبى. أبهرنى الفرس بهيئته الرائعة فصرت أدور حوله وأتفرج عليه من كل الجوانب. ثم ركبت على ظهره وضربته بالسوط على مؤخرته. طار الفرس محلقا فى الهواء وألقى بى فى الصحراء. ثم ضربنى بذيله فى وجهى فأصاب عينى وأعمانى.

سرت هائما على وجهى فى الصحراء لبضعة أيام لا أعرف عددها. وتجرعت الكثير من المحن والبلايا حتى وصلت أخيرا إلى مدينتكم.

وهكذا انتهى الأعمى الثالث الأمير بهرام من سرد حكايته. وقالت معتبر خون لأختها كرامات خون:

— هيا حررى قدمى وذراعى بهرام من القيود.

قامت كرامات خون بحل وثاق بهرام.

قالت معتبر خون للوزير:

— والآن جاء الدور عليك أيها التاجر.

أجاب الوزير قائلا:

— إننى وزير ملك هذه المدينة، والملك نفسه هو الجالس بجوارى أمامكم.

ما إن سمعت معتبر خون هذا الكلام حتى قامت بنفسها فحلت وثاق الملك ووزيره. وامتطى كل منهما فرسه ورحلا عن المكان.

أما بقية الضيوف فقد مكثوا بالحديقة للمبيت.

وفى الصباح جلس الملك على عرشه وأمر أحد رسله قائلا:

— أريدك أن تأتنى فورا بالفتيات الثلاث اللاتى يعشن بحى التجار، وأن تحضر معهن الفتيان العميان.

خرج الرسول وعاد بعد برهة إلى الملك ومعه معتبر خون وأخواتها والضيوف. ودعاهم الملك للجلوس فأخذوا أماكنهم جميعا. وقال الملك لمعتبر خون:

— أريدك أن تخبرينى عما جرى فى بيتك أمس. لماذا ضربت الكلبين وبعد ذلك صرت تداعبينهم وقدمت لهم الطعام فى أطباق من الذهب؟

حكاية معتبر خون

أنا وشقيقاتي بنات شوخ ساليمباي المقيم بالحي الذي جئتنا فيه. وقد كنا من قبل خمس أخوات من أم واحدة وأب واحد. وفي أحد الأيام مات أبونا وماتت أمنا معه. وورثنا ثروة كبيرة عن أبينا. وقررنا نحن الأخوات الخمس بعد التشاور أن نعيش مدى الحياة بالأموال التي تركها لنا والدنا وألا نقبل الزواج أبدا. وتعاهدنا على هذا الأمر جميعا وكنا نقضي أوقاتنا بالبيت في مرح ولهو. إلا أن شقيقاتي عدلات خون وسلامات خون نقضتا العهد وقررتا الزواج. فقمنا بتقسيم الإرث إلى خمسة أنصبة متساوية وأعطينا نصيبين لشقيقتي اللتين تزوجتا بعد حصولهما على أنصبتيهما. أما أنا وبقية شقيقاتي فبقينا نعيش في البيت كما كنا من قبل. بعد مرور خمسة أو ستة شهور جاء إلينا أحد يدق على بوابة البيت. فتحت كرامات خون البوابة لترى من الطارق فشاهدت عدلات خون. وصارت تصرخ وتولول قائلة: "إنني كنت حمقاء عندما رفضت الأخذ برأيكم ولم أستمع إلى نصحكم، لقد سرق مني زوجي كل ثروتي وضربني ثم قام بطردي إلى الشارع". وأشفقت على أختي لأننا في النهاية قد خرجنا من بطن واحدة. وبعد مرور خمسة أو ستة أيام سمعنا صوت الخبط على بوابتنا مرة أخرى. وعندما فتحت كرامات خون الباب وجدت أمامها سلامات خون. دخلت سلامات وهي تبكي هي الأخرى بعد أن تعرضت لمثل ما تعرضت له عدلات. فقد سرق زوجها مالها وقام بضربها ثم طردها من البيت.

ومن جديد صرنا نعيش جميعا كما كنا من قبل.

بعد مرور شهرين استعدت كل من عدلات خون وسلامات خون للزواج مرة أخرى. لكنني رفضت زواجهم بشدة واعترضت عليه. وعندما لم يأخذا بنصيحتي قلت لهما:

"لو تزوجتما فلا تعودان إليَّ مرة أخرى، وإذا طردوكم فلن أستقبلكم في بيتي ثانية". لكن الأختان قالتا: "لن نعود إليك". عندئذ أسقط في يدي ورحلت

الأختان عنا وعدنا نعيش ثلاثتنا فقط. وفى أحد الأيام قام زوجا عدلات وسلامات بطردهما. فحضرت الفتاتان ثانية يذرفن الدمع وأشفقنا عليهم وسمحنا لهم بالعيش معنا. وعشنا فى سعادة ومرح لفترة طويلة من الزمن.

تبدد ميراث أبى وأشرف المال الذى ننفق منه على النفاذ فقلت لأخواتى: "اسمعونى جيدا أيتها الأخوات، لم يعد بمقدورنا العيش بلا عمل بعد الآن، وينبغى أن تسافر اثنتان أو ثلاث منا للتجارة والفرجة فى نفس الوقت على العالم، فمن منكن ترغب فى السفر معى للتجارة؟" أعربت كل من عدلات خون وسلامات خون عن رغبتهما فى السفر معى. فأجبتهما قائلة: "حسنا ومرحبا بكما معى". وفى اليوم التالى ارتدينا ملابس الرجال واشترينا البضائع التى تلزمنا، ثم صعدنا على متن إحدى المراكب التى أبحرت بنا. وبعد مرور بضعة أيام وصلنا إلى المدينة المقصودة فهبطنا إلى الشاطئ وتركنا بضائعنا عليه. ثم سرنا نتجول فى شوارع وأروقة المدينة وكان ما رأيناه مثيرا للدهشة والعجب. فقد كانت الدكاكين فى كل مكان مفتوحة والناس يجلسون فيها متحجرين. وفى الأسواق وقف الناس والعابرون الراجلون والفرسان وهم متحجرون أيضا. ومضينا نتجول حتى المساء فى المدينة فلم نر سوى بشرا متحجرين جميعا. ولمحنا نارا تشتعل بداخل أحد الأكواخ على الشاطئ فذهبنا ثلاثتنا إلى هناك لنتبين حقيقة الأمر. ورأينا شابا يافعا يجلس فى الكوخ بجانب النار ويمسك بكتاب يقرأ فيه. لما شاهدنا الفتى قال لنا:

ـــ افرشوا الحصر وتفضلوا بالجلوس.

جلسنا أمامه وبدأت الحديث قائلة:

ـــ ألا تخبرنا أيها الأخ عن سبب تحجر جميع سكان هذه المدينة؟

قال الفتى:

ـــ لقد كان شعب مدينتنا كثير السكر والعربدة وقد دفعوا الثمن مقابل أفعالهم.

كان الفتى يتحدث برقة وعذوبة وسلاسة مما أثار إعجابى به. ففتحت له قلبى وكشفت له عن حقيقة أمرى وبأننى فتاة فقال لى:

ـ إذن هيا بنا نتزوج.

وافقت على عرضه لى بالزواج لكن بشرط واحد أخبرته به: "أن ترافقنى إلى مدينتى ونقيم زفافنا هناك".

وافق الفتى على شرطى. وفى الصباح نقلنا بضائعنا إلى المركب وأبحرنا صوب الوطن.

وقبل أن نصل إلى مدينتنا بيوم واحد كان الجميع نائمين فى الليل الساكن. فقامت عدلات وسلامات متسللتين إلى الفتى النائم ووضعاه داخل جوال ثم ربطاه وألقيا به فى الماء. وفى الصباح صرت أبحث عن الفتى بكل ركن بالمركب فلم أجد أثرا له. وسألت أخواتى فقالوا: "لم نره". فأسرعت إلى القبطان وسألته فقال لى:

ـ لقد قامت شقيقتاك فى أثناء الليل بوضع الفتى النائم داخل جوال وألقتا به فى مياه النهر.

عندئذ اعترانى الحزن والذهول وانخرطت فى بكاء مرير. وصرت ألعن شقيقتى حتى وصلت إلى المدينة فقلت لهما:

ـ لقد فعلت لكما الكثير من الإحسان والخير، غير أنكما سلكتم سلوكا أسوأ مما تفعله الكلاب. ولذا فإننى سوف أقطع صلتى بكما وأفترق عنكما.

سرت فى الصحراء وأنا مكلومة من الحزن. وبعد مرور يومين رأيت حية بيضاء تسير نحوى فابتعدت جانبا وزحفت الحية بالقرب منى. ثم سرت فى طريقى حتى قابلتنى حية سوداء. فأخذت فى يدى حجرا كبيرا هويت به على رأس الحية فهشمته. واصلت طريقى حتى حل بى التعب فرقدت لأستريح بعض الوقت ورحت فى النوم. وعندما صحوت رأيت فتاة حسناء تجلس بجوارى. ثم ألقت على بالتحية وسألتنى عن هويتى وعن مقصدى من السير. فحكيت لها قصة حياتى.

حينئذ قالت الفتاة:

ــ لا تحزنى أيتها الأخت وعودى الآن الى بيتك.

أجبتها قائلة: كلا لن أعود الى البيت.

غير أن الفتاة هتفت:

ــ لقد حققت لك رغبتك التى كنت تطلبيتها. وهذه خدمة قمت بها لك نظير خدمتك الجليلة لى وإنقاذك لى من الموت.

تملكتنى الدهشة فقلت لها:

ــ عن أى خدمة تتحدثين وأنا أراك لأول مرة فى حياتى؟

ردت الفتاة:

ــ أنا ابنة ملك كل الجنيات. وقد وقع فى غرامى أحد الجان وظل يطاردنى كى أتزوج منه. لكننى تحولت إلى حية بيضاء وهربت منه. وقد أفسحت لى الطريق لما رأيتنى وأنا أفر منه. وعندما تحول إلى حية سوداء وصار يطاردنى قمت أنت بقتله. وإن لم تقتليه لكان قتلنى بدوره. ونظيرا لعونك هذا فقد حولت شقيقتيك إلى كلبتين مربوطتين بالسلاسل فى فناء البيت. لذا يمكنك العودة إلى البيت والحياة بلا خوف. وإذا صادفتك مشكلة أو ورطة فاحرقى شعرة من شعرى وأنا أظهر أمامك فى الحال لنجدتك.

قالت ما قالته وأعطتنى ثلاث شعرات نزعتهم من رأسها ثم اختفت عن ناظرى. وبعد ذلك عدت إلى البيت ونظرت فإذا بشقيقتى قد تحولتا بالفعل إلى كلبتين مربوطتين بالسلاسل جالستين فى فناء المنزل.

وهكذا عدنا نحن الأخوات الثلاث نعيش معا مرة أخرى كما كنا فى الماضى. وعندما كنت أقوم بضرب الكلبتين فهذا يعنى أننى أتذكر فتاى الذى ألقوا به فى الماء فيثور غضبى وحنقى عليهم. ثم أقبلهم وأطعمهم لأنهما فى النهاية تظلان شقيقتى من لحمى ودمى فأعطف عليهما.

سأل الملك قائلا:

ــ ومن هؤلاء الجبابرة البهلوانات الذين قيدونا بالحبال؟

أجابت معتبر خون قائلة:

ــ إنهم خدمنا الذين أحتفظ بهم فى البيت كى يقدموا لنا العون وقت الحاجة.

وعند هذا القول أنهت معتبر خون سرد قصتها. وعندئذ سألها الملك وقال:

ــ وهل يمكن أن تعود لشقيقتيك هيئتهم الإنسانية؟

ردت معتبر خون: لا أعلم، فهذه الأمور كلها بيد الجنية وحدها.

قال الملك:

ــ إذن احرقى شعرة حتى تحضر هذه الجنية.

قامت معتبر خون بحرق شعرة من شعرات الجنية التى ظهرت فى نفس اللحظة وقالت: "أمرك مطاع على الفور"

قال الملك:

ــ هل يمكن أن تتحول الكلبتين إلى بشر مرة أخرى؟

أجابت الجنية:

ــ لو كانت هذه هى رغبة معتبر خون فيمكنها إعادتهما إلى هيئتهما السابقة.

بعد ذلك أحضروا الكلبتين إلى مجلس الملك وقرأت الجنية تعاويذها فتحولت الكلبتان إلى عدلات خون وسلامات خون.

نظر الملك فرأى أن المرأتين على قدر كبير من الجمال والحسن فسأل الجنية ثانية قائلا:

ـــ وهل يمكن إعادة البصر إلى أولئك الفتيان العميان؟

نظرت الجنية اليهم وأجابت:

ـــ يمكن إعادة البصر لغلام وبرهام حيث إن السحر هو سبب عميهم، أما شوخاك فلا يمكننى مساعدته لأن الفاعل الذى أعماه من جنس البشر.

قال الملك: حسنا أعيدى البصر إذن إلى غلام وبهرام.

نطقت الجنية بالتعاويذ فعاد البصر إلى الشابين.

ـــ والآن هل تأذن لى بالانصراف ؟ ـــ قالت الجنية، وأذن الملك لها بالانصراف فودعتهم واختفت من المكان. وبعد النصح والتشاور مع وزيره الحكيم قرر المـــلك أن يتزوج من معتبر خون، وأن يزوج ابنه من الأخت الصغرى كرامات خون.

أما الشقيقات الثلاث الأخريات فقرر الملك أن يزوجهن من شوخاك وغلام وبرهام.

وكتب الملك خطابات إلى كل من والد برهام ووالد غلام أخبرهما فيها بالعثور على ولديهما، وبأنه سوف يزوجهم فى مدينته. ودعا الملك الوالدين إلى حضور حفل زفاف أبنائهم.

فرح والدا الابنين المفقودين فرحا كبيرا عندما قرأ الخطابات. وحمل كل منهما الكثير من الهدايا الثمينة متوجها إلى مدينة الملك. وقامت الاحتفلات فى المدينة أربعين يوما وليلة بمناسبة الزفاف الجماعى. ثم رافق كل من الملكين ابنه وعروسه وعادوا إلى مدينتهم.

أما شوخاك فقد عينه الملك وزيرا فى بلاطه.

وهكذا نسى الجميع أتراحهم وعذاباتهم وتحققت أحلامهم وأمانيهم.



القدح المدهش



فى أحد الازمنة البعيدة عاش ملك له أربعون زوجة. وعلى الرغم من العدد الكثير لزوجاته إلا أنه لم يرزق بولد ولا ببنت.

كان الملك دائما عكر المزاج مهموما. حتى إنه كان يجلس على عرشه بالكاد وبلا رغبة فى الحكم أو إدارة البلاد. وكان دائما يقول:

ـ لا حاجة بى إلى شىء فى هذا العالم.

وذات مرة سأله أكبر الوزراء قائلا:

ـ مولاى الملك، لما لا تريد الجلوس على عرشك؟

رد الملك وقال: آه يا وزيرى، ليس لدى ولد ولا بنت. فمن يخلفنى على عرشى بعد موتى؟ ومن يدير شئون البلاد بعد رحيلى عن الدنيا؟ لهذا السبب لم تعد لدى رغبة فى الجلوس على العرش.

قال الوزير: ما قولك يا مولاى المعظم لو أنك تزوجت مرة أخرى؟ فربما تنجب لك الزوجة الجديدة ولدا. وإذا عاندتك الأقدار أيضا فى هذه المرة فافعل كما يحلو لك.

وكان بالفعل أن أخذ الملك بمشورة وزيره.

ومرت الأيام يوم بعد يوم وشهر بعد الآخر حتى جاءت الزوجة الصغيرة للوزير وأخبرته بأنها تنتظر مولودا. فرح الملك فرحا كبيرا وخرج إلى الصيد.

كانت زوجات الملك العاقرات يتلصصن على الزوجة الجديدة ويتصيدن أخبارها. ولما عرفوا بالنبأ جلسن يتحدثن بالنميمة وقلن فيما بينهم:

ـ لو أن الزوجة الصغيرة أنجبت ولدا للملك فلن يطرف ببصره نحونا بعد الآن.

أحضرت الزوجات امرأة قابلة وأعطوها صرة مملوءة بالذهب وقالوا لها:

ـ إننا نعتمد عليك أيتها القابلة كى تدبرى شيئا لإنقاذنا من هذا الأمر.

ـ لا تجزعن وكن مطمئنات. فسوف أتدبر الأمر.

وعندما حل اليوم الموعود للولادة وضعت الزوجة الصغيرة توأما: ولد وبنت.

وحملت القابلة فى الخفاء الوليدين ووضعت بدلا منهما جروين.

وبعد أن رجع الملك من رحلة الصيد أسرعت إليه الزوجات تعلمنه بالخبر وقالوا له:

ـ مولانا الملك، لقد وضعت لك الزوجة الصغيرة جروين.

صرخ الملك فى صوت غاضب وقال:

ـ لو أنها ولدت لى جروين حقا فإننى آمر بحفر حفرة عميقة فى أرض الوادى البعيد وإلقائها فى هذه الحفرة.

أخذ وزراء الملك الزوجة الصغيرة وذهبوا بها إلى الوادى المقفر حيث ألقوا بها فى حفرة عميقة بالأرض ودفنوها حتى رأسها فى هذه الحفرة. وبعد ذلك رموا الجروين خارج القصر.

أما التوأمان البنت والولد فقد حملتهما القابلة إلى الغابة وتركتهما بها نهبا للضوارى والوحوش المفترسة.

أخذ الجروان يتسكعان بأرجاء المدينة ويجمعان فتات الطعام من الشوارع والطرقات. ثم يحملان هذه الفتات إلى الزوجة الصغيرة فى حفرتها ويقومان بإطعامها.

وكانت الأقدار رحيمة بالمولودين الصغيرين الراقدين بلا حول ولا قوة بين أحراش الغابة الموحشة. فقد أخذتهم إحدى الدببة وقامت بنقلهما إلى كهفها بالغابة حيث صارت تطعمهما وتربيهما.

وهكذا مضت الأيام حتى اكتملت أعوام تمر سريعا وكبر الطفلان. فكان الفتى يخرج وقت الظهيرة للصيد وتجلس الفتاة تغزل الخيط عند مدخل الكهف.

وفى أحد الأيام خرج الملك للصيد ومضى فى الغابة يسعى خلف الفرائس. وفجأة رأى الفتاة جالسة أمام مدخل الكهف. فما إن شاهدته الفتاة حتى أسرعت بالاختباء داخل الكهف. وعندما ابتعد الملك قليلا عادت الفتاة إلى الخروج والجلوس ثانية. التفت الملك عائدا بفرسه نحو الكهف لكن الفتاة سرعان ما اختفت عن الأنظار مرة أخرى. فكر الملك فى نفسه قائلا: "إننى أشعر بسر فى أمر هذه الفتاة".

ثم عاد إلى قصره وصار يحكى لوزرائه عما شاهده. ولما وصلت هذه الأخبار إلى مسامع زوجات الملك أحضروا القابلة وقالوا لها:

ــ أليس من الجائز أن هذه الفتاة ما هى إلا ابنة الملك وقد أنقذتها الأقدار؟ عليك أيتها القابلة أن تفكرى فى وسيلة لتدبر أمرها.

وأعطوها صرة كبيرة مملوءة بالذهب كى تدبر أمرها.

فرحت القابلة بالذهب وأسرعت لتوها نحو الغابة. وعندما وصلت إلى الكهف شاهدت الفتاة جالسة عند مدخله فاقتربت منها قائلة:

ــ أيتها الفتاة المسكينة، أتجلسين هنا وحيدة بمفردك؟ لابد من أنك تشعرين بالوحشة. اطلبى من شقيقك أن يحضر لك شيئًا يسليك ويسرى عنك. هناك قدح سحرى مدهش رائع الجمال موجود فى مكان ما على الأرض. فاطلبى منه أن يأتيك به كى تنظرى إليه وتتسلى به. ولو رفض تنفيذ مطلبك فانخرطى فى البكاء بلا توقف.

انتهت العجوز من حديثها مع الفتاة ورحلت عن المكان.

وما إن رجع الفتى من الصيد حتى أخذت أخته تلح وتطلب قائلة:

ــ أريد منك أن تأتنى بالقدح السحرى المدهش.

رد الأخ قائلا: من الذى أخبرك عن هذا القدح يا أختى العزيزة؟ لا أحد يستطيع الوصول إلى مكان القدح السحرى المدهش. ولو وصل إليه أحد فلن يمكنه العودة حيا.

انخرطت الأخت فى بكاء حار. وحاول الأخ أن يطيب خاطرها وأن يثنيها عن طلبها بلا جدوى. بل استمرت فى الصراخ بلا توقف حتى قال لها أخوها:

ــ حسنا، إليك هذه الأوزة فحمريها كى آكلها وأرحل فى طريقى لأحصل لك على القدح.

أكل الفتى حتى امتلأت معدته، ثم جمع لوازمه متأهبا للرحيل، وانطلق فى طريقه البعيد. ومضى طويلا فى سيره حتى خرج أخيرا إلى الوادى ونظر فرأى عجوزا يسير بالقرب منه. ولما شاهد العجوز الفتى سأله قائلا:

ـ أين تقصد يا بنى؟

ـ آه أيها الوالد، إننى أسير بغير هدى ولا مقصد أعلمه. فقد سمعت بوجود قدح سحرى فى مكان ما بالعالم. وها أنا أسعى للبحث عنه.

قال العجوز: أسفى عليك يا بني، أنك مازلت شابا يافعا. فلماذا تسعى إلى موتك بلا طائل؟ من الأفضل لك أن تترك هذا الأمر. فكم من الملوك والأمراء خسروا حياتهم فى سبيل الحصول على القدح السحرى. وسوف تشاركهم أنت الآخر المصير المحتوم إن لم تعد أدراجك.

لكن الفتى هتف معترضا:

ـ كلا أيها الوالد لن أعود أدراجى. فإما أن أحصل على القدح السحرى وأعود به إلى البيت، أو أموت دونه.

قال العجوز: حسنا يا بنى حسنا، مادمت قد عزمت أمرك على هذا النحو فجرب حظك. وسوف أطلعك على الوسيلة الوحيدة للحصول على القدح. فبعد أن تمضى فى طريقك لبعض الوقت سوف ترى شجرة كبيرة مربوط إليها فرس أشهب. اركب هذا الفرس وسر به صاعدا هذا الجبل الواقع هناك. ثم ترجل من على الفرس واحفر عدة حفر فى أماكن متفرقة بالجبل. واركب فرسك ثانية واشرع بالنداء بصوت عال: "أيها القدح الفخارى المسحور .. أنت صديقى وأنا بك مسرور... اظهر وبان دون غضب ولا شرور". عندئذ سوف يندفع القدح بسرعة شديدة نحوك مثل صخرة تقذفها الرياح من عل. وسوف يثور غضبه عليك فينطلق خلفك مثل السهم. فعليك سريعا الركض بفرسك الأشهب والعودة أسفل الجبل. سوف يلاحقك القدح وأنت تهرب منه حتى تصل إلى سفح الجبل. وحينئذ سوف يسقط القدح إلى أسفل مع سيل من الصخور. فاحمله واصعد به إلى هناك واملأه من الماء

الذى سيتجمع فى الحفر التى حفرتها فى الأول. لكن ينبغى عليك أن تتذكر أن القدح لو أدركك فسوف يمزق جسمك أشلاء مثل السكين فى الزبد وتموت شر ميتة.

واختفى العجوز بعد أن شرح للفتى الوسيلة الوحيدة للحصول على القدح.

وفعل الفتى مثلما لقنه العجوز. وعندما وصل إلى الشجرة الكبيرة حل رباط الفرس الأشهب وصعد عليه إلى الجبل. وقام بحفر بعض الحفر فى أماكن مختلفة. ثم ارتقى قمة الجبل وصار ينادى بصوت عال قائلا:

ـ أيها القدح الفخارى المسحور .. أنت صديقى وأنا بك مسرور... اظهر وبان دون غضب ولا شرور.

وفجأة ظهر من خلف الصخور شىء لامع واندفع خلف الفتى يلاحقه. وانطلق الفتى بفرسه يهبط الجبل والقدح كالسهم من ورائه. ثم انهمر بسرعة سيل من الصخور إلى أسفل ومعه القدح. وأسرع الفتى هاربا من السيل المندفع خلفه حتى وصل سالما إلى السفح. ثم حمل القدح وصعد به ثانية الى الجبل. وملأه حتى الحافة بالماء المتجمع فى الحفر. وبعد ذلك قام بتغطيته وربطه. وعاد به إلى البيت.

قص الفتى على أخته كل ما جرى له وفى نهاية حديثه أضاف قائلا لها:

ـ وقد أوشكت على الموت فى سبيل الحصول على القدح.

بعد الانتهاء من حكايته وضع الفتى القدح المدهش البراق أمام أخته. فحملت الهدية الثمينة وصارت تنظر إليه بإعجاب وسعادة.

فى نفس هذا اليوم خرج الملك إلى الصيد مرة أخرى وفكر قائلا فى نفسه: "هل يا ترى مازالت الفتاة التى رأيتها فى المرة السابقة تجلس فى الغابة؟".

ثم انطلق نحو الكهف فرأى الفتاة جالسة أمام الكهف مع الفتى. وما إن اقترب منهما حتى هرب الاثنان واختفيا سريعا عن الأنظار. وابتعد الملك عن المكان فعادا مرة أخرى يجلسان أمام الكهف. وتكرر هذا الأمر مع الملك بضع مرات.

فكر الملك وهو فى دهشة: "ما السر فى هذا الأمر؟ ولماذا يختبئ الاثنان؟".

رجع الملك الى قصره وهو يفكر فى هذا الأمر طوال الطريق. ونادى على وزيره وقص عليه ما جرى.

وصل الخبر إلى مسامع زوجات الملك فأحضروا القابلة وأعطوها صرة من الذهب مرة ثالثة قائلين لها:

ـ ينبغى التخلص من هذين الطفلين. وإن لم تنجحى فى ذلك فسوف يعرف الملك بأمرها وتصبح العاقبة وخيمة. وسوف يأمر الملك بقتلك على الفور.

ذهبت القابلة العجوز مسرعة إلى الكهف وسألت الفتاة:

ـ كيف الحال؟ هل أحضر لك شقيقك القدح المدهش؟

ردت الأخت: نعم، لقد طلبته منه فى نفس اليوم واستطاع أن يحضره لى. وقد خرج الآن للبحث عن الطعام.

قالت القابلة العجوز: لقد أحسن صنعا بإحضاره إليك. لكننى أريد إخبارك أن هناك مرآة سحرية فى أحد البلاد. فاطلبى من شقيقك أن يحضرها لك. وسوف أرشدك إلى الوسيلة لذلك. فعندما يرجع عليك بالبكاء دون كلام. ولما يسألك عن سبب بكائك قولى له: "أريدك أن تأتنى بالمرآة السحرية".

وانصرفت العجوز بعد أن لقنت الفتاة ما تقوله.

عـاد الأخ من الصيد حاملا أرنبين. وعنـدما شاهد أخته تبكى بحرارة سألها قائلا:

ـ ماذا بك يا أختاه؟ ولماذا تبكين هكذا؟

رجته الأخت قائلة:

ـ أخى العزيز، أريد منك أن تحضر لى المرآة السحرية.

قال الفتى: يا أختاه، أرى أنك لا تفكرين سوى فى طريقة للتخلص منى. ولو كان الأمر سيان بالنسبة لك أن أموت او أظل على قيد الحياة، فسوف أخرج وأحضر لك المرآة السحرية حتى لو دفعت حياتى فى سبيل تلبية رغبتك. لكن دعينا نتناول الطعام قبل رحيلى.

وقامت الأخت بتحمير الأرنبين فأكل الفتى حتى شبع وقال:

ــ لن أعود إليك قريبا يا أختاه، فانتظرينى شهرا. وإن لم أرجع بعده فاعلمى بأننى مت.

وانطلق الفتى مرة أخرى فى طريقه المجهول.

ومضى يقطع الدروب والوديان والسهول المقفرة، ويعبر الجبال العالية حتى شاهد على البعد بعض الاشجار. كانت الشمس قد غربت فى هذا الوقت وهبط ظلام حالك على المكان عندما دخل الفتى إلى البستان المشجر. فاختار إحدى الأشجار الكبيرة وسوى لنفسه مجلسا مريحا أسفلها. ورقد حتى راح فى نوم عميق. ومع طلوع الفجر صحا على صوصوة عدد من الزغاليل. رفع الفتى رأسه يستطلع الأمر فرأى تنينا مخيفا كبيرا يزحف على جذع الشجرة. وما أن شاهد الوحش الفتى حتى زحف إليه فاغرا فاه الكبير وأمسك به ليبتلعه. إلا أن الفتى نجح فى إخراج سيفه من غمده بسرعة ورفعه أمام فاه التنين وهوى به عليه فشطره نصفين من رأسه إلى ذيله. ثم سلخ جلده وصنع لنفسه منه حزاما لفه حول خصره. وفى هذه اللحظة حلق طائر الرخ الأسطورى فوق الشجرة وشاهد أفرخه سليمة لم يمسسها سوء. فصار يقول لهم مغردا:

ــ كم أنا سعيد لسلامتكم يا زغاليلى الصغار. فقد سمعت أن هناك تنينًا قد هاجم عشكم. ولذا أسرعت إليكم لنجدتكم.

قال الصغار: يا أماه، لقد جاء فى المساء فتى وقضى ليلته نائما أسفل الشجرة. وهو الذى أنقذنا من التنين.

هبط طائر الرخ إلى أسفل الشجرة وسأل الفتى:

ـ أخبرنى أيها الصديق العزيز، أى ريح طيبة أتت بك إلى هذا المكان؟

ـ لا داع لسؤالك يا طائر الرخ فلا أريد أن أشاركك همى ولا تشغل رأسك بالمحنة التى ألمت بى.

لكن الرخ قال:

ـ أفصح لى عن همك أيها الصديق، فقد قدمت لى صنيعا كبيرا وينبغى على رد الصنيع الذى قمت به.

قال الفتى:

ـ حسنا سوف أطلعك على المحنة التى وقعت على رأسى. فأنا أسعى للحصول على المرآة السحرية التى بحوذة أحد الملوك.

قال طائر الرخ:

ـ سوف أعاونك فى هذا الأمر أيها الفتى الطيب وأدلك على الوسيلة لتحقيق غايتك. عليك باصطياد غزالين وصنع قربتين من فرائهما. ثم ضع فى إحداهما اللحم واملأ الأخرى بالماء. وعلق القربتين على جانبى جسمى. ثم اركب فوق ظهرى واترك لى القيام ببقية الأمر. كما عليك القيام بإطعامى فى أثناء الطريق. وعندما نصل إلى الموقع المطلوب سوف أخبرك بما تفعله للحصول على المرآة.

خرج الفتى إلى الغابة واصطاد غزالين. ثم سلخ فراءهما وصنع منهما قربتين. ملأ إحداهما باللحم والأخرى بالماء وعلقهما على جانبى الرخ وصعد راكبا فوق ظهره. حلق طائر الرخ فى الفضاء وحام فوق الشجرة ثم طار بعيدا عنها نحو البلد المنشود.

وصل الرخ إلى قصر الملك وحط فى روضة خضراء. ثم وقف وسط البستان يشرح للفتى ما ينبغى القيام به:

ـ انتف ريشة من ريشى واذهب بها إلى القصر. فالملك هناك يعانى من آلام مبرحة فى يده بعد أن انغرست بها شوكة ولم ينجح أحد فى إخراجها. وقد جاء إليه العديد من الأطباء والحكماء ولم يستطع أحد منهم تخليصه من الآلام. وعندما تدخل إلى القصر أخبرهم بأنك طبيب جئت لعلاج الملك. ثم أمسك بيده وانظر إلى المكان الذى انغرست به الشوكة وانتزعها بمساعدة ريشتى. حينئذ سوف يقول لك الملك: "اطلب منى ما شئت". فاطلب منه أن يمنحك المرآة السحرية. كما أن الملك لديه سجل بكل الأحداث التى رآها فى المرآة السحرية. فقد كتب بنفسه تلك الأحداث وختمها بخاتمه الملكى. فاطلب منه أن يعطيك أيضا هذا السجل مع المرآة السحرية. وما إن تحصل على المرآة السحرية والسجل عليك العودة سريعا إلى البستان.

سمع الفتى كلام طائر الرخ وذهب إلى القصر وقال للوزراء:

ـ إننى أعمل طبيبا، وقد جئت كى أنتزع الشوكة من يد الملك.

نظر الوزراء إلى الفتى يتفحصونه من رأسه إلى أخمص قدميه وقالوا:

ـ مازلت صغيرا أيها الفتى. فكم من الأطباء الكبار أتوا إلى هنا قبل حضورك ولم ينجح أحد منهم فى إخراج الشوكة.

غير أن الفتى أصر فى عناد على السماح له بالمحاولة. فأخبر الوزراء الملك عنه قائلين:

ـ مولانا ملك العالم، لقد وصل فتى صغير يدعى الإلمام بالطب. ويطلب الإذن بالدخول إليك لانتزاع الشوكة من يدك. ولم نأذن له بذلك فظل واقفا عند البوابة يلح فى طلبه.

قال الملك: اسمحوا له بالدخول إلى هنا.

سجد الفتى عند أعتاب العرش وقبل الأرض أمام الملك قائلا:

ـ لقد جئت يا مولاى كى أخلصك من الآلام وأعيد السكينة إلى روحك.

بعد ذلك أمسك الفتى بيد الملك باحثا عن موضع الألم. ثم أخرج ريشة الرخ من جيبه ونزع بها على الفور الشوكة المغروسة فى يد الملك. وفى نفس هذه اللحظة انفرجت أسارير الملك من الفرح وتنهد بارتياح بعد زوال الألم وقال للفتى:

ــ اطلب منى كل ما شئت أيها الفتى وأنا ألبيه لك على الفور.

رد الفتى: لدى طلب واحد يا مولاى المعظم. أريد المرآة السحرية ومعها السجل المختوم بخاتمكم الملكى.

ــ وما حاجتك إلى المرآة وسجل الأحداث؟ أليس من الأفضل لك أن تطلب منى ثروة أو ذهبا أو أحجارًا كريمة؟ فبماذا تفيدك هذه المرآة؟

أجاب الفتى: إننى لا أريد سوى المرآة والسجل، فهما عندى أغلى من كنوز العالم.

ــ حسنا، سوف ألبى لك رغبتك.

وأعطى الملك للفتى المرآة والسجل.

وصعد الفتى على ظهر طائر الرخ الذى حلق به فى طريق العودة. وطار الرخ طويلا حتى وصل إلى الشجرة الكبيرة التى تضم عشه فهبط إليها. وقام الفتى بوداع طائر الرخ شاكرا له وعاد سعيدا إلى أخته. وكانت الفتاة تعانى من الجوع فرقدت بداخل الكهف لا تقوى على الحراك. فأخذ شقيقها يطعمها ويسقيها وقال لها:

ــ لقد عدت إليك سليما معافى يا أختى العزيزة ولم أمت، وقد نجحت فى إحضار المرآة السحرية لك.

اغتبطت الأخت كثيرا وظلت تنظر إلى المرآة بإعجاب وفرح.

خرج الملك إلى الصيد مرة أخرى. ودنا من الكهف فرأى الفتاة تجلس عند مدخله بجوار الفتى. غير أنهما فى هذه المرة لم يختبئا منه، بل ركعا أمامه تحية له وقاما بدعوته للدخول إلى كهفهم. وقص الفتى على الملك عن حياتهما داخل الكهف. فقال له الملك:

ـــ إننى لم أرزق بولد ولا بنت. فلتذهبا معى ولتصبحا ابنا وبنتا لى.

وفى الطريق إلى القصر أعطى الفتى السجل إلى الملك.

بعد ذلك جمع الملك وزرائه وأمرهم بقراءة أحداث السجل فى حضور الجميع. وهكذا عرف الجميع بجرائم زوجات الملك وأعمالهم الشريرة. فأمر الملك بإلقائهم فى غياهب الزنازين ومعهم القابلة العجوز.

كما أمر الملك بالبحث عن زوجته الصغيرة وإحضارها. فذهب الوزراء إلى الوادى الذى تركوها به منذ سنوات حيث دفنوها بالحفرة حتى رأسها. وبحثوا عنها فى الوادى حتى شاهدوها جالسة فوق قمة تل رملى وعلى جانبيها يربض كلبان ضخمان.

اقترب الوزراء من المرأة وركعوا أمامها قائلين:

ـــ أيتها السيدة الفاضلة، إن الملك يدعوك للمثول أمامه.

لكن الزوجة الصغيرة ردت قائلة:

ـــ عودوا إلى ملككم وأخبروه أن زوجته لن تذهب إليه. ولو أتى منكم أحد إلى هنا مرة أخرى فسوف أجعل الكلاب تنهش جسمه. فأبلغوه بما قلت.

وطردت المرأة الوزراء الذين ذهبوا إلى الملك وأخبروه بما رأوه وسمعوه.

غير أن الملك طلب منهم الذهاب إليها مرة أخرى قائلا:

ـــ اذهبوا إليها ثانية وأقنعوها بحسن الكلام أو حتى بالكذب كى تحضر إلىَّ. وإن لم تفعلوا فسوف أقتلكم جميعا.

خاف الوزراء من تهديد الملك وهرعوا إلى الوادى ثانية. وما إن شاهدتهم الزوجة الصغيرة حتى صاحت فى غضب وثورة:

ـــ ما الذى جاء بكم ثانية إلى هنا؟ ألم أحذركم من قبل؟

وفكت السلاسل التى كانت تربط الكلبين الضخمين.

انقض الكلبان يهجمان على الوزراء وأخذا فى عضهم.

واستطاع الوزراء بعد مشقة أن ينجوا بحياتهم ويهربوا من الكلاب.

رأى الملك وزراءه وقد تمزقت ملابسهم وامتلأت أجسامهم بالجروح من هجوم الكلاب، ففكر حائرا فى الوسيلة التى يمكن بها إقناع زوجته بالعودة إلى القصر. وقال لابنه الفتى:

ـ يا ولدى العزيز، إن أمك تقيم فى الوادى وترفض العودة إلى القصر. ولا أجد الوسيلة لإقناعها بالعدول عن ذلك.

رد الفتى: اسمح لى يا والدى أن أقوم بهذا الأمر .

سمح له الملك فذهب الفتى إلى الوادى.

وعندما رأى أمه على التل توقف مناديا عليها:

ـ اسمعينى يا أماه، أنا ابنك. وقد حضرت كى آخذك معى.

وما إن نطق عبارته حتى انقض الكلبان على قدميه فوقع على الأرض وصارا يعضانه بشراسة. فصرخ الفتى بصوت عال من الألم.

سمعت الأم صراخ الفتى فأشفقت عليه ونادت كلابها.

نهض الأمير من على الأرض وراح يتوسل راجيا:

ـ لا تغضبى منى يا أمى، فأنا ابنك من لحمك ودمك. فلماذا لا تذهبين معى؟ هل تريدين أن نظل أيتاما طوال حياتنا؟

رق قلب الأم واعتصر الألم فؤادها ولم ترغب فى أن يظل طفلاها أيتاما فقالت:

ـ عد إلى أبيك وأخبره أن يرسل إلىَّ عربة على عجلات من الذهب وبها ملابس جديدة تليق بى. وليفرش الأرض بالأبسطة من هنا حتى باب القصر. وليخرج فى استقبالى الوزراء عندما أصل إلى مدخل القصر وينثروا الذهب من

فوقى. وليأمر بإقامة احتفالات الزفاف من جديد فى أرجاء البلاد. وعندئذ فقط سوف أعود إلى القصر.

عاد الأمير إلى والده وأخبره بما قالته الأم.

نادى الملك على وزرائه وأمرهم بتنفيذ كل ما طلبته الزوجة الصغيرة.

وخرج الوزراء إلى الوادى. وقامت النساء من علية القوم بتزيين الزوجة وألبسوها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها بفاخر الثياب وأفخمها. ثم أجلسوها على عربة لها عجلات من الذهب ورافقوها إلى المدينة معززة مكرمة. وأعد الملك لزوجته استقبالا حافلا. فما إن وصلتا إلى المدينة وهبطت من عربتها الذهبية حتى سارت فوق الأبسطة الحريرية التى كست الأرض نحو القصر.

أقام الملك الاحتفالات فى البلاد. واستمرت الأفراح أربعين يوما وليلة بالتمام والكمال.

المصباح السحرى



فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان عاش فى بلاد ياموود فلاح أجير يدعى محمود. كان محمود يكدح كل يوم مع زوجته فى سبيل الحصول على لقمة الخبز. ومرت عليهم أعوام طويلة من الشقاء والبؤس دون أن تحمل لهم الأيام فرحة أو سعادة. ولم يرزق محمود وزوجته بأبناء ولا بنات فاعتادوا الوحدة واستسلموا لقدرهم المكتوب. وبعد سنوات عجاف أنجبت الزوجة ولدا. فاغتبط

العجوز وفرحت الزوجة وتعهد الاثنان الوليد الوحيد بالرعاية والحب والحنان، وانشغلا بالحفاظ عليه من كل سوء مثل قرة العين، وأطلقا عليه اسم حسن.

عندما بلغ حسن الثالثة من العمر مات أبوه. وظلت الزوجة العجوز تعيش بمفردها مع الابن. ولم تبخل العجوز بالجهد والعرق من أجل تربية حسن وتوفير الطعام والملبس له.

كبر الولد وصار فى الثامنة من العمر وأصبح من الصعب على الأم العجوز أن ترافقه طوال الوقت. وانتهز حسن هذا الوضع فصار يتسكع فى الشوارع مع أقرانه ويقضى معظم وقته فى اللعب معهم بشتى الألعاب.

كان هناك طريق طويل يقطع القرية بطولها. وكان الفلاحون يسيرون فى هذا الطريق وقبلتهم المدينة، وهم يحملون معهم السمن واللبن والحبوب والفواكه والخضروات والبطيخ والشمام، وذلك كى يقوموا ببيعهم فى السوق الكبير. وكان الأولاد يركضون على الطريق خلف الفلاحين، فيخطف بعضهم لنفسه شيئا مما يحملونه، والبعض الآخر يتسلل بمكر ويسرق بعض الفواكه من على العربات. ثم يجتمعون معـــا بعد ذلك وكل منهم يتبـــاهى بالغنـــائم التى سرقها أو خطفها.

كان حسن من أمهر الصبية فى هذه الأفعال. ولم يكن هناك شىء يعجز عن القيام به. فكان يمد أصابعه بحذر ومهارة نحو السلال والأسبتة المحملة بالفاكهة ليختلس منها التفاح والكمثرى والمشمش والعنب. وحتى ثمار البطيخ والشمام الكبيرة كان ينجح فى سرقتها من فوق العربات. وعندما تنتفخ جيوبه بالثمار ويمتلأ عبه بالفواكه والعنب يسير مناديا على أقرانه بفخر وتباه. فينظرون إلى غنائمه بنظرات الحسد والغيرة.

لم يجد حسن من يخبره بأن السرقة عمل سيئ وشرير. فلم يكن لدى الكبار من الناس شاغل سوى التفكير فى لقمة العيش. وتعصف بأذهانهم الهموم وأعباء الحياة اليومية. لذلك لم يهتم أحد منهم بالأطفال وسلوكهم ولا بما يفعلونه. فى نفس هذه الفترة من الزمن كان يعيش فى وكر بأحد الوديان المهجورة الساحر ميرهاميد.

كان هذا الساحر ماكرا خبيثا يمارس العديد من أعمال السحر الأسود ولا يدرى عنه أحد من سكان القرية.

وفى يوم من الأيام المشرقة ظهر الساحر فى القرية الوادعة وشاهد الصبية يلهون فى الطرقات ويمرحون بشقاوتهم المعهودة. ونادى ميرهاميد على الولد حسن قائلا له:

ـ لقد كبرت يا حسن ونحت الزمن ملامحك. ورغم أنك قد أصبحت ولدا فارع القامة إلا أننى تعرفت عليك على الفور لأنك شديد الشبه بمحمود. أظنك لا تعلم أن أبوك محمود هو شقيقى وتوأم روحى. يبدو أنك لا تعرفنى. إننى أدعى ميرهاميد، وقد افترقنا أنا وأبوك وتركت موطنى مرتحلا فى بلاد إيران قبل أن تولد أنت فى هذا العالم بعد. ومنذ زمن قريب علمت بوفاة محمود فأصابنى الكرب والحزن وبكيته بأحر الدموع. ثم دفعنى الشوق إلى العودة لموطنى وزيارة قبر شقيقى الراحل عن الدنيا. وهذه الرغبة فى زيارة قبره هى الدافع الأساسى لعودتى إلى بلدى الأم.

بعد هذا الحديث أخرج الساحر الماكر من زنار حول خصره منديلا. وأخذ من المنديل قطعة فضية أعطاها للصبى. فرح الصبى بالقطعة الفضية فرحا كثيرا وهرع مسرعا إلى أمه يحكى لها عن لقائه بالعجوز وعن المال الذى منحه له ميرهاميد. ثم سأل الصبى أمه قائلا:

ـ هل يمكننى دعوته لزيارتنا يا أمى؟

وافقت الأم أن يدعو ابنها العجوز.

جاء الرجل إلى بيت الأم ودخل حجرتها فدعته إلى الجلوس. وما إن استقر الساحر فى مجلسه حتى أخذ يذكر محاسن أخيه ويبدى الحسرة والأسف على موته المبكر. ثم استطرد فى الحديث عن المودة التى كانت تجمعه بشقيقه محمود وعن حبه له. وفى أول الأمر أصابت الدهشة والدة حسن وانهمرت هى الأخرى فى البكاء على زوجها الراحل. ثم قامت المرأة فأعدت الشاى وبعض الحلوى وقدمتهم

إلى الضيف. وبعد شرب الشاى خرج الساحر ميرهاميد مصطحبا حسن إلى السوق. وهناك اشترى الساحر لحسن سروالا وقميصا ومعطفا وزنارا وحذاء. وعادا إلى البيت حيث ارتدى حسن ثيابه الجديدة وأصبح فى أبهى صورة.

مرت عدة أيام وقال ميرهاميد للأم إنه سوف يغادر القرية راحلا إلى إيران ويرغب فى اصطحاب الصبى معه. وظلت الأم طويلا ترفض طلب الساحر، لكنه ألح عليها وأخذ يقنعها حتى وافقته فى نهاية الأمر.

حزم العجوز وحسن أغراضيهما وتأهبا للرحيل، ثم انطلقا معا فى طريقهما إلى إيران. كان الطريق بعيدا وشاقا، وطال سيرهما وهما يقطعان الدروب والوديان والصحروات المقفرة. وبعد مرور بضعة أيام قال حسن للعجوز:

ـــ لقد أصابنى التعب ولم أعد أقوى على السير.

خلع ميرهاميد خاتما من إصبعه وأعطاه لحسن قائلا:

ـــ خذ هذا الخاتم وضعه فى إصبعك. وسوف يساعدك عندما تلم بك ضائقة. والآن سوف أنطق بتعويذة تزلزل الأرض من أمامنا وتجعلها تنشق عن فالق لا يسعنى الدخول منه. وأريدك أن تدخل بدلا منى فى هذا الفالق وتهبط إلى أسفل تحت الأرض حتى يظهر لناظريك بستان. عليك السير فى جانبه الأيمن دون المساس بشىء حتى يقابلك أطلال بيت. فلا تخف وادلف إلى داخل البيت المتهدم وابحث فيه حتى تعثر على مصباح عتيق. احمل هذا المصباح وعد به إلى هنا. لكن عليك أن تحمله بحذر شديد فإياك أن توقعه أو تمسحه، ولا تحاول تنظيفه بأى شىء.

بعد ذلك جمع الساحر فى قبضته بعض الأعشاب الجافة وفركها وأشعل فيها النار. ثم تمتم بتعويذة سحرية نثر فى أثرها مسحوقا فوق النار المتوهجة. وعلى الفور ارتجت الأرض وانشقت أمامهما عن فالق مخيف. أمسك الساحر بيد حسن وأنزله فى الفالق. بعد أن هبط حسن فى الفالق رأى أمامه بستانا رائع الجمال تغرد فيه البلابل وتجرى به المياه من سواقى وقنوات عديدة. وعلى ضفاف تلك

القنوات نمت شتى أنواع الزهور الملونة. وعلى قاع القنوات تتلألأ الأحجار الكريمة من الزمرد والماس بنورها الذى يخترق المياه البللورية الصافية. نظر حسن فى دهشة وانبهار إلى ما حوله. وكادت يده تمتد الى الأحجار الكريمة ليأخذ منها ولو قليلا فى جيوبه، غير أنه تذكر تعليمات العجوز الصارمة. فمضى مهرولا إلى الجانب الأيمن من البستان يبحث عن أطلال البيت المتهدم. وسار الصبى حتى شاهد الأطلال تقف أمامه. فدخل إلى وسط البيت يتفحص المكان ورأى أسفل أحد الحوائط بالقرب من موقد خبت نيرانه مصباحا عتيقا على الأرض. حمل الصبى المصباح ودسه فى جيبه وسار عائدا أدراجه. ثم توقف فى أثناء عودته عند ضفة إحدى القنوات وملأ جيوبه بالماس والأحجار الكريمة. وبعد ذلك صار يصعد إلى أعلى حتى اقترب من سطح الأرض فأخذ ينادى على عمه كى يساعده فى الخروج من الشق. مد الساحر يده نحو الصبى قائلا:

ـــ هيا أعطنى المصباح أيها الصبى.

رد الصبى:

ـــ عندما أصعد إليك سوف أعطيك المصباح.

قال الساحر بلهجة غاضبة:

ـــ إذن، فلتبق تحت الأرض أيها الوغد ما دمت ترفض إعطائى المصباح.

ورحل الساحر وهو يسب ويلعن تاركا الصبى داخل الشق. وظل حسن طويلا يصرخ وينادى على العم حتى بح صوته بلا جدوى. وفكر الصبى فى نفسه: "لقد رحل عمى إذن وبقيت أنا وحيدا تحت الأرض". وظل يبكى ويذرف الدمع الحار حتى جفت الدموع فى عينيه. ثم ثار غاضبا وأخذ يلقى فى الشق بالأحجار الكريمة التى حملها فى جيوبه. وفجأة تحسس المصباح بيده وتذكر تعليمات العجوز الصارمة وفكر فى نفسه: "لماذا حذرنى من تنظيف المصباح أو مسحه؟ فلأجرب أن أمسح الغبار من عليه، لكن بأى شىء أمسحه؟". ونظر الفتى فرأى مزقة بالية من القماش على أرض الشق. فهبط إلى أسفل مسرعا أمسك بها وصار يمسح

المصباح. وفى لمح البصر ظهر أمامه جنى هائل الحجم والطول. ارتعد حسن من الخوف وأخذ فى الصراخ مستنجدا. لكن الجنى عقد يديه أمام صدره وانحنى أمام حسن باحترام قائلا:

ــ شبيك لبيك عبدك بين يديك. بماذا تأمرنى يا سيدى؟ أخبرنى فأنا طوع أوامرك.

استجمع الصبى شجاعته وقال بصوت مرتجف:

ــ أريد العودة إلى منزلى عند أمى. فاذهب بى إلى قريتى بجانب مدينة ياموو وأعدنى إلى بيتى.

قال الجنى : أغلق عينيك.

أغلق حسن عينيه. وعندئذ قال له الجنى:

ــ افتح عينيك الآن.

فتح حسن عينيه ليجد نفسه فى قلب بيته. ورأى أمه جالسة فى ركن بالحجرة تحيك معطفا. اندفع حسن إليها يعانقها ويمطرها بالقبلات.

جلس حسن مع أمه يسألها عن أحوالها. وعرف منها أن البيت خاو من الزاد وأن الأم تعانى من الجوع. فقام بفرك مصباحه وظهر له على الفور الجنى خادم المصباح. وطلب منه حسن أن يحضر لهما طعاما. وفى لمح البصر كانت الحجرة مليئة بشتى أنواع المأكولات وأشهاها. وأكل حسن مع أمه حتى شبعا وامتلأت معدتايهما من الطعام.

وهكذ عاش حسن مع أمه أياما هانئة فى رغد وسعادة. وأصبح لديهما كل ما يتمناه المرء، ولم يصيبهما بعد ذلك جوع أو عوز. وانقضت أعوام عديدة كبر حسن خلالها وأصبح شابا يافعا. وفى أحد الأيام طلب حسن من أمه أن تخطب له عروسا كى يتزوج. فسألته الأم قائلة:

ــ وهل هناك فتاة بعينها تريد الزواج منها؟

رد حسن: أريدك أن تذهبى إلى الملك فالوماتخن واخطبى لى ابنته هلالة.

كانت العادات والتقاليد فى تلك الأزمنة تقضى بأن تذهب الخاطبة فى الفجر الى بيت العروس وتقوم بكنس فناء البيت. والتزمت أم حسن بتلك العادات المتبعة فى ذلك العصر. فخرجت مع طلوع الفجر إلى قصر الملك وكنست فناءه ثم عادت إلى بيتها. وفى اليوم التالى كررت ما فعلته وكنست فناء القصر ثم عادت إلى بيتها. وعندما عرف الملك فالوماتخن بهذا الأمر ثار ثورة عارمة من الغضب. وفى المرة الثالثة عندما حضرت الأم تغسل الفناء أمر الملك خدمه قائلا:

ـــ احضروا لى هذه العجوز على الفور.

أسرع الخدم بالقبض على العجوز وساقوها إلى الملك الذى سألها بلهجة صارمة:

ـــ هيا اعترفى أيتها العجوز وأخبرينى عن سبب كنسك فناء قصرى.

أجابت العجوز: لقد جئت كى أخطب ابنتك هلالة لابنى.

انتفخت عروق الملك من الغيظ وأمر بإعدام العجوز.

كان للملك وزير حكيم يدعى زهيد الدين. سجد أمامه باحترام ونصحه قائلا:

ـــ مولاى الملك المعظم، إنك من سلالة نبيلة عريقة مشهود لها بكرم الضيافة. وأبواب قصوركم المزدهرة دائما مفتوحة على مصراعيها لاستقبال جميع الناس. فأظهر بعضا من الكرم والرحمة التى اشتهرتم بها إزاء تلك العجوز المختلة الحمقاء ولا تقتلها. بل ضع أمامها شروطا يستحيل عليها تنفيذها كى تذهب من هنا بلا عودة مرة أخرى.

قال الملك: نعم الرأى أيها الوزير. لكن ما الشروط التى أضعها لها؟ أخبرنى بها وسوف أمليها عليها لتنفذها. فكر الوزير الحكيم على الفور فى الشروط وقال:



ـ فلتكن أوامرك لها يا مولاى أن تجلب سبعة أقداح ذهبية بداخل كل قدح منهم لؤلؤة كبيرة. ثم يحمل هذه الأقداح سبعة من الخدم يرتدون الملابس الاحتفالية المزركشة. وقل لها إن هذه المطالب لو تحققت فسوف تزوج ابنتك لابنها.

أعلن الملك شروطه للمرأة العجوز، وأمر بإطلاق سراحها من القصر.

عادت العجوز إلى بيتها وقصت على حسن كل ما جرى لها فى قصر الملك. ثم انشغلت الأم بشئون البيت فقام حسن بفرك مصباحه السحرى وفى التو واللحظة ظهر له الجنى خادم المصباح. فطلب منه حسن إحضار سبعة أقداح ذهبية بداخل كل قدح منهم لؤلؤة كبيرة وسبعة من الخدم يرتدون الملابس الاحتفالية المزركشة. وبالإضافة إلى ذلك أمره بإحضار ثياب فاخرة لأمه.

وفى الصباح التالى كان كل شىء جاهزا. وخرجت الأم فى ثياب فخيمة إلى قصر الملك يصاحبها سبعة من الخدم حاملين الأقداح الذهبية. أصابت الدهشة الملك فنادى على وزيره ليشاوره. فنصحه الوزير زهيد الدين بوضع الشرط الثانى أمام الأم وقال له:

ـ فليأتِ العريس بنفسه إلى هنا فى القصر ممتطيا صهوة فرس أصيل يرافقه خمسة عشر فارسًا يرتدون الثياب الفاخرة ويركبون جياد مسرجة بالذهب فى موكب احتفالى وجيه.

أعلن الملك شرطه الجديد للأم. فتركت الأقداح الذهبية فى القصر وعادت أدراجها إلى المنزل لتقص على حسن ما جرى من الملك وعن مطلبه الجديد. استمع حسن إلى ما قالته الأم وأرسلها لشراء بعض الأغراض من السوق ثم جلس يفرك مصباحه. وعندما ظهر الجنى قال حسن له:

ـ أريدك أن تجلب لى خمسة عشر من الفرسان الفتيان يرتدون الملابس الوجيهة ويحملون أسلحة ذهبية، ويمتطون الجياد الأصيلة المسرجة بالذهب حتى تسر العين لرؤيتهم. كما أريدك أن تجلب لى ثيابا ثمينة ارتديها مطعمة بالذهب والألماس ولا مثيل لبهائها وروعتها فى سائر البلاد، حتى أن خزائن الملك لا تفى بثمنها. وأسلحة من الذهب الخالص تزينها الأحجار الكريمة كى أحملها، وأحضر لى رهوانا لا نظير له فى الجمال مسرجًا بالذهب والماس. على أن تكون كل هذه الأشياء جاهزة فى الصباح.

فى صباح اليوم التالى كانت مطالب حسن قد أعدت كلها. فوقف موكب الفرسان بالانتظار أمام بوابة منزله وهم فى أبهى صورة وزينة. وارتدى حسن الملابس الجديدة وامتطى فرسه وتقدم على رأس الفرسان يسير صوب قصر الملك. واستقبله فالوماتخن بالحفاوة والترحاب ودعاه إلى وليمة فاخرة أقامها له. وكاد الملك يمنحه الموافقة على الزواج إلا أن الوزير زهيد الدين تدخل فى الأمر لمتعه. فقد كان الوزير معترضا على هذا الزواج وأقنع الملك بعدم التسرع فى اتخاذ هذا القرار.

لماذا وقف الوزير ضد هذا الزواج وصار يضع العراقيل أمامه؟ كان هناك سبب لهذا الموقف من الوزير الذى كتم فى أعماقه سر هذا الاعتراض. فقد كان الوزير نفسه واقعا فى حب الأميرة إلى درجة كبيرة. وكان ينتظر الفرصة المواتية للحديث مع الملك فى ذلك الأمر وإقناعه بالموافقة على مصاهرته. لذلك همس الوزير فى أذن الملك قائلا:

ـ لا تتعجل الأمر يا مولاى ولتضع أمامه شرطك الثالث. واطلب منه الآن أن يشيد قصرا منيفا على شاطئ النهر بجوار قصرك. على أن يكون هذا القصر مكسوا بأكمله بالذهب. وأنك سوف تمنحه الموافقة على زواج ابنتك به بشرط أن يشيد القصر الذهبى.

أخذ الملك بمشورة الوزير وأعلن لحسن عن شرطه الثالث. استمع حسن إلى طلب الملك وعاد إلى بيته. ثم حمل المصباح وأخذ يفركه حتى ظهر له الجنى فأخبره حسن بمطلبه قائلا:

ـ أريد منك أن تشيد لى قصرا كبيرا على مساحة ضخمة على شاطئ النهر بجوار قصر الملك. وينبغى أن يكون القصر وجدرانه مكسوة كلها بالذهب. ولديك مهلة حتى الصباح كى تنتهى من إقامته.

تلقى الجنى أوامر حسن ثم سجد فى خشوع أمامه واختفى من المكان.

خرج حسن إلى فناء البيت وفى هذه اللحظة دخلت الأم إلى الحجرة ترتبها فرأت مصباحا عتيقا يغطيه التراب. فحملت الأم المصباح وصارت تمسح التراب من عليه. وفجاة ظهر لها الجنى هائل الحجم مخيف الطلعة. أصاب الأم الهلع والرعب وصارت تصرخ بصوت مرتفع. وسمع حسن صوت صراخها وهرع مسرعا إلى الحجرة فشاهد الجنى خادم المصباح واقفا فى خشوع أمام الأم عاقدا يديه على صدره فى انتظار أوامرها. صاح الفتى فى الجنى:

ـــ انصرف من هنا.

وفى لمح البصر اختفى الجنى عن البصر كما لو أنه لم يكن.

وفى الصباح استدعى حسن الجنى مرة أخرى وخرج معه يتفقد القصر الذهبى القائم على ضفة النهر. وشاهد حسن قصرا مكسوا بالذهب يحيط به سور كبير عال من الذهب أيضا لا يوجد فى جماله وروعته نظير فى العالم. وله أبراج شامخة الارتفاع تتلألأ أشعة الشمس من فوقها. طاف حسن مع الجنى حول أسوار القصر. ثم أمر الجنى أن يحفر شقا فى أحد الأماكن بالسور بعرض سبعين سنتيمترا. وبعد أن حفر الجنى فى الحائط الشق أسرع حسن إلى قصر الملك وأخبره أن القصر المطلوب قد تم تشييده.

خرج الملك مع أتباعه وسار حول أسوار القصر الذهبى يتفقده. وقاد حسن الملك إلى مكان الشق الذى صنعه الجنى فى السور وقال له:

ـــ لقد بقى هنا يا مولاى هذا الشق الصغير فى السور لأن الذهب نفذ منى ولم يكف لاستكمال هذا الجزء.

أعطى الملك فالوماتخن وعده بأن يكمل بناء الجزء الناقص فى السور وإنهاء العمل. ثم طلب الصناع وأمرهم بالشروع فى العمل. وطال العمل فى الجزء الناقص من السور حتى استنفذ كل الذهب الموجود فى خزائن الملك ولم يكف لاستكمال البناء. وهكذا مرت ستة شهور على هذا الحال.

عندئذ استدعى حسن الجنى الذى ظهر فى لمح البصر قائلا: "شبيك لبيك عبدك بين يديك، بماذا تأمرنى؟" وأمره حسن بإنجاز الجزء الناقص من السور فأكمله الجنى كما ينبغى.

ولما رأى الملك أن بناء القصر قد انتهى على ما يرام أمر بإقامة الاحتفالات فى البلاد. واستمرت الأفراح والليالى الملاح أربعين يوما وليلة. بعدها تمت مراسم الزواج وأعطى الملك ابنته زوجة للفتى حسن.

وقام حسن بإخفاء مصباحه المدهش العتيق فى ركن بحوش أحد أبنية القصر، ولم يطلع أحدا على سر المصباح وقدرته السحرية. وعاش سعيدا فى قصره الذهبى مع الأميرة الصغيرة شريكة حياته. وكان أحيانا يخرج إلى الجبال للصيد والتريض.

ذاع صيت حسن فى أرجاء البلاد وترددت الأخبار حول مجده وثرائه بين الناس. كما وصلت تلك الخبار أيضا إلى الساحر العجوز الماكر ميرهاميد. فقام بإحضار أربعين مصباحا جديدا غاية فى الجمال. ثم انتظر حتى خرج حسن فى رحلة للصيد، وذهب إلى القصر الذهبى مناديا بصوت عال:

ـ لدى مصابيح جميلة ليس لها مثيل، أبادل المصابيح القديمة بالجديدة البراقة.

أسرعت الخادمات إلى الأميرة هلالة وصرن يتحدثن عن المصابيح الجميلة التى عرضها عليهم البائع. فقالت لهم الأميرة أن هناك مصباحًا عتيقا مهملاً ملقى بأحد الأركان فى الفناء. وأمرتهم أن يبادلوه بآخر جديد. فحملت الخادمات المصباح إلى البائع الذى أعطاهم فى المقابل عشرة مصابيح جديدة بدلا منه.

ما إن أصبح المصباح القديم بحوزة الساحر حتى قام بفركه فظهر أمامه على الفور الجنى خادم المصباح وهتف يقول: "شبيك لبيك عبدك بين يديك، بماذا تأمرنى؟" وأمره الساحر أن ينقل القصر الذهبى إلى بلاد إيران. وفى غمضة عين كان القصر بأكمله قد طار فى الفضاء وانتقل إلى إيران.

وفى الصباح التالى استيقظ الملك فالوماتخن من نومه ونظر عبر نافذة حجرته فلم ير أثرا للقصر الذهبى. فرك الملك عينيه مرة بعد الأخرى وظل طويلا على هذا الحال غير مصدق لما يراه. وفكر فى نفسه قائلا: "لابد من إننى مازلت فى سباتى وما هذا سوى حلم يراودنى". ثم أطل من شباكه مرة أخرى وظل ينظر إلى ضفة النهر حتى تيقن من اختفاء القصر الذهبى. وفكر الملك وهو فى حيرة من أمره: "أين اختفى القصر؟ ماذا جرى؟ وكيف تبخر فى الهواء؟". ونادى على حاشيته وأخبرهم بما رآه.

انتهز الوزير زهيد الدين الفرصة المواتية فظل يلوم الملك على تسرعه فى زواج ابنته قائلا: "لماذا تعجلت فى زواج ابنتك من هذا الملعون؟".

فى هذا الوقت عاد حسن من رحلة الصيد ونظر فلم يجد أثرا لقصره الذهبى بل وجد مكانه أرضا خالية تماما كما كانت فى السابق. تملك الحزن من حسن وأصابه الذهول لما جرى. وأمره الملك فى صرامة أن يبحث عن ابنته ويعيدها إليه فى غضون ثلاثة أيام. مضى حسن يسير مهموما على شاطئ النهر ثم جلس وصار يفكر ويفكر فيما جرى. وفجأة تذكر الساحر العجوز والعم الخبيث الذى ظهر فى حياته سابقا وهتف يقول فى نفسه: "إن هذا العمل بالتأكيد لهو من صنع الساحر العجوز". وأصبح على يقين من أن الساحر قد قام بنقل قصره إلى بلاد إيران. ثم انهمك يفكر سائلا نفسه فى الوسيلة التى يصل بها إلى هناك. "كم يا ترى من الوقت يلزمنى للوصول إلى إيران؟". لكنه لم يصل إلى إجابة على سؤاله الصعب، ومكث طويل ينظر إلى سطح الماء الرقراق وينصت إلى هدير الماء الهادر فى النهر.

وعلى حين غرة انبثق ضوء ساطع يتلألأ على سطح الماء. واعترت الدهشة حسن وظل ينظر إلى الماء لفترة طويلة حتى أدرك فى النهاية أن الضوء ينبعث من الخاتم الثمين الذى أعطاه له الساحر فى وقت من الأوقات. وبقى الخاتم فى أصبع حسن عبر هذه السنين ولم يخلعه من يده.

نزع حسن الخاتم من إصبعه وغمر يده فى الماء وصار يحك الخاتم فى إحدى الصخور. وفى لمح البصر ظهر أمامه جنى صغير أقل حجما من جنى المصباح السحرى. فأمره حسن أن يعيد القصر الذهبى إلى موقعه السابق. غير أن الجنى رفض القيام بهذا الأمر متعللا فى ذلك بأن قوته لا تكفى لحمل القصر ونقله.

عندئذ طلب حسن من الجنى أن ينقله إلى القصر الذهبى. وعلى الفور حمله الجنى إلى ايران. وقابل حسن زوجته وعرف منها كل ما جرى معها. وحكت له أن الساحر العجوز أراد أن يكرهها على الزواج منه. فطلب حسن من الأميرة أن تقوم بدعوة الساحر إليها لشرب الخمر، ثم تقوم بدس مسحوق منوم له فى الشراب.

بعد ذلك وفى الخفاء قادت الأميرة حسن إلى إحدى حجرات القصر وأخفته بداخلها. ثم جاء إليها الساحر فاستقبلته بالحفاوة والترحاب ودعته إلى وليمة فاخرة من الطعام والشراب. وصبت له النبيذ فى قدح كبير ودست فيه المسحوق المنوم دون أن يلحظ ما فعلته. وبعد مرور بضع دقائق غاب الساحر العجوز عن وعيه وسقط على بساط الحجرة. وأسرع حسن إليه وقام بتفيش ملابسه حتى عثر على المصباح العتيق بين ملابسه. واستدعى الجنى الكبير وصار يوبخه على نقله للقصر الذهبى. لكن الجنى أخبره بأنه خادم لحامل المصباح وطوع أوامره أيما يكن هذا الشخص.

حينئذ حمل حسن الساحر إلى البهو الكبير للقصر وأعاده إلى رشده وقال له: "هذا عقابك على خداعك لى وخيانتك، والجزاء الذى تستحقه لأفعالك". ورفع حسن سيفه وقطع به رأس الساحر. ثم أمر الجنى أن يعيد القصر الذهبى إلى موقعه السابق أمام النهر بجوار قصر الملك. وقضى فيه حسن مع الأميرة حياة سعيدة هانئة .

ألمظ الشمطاء



كان ياما كان فى زمن من الأزمان رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوزة. وكانت له أسرة صغيرة. كانا يكدحان منذ الصغر بصبر ودأب حتى استطاعا بالتدريج أن يدخرا ما يكفلهم فى شيخوختهم . وقام الزوج مع زوجته بتربية وتنشئة ابنهما الوحيد. واستطاعا رويدا رويدا أن يغرسا بداخله حب العمل. وكانا يوليانه

الكثير من الحب والحنان. ويقومان بتدليله والعطف عليه. وكان الابن يساعد والديه فى كل الأشغال والأعمال. وكانت لديه لعبة محببة وهى السوكة الذهبية (لعبة السوكة لعبة من الألعاب المنتشرة فى أوزبكستان. وهى عبارة عن قطعة من الخشب المطلية باللون الأصفر مدببة الطرفين ذات وجهين أحدهما رابح لو سقطت عليه وهو المقعر والآخر خاسر وهو المحدب، وتضرب فى الهواء بعصى قصيرة. وأحيانا تضرب السوكة ناحية حبات مفرغة من "عين الجمل" والرابح هو من يصيب أكبر عدد من تلك الحبات. المترجم)

فكان يلعب دائما بها. ضاربا فى المرة الواحدة عدة حبات وهو راكض على فرسه. ولم يكن يفترق عن السوكة الذهبية، بل يحملها معه فى كل مكان حتى عندما كبر سنه.

وعند نهاية الربيع من كل عام، كانت الأسرة كلها تنتقل إلى ثغر جبلى حيث يوجد المرعى الصيفى. فكان العجوز ينقل هناك خيمته ومعها مختلف الأغراض المنزلية. أما الصبى فكان يمتطى فرسه يسوق به البهائم: البقر والثيران والماعز والخراف كى يرعوا من العشب النضير الكثيف المنتشر فى كل الأرجاء. وبعد أن يضع العجوز خيمته ويؤمن بها سبل الراحة، تظل الأسرة مقيمة بها طوال وقت الصيف يستمتعون بالهواء الطلق، وترعى بجوارهم ماشيتهم فى حرية وانطلاق. ومع تباشير الشتاء وحلول البرد كانت الأسرة تعود أدراجها الى قريتها.

فى إحدى المرات طالت إقامة العجوز بالجبل فى ثغره الصيفى وامتدت لأكثر من المعتاد. وعلى الرغم من انتهاء أيام الصيف فإن الجو ظل دافئا جافا. وكان المطر قلما يسقط ولفترات قصيرة سرعان بعدها ما تشرق الشمس ثانية لتدفئ الارض. وأخيرا حل الخريف متأخرا عن موعده وبدأ البرد يشتد ويمسك بزمام الأمور. حينئذ أعلن العجوز قائلا إن ساعة الرحيل قد أزفت وإن عليهم العودة إلى المقر الشتوى بالقرية. وقام يعاونه الابن بحل الخيمة من أوتارها وجمع الأمتعة وربطها على ظهور الجياد. امتطى الصبى صهوة مهر ذى عامين وصار يسوق

الماشية. أما عن لعبته السوكة الذهبية فقد نسى أمرها تماما بعد أن لعب بها فى المرة الأخيرة وتركها في الثغر.

وبعد أن وصلوا إلى بيتهم بالقرية دس الصبى يده فى جيوبه يبحث عن السوكة الذهبية فلم يجدها. "أين اختفت؟"ـ فكر الصبى فى نفسه لكنه لم يستطع أن يتذكر. وهكذا راح فى النوم وعقله

مشغول بالتفكير بها.

وفى صباح اليوم التالى سأل الصبى أمه قائلا:

ـ أماه يا أماه، ألا تعرفين مكان السوكة الذهبية؟

لكن الأم لم تعرف مكانها.

حينئذ ذهب الابن إلى والده وسأله:

ـ يا والدى، يا والدى، ألا تعرف مكان سوكتى الذهبية؟

أجاب الوالد: ولدى العزيز، لابد أنك قد تركتها بالمرعى فاركب مهرتك وعد سريعا إلى هناك وأحضرها معك.

امتطى الصبى صهوة المهرة وانطلق مسرعا نحو الجبال حيث يوجد المرعى. ومع غروب الشمس وصل الابن إلى الثغر المعروف لديه. وسار حتى توقف عند سفح الجبل حيث كانت الخيمة منصوبة، فرأى مكانها تجلس امرأة عجوز شمطاء، قبيحة ذات أنف محدب طويل يشبه منقار الجوارح المفترسة، وعينان جاحظتان، ووجه مغطى بالتجاعيد، وأسنان صفراء ضخمة مثل الأنياب، وشعر أشيب منكوش، ويدان طويلتان تبرز منهما العظام وتنتهى أصابعها بأظافر كالمخالب الحادة. "أليست هذه ألمظ الشمطاء بشحمها ولحمها؟" خطر الهاجس فى عقل الصبى وارتعدت أوصاله من الخوف.

كانت ألمظ الشمطاء تجلس أمام أوراق اللعب وهى تقذف فى الهواء بالسوكة الذهبية التى تسقط على الأرض بالوجه الخاسر فى كل مرة، أى تسقط

فيصبح الوجه المحدب إلى أعلى. "إنها لا تجيد اللعب بالسوكة ــ فكر الصبى فى نفسه ــ وهى غالبا لم تلعبها من قبل، وإذا لعبت معها فسوف أهزمها على الفور. فأنا أقذف بالسوكة دائما على الوجه الرابح. لكن الاقتراب من هذه العجوز فيه خطر شديد على حياتى، فهى تستطيع أن تبتلعنى حيا".

سيطر الخوف على الصبى من الشمطاء، وهمّ أن يعود أدراجه على مهرته دون أن ينظر خلفه، لكنه أشفق أن يترك سوكته الذهبية ويرحل دونها. "إن لعبتى جميلة وملساء، تضرب بسهولة، ولن أجد مثيلا لها"ــ فكر الصبى وحسم أمره بالتوجه إلى العجوز وطلب السوكة منها.

ــ أعطنى لعبتى ــ قال الصبى وهو ثابت فى مكانه.

هتفت ألمظ بصوت متقطع: آخ يا بنى لو تعلم، إننى أحتضر، وليس لدى أية قدرة للنهوض أو حتى للحركة. فترجل من فوق مهرتك واقترب بنفسك لتأخذها.

"تريدين منى أن أترجل وأذهب إليك بنفسى؟ لو أننى فعلت ذلك واقتربت منك فسوف تبتلعيننى فى لمح البصر" ــ فكر الصبى فى نفسه قائلا وطلب من العجوز بلهجة أشد صرامة:

ــ أعيدى لى لعبتى قلت لك.

ولكز المهرة حتى اقترب أكثر من العجوز.

قالت الشمطاء بصوت متهدج أجش: لكننى أحتضر وقد خارت قواى تماما. فكيف يمكننى أن أنهض وأعطيك السوكة؟ هيا اقترب وخذها بنفسك.

قالت كلماتها وحركت بيدها المعروقة السوكة على الأرض قليلا إلى الأمام. أرخى الصبى لجام المهرة وضربها بكعبيه على جانبيها. وانطلق بها وهو منحنى حتى كاد يلمس الأرض. فالتقط السوكة بيده اليمنى واندفع بكل قوته على مهرته مبتعدا كالسهم نحو سفح الجبل. جحظت عينا المظ الشمطاء من الغضب وأطبقت فمها بشدة على أسنانها تكز عليها. وخلعت رداء الوهن والمرض وقفزت

تركض خلف الصبى تطارده حتى صارت الصخور فى الثغر تتطاير وتتكسر من تحت أقدامها مصدرة فرقعة عالية.

انطلق الصبى بكل قوته مبتعدا عن المكان وألمظ الشمطاء تعدو فى أثره حتى اقتربت منه وكادت أن تدركه.

كان الليل قد أرخى سدوله على المعمورة. فتعبت المهرة وخارت قواها. وعندما لاحت أول خيوط الفجر لمح الصبى بغلا قويا يقف عند إحدى العزب فقفز عليه وواصل طريقه مسرعا به. لكن الحمار سرعان ما أدركه التعب من الركض. وصارت ألمظ الشمطاء تقترب منه أكثر فأكثر فما العمل؟

هبط الصبى من على الحمار فوق بعض التلال العالية. وعند وهدة منهم شاهد جوادا رشيقا مسرجا مربوطا إلى إحدى الصخور. استل الصبى سكينه وقطع الحبل المربوط به الجواد. ثم قفز على ظهره وانطلق به كالسهم مبتعدا على الطريق. وهكذا استطاع أن يسبق ألمظ الشمطاء. إلا أنها على الرغم من ذلك واصلت ملاحقته واقتفاء أثره.

ظل الصبى يركض على حصانه طوال اليوم بلا توقف حتى قاربت الشمس على المغيب. وعند حلول المساء كان الحصان قد أصابه الإجهاد الشديد. وبدأ يتمهل ويتعثر فى مشيته، حتى اقتربت العجوز منه وكادت أن تدركه وتمسك به.

فجأة رأى الصبى جملا يقف على جانب الطريق. كان الجمل مسرجا هو الآخر. فقفز الصبى من على ظهر الحصان إلى ظهر الجمل، وصار يعدو به ويحفزه بكل عزيمته. بيد أن العجوز لم تدعه يغيب عن ناظريها واستمرت فى مطاردته. ظل الصبى يعدو فوق الجمل هاربا من ألمظ الشمطاء طوال الليل. لكن الجمل هو الآخر أدركه التعب والإنهاك فى نهاية الأمر. حتى صارت العجوز قريبة من الصبى.

عند شروق الشمس صادف الصبى ثورا يقف على الطريق تبدو عليه المعاناة الشديدة. فقد كان فخذاه ملطخين بالأوحال. تذكر الصبى حديث والده عن القوة السحرية الهائلة التى تتمتع بها مثل هذه الثيران. أمسك الصبى بالثور وقفز فوق ظهره. رفس الثور الأرض بقائميه الخلفيين واندفع بكل قوته. نظر الصبى خلفه فرأى العجوز وقد صارت بعيدة كل البعد عنه.

وظل الصبى طوال النهار يركض على ظهر الثور. وسرعان ما انقضى النهار الخريفى القصير. فخارت قوى الثور ولم يصبح بمقدوره العدو بسرعة كما كان من قبل. فى ذلك الوقت أصبحت ألمظ الشمطاء قريبة منه مرة ثانية. حتى إنها فردت ذراعيها إلى آخرهما، وأخرجت مخالبها واستعدت للإمساك به. وفجأة انبثقت من الطريق سحابة ابتلعت فى جوفها الثور والصبى فأخفتهما فى ضباب كثيف. وغاب الصبى عن أنظار ألمظ الشمطاء فانحرفت عنه وسارت تركض فى طريق آخر. وظل الثور فى عدوه حتى بدأ الطريق يصعد إلى الجبل فتوقف عن السير. ثم هبط الصبى من فوق ظهره ونزع حزامه ليربط به الثور. وفجاة تحدث الثور بصوت آدمى وقال:

ـ لا داعى لأن تربطنى، فأنا لن أرحل من هنا وأتركك، وسوف أصبح من الآن فصاعدا صديقا ورفيقا لك.

أصابت الدهشة الصبى من كلام الثور ولم يربطه. وعندما أراد وضع حزامه ثانية حول خصره اصطدمت يده بمنديل مربوط كان قد نسيه. كان بالمنديل شطيرة أعطتها له أمه قبل أن يرحل. وكان الجوع الشديد قد حل به. فتناول الشطيرة والتهم نصفها حتى أشبع بعضا من جوعه. ثم أعاد النصف الآخر فى المنديل وربطه.

مضى الليل فى هدوء وسكينة. استيقظ الثور فى الصباح. فقام وفرد قائميه الأماميين يتمطع. ثم فرد الخلفيين أيضا مكورا ظهره. ومضى يصعد الجبل باحثا بين الصخور عن العشب الأخضر كى يرعى منه. أما الصبى فقد أدركه التعب وحل به الإجهاد من أثر المطاردة المستمرة فظل راقدا يريح جسده. أخذ الثور يلتهم

العشب النامى فى نهم واستمتاع وهو يتسلق أعلى فأعلى حتى وصل إلى قمة الجبل. ونظر من عليائه فرأى على البعد قصرا كبيرا يحيط به بستان واسع كثيف الأشجار. كان ملك البلاد يأتى إلى هذا القصر مرة كل عام مع أسرته ليمضى وقتا من الراحة واللهو والصيد فى الجبال القريبة. صار الثور يهبط إلى أسفل من قمة الجبل وهو يرعى العشب المتناثر. وظل يسير ويسير دون أن ينتبه حتى وجد نفسه أمام القصر.

كانت هناك أربعون جارية يقمن على خدمة ابنة الملك. وكانوا جميعا من الشابات الحسان الضحوكات الرشيقات. وكن يتريضن بين ممرات البستان عندما لمحن الثور. هرعت الفتيات خلف الثور وأمسكوا به وساقوه إلى البستان. ثم وضعوا على ظهره غطاء من الحرير وقفزت عليه أجرأهم من الفتيات وصارت تحثه على الركض. رفس الثور الأرض بحافريه الخلفيين، ورفع رأسه يتشمم الهواء بمنخاريه، ثم لف ذيله وانطلق يعدو كالسهم فى طرقات البستان. صرخت الفتاة من الهلع وهى على ظهر الثور، وبعد ذلك عاد إليها الهدوء فأمسكت بقرنيه وسارت به تتمخطر حتى عادت إلى رفيقاتها. بعدها جلست على الثور فتاة أخرى فثالثة حتى ركبوا جميعهم الثور بالتتالى، وصرن يتريضن على ظهره فى ممرات الحديقة ذهابا وإيابا.

سمعت الأميرة الضوضاء الصادرة من البستان فنظرت عبر نافذة القصر وضحكت لما رأته. فقد كانت دائما تستمتع بلهو وصيفاتها ومرحهن. ولما لمحت الوصيفات الأميرة ساروا إليها حتى أصبحوا تحت النافذة، وطلبوا منها راجين أن تهبط إليهم وتشاركهم لهوهم.

قالت الفتيات: انضمى إلينا يا مولاتى كى تمتطى ظهر هذا الثور وتتنزهين به.

أجابت الأميرة: حسنا، استمروا أنتم فى المرح معه وأنا سوف أجلس هنا وأشاهدكم.

لكن الفتيات ألححن قائلات:.

ـــ هيا انزلى وشاركينا بنفسك يا مولاتى، ولا تخشى شيئا، فالجلوس على ظهر هذا الثور متعة حقيقية ـــ أخذت الفتيات ترجون الأميرة.

ـــ حسنا، سوف أجرب ما تقولونه.

هبطت الأميرة إلى البستان وانضمت إلى وصيفاتها. ثم قفزت على ظهر الثور وسارت معه. صار الثور يعدو بالأميرة فى سرعة رزينة دون تهور. وما إن وصل إلى نهاية البستان حتى دار بهدوء عائدا أدراجه.

تريضت الأميرة فى ممرات البستان وهى على ظهر الثور عدة مرات. وقالت بعد ذلك:

ـــ يا للروعة، إنه ثور وديع للغاية. والجلوس على ظهره مريح جدا، يسير بخطوات ثابتة ولا يهتز جسمه أبدا.

أعجبت الأميرة بالجلوس على ظهر الثور حتى إنها لم تنزل من عليه وصارت تتنزه معه حتى هبط المساء. مالت الشمس إلى المغيب وبدأ الظلام يسود المكان. اقترب الثور من البوابة حتى وقف أمامها. وفتح فمه يستنشق أنفاسا عميقة من الهواء حتى يستجمع قواه. ثم لف ذيله، والتفتت الفتيات الوصيفات نحوه فلم تدركه أبصارهن وهو ينطلق كالومض حتى اختفى الثور بالأميرة فى ثوان عن الأنظار وابتلعهم الضباب الكثيف. وما إن أدركن الأمر وأفقن من دهشتهن فشهقوا مستنجدين. كان الثور قد ابتعد بأقصى سرعته حاملا ابنة الملك. صعد الثور الجبل حتى وصل إلى أعلاه. ثم سار فى طريقه المعروف وركض إلى الصبى وهتف قائلا:

ـــ هيا استيقظ يا صاحبى وانظر إلى الفتاة التى جلبتها لك.

استيقظ الصبى من سباته، وأخذ بيد الأميرة يساعدها على النزول من فوق الثور. ثم فرش قميصه على الأرض ودعاها إلى الجلوس. كانت الفتاة قد أصابها

الإنهاك والتعب من مغامرة اليوم حتى إنها لم تجلس سوى قليلا ثم ما لبثت أن راحت فى نوم عميق.

قال الثور مخاطبا الصبى: اسمعنى جيدا أيها الصديق، خذنى خلف الجبل وقم بذبحى. وبعد أن تذبحنى ادفن عينى فى مكان، ثم ادفن جثتى فى مكان آخر بعيد عنه إلى أقصى الحدود. استمع الصبى إلى كلمات الثور، وبعد ذلك ساقه إلى سفح الجبل وقام بذبحه. ثم دفن عينيه فى نفس المكان، وحمل الجثة إلى مكان بعيد فى الوادى ودفنه هناك. كان الليل قد انتصف عندما عاد الفتى أدراجه. وكان التعب قد حل به فارتمى على الأرض بملابسه وغط فى نوم عميق كالقتيل.

وعندما صحا الفتى عند طلوع الفجر، نظر فى الاتجاه الذى دفن فيه العينين فصعق من الدهشة. لقد كان مكان العينين المدفونتين كلبين هائلين رابضين، يحرسان الصبى والفتاة فى أثناء نومهما. همّ الصبى بالاقتراب من الكلبين عندما استوقفه صوت الأميرة التى صحت من نومها وهى تهتف قائلة:

ـ آخ، يا له من قصر رائع الجمال.

أمعن الصبى النظر فى الوادى فرأى قصرا شامخا يقف فى نفس المكان الذى دفن به جثة الثور، يحيط به بستان فاكهة كبير.

سار الفتى والفتاة صوب القصر حتى وصلا إليه، فدلفا إلى البستان عبر بوابة مفتوحة. أما كلبى الحراسة فقد تبعاهما ثم توقفا عند البوابة. صعد الاثنان على سلالم رخامية عريضة تفضى إلى داخل القصر. مضى الاثنان طويلا يتجولان فى حجرات القصر الكثيرة وهما فى دهشة من فخامة الأثاث وروعة الحوائط والأسقف المزدانة بالرسومات الجميلة والمنمنمات الذهبية. انبهر الفتى والفتاة بالقصر وبهائه، فقررا البقاء به وعاشا فيه معا.

وفى يوم من الأيام قرر الفتى الخروج للصيد واصطحب معه الكلبين. فى أول الأمر أخذ يصطاد فى الجبال، وبعد ذلك هبط إلى الوادى وتوقف عند شاطئ النهر. نظر الفتى وإذا بألمظ الشمطاء تقف عند الشاطئ. وما إن شاهدت العجوز

الصبى حتى ألقت بنفسها فى مياه النهر. أراد الفتى أن يلقى بنفسه خلفها لكنها غطست فى الماء ولم تظهر ثانية على السطح. التفت الفتى إلى الكلبين وهتف صارخا:

- أمسكا بهذه العجوز، لكن عندما تقبضان عليها أحكما الإمساك بها حتى لا تفلت منكما.

أجاب الكلبان: أوامرك مطاعة وسوف ننفذها على الفور. سوف نغطس الآن فى الماء وأنت عليك مراقبة سطحه، فإذا رأيت بقعة من الدماء تطفو لا تجزع واعلم أن الأمور تسير بصورة طيبة. أما إذا رأيت صديدا أصفر حينئذ يمكنك البكاء واعلم أن الأمور قد ساءت.

قفز الكلبان واحد بعد الآخر إلى النهر فى نفس المكان الذى قفزت فيه ألمظ الشمطاء، واختفيا تحت الماء.

ظل الفتى طويلا يقف عند الشاطئ حتى ظهرت فجأة على سطح الماء بقعة صفراء من الصديد. وما إن رأى الفتى الصديد حتى انخرط فى بكاء مرير وفكر فى نفسه:" هذا يعنى أن الأمر قد ساء وانتهى". ومضت برهة قصيرة ثم تلونت المياه بلون الدم الأحمر فابتهج الفتى وتوقف عن البكاء.

وسرعان ما ظهرت على سطح الماء رأس أحد الكلبين، ثم ظهرت رأس الآخر. كانا يقبضان بأسنانهما بقوة على قدمى العجوز الميتة ويسحبانها فى الماء. ثم وصلا إلى الشاطئ فألقيا بها عليه وركضا إلى صاحبهما. كاد الفتى يطير من السعادة. فقد أصبحت الآن عدوته اللدود ألمظ الشمطاء عاجزة عن إلحاق الأذى به. وعاد إلى قصره راضيا سعيد إلى أبعد الحدود. نظر الصبى فرأى أن هناك ضيوفا قد حلوا عليه. كان بينهم الملك والد الفتاة الذى خرج للبحث عنها ودخل إلى القصر بالمصادفة مع بعض المقربين منه. فرح الملك فرحا كبيرا وأمر بإقامة الأفراح والليالى الملاح لزفاف ابنته إلى الفتى الصغير. بعد ذلك أجلسه الملك على العرش وسلمه مقاليد الحكم. وسرعان ما وصل إلى الصبى والده ووالدته بعد أن أضناهما

البحـــث عنه طويلا حتى عرفـــا أنه موجـــود بالقصر. وكانت فرحتـــهما كبيرة ولا توصف عندما رأوا حاله من الرفاء وشاهدوا عروسه الأميرة الحسناء التى صارت زوجة ابنهما. وهكذا عاش الجميع حياة ترفرف عليها السعادة، وتحققت كل أحلامهم وأمانيهم.

الهمام والجنية



كان ياما كان، جائع أو شبعان، رجل عجوز عاش فى قديم الزمان. كان للعجوز ثلاثة من الأبناء. كبر أبناؤه وقرر والدهم أن يزوجهم فبدأ بالابنين الأكبر والأوسط فزوجهما وبنى لكل منهما دارا. ثم بدأ يبحث عن عروس لابنه الأصغر كى يلحق بشقيقيه.

لكن الابن الأصغر كان مولعا بالصيد والقنص.

وفى أحد الأيام خرج إلى الجبال حاملا على ظهره قوسه وسهامه. وفجأة خرج من بين الصخور طائر من طيور الدراج وطار محلقا فوق الفتى. فأسرع الفتى وشد قوسه مطلقا سهمه نحو الطائر. لكن السهم طاش ولم يصيبه. وطار الدراج إلى أحد الكهوف ثم هرب منه عبر مخرج خلفى للكهف. وفكر الفتى فى نفسه قائلا: "إن لم أوقع بالطائر فلأستعيد سهمى الطائش على الأقل". ودلف إلى داخل الكهف.

كان هذا الكهف مسكونا بالجنيات. فاقتربت من الفتى جنية منهم بارعة الحسن والجمال ذات ضفائر طويلة للغاية تتدلى على صدرها وتكاد تلامس الأرض. وأمسكت الجنية بيده وقادته خلفها. وقضى الفتى معها فى الكهف أربعين يوما فى لهو ومرح وسرور.

وبعد مرور أربعين يوما تقدمت إليه الجنية وسألته قائلة:

ـــ أخبرنى أيها الفتى الهمام، من أى بلد أتيت؟

حكى الفتى للجنية عن موطنه فسألته ثانية:

ـــ وهل يوجد لديك أب أو أم أو أقارب؟

رد الهمام قائلا:

ـــ نعم، لدى أب وأم وشقيقان أكبر منى عمرا، وأيضا لدى العديد من الأقارب الآخرين.

قالت الجنية: مادام الأمر هذا فعد إلى بيتك وقل لوالدك: "أريدك أن تبنى لى بيتا يا أبى". وعندما يسألك أبوك: "ولماذا تريد بيتا؟". أجبه قائلا: "لأننى أريد العيش فيه بمفردى".

بعد هذا الحديث مع الجنية عاد الفتى إلى بيته. وفى أحد الأيام جلس مع والده يتجاذبان أطراف الحديث وفجأة قال الفتى:

ـــ أريد منك يا والدى أن تبنى لى بيتا كبيرا.

رد العجوز فى دهشة قائلا:

ــ وما حاجتك إلى البيت يا بنى وأنت بلا أسرة بعد؟ هيا نجد لك عروسا فى الأول كى تتزوجها وبعد ذلك نبنى لك البيت.

لكن الفتى ظل يلح فى طلبه:

ــ حتى ولو لم تكن لدى أسرة بعد إلا أننى أريد بيتا لى.

رد العجوز: حسنا يا بنى سوف ألبى لك رغبتك.

وجلب العجوز أفضل الصناع والبنائين الذين شيدوا للابن الأصغر بيتا رائع الجمال.

قال العجوز:

ــ لقد أصبح الآن بيتك جاهزا يا بنى.

وخرج الفتى للصيد مرة أخرى. وسار فى الجبال طويلا حتى وصل إلى الكهف المسكون بالجنيات. كانت الجنية الحسناء تجلس عند مدخل الكهف بانتظاره. فما إن رأته حتى أمسكت بيده وقادته إلى ركنها بالداخل. وبعد مرور بضعة أيام قال الفتى للجنية:

ــ ينبغى علىَّ الآن الذهاب إلى المنزل.

ردت الجنية قائلة: اذهب وقل لأبيك أن يضع لك خيمة بيضاء فى بيتك الذى شيده.

وصل الهمام إلى المنزل وسأل والده قائلا:

ــ أريدك يا أبى أن تضع لى خيمة بيضاء فى بيتى الذى شيدته.

أجابه العجوز فى دهشة:

ـــ وما حاجتك إلى خيمة بيضاء وأنت بلا زوجة بعد؟ وماذا تريد أن تفعل هناك بمفردك؟

رد الفتى: سوف أبيت فيها.

ـــ حسنا، سوف ألبى لك رغبتك.

وأقام العجوز خيمة بيضاء فى بيت ابنه الأصغر ثم قال له:

ـــ لقد صارت خيمتك جاهزة يا بنى.

ومرة ثالثة حمل الهمام قوسه ونباله وخرج للصيد. وعندما وصل إلى الكهف المسكون بالجنيات كانت الجنية الجميلة تنتظره عند المدخل. وعندما شاهدته ركضت مسرعة نحوه وسألته:

ـــ هل سارت الأمور على ما يرام ونصبت لى الخيمة؟

قال الفتى: نعم لقد أقمت الخيمة.

ردت الجنية: مادامت الخيمة قد صارت جاهزة فلنرحل إذن.

وجلس الاثنان على ظهر الفرس الذى انطلق بهم إلى بيت الفتى. ثم دخلا إلى الخيمة البيضاء وصارا يعيشان فيها معا كزوج وزوجة.

وكانت لهذه الجنية صفة خاصة تتميز بها. فهى تتحول فى عيون الغرباء إلى قطة وديعة. أما الفتى فهو الوحيد الذى يراها على هيئة الحسناء بارعة الجمال.

وفى يوم من الأيام أراد العجوز أن يزور ابنه الأصغر فى بيته ليعرف أحواله وأخباره فى عزلته. فذهب إلى بيته ودخل الخيمة فلم ير سوى ابنه وقطة تجلس بجواره.

سال العجوز: ما الذى تفعله هنا يا بنى؟

ـــ أجىء إلى الخيمة حيث أقضى بها بعض الوقت. بعد ذلك أتجول فى الفناء وألهو مع القطة.

جلس العجوز قليلا يتحدث مع ابنه ثم عاد إلى بيته. وبعد مرور خمسة أيام قالت الجنية للفتى:

ـ اذهب إلى أهلك وأحضر لى بعض اللبن الرائب كى أغسل به رأسى.

وذهب الهمام إلى بيت شقيقه الأكبر وسأل زوجة أخيه قدحا من اللبن الرائب وحمله إلى الجنية بالخيمة.

صاحت به الجنية قائلة:

ـ وهل يكفى قدح واحد من اللبن الرائب لغسيل رأسى؟ اذهب وأجلب لى المزيد.

خرج الفتى مرة أخرى إلى زوجة أخيه وأحضر قدحا كبيرا مملوءا باللبن الرائب. غير أن الجنية هتفت معترضة من جديد تقول:

ـ أليس لك عقل تفكر به؟ إن غسيل رأسى لهو عمل فى غاية الأهمية. فاذهب وأحضر لى زلعة مملوءة باللبن الرائب ومعها دلو كبير.

رحل الفتى للمرة الثالثة وأحضر زلعة مملوءة باللبن الرائب ودلوا كبيرا. وصارت الجنية تعد نفسها لغسيل رأسها وقالت للفتى:

ـ والآن عليك أن تخرج بالانتظار خلف الباب حتى أنتهى من غسيل رأسى.

خرج الهمام من الخيمة وحلت الجنية ضفائرها ثم أخذت فى تمشيط خصلات شعرها. ثم وضعت قدميها فى قبقاب وصارت تغسل رأسها. وقف الفتى خلف باب الخيمة وفكر قائلا فى نفسه: "فلأختلس نظرة كى أرى شعر جنيتى". وتسلل الفتى بحذر وصار يختلس النظر عبر شق بالباب. كانت الجنية واقفة ترتدى القبقاب فى قدميها وشعرها يلامس الأرض. وفكر الفتى: " إن غسيل هذا الشعر الطويل يتطلب بالفعل الكثير من اللبن الرائب".

كان الوالد العجوز قد أتى مرة أخرى ليطمئن على أحوال ابنه الأصغر. فدخل إلى البيت وتسلل إلى الخيمة فى هدوء ليرى ما يفعله. ونظر العجوز فشاهد ابنه جالسا بجوار الجنية الحسناء التى أضاءت الخيمة بنور جمالها. اغتبط العجوز وفكر: " لهذا السبب إذن طلب ابنى بيتا وخيمة، لقد وجد لنفسه عروسا جميلة حقا". وخرج الرجل راضيا سعيدا إلى بيته دون أن ينطق بكلمة واحدة.

ومرت الأيام يوم بعد يوم وشهر بعد الآخر. وجاء يوم استعد فيه أحد أقارب العجوز للزواج وإقامة حفل للزفاف. فأعطى العجوز ثمانية أجولة من الدقيق لكل من ابنيه المتزوجين كى تقوم زوجتاهما بصنع الخبز والفطائر للحفل المرتقب. كما أحضر لهم قماشا لحياكة ثياب للعروس. ولما عرفت الجنية بهذا الأمر قالت للفتى:

ـــ ما بك جالس كما لو أن الأمر لا يعنيك؟ هيا اذهب إلى والدك واطلب منه دقيقا وقماشا كى نستعد لحفل الزفاف.

أجاب الهمام قائلا:

ـــ أتستطيعين خبز الدقيق أيتها الجنية؟ وهل يمكنك حياكة الثياب؟ ولو سألنى والدى قائلا: " لماذا تريد هذه الأشياء؟" فبماذا أجيبه؟

قالت الجنية: لا تجيبه بشىء، وعلى أية حال سوف ننجح بطريقة أو بأخرى فى خبز الفطائر والخبز، وفى حياكة الثياب للزفاف.

ذهب الفتى إلى والده وقال له:

ـــ أريد منك أن تعطينى دقيقا وقماشا مثلما أعطيت إخوتى.

ضحكت زوجات شقيقيه لما سمعوا طلبه وقالوا:

ـــ أيها الفتى، ما حاجتك إلى الدقيق والقماش وأنت بلا زوجة؟ عليك أن تتعلم أولا خبز الدقيق وحياكة الثياب.

رد الهمام: سوف أتعلم بطريقة أو بأخرى.

بعد ذلك حمل الفتى الدقيق والقماش إلى الخيمة وقال للجنية بلهجة يائسة:

ـ لقد أحضرت لك ما طلبتيه، لكننى لا أستطيع أن أدرك الطريقة لخبز الدقيق وحياكة الثياب.

غير أن الجنية ردت قائلة:

ـ لا تشغل بالك بهذا الأمر. فليس عليك أن تخبز شيئا أو تمسك بإبرة. إنما المطلوب منك فقط الذهاب إلى الكهف الذى التقيتك فيه. لكن لا تدخل إليه. بل صح بصوت عال مناديا: "أيتها الجنيات، من منكن يمكنها خبز الدقيق وحياكة الثياب فلتخرج إلىّ ".

حمل الهمام قوسه وسهامه وامتطى فرسه وخرج إلى الكهف المسكون. وتوقف عند مدخله مناديا بصوت مرتفع:

ـ هيه هيه هيه، أيتها الجنيات فى الداخل، من منكن يمكنها الخبز وحياكة الثياب فلتخرج إلىّ سريعا.

خرجت الجنيات من الكهف وقلن للفتى:

ـ مرحبا بك، تفضل إلى الداخل أيها الهمام.

غير أن الفتى لم يقبل الدعوة ولم يدخل إلى الكهف. بل اصطحب معه اثنتين من الجنيات وذهب بهما إلى بيته.

اتخذت الجنيتان أماكنهما وشرعتا فى خبز الدقيق بهمة ونشاط حتى ارتفع كالجبل. ثم اخذتا تحيكان الثياب والمعاطف. وبعد أن انتهت الجنيتان من العمل كما ينبغى عادتا إلى الكهف مرة أخرى. وقام الفتى والجنية بجمع الخبز والفطائر والثياب وربطهم فى سلال منظمة. ثم جلسا ينتظران كما لو أن شيئا لم يحدث.

قالت زوجة الشقيق الأكبر لزوجة الشقيق الأوسط:

ـ ما قولك لو ذهبـنا لرؤية الفتى لنرى كيف دبر شئونه المنزلية فى الخبز والحياكة؟

وافقت الأخرى وذهبوا إلى بيت الفتى ونظروا فى الخيمة فرأوا الابن الأصغر للعجوز جالسا بجوار الجنية يتحدثان. فدخلوا إلى الخيمة وجلسوا يسألون:

ـ ماذا فعلتم بالدقيق والقماش الذى أخذته من الوالد؟

ردت الجنية قائلة:

ـ انظروا أمامكم لتروا بأنفسكم. فقد صنعنا من الدقيق الخبز والفطائر، ومن القماش كل ما يخطر على البال من الثياب والملابس.

قالت الزوجتان:

ـ ولماذا لم تصنعى لنفسك ثوبا ترتديه لحضور الزفاف؟ وما الذى سوف تضعينه على رأسك؟

أجابت الجنية:

ـ سوف أحيك لنفسى ثوبا من الورق. وعلى وجهى سوف أضع خمارا من الورق أيضا.

عادت الزوجتان إلى البيت وقررت كل منهما قائلة: "فلنصنع لأنفسنا ثيابا وخمارا مثلها". ثم قاما بخبز الدقيق كيفما اتفق، وصنعا بسرعة من القماش بعض الثياب. ثم أخذت كل منهما تصنع لنفسها ثوبا من الورق.

وبما أنه لكل أمر نهاية فقد بدأ الجميع يجتمعون فى الطريق. فأخذت الجنية الخبز والفطائر فى سلال مرتبة، وجمعت الثياب الأنيقة المطرزة فى أجولة مربوطة. ثم ارتدت ثوبا من الحرير والدمسق مطرزا بالأحجار الكريمة، ومن فوقه وضعت معطفا من الورق. أما الزوجتان فوضعتا الخبز فى جوال والثياب فى جوال آخر كهدية للعروس. وارتدت كل منهما ثوبا من الورق. وأمر العجوز بإحضار عربتين تجرهما الخيول.

حملت إحدى العربتين الزوجات والجنية، وفى الأخرى وضعت الهدايا، ومضى الجميع إلى حفل الزفاف. وفجأة هبت الرياح فى أثناء السير وتلبدت السماء بالغيوم ثم سقطت الأمطار بغزارة. وابتلت الثياب الورقية التى ترتديها الزوجات حتى اهترأت. أما الجنية فقد تلألأ ثوبها الحريرى أسفل المعطف الورقى وبدت فيه

أكثر جمالا وبهاء. وعلى هذا الحال وصلوا إلى مكان الزفاف. واضطرت الزوجتان إلى الخروج من العربة وهما شبه عرايا وركضتا تهرولان إلى داخل أحد البيوت. وصار العجوز وابنيه الأكبر والأوسط ينظرون بخجل إلى الزوجتين، ويتمنون لو أن الأرض تنشق وتبتلعهم بداخلها من الحرج. ونظر صاحب البيت الذى أقام حفل الزفاف إلى الزوجتين وأشفق عليهما. وأمر بإعطائهما الموجود من الثياب ليستروا بها أجسامهما.

بعد ذلك جلس الأبناء مع زوجاتهم فى المضيفة ونادوا على صاحب البيت لإعطائه هدايا العرس. فأخرجت الزوجتان الخبز والفطائر التى كانت باللون الرمادى مثل التراب حتى إن النفس تعاف النظر إليها. ثم قدمت كل منهما الثياب التى حاكتها فكانت جميعها معوجة ضيقة لا تتسع لقوام فتاة. وعندما جاء الدور على الجنية الحسناء قامت بتقديم الخبز والفطائر التى كانت جميعها فاخرة باللون الأحمر الوردى كأفضل من أى مخبز فى العالم. وأخرجت بعد ذلك الثياب التى كانت أروع من أى مشغل للحياكة. وامتدح جميع الضيوف الجنية وأثنوا على عملها البارع وهم ينظرون بإعجاب إلى الخبز والثياب. وسأل أحد الضيوف العجوز قائلا:

ــ أين عثرت على مثل هذه الزوجة الرائعة لابنك الأصغر؟

ارتبك العجوز ولم يعرف بما يجيب. لكنه ارتجل قائلا:

ــ إنها ابنة لأحد الناس الفقراء من القرية المجاورة لنا.

وبعد أن حل المساء ونام الجميع انتحى العجوز بابنه الأصغر فى ركن بالبيت وسأله قائلا:

ــ أخبرنى يا بنى، أين تضع فروة القطة التى ترتديها زوجتك؟

أدرك الفتى أن سره قد انفضح فارتبك قائلا:

ــ وما حاجتك بها يا والدى؟

قال العجوز: إننى أسألك وعليك الرد.



حاول الفتى التنصل من الرد لكن العجوز ألح فى سؤاله حتى اضطر الهمام إلى سرد الحكاية كلها.

ــ لقد أخفيتها أسفل سرج الفرس الأبيض.

أخرج العجوز من أسفل السرج فروة القطة التى كانت ترتديها الجنية وألقى بها فى النار. شعرت الجنية من الرائحة المنبعثة أن فروة القطة تحترق فطلبت من العجوز قائلة:

ــ أرجو أن تنادى على زوجى للحضور إلى هنا.

جاء الفتى وسألها:

ــ لماذا تطلبيننى؟

قالت الجنية:

ــ لقد حدث أمر مؤسف أيها الهمام، وقد أصبح عليك أن تصنع لنفسك عكازا تتكئ عليه من الحديد يزن ألف كيلو جرام. وأن تضع قدميك فى حذاء من الحديد يزن ألف كيلو جرام أيضا. ثم تجوب العالم بحثا عنى حتى يصبح العكاز رفيعا كالإبرة، ويمتلئ الحذاء بالثقوب مثل الشبكة. ومنذ هذه اللحظة لم أعد موجودة فى حياتك، وأنت لم تعد موجودا فى حياتى.

قالت الجنية ما قالته وارتفعت فى الهواء حتى طارت من الخيمة عبر الفتحة التى تصاعد منها دخان الفروة المحترقة. بينما وقف الفتى مذهولا من الصدمة فى وسط الخيمة وصار يضرب رأسه بيديه من الحزن.

مضى الليل وطلع الفجر. وانتهى حفل الزفاف وتفرق المدعوون كل إلى بيته. وعاد العجوز هو الآخر مع أبنائه إلى بيتهم.

وصنع الابن الأصغر لنفسه عكازا من الحديد يزن ألف كيلو جرام. ثم صنع له الحداد حذاء من الحديد أيضا يزن ألف كيلو جرام. واتكأ على العكاز ووضع قدميه فى الحذاء ومضى هائما فى الأرض يبحث عن جنيته الحسناء. فلنتركه الآن فى بحثه ولنرى ما جرى للعجوز.

مرت الأيام تمضى حثيثا يوم وراء يوم وشهر بعد الآخر وعام خلف عام. حتى جاء أحد الأيام وقال العجوز:

ـــ لقد انقضت حتى الآن ثلاثة أعوام منذ رحيل ابنى. وينبغى علينا أن نعلم إن كان مازال حيا أو أنه مات ولقى ربه. ولو أنه مات فعلينا أن نقيم تأبينا له.

ثم أحضر أربعة رجال وأعطى لكل منهم طعاما وزادا يكفيه لمدة شهر. وأرسلهم في أرجاء الأرض الأربعة يبحثون عن الفتى. وبحث الرجال فى المدن والقرى والنجوع وفى كل الأنحاء وطال بحثهم عنه. وبعد مرور خمسة وثلاثين يوم عادوا إلى العجوز من أنحاء مختلفة. رحب بهم العجوز قائلا: "حمد لله على سلامتكم: ثم سألهم:

ـــ هل عرف أحد منكم أى خبر عنه؟

رد أحدهم قائلا:

ـــ أيها الوالد المبجل، لقد مرت ثلاثة أعوام منذ رحل ابنكم. فلو أنه مازال حيا لعاد إلى بيته خلال هذا الزمن الطويل. ولذا فأنت بالطبع تدرك مثواه الآن.

اجتمع العجوز مع ولديه الأكبر والأوسط وتبادل معهم النصح والمشورة. ثم طلب أهل قريته جميعهم من أكبرهم إلى أصغرهم وأقام تأبينا لابنه الأصغر.

ولنتركهم الآن فى التأبين والحداد الذى أقيم ولنرى ما جرى للفتى الهمام.

سار الفتى طويلا طويلا فى الجبال الوعرة والوديان الواسعة. ومضى يقطع السهول والصحروات المقفرة. وذات يوم شاهد بيتا منفردا يقع أمام قناة طويلة. جلس الفتى على شاطئ القناة يأخذ قسطا من الراحة عندما خرج من البيت صبى يحمل زلعة وصار يملأها بالماء من القناة. حينئذ تقدم الفتى من الصبى وسأله قائلا:

ـــ أعطنى بعض الماء أشربه أيها الصبى.

رد الصبى:

ـــ إن أمرك لغريب حقا، كيف تجلس بجوار الماء ثم تطلبه منى لتشرب؟

وبعد ذلك تركه الصبى وعاد أدراجه إلى البيت.

صاح الفتى فى غضب:

ـ ليت الماء فى زلعتك يتحول إلى دم مراق.

كان هذا البيت مسكنا تعيش فيه العجوز المرعبة ألمظ الشمطاء. أما الصبى الذى حمل زلعة الماء فكان يقوم على خدمتها. كما كانت الجنية زوجة الهمام تسكن هى الأخرى هذا البيت. وهى من أرسل الصبى لإحضار الماء. وعندما عاد الصبى إليها حاملا زير الماء قالت له:

ـ صب الماء على يدى.

بدأ الصبى يصب من الزلعة وإذا بها دم أحمر قان يسيل على يدى الجنية بدلا من الماء.

صاحت الجنية فى الصبى بلهجة غاضبة:

ـ يا لك وغد ذميم، لقد طلبت منك أن تحضر ماء وأنت أحضرت لى دما بدلا منه.

تملكت الدهشة من الصبى وأسرع مرة أخرى إلى القناة ليملأ الزلعة بالماء. أخذ فى الأول يغسلها جيدا كى يزيل منها آثار الدماء ثم قام بملئها. وعندئذ صاح به الهمام مرة ثانية:

ـ أيها الصبى، أعطنى بعض الماء أروى به عطشى من زلعتك.

رد الصبى قائلا: ماذا بك ايها الغريب؟ اتجلس بجوار القناة ثم تطلب منى الماء لأسقيك؟ عب منه بنفسك كما شئت حتى تفرغها كلها من مياهها.

ثم حمل زلعته وقفل راجعا إلى البيت. وهتف الفتى يصيح فى أثره:

ـ ليت الماء فى زلعتك يتحول إلى صديد.

وصل الصبى الى البيت وقالت له الجنية: "هيا صب الماء على يدى". وما إن بدأ الصبى يفرغ زلعته حتى انسال منها صديد مقزز بدلا من الماء. ثار حنق الجنية واخذت توبخه قائلة:

ـ يا لك من ولد شرير عديم الضمير. ماذا حل بك اليوم؟ وما الذى يجرى عند القناة؟ هيا اعترف وأخبرنى بالحقيقة.

أخذ الصبى يحكى لها وقال:

ـ لقد شاهدت فتى غريبا يجلس عند شاطئ القناة. وفى المرتين اللتين ذهبت فيهم لملء الزلعة بالماء طلب منى هذا الفتى أن أسقيه منها. لكننى رفضت ولم أعطه شيئا.

قالت الجنية: اذهب مرة أخرى إلى هناك. ولو طلب منك الفتى ماء فأعطه ليشرب ولا تبخل عليه به.

خرج الفتى إلى القناة مرة ثالثة حيث قام بشطف الزير جيدا ثم ملأه بالماء. ونادى عليه الهمام يقول:

ـ تعالى إلىَّ أيها الصبى وأعطنى بعض الماء من زلعتك.

وفى هذه المرة راح الصبى إليه وأعطاه زلعته ليروى ظمأه.

شرب الفتى حتى برد فؤاده ثم سأل الصبى:

ـ لمن تحمل هذا الماء؟

ـ إننى أحمله لشقيقتى الجنية كى تغتسل به.

وأخذ الفتى يمطر الصبى بالأسئلة حتى أدرك من إجاباته أن شقيقته الجنية ما هى إلا زوجته الضائعة التى يبحث عنها.

حينئذ خلع الفتى من إصبعه خاتما كانت الجنية قد أهدته له من قبل، وألقى به إلى داخل الزلعة قائلا للصبى:

ـ عندما تبدأ فى صب الماء على يدى أختك دع الماء يسيل فى قطرات شحيحة. وعندما تصرخ فيك قائلة: "صب الماء كما ينبغى"، حينئذ زده قليلا. ولما تثور عليك قائلة: " ألا تعرف كيف تصب الماء كى أغسل يدى؟". عندئذ قم بصب الماء كله من الزلعة دفعة واحدة.

عاد الصبى أدراجه إلى البيت حاملا زلعته فقالت له الجنية:

ـ صب لى الماء أيها الصبى.

شرع الصبى فى صب الماء بشح فلم تنزل من الزلعة سوى بضع قطرات.

صاحت الجنية بلهجة آمرة:

ـ صب الماء أسرع يا بليد الفهم. ما الذى جرى لك؟ أنت لم تكن بهذه الحال من قبل.

عندئذ دلق الصبى ماء الزلعة كلها دفعة واحدة على يديها. وانهمر الماء ليسقط معه على يدى الجنية خاتم الفتى الذى رماه بالزلعة. تعرفت الجنية على الخاتم بمجرد رؤيته. فلم تنطق بكلمة واحدة للصبى، بل أخذت الخاتم ووضعته فى إصبعها. ثم خرجت مسرعة إلى الهمام تعانقه بحرارة. وبعد ذلك رافقته إلى البيت حيث أخفته داخل صندوق كبير.

وفى المساء عادت إلى البيت ألمظ الشمطاء. وأخذت تدور فى أرجاء البيت الأربعة تتفحص أركانه بعينيها ثم سألت قائلة:

ـ ما الذى جرى هنا؟ إننى أشعر برائحة آدمى فى البيت. هل ظهر أحد البشر هنا؟

ردت الجنية تقول:

ـ وما الذى يمكن أن يفعله الإنسان هنا؟ ومن يجرؤ على الدخول إلى بيتك أو تواتيه الشجاعة ليظهر هنا؟

انتهى الحديث عند هذا الأمر. وكانت المظ الشمطاء قد اعتادت الخروج من المنزل فى كل صباح. وبعد خروجها كانت الجنية تفتح الصندوق ليخرج منه زوجها ويمضيان الوقت فى اللهو والمرح. وعندما كانت ألمظ الشمطاء تعود فجأة إلى البيت مبكرة على غير عادتها، كانت الجنية تسحر الفتى وتحوله إلى زهرة، ثم ترشقها بين خصلات شعرها.

وذات يوم سأل الفتى الجنية قائلا:

ـ يا محبوبتى الرائعة، إلى متى سوف نظل فى مخبأنا بهذا البيت؟ لقد قضيت نصف عمرى فى البحث عنك. ألا تفكرين فى وسيلة للهروب من هذا المكان؟

ردت الجنية: كيف تظننى لا أفكر فيما تقوله؟ إنما الأمر يتطلب الانتظار لبعض الوقت.

قال الهمام: لقد بدأ بأسى يضعف وقواى صارت تخور شيئا فشيئا. فإذا لم نصل اليوم أو غدا إلى وسيلة للهرب من هنا سوف أعتل وأمرض من هذه الحياة.

قالت الجنية مواسية بلهجة حانية:

ـ فلتصبر وتتحمل بعد يا حبيبى لقليل من الوقت. فإن شهور العام نصفها مضىء بالنور والنصف الآخر حالك الظلمة. وهذه هى طبيعة العالم.

وفى إحدى المرات عادت ألمظ الشمطاء فى المساء إلى البيت. فتوقفت فى الفناء وهتفت:

ـ هناك رائحة تنبعث فى الهواء لروح بشرية. ما الذى تخفيه عنى أيتها الجنية؟

جزعت الجنية من الخوف وقالت:

ـ أيتها الجدة، لو أنك تعطينى الأمان وتعديننى بالرحمة فسوف أقص عليك كل شىء.

ـ حسنا، سوف أمنحك الأمان وأغفر لك خطاياك فاحكِ لى كل شيء.

ـ عندما جئتِ معك إلى هنا كان لدى أخ يتيم فى الخامسة عشر من العمر. وقد كبر الآن ومضى يبحث عنى فى أرجاء الأرض حتى عثر علي. ومنذ بضعة أيام وأنا أخفيه بداخل الصندوق خشية منك. فكونى رحيمة بنا واسمحى لنا أن نقيم معا فى بيتك.

أجابت ألمظ الشمطاء قائلة:

ـ حسنا يا ابنتى، مادام الفتى قد وصل إلى هنا فليعش معنا.

غير أنها كانت تضمر فى نفسها شيئا آخر وتقول بداخلها: "سوف أمتص دماءه حتى آخر قطرة".

ومرت الأيام يوم بعد الآخر. واعتادت الملعونة ألمظ الشمطاء على القيام بأمر من الأمور. فكانت كل يوم تضع رأسها على ركبتى الفتى وتكرهه على تمشيط شعرها وتنظيفه من القمل. وكانت فى أثناء ذلك تمتص الدماء من قدميه. وهنا ينبغى التنويه بأن ألمظ الشمطاء يمكنها اعتصار كل دم الإنسان ومصه فى فترة تتراوح بين خمسة إلى عشرة أيام، ليموت بعدها ميتة مؤكدة. ما لبث الهمام أن ظهر عليه الوهن والضعف وقال للجنية:

ـ ماذا نفعل الآن؟ أليست هناك وسيلة للهرب من ألمظ الشمطاء؟

لكن الجنية واسته قائلة:

ـ لقد فكرت فى طريقة ننجو بها من هنا. لكن عليك أن تنفذ ما أقوله لك بالحرف الواحد. اسمعنى جيدا وتذكر كلماتى جيدا. إن ألمظ الشمطاء تقتنى جملا وكلبا. وهى طوال الوقت تطعم الكلب تبنا والجمل عظما. كما أن لدى ألمظ الشمطاء حجرة خاصة بها. بابها الأمامى موصد والباب الخلفى مفتوح. كما يوجد عامود يقف فى وسط الحجرة. وعلى الرف توجد مرآة ومقص ومشط وعرف. عندما تعود اليوم ألمظ الشمطاء إلى البيت وتدخل حجرتها عليك أن تلقى إلى الكلب

بالعظم وإلى الجمل بالتبن. ثم ادخل إلى حجرتها واجلس بجانب العمود. وعندما تطلب منك ألمظ أن تنظف شعرها فلا تغلق الباب وقل لها: "آخ يا جدتى، إننى منهك اليوم للغاية ولا أستطيع مبارحة مكانى، فتعالى أنت إلى". وعندما تأتى إليك ألمظ الشمطاء وتضع رأسها على قدميك وتبدأ فى النعاس لف شعرها بسرعة حول العمود واربطه إليه بإحكام. ثم انهض من مكانك وخذ من على الرف المرآة والعرف والمقص واخفهم داخل ملابسك. بعد ذلك افتح الباب الأمامى واخرج منه وسوف تجدنى بانتظارك كى نهرب معا.

سرعان ما عادت ألمظ الشمطاء إلى البيت. ثم دخلت إلى حجرتها وصاحت تقول:

ـــ أيها الأبناء، فليطعم أحد منكم الكلب والجمل لأننى اليوم فى غاية التعب.

قام الهمام بوضع العظم للكلب ثم حمل التبن إلى الجمل. وفتح الباب الأمامى لحجرة ألمظ ودخل إلى حجرتها وجلس بجانب العمود. صاحت ألمظ الشمطاء تقول له:

ـــ تعالى إلىَّ أيها الفتى لتمشط شعرى.

لكن الفتى رد بصوت واهن قائلا:

ـــ آخ يا جدتى، إننى اليوم أشعر بالإنهاك ولا أقدر على النهوض من مكانى. تعالى أنت إلى هنا.

وقد كان بالفعل فذهبت ألمظ الشمطاء إلى مكان الفتى ووضعت رأسها على قدميه ثم راحت فى النوم. أمسك الهمام بشعرها فى يديه وهو يقول: "خصلة هنا، وخصلة هناك، والأخرى هكذا". وصار يلف خصلات شعرها حول العامود الذى يستند إليه وربطهم حوله بإحكام وقوة. ثم نهض بحذر بعد أن وضع رأس ألمظ الشمطاء على الأرض وأخذ من على الرف المرآة والمقص والعرف ودسهم فى عبه وخرج من الباب الأمامى إلى الفناء. وفجاة استيقظت ألمظ الشمطاء من سباتها وحاولت القيام من مكانها لكنها لم تستطع بسبب شعرها المقيد بالعامود.

صرخت ألمظ الشمطاء قائلة:

ـــ اغلق ضلفتك أيها الباب الأمامى اغلق ضلفتك.

لكن الباب رد قائلا:

ـــ ولماذا أغلقها وقد كانت مغلقة طوال الوقت؟

ثم صاحت ألمظ الشمطاء فى الباب الخلفى:

ـــ افتح ضلفتك المغلقة أيها الباب، هيا افتحها.

غير أن الباب الخلفى رد قائلا:

ـــ ولماذا أفتحها وقد كانت مفتوحة طوال الوقت؟

صرخت ألمظ الشمطاء من الحجرة منادية:

ـــ أيها الجمل، هيا أمسك بهم سريعا، هيا أيها الجمل.

أجاب الجمل:

ـــ ولماذا أمسك بهم وأنت تلقين لى بالعظم طوال الوقت؟

صاحت ألمظ منادية على الكلب:

ـــ اقبض عليهم يا كلبى العزيز، هيا الحق بهم.

رد الكلب يقول:

ـــ ولماذا ألحق بهم وأنت لا تطعميننى إلا التبن طوال الوقت؟

وهكذا رفضت الأبواب والجمل والكلب أن يطيعوا أوامر ألمظ الشمطاء. وتملك الغضب من العجوز ولم تدر ماذا تفعل. بينما استطاع الفتى والجنية أن يهربا فى أثناء ذلك الوقت. وبعد جهد شديد نجحت ألمظ الشمطاء فى تحرير شعرها من العامود وأسرعت تلاحق الهاربين. وظلت تطارد الهمام والجنية لثلاثة أيام وثلاث ليال حتى أدركتهم فى إحدى الصحروات البعيدة المقفرة. وعندما رأى الفتى أن

ألمظ الشمطاء تقترب منهم قام بإلقاء العرف على الطريق. عندئذ انبثقت من تحت الأرض غابة كثيفة أشجارها متشابكة الأغصان. صاحت ألمظ الشمطاء قائلة:

ـ كيف تقطعون هذه الأحراش الكثيفة أيها الأصدقاء؟

رد الفتى والجنية قائلين:

ـ لقد خلعنا من فاهينا نابين وصنعنا منهما بلطتين نقطع بهما الأشجار كي نمر بينها.

وعلى الفور قامت ألمظ الشمطاء بخلع أسنانها وصنعت منهم أكثر من بلطة وصارت تقطع بهم الأغصان المتشابكة لتفسح طريقا بين الغابة وهى تطارد الفتى والجنية الحسناء حتى كادت تدركهم.

حينئذ ألقى الفتى بالمقص على الطريق. فارتفعت من تحت الأرض غابة شاسـعة مترامية الأطراف لا ترى العـين نهـاية لها. وصاحت ألمظ الشمطاء ثانية تقول:

ـ وكيف لكم المرور عبر هذه الغابة أيها الأعزاء؟

ردت الجنية قائلة:

ـ لقد خلعنا سنتين إضافيتين وصنعنا منهما بلطتين لنفسح معبرا نسير فيه.

فقامت ألمظ مرة أخرى بخلع الأربعة أسنان المتبقية بفمها وصنعت منهم بلطات وصارت تقطع بهم الأشجار. ورأى الفتى والجنية أن فم ألمظ قد أصبح خاويا من الأسنان فاغتبطوا ومضوا قدما يواصلان الهرب.

أخذت ألمظ الشمطاء فى همة ونشاط تقطع الأشجار بالبلطات حتى استطاعت الخروج من الغابة وانطلقت فى أثر الفتى والجنية. وانقضى يومان بلياليهما وألمظ تسعى خلفهم بلا يأس حتى كادت أن تدركهم مرة أخرى.

لم يصبح لديهم سوى المرآة التى ألقوا بها على الطريق. وفى لمح البصر ظهر على الأرض نهر واسع عريض لا ترى قاعا له ولا نهاية لمجراه. وقفت ألمظ الشمطاء عند حافة النهر تنظر إليه بدهشة وهتفت تقول:

ـ كيف عبرتم ضفة هذا النهر أيها الأحياء؟

رد الفتى: بطريقة سهلة للغاية أيتها الجدة، فقد نزعنا ثيابنا ووضعنا بها أحجارا ثقيلة. ثم ربطنا تلك الثياب برقابنا ونزلنا إلى النهر وعبرناه سيرا على أرض القاع.

وعلى الفور فعلت ألمظ الشمطاء مثلما قالوا لها وصارت تصرخ منادية:

ـ والآن أيها الأصدقاء سوف أهبط إلى قاع النهر. فإذا رأيتم بعد ذلك رغوة بيضاء تطفو على الماء فعليكم أن تضحكوا ملء أفواهكم من السرور. أما لو رأيتم رغوة حمراء فانخرطوا فى البكاء والعويل.

وألقت ألمظ الشمطاء بنفسها فى قلب النهر.

لم يمر سوى وقت قليل حتى ظهرت على سطح الماء رغوة بيضاء. وما إن شاهدها الفتى والجنية حتى أخذا فى البكاء والنحيب. وبعد هنيهة نظر الفتى والجنية فرأوا رغوة حمراء طافية على الماء. عندئذ فرح الاثنان وصارا يضحكان من السعادة. فقد أدركوا أن ألمظ الشريرة مصاصة الدماء قد لقت حتفها وتخلصوا أخيرا منها. ومضوا فى سيرهم لثلاثة أيام وثلاث ليال حتى وصلوا إلى بيتهم.

ومرة أخرى عاشا معا فى المنزل ترفرف حولهم أجنحة السعادة والهناء. وهكذا تحققت كل أمانى الفتى وكل أحلام الجنية الحسناء.

إيجور وتوجور



في زمن بعيد قد لا يتذكره أحد الآن، عاش في إحدى القرى الصغيرة شاب يدعى تيجور. لم يكن تيجور يملك شيئا من حطام الدنيا عدا فرسه. وظل الفتى طويلا يتنقل من قرية لأخرى باحثا عن عمل يرتزق منه بلا جدوى. حينئذ امتطى فرسه وانطلق به مسافرا إلى البلاد البعيدة يبحث فيها عن الحظ والسعادة.

سار تيجور طويلا يقطع الطرق وسار حتى قابل عابر سبيل راجلا، فتوقف عنده وأخذ يتجاذب معه أطراف الحديث وسأله عن كنيته وموطنه ووجهته.

أجاب الفتى: إننى أرتحل بحثا عن العمل.

سأل تيجور: وما اسمك؟.

ـــ إيجور.

ـــ وأنا اسمى تيجور، ما رأيك لو صرنا أصدقاء نعمل معا ونعيش معا؟

وتعاهد الاثنان على الصداقة الأبدية مدى الحياة.

أشفق تيجور على رفيقه الراجل على قدميه فعرض عليه أن يركب فرسه بدلا منه لبعض الوقت. قفز إيجور على ظهر الفرس ولكزها فى جنبها فانطلقت به كالسهم حتى اختفى عن الأنظار تماما.

تنهد تيجور محدثا نفسه: "الفتى الذى تعاهد معه على الصداقة والولاء سلك مسلك أحط الأعداء وأسفلهم".

لم يغير الأسف من الواقع شيئا واضطر تيجور إلى أن يواصل طريقه سيرا على الأقدام.

بدأ الليل يرخى سدوله عندما رأى تيجور ممرا ضيقا. فسار تيجور فى الممر الذى أفضى به إلى قلب غابة كثيفة.

وفجأة لمح تيجور بين الأحراش فرنا قديما مهجورا لخبز الفطائر.

"لقد أظلمت الغابة ومن الخطر على المرء أن يسير فى هذا الليل، من الأفضل أن أنام هنا حتى الصباح"ـــ فكر الفتى وتسلل إلى داخل الفرن.

فى هذا المكان حيث يوجد الفرن ، كان وجهاء الوحوش يجتمعون ليلا فى جلسة للسمر والحكايات: ملك الغابة ـــ الأسد، وزراء الغابة ـــ النمر والدب، بروجى الغابة ـــ الذئب، عازف الناى فى الغابة ـــ ابن آوى، راوى الغابة ـــ الثعلب.

عندما طلع القمر فى السماء أخذ ابن آوى يصيح وينادى على الجميع. لبت الوحوش النداء واجتمعت وصارت تحتفل معا. وصل الأسد ملك الغابة وتربع على

عرشه فى أبهة وفخر، وأعطى أوامره بسرد كل النوادر والطرائف والحكايات التى يعرفونها.

بدأ الثعلب الراوى فى الحكى:

– فى مكان قريب من هنا توجد مغارة جبلية أقطن فيها منذ عشر سنوات. ومنذ عشر سنوات وأنا أجمع بداخلها كل غال ونفيس من السجاد والستائر والأغطية والثياب ... كل ما هو ليس متوفرا لدى البشر يمكنك أن تجده فى بيتى. ولدى أيضًا مخزون كبير من الأطعمة الشهية لذيذة الطعم.

جلس تيجور فى مكمنه يفكر: "أوه، إنه لأمر طيب أن أذهب لزيارة هذا الثعلب وأنزل ضيفا عليه".

بعد ذلك تحدث الدب الوزير وقال:

– أقول إن هذا ليس بالشىء العجيب. هناك فى غابتنا توجد شجرة ضخمة من أشجار الحور. أسفلها توجد شجيرتان ناميتان. وأوراق هاتين الشجيرتين يمكنهما علاج كافة الأمراض الموجودة على الأرض. وابنة ملك مدينتنا تعانى من مرض عضال منذ سبع سنوات. وقد أرسل الملك المنادين يعلنون فى كل مكان: " من ينجح فى علاج ابنتى الأميرة سوف أزوجها له، ومن يدعى القدرة على علاجها ولا ينجح فى ذلك فسوف أقتله". وقد دفع الكثيرون حياتهم بالفعل بسبب فشلهم فى علاج الابنة. ولو أن أحدا قطف وريقات من الشجيرتين الناميتين أسفل شجرة الحور، ثم قام بغليهما فى الماء وأعطى المغلى للابنة تشربه، لشفيت على الفور من مرضها.

بعد أن انتهى الدب من سرد حكايته بدأ بروجى الغابة الذئب فى الحديث:

– عند أطراف الغابة يرعى قطيع من الغنم قوامه يزيد على أربعين ألف رأس. وأقوم كل يوم بالتهام اثنتين من الغنم. ومهما حاول الراعى الإمساك بى لم يفلح فى ذلك ولا مرة. وهو لا يدرى أن هناك على التل يعيش رجل عجوز يقتنى كلبا. لو أن هذا الكلب قام بحراسة القطيع لما استطعت الاقتراب من الغنم وإلا مزقنى الكلب إربا.

ثم جاء دور النمر الوزير فى الحديث فقال:

ــ أيها السادة، بمناسبة كلام الذئب أريد أن أخبركم بأن هناك قطيع من الجياد يربو على العشرة آلاف حصان يرعى عند أطراف الغابة. أقوم مرة فى الأسبوع باصطياد واحد منهم. ومن بين أفراد القطيع يوجد فرس باللون الأبيض والأسود. لو أن أحدا ركب على هذا الفرس لاستطاع اللحاق بى فى الركض والسرعة... ومن حسن الطالع أن أحدا لا يعلم بهذا الأمر ــ انتهى النمر من قص حكايته.

طلع الفجر وتفرقت الوحوش إلى أوكارها.

انتشر الضياء فى أرجاء الغابة وخرج تيجور من مخبأه يبحث عن شجرة الحور التى تكلم عنها الدب حتى عثر عليها. ثم قطف بضعة وريقات من الشجيرتين الناميتين أسفلها.

بعد ذلك ذهب تيجور حيث يرعى قطيع الغنم. وجد الراعى فحياه وجلس معه يتبادل أطراف الحديث. شكا الراعى أحواله للفتى وقال:

ــ إن أحوالى سيئة للغاية، فهناك ذئب طليق يتجول بين القطيع ويسرق الأغنام. ولو علم المالك بذلك الأمر فسوف أنل منه ما لا يرضينى. ولا أعرف وسيلة تخلصنى من هذا الذئب اللعين. فيا لحظى العاثر ومصيرى الأسود.

قال تيجور: لا تندب حظك ولا تحمل الهم، فسوف أخلصك من هذا الذئب.

وانطلق لتوه إلى العجوز فطلب منه أن يعطيه الكلب وأعطاه للراعى. هجم الكلب على الذئب ومزق فروته. واغتبط الراعى وزال الكرب عنه.

مضى تيجور فى طريقه يبحث عن قطيع الجياد. ثم قابل راعى القطيع الذى شكا له من النمر ومن افتراسه للخيل.

ــ أسرج لى الفرس ذات اللونين الأبيض والأسود، وأحضر لى عصا طويلة وغليظة.

امتطى تيجر صهوة الفرس وهو ممسك بالعصى فى يده وصار يترقب ظهور النمر بين القطيع.

فى المساء وصل الوزير النمر إلى المكان وانقض يهاجم القطيع. لحق به تيجور على فرسه وضربه بالعصى ضربة قوية أردته قتيلا.

قام الراعى بإهداء الفرس ذات اللونين الأبيض والأسود إلى تيجور.

انطلق تيجور على الفرس فى طريقه حتى قابل المنادى الذى كان يعلن قائلا:

ــ ابنة الملك مريضة منذ سبع سنوات، من ينجح فى علاجها سوف يتزوج منها ويصبح صهرا للملك، ومن يدعى القدرة ولا ينجح فى علاجها فسوف يعدمه الملك.

صاح تيجور: إننى أستطيع علاجها.

ذهب تيجور إلى القصر. صرح الملك للحكيم الجديد بالدخول إلى ابنته.

قام تيجور بغلى أوراق الشجيرتين وسقى المغلى للفتاة المريضة. وبعد مرور ثلاثة أيام برأت الفتاة من مرضها وشفيت. أقام الملك الاحتفالات الصاخبة بهذه المناسبة وزوج ابنته من الفتى تيجور.

سأل الملك صهره: أى من المدن تريد أن تصبح حاكما عليها؟.

أجاب تيجور: أنا لا أبتغى أن أكون حاكما بل أريد منكم بناء منزل لى فى الجبل بالقرب من الغابة، وسوف أعيش من عرق عملى.

أصابت الدهشة الملك لكنه فعل مثلما طلب منه صهره. وصار تيجور يعيش فى الجبل مع زوجته الأميرة.

فى أحد الأيام جاء إيجور إلى تيجور.

سأل إيجور: كيف حصلت على كل هذا أيها الصديق العزيز؟ لقد أصبح لديك بيت وفناء واسع. أما أنا فقد ظننت أننى سوف أثرى بعد أن سرقت منك فرسك، لكن الحظ لم يحالفنى فى كل مكان ذهبت إليه.

لم يرغب تيجور فى الاستطراد بالحديث وتذكر غدر إيجور به فقال باقتضاب:

ـ لقد قضيت ليلة واحدة فى الفرن القديم بالغابة وحصلت بعد ذلك على كل هذا.

ـ ألا تدلنى على هذا المكان حتى أنام فيه أنا الآخر؟

حينئذ وصف له تيجور المكان الذى تتجمع فيه الوحوش.

وعندما هبط الليل ذهب إيجور وتسلل إلى داخل الفرن.

سرعان ما وصلت وحوش الغابة إلى المكان الذى اعتادت أن تجتمع فيه. فحضر الأسد ملك الغابة، وأتى وزير الغابة ـ الدب، ثم بروجى الغابة ـ الذئب، ومن بعده عازف الناى ـ ابن آوى، وأخيرا راوى الغابة ـ الثعلب.

قال الملك الأسد: فلنبدأ جلسة السمر والحكايات، لكن لماذا لا أرى وزيرى النمر بينكم؟

وقف ابن آوى وتقدم قائلا:

ـ لقد مات الوزير النمر بسبب الحكايات التى سردناها، لذلك لن نحك شيئا أبدا بعد الآن.

وهنا وقف الدب وقال شاكيا:

ـ لقد قطفت أوراق الشجيرتين الناميتين أسفل شجرة الحور.

ثم قال الذئب: وأنا لم أستطع الحصول على طعام وبقيت جائعا حتى الآن فقد أحضر الراعى الكلب الذى حكـيت عنه، وأخشى الظـهور بين القطـيع كى لا يمزقنى هذا الكلب.

زمجر الأسد متسائلا فى غضب: من الذى جرؤ وأفشى أسرارنا للغير؟ إنى آمركم بالقبض على الخائن وقتله شر قتل.

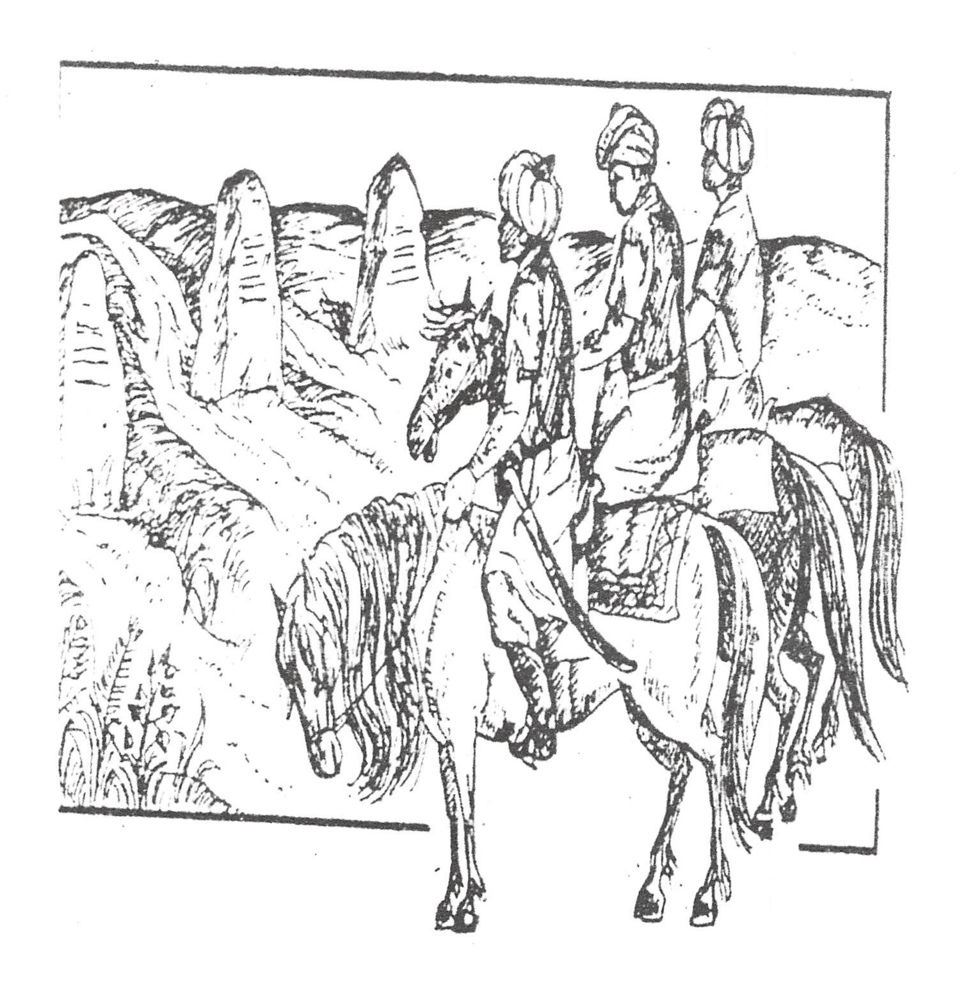
لم تكن الوحوش تعلم شيئا عن الذى سمع أسرارهم وأفشاها. وصار الدب يسأل ابن آوى، وابن آوى يسأل الثعلب.

وفجأة هتف الغراب صائحا: "إنه فى الفرن، فى الفرن".

اندفعت الوحوش كلها إلى الفرن وهجمت على إيجور ومزقوه إربا ظنا منهم أنه الخائن الذى كشف أسرارهم.

وهكذا استطاع تيجور الأمين أن يحقق كل أمانيه، أما إيجور الخائن فقد نال جزاء غدره.

بادل البطل



فى زمن بعيد عاش رجل عجوز يدعى الجد لالى. كانت أفراس الجد كلما وضعت مهرة وليدة ما تلبث أن تختفى فى نفس يوم مولدها. وهذا ما جرى مع الفرس الذهبية والفرس الفضية.

وعندما حان موعد الوضع للفرس الشهباء طلب الجد حفيده بادل وقال له:

ـ أريدك أن تذهب إلى الإسطبل وتحرسه طوال الليل.

ذهب بادل إلى الإسطبل. وكي لا يغلبه النعاس قام بجرح إصبعه ونثر الملح على الجرح. وعلى الرغم من هذه التدابير التى قام بها إلا أن النوم غلبه وراح فى سبات عميق.

صهل الفرس فجأة بصوت عال فاستيقظ بادل ونظر إلى السماء فرأى ظلا أسود يهبط من عل ويقبض على المهرة الوليدة ويصعد بها لأعلى ثانية.

رفع بادل سيفه وصار يلوح به فى الهواء لكن الظل قد اختفى فى السماء.

طلع الفجر ونظر بادل فلمح عند قدميه مخلبا عملاقا كالشجرة.

نادى الجد على بادل وشقيقيه الأكبر وقال لهم:

ـ هناك عفريت أسود يسرق مهورنا الوليدة، وعليكم الذهاب للبحث عنه وقتله وإحضار مهورنا المخطوفة.

خرج الأشقاء الثلاثة إلى الطريق.

ساروا طويلا طويلا حتى وصلوا إلى مفترق لثلاثة طرق عند كل منها ينتصب حجر عليه كتابة. عند الطريق الأول كتب على الحجر: "من يذهب من هنا تكتب له العودة الآمنة"، وعلى الحجر الثانى كتب: "من يذهب من هنا قد يموت أو يحيا ألف سنة". أما الحجر على الطريق الثالث فكتب عليه: "من يذهب من هنا لن يعود ولا بعد ألف سنة".

قال بادل:

ـ هيا اختاروا أيها الإخوة.

وقع اختيار الشقيق الأكبر على الطريق الأول "من يذهب من هنا تكتب له العودة الآمنة". والأخ الأوسط اختار طريق "من يذهب من هنا قد يموت أو يحيا ألف سنة".

أما بادل فلم يبق له سوى الطريق الثالث "من يذهب من هنـا لن يعـود ولا بعـد ألف سنة". فمضى يسير به فى همة ونشاط ويصل الليل بالنهار بلا كلل أو تعب.

وأخيرا لاح له فى الأفق شىء يتلألأ.

دفع الفضول بادل إلى الذهاب بفرسه صوب الشىء المضىء. وعندما اقترب منه رأى قصرا عاليا جدرانه مطلية بالذهب الذى عكس أشعة الشمس.

كانت بوابة القصر مغلقة.

غير أن بادل لم يتردد للحظة واحدة وقفز بسرعة متسلقا سور القصر حتى أصبح فى الداخل.

كان القصر يضم أربعين حجرة. دخل بادل إليهم واحدة بعد الأخرى. كانت إحداهم مليئة بالذهب، والأخرى بالفضة، والثالثة بشتى أنواع الحلوى من الفطائر والكعك والرقائق. أما الحجرة الرابعة فكانت مكتظة بمائة صنف من الطعام. والخامسة بها الأوانى الصينية الفاخرة. والسادسة تحوى كافة أنواع الأوانى الفضية. والسابعة بها الأوانى الذهبية. والثامنة مملوءة بأثمن الحلى الذهبية. والتاسعة تفيض بأحجار الماس. الخلاصة أن كل حجرة من حجرات القصر كانت مملوءة بنوع مختلف من أنواع الكنوز الثروة.

فى أحد الأفنية سمعت أصوات حوافر الخيل وصهيل الأفراس الأصيلة. وفى فناء آخر وقفت الجمال العتية والأجراس تتدلى حول أعناقها. وبفناء ثالث كانت الأفيال المهيبة تدب على الأرض. وبالرابع والخامس ... وفى النهاية لن يمكننا الحكى عن كل ما شاهده وعثر عليه بادل فى هذا القصر.

شاهد بادل كل شىء حتى وصل إلى بهو فخيم تجلس فيه فتاة حسناء جمالها لا يبارى.

قالت الفتاة: الطائر الذى يجرؤ على الطيران هنا تحترق جناحاه، والإنسان الذى يدخل إلى هنا تحترق قدماه فما الذى جاء بك إلى هنا يا سليل الإنس؟ ألم تخش أن تفقد رأسك كى تأتى إلى هنا؟

ركع بادل أمام الفتاة فى احترام وتبجيل وقال:

ـ لا يمكن الحديث مع المرء وهو فى ثلاث حالات: أولا: أن يكون جوعانا، ثانيا : أن يكون عطشانا، وثالثا : أن يكون تعبانا. وإننى أكاد أموت من الجوع والعطش والتعب معا.

صفقت الفتاة بيديها.

دخلت الخادمات يحملن البلوف فى أطباق من الذهب، ولحم الضأن المسلوق من سبعة خراف فى أوان من الفضة، والخبز الأبيض الطرى على أطباق من الخشب. التهم بادل البلوف فى سبع بلعات، والتهم اللحم فى سبع بلعات، والخبز أيضا فى سبع بلعات. ثم شرب سبعة أباريق من الشاى وبعد ذلك ذهب الى الفتاة ووقف أمامها قائلا:

ـ أخبرينى أيتها الحسناء، ألا يوجد فى هذا المنزل ولو كسرة خبز مخبأة هنا أو هناك؟

أصابت الدهشة الفتاة وقالت:

ـ لقد أعطيت أوامرى بإحضار طعام يكفى لأربعين شخصا.

ثم قامت الفتاة من مجلسها وذهبت تستطلع الأمر. وعندما رأت أن بادل قد التهم الطعام كله ضحكت قائلة:

ـ لقد برهنت لى أنك بطل همام مع الطعام والقدور، والآن أريد أن أرى شجاعتك مع العفاريت والجان.

قال بادل: نعم سوف ترينها، إن الجان والعفاريت هم ما أبحث عنهم بكل شوق لكننى أريد أن أعرف من أنت وما الذى تفعلينه هنا مع هؤلاء الجان والعفاريت؟

ــ أنا أدعى أوكيز. وقد سرقنى الجان من أبى وأمى وأحضرونى إلى هنا.

وفجأة هبت رياح باردة على المكان ثم تحولت إلى عاصفة هوجاء. وفى الأفق ارتفع حائط من الثلج حتى غطى السماء وحجبها عن الرؤية.

سأل بادل البطل الفتاة: ما الذى يجرى؟

ــ إن الجن الأبيض قادم، هيا أسرع بالهرب أيها الفتى كى تنجو بعمرك.

فر بادل هاربا من القصر واختبأ أسفل الجسر الذى يمر فوق الأخدود.

زلزلت الأرض، ودوى صوت الرعد فى السماء، وتحول كل شىء إلى اللون الأبيض من كثرة الثلج المنهمر. وأصبح الجو قارص البرودة. فذوت أوراق الشجر، وتجمدت الطيور وهى محلقة من الصقيع. وظهر الجن الأبيض المرعب فوق الجسر راكبا حصانه الفضى.

وما إن لمست حوافر الحصان الفضى الجسر حتى صار يصهل ويرفس الأرض بقوائمه.

ــ تشو تشوــ حاول الجن الأبيض تهدئة الحصان ودفعه للسير إلا أن الحصان حرن ولم يتحرك من مكانه.

حينئذ خرج بادل من مكمنه ووقف أمام الجن. صرخ الجن الأبيض متوعدا:

ــ من هذا الذى واتته الجرأة ليقف أمام طريق الجليد؟

أجاب بادل: النار.

ــ إذن هل تفضل المصارعة؟ أو الملاكمة؟ أو نحسم الأمر بيننا بالسيف؟

رد بادل: بالمصارعة.

وهكذا بدأ الاثنان يتصارعان. قبض بادل بقوة على عنق الجن الأبيض حتى طقطقت عظامه من شدة القبضة. ثم رفع البطل بكلتا يديه جسم الجن الأبيض فى الهواء وألقى به على حافة الجسر فهوى من عل محطما قوائم الجسر الخشبية حتى انغرس بينها وصار حبيسا مثل خابور دق فى لوح خشبى مهشم.

ثم هجم بادل على الجن الأبيض فجز رأسه وألقى بها فى الأخدود أسفل الجسر.

وعاد بادل إلى القصر راكبا الحصان الفضى.

اغتبطت أوكيز عندما رأت بادل سليما معافيا. فأحضرت له على أطباق من الذهب البلوف الذى أعدته من قبل للجن الأبيض.

لم يهنأ البطل الجسور بعد بالتهام البلوف حتى غطى الغبار الأصفر جنبات القصر. وهتفت الفتاة صارخة:

ـــ إن الجن الأصفر قادم لا محالة.

فر الفتى الجسور من القصر مرة ثانية، وكمن أسفل الجسر ينتظر.

سخن الهواء حتى أصبح الجو خانقا، توهجت الأرض من لظى الحرارة، وانبثقت النار فى شعلات عديدة، وذابت المخلوقات الحية من شدة الحرارة.

صفرت الرياح وظهر الحصان الذهبى وعلى ظهره الجن الأصفر عند أول الجسر. ثم ما لبث أن صهل الحصان وحرن مثل سلفه.

صرخ الجن مهددا:

ـــ من هذا الذى واتته الجرأة ليقف أمام طريق النار؟

أجاب بادل: الماء.

ـــ سوف أبخ النار فيك حتى أسلقك أيها الفتى.

ـــ وأنا سوف أغمرك بالماء حتى أطفئك أيها الجن.

ـــ إذن فلتختر: المصارعة؟ أو الضرب بالنبال؟ أو نحسم الأمر بيننا بالسيف؟

رد الفتى الجسور: إننى أفضل المصارعة.

بدا النزال بينهما. وقلل الجن الأصفر من شأن خصمه الفتى ولم يعتبره عدوا خطيرا له وظن أنه بضربة خاطفة سوف يلحق الهزيمة به. إلا أن بادل كان ندا قويا له وطال النزال بينهما لوقت طويل. واعترى القلق الفتاة أوكيز حينما اقترب موعد وصول الجن الأسود وأوشك على الحضور. فهرعت الفتاة مسرعة إلى خارج القصر حتى وصلت إلى الجسر وصعدت إليه.

صبت الفتاة إبريق الشاى البارد فى فم بادل، فعاد إليه نشاطه واستجمع قواه مرة أخرى.

ارتكز بادل بقدميه فى قوة على الأرض ورفع الجن الأصفر بيديه فى الهواء وهو يهتف: "بحق السعادة". ثم ألقى به فى الأخدود.

انغرست رأس الجن الأصفر فى الأرض ميتا، وظلت قدماه معلقتان فى الهواء.

ساق بادل الحصان الذهبى إلى فناء القصر وذهب ليشكر الفتاة.

وهنا ساد الظلام أرجاء المكان.

سأل الفتى الجسور: ماذا جرى من جديد؟

أجابت الفتاة: الجن الأسود قد أتى فاحترس منه.

هبط الظلام على الأرض وتلألأت النجوم فى السماء.

وذهب البطل للمرة الثالثة إلى الجسر. ونظر فرأى فى نهاية الجسر عينان تومضان فى وهدة الليل كعينى الذئب. كانت العينان للجن الأسود. ومضى الجن الأسود يتهادى فوق الجسر راكبا حصانه الأشهب.

وعندما شعر الحصان ببادل صار يصهل ويرفس الأرض بقوائمه ثم حرن ولم يتحرك.

ــ تشو، فلتأخذك مصيبة أيها الحصان الأحمق ــ هتف الجن الأسود وهو يلكز الحصان.

وفجأة لمح الجن الأسود بادل فصرخ فيه متوعدا:

ــ من أنت؟ وكيف واتتك الشجاعة أن تقف فى طريق الظلام؟ ــ وانقض الجن على الفتى الشجاع يهاجمه.

حمى الصراع واشتد بين الاثنين. فقد كان الجن الأسود شديد البأس، لكن البطل كان أيضا هو الآخر شديد المراس والقوة ولم يستسلم له.

انقضى النهار وحل المساء. ثم انقضى الليل وجاء يوم جديد ومازال بادل فى نزاله مع الجن الأسود. وأخيرا جاءت أوكيز وأفرغت تحت أقدام الجن الأسود دلوا مملوءا بالصابون والرغاوى.

انزلقت أقدام الجن الأسود وسقط على أرض الجسر.

وامتشق الفتى البطل سيفه وهجم به على الجن الأسود فقطع رأسه ثم ألقى به فى الأخدود.

فى نفس هذه اللحظة انقشع الظلام ... وأشرقت الشمس من جديد فى السماء.

عاد البطل إلى القصر وأخبر الفتاة قائلا:

ــ إننى أزمع الرحيل من هنا.

سألت الفتاة: لماذا تريد الرحيل يا زهرة بستانى وبلبل أشجارى؟

ركع بادل البطل أمام الفتاة وقال:

ـ أريد أن أعرف ماذا حلّ بأشقائى.

حزنت الفتاة وأصابها الكرب، إلا أنها رافقت بادل حتى بوابة القصر وودعته.

امتطى بادل صهوة الحصان الأشهب وربط خلفه الحصانين الفضى والذهبى. وفى لمح البصر اختفى معهم عن الأنظار.

عاد بادل إلى الطريق حيث الصخرة المكتوب عليها: " من يذهب من هنا قد يموت أو يحيا ألف سنة"، وسار يقطعه مع الأفراس الثلاث.

سرعان ما وجد نفسه فى مدينة كبيرة حيث كان يوم السوق.

ذهب بادل البطل إلى دكان يبيع رءوس الأغنام المسلوقة.

ودلف الفتى إلى داخل الدكان فرأى شقيقه الأوسط يرتدى الأسمال القذرة ويعمل وقادا يلقم الموقد بالحطب كى يظل مشتعلا.

أعطى بادل درهما لصاحب الدكان وقال له:

ـ أريد قطعة لحم من رأس الغنم بهذا الدرهم ولترسله إلى المقهى المقابل لك مع الفتى الذى يلقم الموقد.

ـ لا يمكننى أن أرسل هذا الوقاد القذر لحمل الطعام، والأفضل أن أحمله إليك بنفسى.

رفض البطل بادل معترضا: كلا أريدك أن ترسل الطعام معه.

حمل الشقيق الأوسط لحم الرأس إلى بادل البطل الذى قال له:

ـ هيا اجلس وتناول الطعام.

ـــ لكن هذا الطعام لك، فكله أنت.

قال بادل البطل محتجا: يا لك من فتى عديم الفطنة، هل تظن أننى قد جئت خصيصا إلى هذه المدينة حتى آكل لحم الرأس؟

وهنا تعرف الأخ الأوسط على بادل وانهمرت دموعه من الفرح.

اشترى بادل لأخيه ثيابا جديدة وأجلسه على الحصان الفضى ورحلا معا فى طريقهم.

عاد الإخوان إلى الطريق حيث الصخرة المكتوب عليها: "من يذهب من هنا تكتب له العودة الآمنة"، وسارا يقطعاه. وسرعان ما وصلا إلى مدينة كبيرة.

دلف الشقيقان إلى مضيفة للمسافرين. وفى فناء المضيفة كان هناك خادم ينظف الفناء لما رآهم تقدم منهم ليأخذ بلجام الأفراس. نظر الشقيقان إلى الخادم وإذا به شقيقهم الأكبر.

أجلسه بادل على الحصان الذهبى ورحل الجميع متجهين إلى مدينتهم.

انطلقت الجياد تنهب الطريق كالريح. وعند المساء كانوا قد وصلوا إلى قصر الجان.

أكرمت الفتاة وفادة الأشقاء وقابلتهم بحفاوة الضيوف الأعزاء.

اقترح بادل بعد أن تناولوا العشاء قائلا: والآن هيا ننل قسطا من الراحة وفى الصباح الباكر نواصل السير فى طريقنا من جديد.

بعد أن انتصف الليل أيقظ الأخ الأكبر شقيقه الأوسط وقال له:

ـــ انهض حتى أتشاور معك فى أمر مهم. فبعد عودتنا إلى الديار سوف يحكى شقيقنا عن كل ما جرى لوالدنا، وسوف يصبح مالكا لهذا القصر بجميع كنوزه. وحينئذ يصبح الموت أفضل لنا من العار الذى سيلحق بنا.

قال الأخ الأوسط: صدقت فى قولك هذا.

بعد هذا الحوار قام الاثنان بوضع سيف حاد عند عتبة الباب وربطاه وصارا يصرخان:

ــ النجدة، الأعداء عند الباب.

هرع بادل البطل مندفعا نحو الباب فتعثر فى عتبته ووقع فوق السيف الذى بتر ساقيه فى الحال.

أسرعت أوكيز لنجدته فأحضرت الضمادات والأربطة وصارت تضمد له جراحه وهى تبكى بمرارة وحرقة على ما أصابه.

فى أثناء ذلك كان الشقيقان قد جمعا كل ثمين ونفيس فى القصر ونقلوه فوق الجمال واستعدوا للرحيل بالغنيمة.

رأى بادل ما فعلاه الشقيقان فقال لهم:

ــ وأسفاه يا إخوتى، لقد قمتم بعمل أسود كى تتركونى بمفردى هنا وأنا فى هذه الحال. اتركا معى على الأقل قوسا وبعضا من النبال قبل رحيلكما.

ــ حسنا سوف نترك لك ما طلبت ــ وافق الشقيقان الغادران على طلب أخيهما.

قالت الفتاة أوكيز: سوف أبقى هنا مع بادل.

ــ كلا ــ رفض الشقيقان وأكرها الحسناء على الرحيل معهما.

وظل البطل وحيدا فى القصر.

كان بادل راميا ماهرا. فاستطاع أن يصيب الطيور المحلقة بسهامه ويستخدم لحمها لطعامه.

وفى أحد الأيام خرج بادل من القصر زاحفا فرأى رجلا مبتور اليدين يطارد ظبية.

كان الرجل سريعا للغاية حتى إنه لحق بالظبية أكثر من مرة، غير أنه لم يستطع الإمساك بها، لأنه كان بلا يدين.

جذب بادل البطل قوسه وصوب سهمه إلى الظبية فأرداها على الفور.

منذ هذا الوقت انعقدت بين بادل والرجل أواصر الصداقة وصارا يعيشان معا.

وفى إحدى الليال سأل بادل الرجل قائلا:

ـ من الذى قطع يديك؟

قال الفتى المبتور الذراعين: قد كنت شابا مقداما لا يبارينى أحد فى القوة والشجاعة. وفى أحد الأيام أقام الأمير مسابقة للإمساك بالعنزة فى أثناء الركض بالحصان. واستطعت أن أمسك بها قبل الأمير وأهزمه فى المسابقة. فكان هذا سببا لأن يشتاط الأمير من الغيظ وأمر بقطع يدى التين أمسكتا بالعنزة.

أصبح بادل والفتى مبتور الذراعين يقومان بالصيد معا. وكان الفتى فى جولاتهم يحمل بادل البطل على كتفيه.

وذات مرة عثرا على شاب ضرير يسير فى الوادى فأخذاه لينضم إليهما.

حكى الضرير: لقد كانت لدى عروس حسناء وعندما علم الأمير بأمرها وسمع بجمالها قرر أن يضمها إلى حريمه. ولما حضر أتباع الأمير كى يأخذوا عروسى منى هجمت عليهم بسيفى كالوحش الشرس. لكن للأسف استطاعت كثرتهم أن تغلب شجاعتى وقبضوا على وساقونى إلى الأمير الذى أمر بخزق عينى.

حينئذ أقسم بادل البطل وأصدقاؤه الجدد على تحرير عروس الفتى الأعمى. وظلوا لفترة طويلة يتحينون اللحظة المناسبة للقيام بذلك ويترقبون الأحوال بقصر الأمير، حتى حان الوقت المناسب واستطاعوا أخيرا التسلل إلى جناح الحريم بالقصر والهروب بالفتاة من هناك.

أخذ أتباع الأمير يطاردون الأصدقاء فى الطريق. لكنهم وصلوا إلى الطريق الذى وضع عنده الحجر المكتوب عليه: "من يذهب من هنا لن يعود ولا بعد ألف سنة"، فأصابهم الخوف وجبنوا ولم يجرؤ أحد منهم على مواصلة المطاردة.

صارت الفتاة تعيش بالقصر وأخذت على عاتقها القيام بالشئون المنزلية وإعداد الطعام لبادل وأصدقائه.

مرت الأيام والليال.

كان الفتيان يخرجون إلى الصيد تاركين الفتاة بمفردها. وذات مرة هبت ريح عاتية فأطفأت شعلة الموقد. حزنت الفتاة واغتمت لأن الفتيان سوف يعودون قريبا ولن يجدوا طعاما للغذاء يتناولونه.

صعدت الفتاة إلى برج القصر ورأت على البعد دخانا يتصاعد فى الهواء.

ذهبت الفتاة صوب الاتجاه الذى خرج منه الدخان حتى وصلت إلى كهف تجلس به عجوز طاعنة فى العمر تشوى حبوب الذرة على النار.

قالت الفتاة: سلام عليك أيتها الجدة.

ردت العجوز: لولا أن سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك.

لم تكن هذه العجوز سوى الساحرة المرعبة ألمظ الشمطاء.

سألت ألمظ: ماذا تريدين يا ابنتى؟

ـــ أريد أن تعطينى بعضا من الفحم المشتعل.

ـــ خذى منه ما تشائين ـــ قالت العجوز وأعطت الفتاة كمية كبيرة من الفحم المشتعل ومعه أيضا ملأت ثوبها بحبوب الذرة المشوية.

أسرعت الفتاة تركض إلى القصر، ومن فرط عجلتها تناثرت على الطريق من ثوبها الكثير من الحبوب التى كانت تحملها.

دلفت الفتاة إلى داخل القصر وأشعلت الموقد بالفحم. وعند عودة الفتيان كان البلوف جاهزا للأكل.

فى اليوم التالى خرج الفتيان للصيد. واستطاعت ألمظ الشمطاء أن تجد طريقها إلى القصر من خلال الحبوب المتناثرة التى أوقعتها الفتاة من قبل.

رحبت الفتاة بالساحرة العجوز وقالت لها بود:

ــ سلام عليك أيتها الجدة، تفضلى بالدخول.

ــ لولا أن سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك. أريدك أن تمشطى لى شعرى.

وضعت ألمظ الشمطاء رأسها على قدمى الفتاة التى أخذت تمشط لها شعرها بينما صارت ألمظ تمتص دمها.

وقبل عودة الفتيان وقفت الساحرة تحذر الفتاة قائلة لها:

ــ إذا نطقت بحرف عن حضورى هنا فسوف ألتهمك حية.

منذ هذا الحين أصبحت ألمظ الشمطاء تأتى كل يوم إلى الفتاة المسكينة لتسومها العذاب وتمص دمها.

وأخيرا لاحظ بادل البطل أن الفتاة قد شحب لونها وعلت وجهها صفرة الموت وأصابها الهزال لدرجة كبيرة.

سأل بادل: ما الذى حدث لك أيتها الأخت؟

أجابت الفتاة قائلة:

ــ لا شىء يحدث معى.

قال بادل: لابد أن هناك أمرًا ما يحدث لك فإننا نأتى بالكثير من اللحم الذى تأكلين منه ومع ذلك لا يزيد وزنك بل تزيدين نحافة يوم بعد الآخر. لو أن أحدا قد آذاك أو أغضبك أخبريننى عنه.

غير أن الفتاة لم تحك شيئا والتزمت الصمت.

قال بادل للفتى الأعمى: إن هناك أمر ما نجهله يجرى فى الخفاء ، عليك أنت الحراسة اليوم وقص علينا بعد ذلك ما تسمعه.

تركا الشاب الأعمى فى القصر وخرج الاثنان إلى الصيد.

وفى الوقت المعتاد جاءت ألمظ الشمطاء.

ــ هوف، إن الهواء معبأ برائحة إنسى ــ قالت الساحرة وأغلقت باب الحجرة بالمزلاج وربطته بخصلات من شعرها.

ارتفع صوت الفتاة بالبكاء وسمعه الأعمى. وعندما حاول دخول الحجرة عليها لم يستطع فتح الباب الذى أغلقته ألمظ ولم يعرف ما الذى جرى بالداخل. وفى الصباح التالى حسم بادل البطل أمره وقرر البقاء بنفسه فى القصر لمعرفة حقيقة الأمر.

ما إن وصلت ألمظ الشمطاء حتى زحف بادل نحو الباب وصار يسترق السمع.

قالت الفتاة: سلام عليك يا أيتها الجدة.

كالعادة أجابت العجوز قائلة:

ــ لولا أن سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك.

وهنا مد بادل البطل يده مسرعا من خلال الباب وأمسك بشعر الساحرة وأخذ يلفها في الهواء ثم أطاح بها على الأرض. صرخت الساحرة بصوت مرتجف:

ـ يا للمصيبة يا للمصيبة، ألست أنت بادل البطل؟

أجاب بادل: نعم إنه أنا لحظك العاثر هيا انطقى آخر كلمات فى عمرك قبل أن أقطع رأسك الملعون.

ـ لا تقتلنى أرجوك، أتوسل إليك ألا تقتلنى وأنا أعيد لك ساقيك المبتورتين.

ـ وكيف يمكنك أن تعيديهما إلىّ ؟

ـ سوف أقوم بابتلاعك، وبعد ذلك ألفظك فتعود إلى حالتك السابقة سليما كاملا.

قال بادل البطل: حسنا، سوف أتركك تعيشين على أن تبدئى بالفتى الأعمى وتعيدى إليه الأبصار، وحذارى من المكر والخداع وإلا تكون نهايتك قد دنت.

قامت الساحرة بابتلاع الأعمى ثم لفظته من داخلها فعاد مبصرا حاد النظر. وبعد ذلك ابتلعت الفتى مبتور الذراعين ثم لفظته فعادت إليه ذراعاه.

وعندما حان الدور على بادل البطل قال لصديقيه محذرا:

ـ انتبها أيها الصديقان، على كل منكما الإمساك جيدا بسيفه فى يده، فإذا ابتلعتنى ألمظ الشمطاء ولم تلفظنى من جوفها عليكم تمزيقها بسيوفكم على الفور وإخراجى من داخلها.

امتشق كل من الصديقان سيفه ووقفا متأهبان. وقامت الساحرة بابتلاع بادل.

هتف الفتيان: هيا ألفظيه من جوفك.

جلست الساحرة وجحظت بعينيها.

قال الشابان: سوف نقتلك.

ـــ هاهاها، حسنا، إننى لا أمانع، لكن بادل البطل سوف يموت معى هو الآخر فى هذه الحال ـــ قالت ألمظ الشمطاء وهى تضحك ساخرة.

حينئذ هجم الصديقان على الساحرة ومزقوها إربا إربا لكنهما لم يعثرا على أثر لبادل بداخلها.

حزن الفتيان على صاحبهما كثيرا وجلسا واجمين.

وفجأة حط عصفور على الشباك وغرد قائلا:

ـــ تشر تشر تشر، إنه فى الخنصر.

هتفت الفتاة قائلة:

ـــ ابحثوا عنه فى الأصبع الخنصر.

شق الصديقان خنصر الساحرة فخرج منه بادل البطل سليما معافى يسير على قدميه ثانية. ومن فرط سروره صار يقفز على ساقيه فى الهواء وأخذ يرقص فى سعادة.

فجاة نظر بادل فرأى رأس الساحرة تتدحرج نحو الباب لتخرج وهى تقول:

ـــ سوف ترى ما سأفعله بك ، سوف أريك ما لم تحلم به من عذاب.

هجم الأصـــدقاء الثـــلاثة بسيوفهم على رأس الساحرة فقطعوها إلى مزق صغيرة.

وهنا فقط كانت نهاية ألمظ الشمطاء الملعونة.

رحل الفتيان الثلاثة ومعهم الفتاة وانطلقوا على الطريق. فى البداية ذهبوا إلى منزل الفتاة.

كان أهل الفتاة قد اعتقدوا بمصرعها بعد أن اختفت وفشلوا فى العثور على أثر لها. وكانوا يستعدون لتلقى العزاء فى موتها. لكن العزاء تحول إلى عرس بعد وصول الأصـدقاء. وزفت العروس إلى الفتى الـذى فقـــد بصره سابقا ثم عاد إليه النظر.

ودام الاحتفال بالزفاف أربعين يوما وليلة.

بعد ذلك ذهب الصديقان إلى منزل الشاب الذى فقد ذراعيه فى السابق ثم عادا إليه. وهناك قامت الاحتفالات بعودته سليما.

وأخيرا ذهب بادل البطل عائدا إلى منزله.

وفى اليوم الذى وصل فيه إلى موطنه كان هناك حفل كبير قد أقامه الجد لزفاف شقيقه الأكبر على الفتاة الحسناء أوكيز.

لم تكن أوكيز المسكينة تريد الزواج من الشقيق الأكبر بل كانت طوال الوقت تفكر فى بادل البطل وتحلم بعودته.

دلف بادل إلى داخل المنزل.

ـــ أيها الحبيب الغالى ـــ هتفت أوكيز وارتمت فى أحضان بادل تعانقه.

كان هذا اليوم هو يوم السعد لأوكيز وبادل البطل، ويوم الشؤم لشقيقيه.

ساق بادل شقيقيه إلى الجد ووقفوا جميعا أمامه. قال بادل:

ـ أريد رأيك فيما سوف أحكيه.

قال الجد: هيا تكلم.

حينئذ نظر بادل إلى شقيقه الأكبر وتوجه إليه بالحديث قائلا:

ـ من الذى كان يرتدى الأسمال القذرة ويعمل سائسا فى إصطبل المضيفة ينظف الروث ويمسح الفناء؟ ومن الذى أنقذ الآخر من هذه المحنة؟ أنا أم أنت؟

أجاب الأخ الأكبر: للأسف أنا الذى كنت أعمل وأنت أنقذتنى.

ـ ومن الذى كان يعمل وقادا بائسا ذا رائحة كريهة يشعل الموقد فى دكان يبيع لحم رءوس الضأن؟ ومن الذى أنقذ الآخر وساعده؟ أنا أم أنت؟

رد الأخ الأوسط: إنه أنا للأسف الذى كنت أعمل وأنت أنقذتنى.

ـ وأنتما قمتما بقطع قدمى ردا على معروفى لكما وتركتمانى وحيدا أواجه الموت المحتوم والمصير المظلم.

قال بادل ما قاله ودار خارجا من الحجرة.

حينئذ قام الجد بطرد الشقيقين الغادرين من المنزل ولم يعودا إليه ثانية إلى الأبد.



بكتمير البطل



قديما قديما كان هناك ملك يدعى عادل خان يعيش فى بلاد فرجان. كان له أربعون زوجة. من بينهم تسع وثلاثون أنجبوا له تسعة وثلاثين ولدا. ذات مرة خرج الملك للصيد. ولما أصابه العطش توقف عند أحد البيوت فى الوادى. خبط

الملك على باب البيت فخرجت على صوت الطرق فتاة فى الثامنة عشر من العمر وفتحت الباب. كانت الفتاة تضع منديلا رقيقا يتدلى على جانب وجهها. وما إن رآها الملك حتى طار لبه من الإعجاب. فقد كانت تبدو تماما كالبدر فى يومه الرابع عشر.

طلب الملك أن يشرب فأحضرت له الفتاة قدحا مملوءا بالماء البارد. ولم يشعر الملك أنه يشرب ماء بل بدا طعمه فى فمه مثل طعم الشربات المسكر.

بعد عودته إلى القصر بعث الملك برسله إلى أهل الفتاة قائلا لهم قبل أن يرحلوا:

ـ أخبروا أهلها أن يعطونى الفتاة لأتخذها زوجة لى، وإن لم يقبلوا بالحسنى فأحضروها لى هنا بالقوة.

ذهب رسل الملك إلى البيت وطرقوا بابه. ففتح لهم الباب رجل عجوز. كان الرجل فقيرا يعمل فى صيد الثعالب والغزلان والذئاب ويبيع فرائها فى السوق. وكان يعيش من هذا العمل مع زوجته وابنته الوحيدة.

قال الرسل: لقد أرسلنا الملك عادل خان وذلك كى نخطب له ابنتكم، فإذا لم توافقوا على زواجها منه بالحسنى فسوف نسوقها إليه بالإكراه.

ذهب العجوز إلى زوجته وشاورها فى الأمر قائلا لها:

ـ سوف يأخذون منا ابنتنا فى جميع الأحوال، ولو رفضنا سيلقون بنا أنا وأنت فى غياهب إحدى الزنازين، لذا فمن الأفضل أن نعطيها لهم بالحسنى.

هكذا أسقط فى أيدى العجوز وزوجته واضطروا إلى أن يعطوا ابنتهم ليتزوجها الملك. وبعد مرور عام على زواجها أنجبت الفتاة للملك ولدا أسموه بكتمير.

أصبح الآن للملك عادل خان أربعون ولدا.

كان منهم تسعة وثلاثون مدللين ناقصى النمو ضعفاء البنية، وواحد فقط منهم هو بكتمير ترعرع قويا سليما شديد البأس.

فى يوم من الأيام جلس الملك إلى طاولة كبيرة ومن حوله جلس الأبناء الأربعون. التفت الملك إليهم قائلا بفخر وتباه:

ـ أربعون ولدا لدى، أربعون بطلا عندى، لو تجاسر الأعداء وهجموا علينا فسوف تقفون كالحائط لصدهم والدفاع عنا. لذا ينبغى عليكم تعلم فنون الحرب والقتال.

وأرسل الملك فى طلب قائد الجيوش الذى حضر إليه، وطلب الملك منه أن يقوم بتعليم أولاده ركوب الخيل والنزال بالسيف والطعن بالرمح والرمى بالنبال.

بدأ القائد فى تعليم الأبناء فنون القتال وركوب الخيل. غير أن تسعا وثلاثين ابنا منهم كانوا من الكسالى البلداء ولم يتعلموا شيئا.

قال الأبناء متذمرين: لماذا ينبغى علينا الإلمام بالأعمال الحربية؟ إننا أبناء الملك ويمكننا العيش بدون هذا التعليم.

وخشى القائد من ثورة الملك وغضبه فلم يخبره بشىء عن تكاسلهم.

أما بكتمير فقد كان نشيطا نابها. سرعان ما تعلم الفروسية وركوب الخيل، وأصبح ماهرا فى النزال بالسيف والرمى بالقوس.

ذات مرة طلب الملك القائد وسأله:

ـ أخبرنى أيها القائد، كيف يستوعب أبنائى فنون القتال؟

ـ بشكل جيد يا مولاى.

حينئذ طلب الملك حضور أبنائه وصار يسألهم عن أحوالهم، فقال الأبناء:

ـ أحوالنا جيدة للغاية، وقد تعلمنا كل شىء حتى الآن.

ـ إذن ينبغى عليكم أن تتعلموا الرمى بالمنجنيق.

وطلب الملك قائد سلاح المنجنيق وأمره بصب قذيفة ذهبية للمنجنيق لها أربعون طرفا.

دعا الملك رجال البلاط وكبار القادة إلى الساحة الكبرى. وأمر أبنائه التسعة والثلاثين أن يصطفوا فى طابور واحد. وترك بكتمير بالقصر قائلا بأنه مازال صغيرا على الرمى بالمنجنيق.

تقدم أبناء الملك إلى المنجنيق واحد بعد الآخر يحاولون إطلاق القذيفة الذهبية. إلا أن أحدا منهم لم يستطع القيام بذلك ولا حتى قدروا على تحريكها من مكانها.

أصاب الملك عادل خان الخزى والخجل من أبنائه. فذهب حزينا إلى حديقته بعيدا عن أعين الناس. حاول بكتمير أن يواسى والده فقال:

ـ ما الذى يحزنك يا والدى وأنت لديك أربعون ولدا؟ ألسنا أقوياء وجبابرة كالأسود؟

قال على خان: للأسف يا ولدى، ليتك رأيت هؤلاء الأسود، إنهم مجتمعين معا لا يمكنهم هزيمة فأر صغير.

قال بكتمير فى دهشة: ماذا جرى يا والدى؟ احكِ لى فربما يمكننى تقديم العون.

ـ كيف يمكنك القيام بما عجز عنه إخوتك التسعة وثلاثون؟

وحكى الملك عادل خان لابنه الأربعين عن فشل إخوته التسعة والثلاثين فى تحريك القذيفة الذهبية ذات الأربعين طرف من مكانها.

غادر بكتمير القصر وذهب إلى الساحة الكبرى. ثم رفع القذيفة الذهبية ذات الأربعين طرفا وأطلقها بالمنجنيق. عبرت القذيفة سور القصر وارتطمت بالشرفة وحطمتها قبل أن تسقط بأرض الحديقة. لم ير أحد أو يلحظ أن بكتمير هو الذى قام بهذا الأمر.

هرع الخدم إلى الملك وقالوا له:

ـ مولانا الملك، إن القذيفة ذات الأربعين طرفا التى أمرتم بصبها من الذهب قد انطلقت وحطمت الشرفة ثم سقطت فى الحديقة. لكن أحدا لا يعلم من الذى أطلقها بالمنجنيق بهذه القوة لتقطع كل هذه المسافة.

أصابت الدهشة الملك وانتابه الذهول لما جرى فأمر بالإعلان فى أرجاء البلاد:

ـ من أطلق القذيفة الذهبية عليه أن يأتى ويحملها معه ويأخذها لنفسه هدية له.

مرت عدة أيام ولم يظهر أحد.

كان يعيش فى المدينة لص خبيث. طمع فى الحصول على الذهب فمضى إلى الملك وقال:

ـ أنا يا مولاى من أطلق القذيفة الذهبية ذات الأربعين طرفا.

أجاب الملك: إذن فلتذهب إلى الحديقة وخذ القذيفة لنفسك.

قال اللص: سمعا وطاعة يا مولاى. لكن الوقت الآن غير ملائم لذلك وليس من اللائق أن أحملها فى حضور جلالتكم، فاسمح لى بالحضور لحملها غدا فى غيابكم.

أمر الملك: كلا عليك أن تحملها الآن فى حضورى.

حينئذ تملك الرعب من اللص. فهو لا يستطع أن يثير غضب الملك عليه.

ـ فلتسمح لى إذن يا مولاى بالذهاب لإحضار العربة التى سأنقلها عليها ـ قال اللص وهو لا يفكر سوى بالهروب من وجه الملك.

إلا أن الملك أعلن فى حسم قائلا:

ـــ من استطاع أن يلقى بالقذيفة الذهبية ذات الأربعين طرفا، يمكنه أيضا أن يحملها بذراعيه. اذهب واحملها بيديك ثم اغرب عن وجهى.

ذهب اللص إلى مكان القذيفة وأمسك بها من أطرافها محاولا رفعها غير أنه لم يقدر على تحريكها من مكانها قيد أنملة.

ـــ كنت تريد خداعى إذن؟ ـــ هتف الملك بغضب وأمر بقتل اللص.

حينئذ تقدم بكتمير واعترف قائلا:

ـــ إنه أنا يا والدى من أطلق القذيفة ذات الأربعين طرفا.

نظر الملك عادل خان فى شك إلى ابنه وقال:

ـــ كيف أمكنك وأنت أصغر أبنائى من أن تطلقها بينما فشل إخوتك التسعة وثلاثون فى تحريكها من مكانها؟

خرج بكتمير إلى الحديقة ورفع القذيفة بيديه. ثم صار يقذفها فى الهواء من يد لأخرى وحملها إلى القصر.

اغتبط عادل خان وأمر ابنه بعرض قوته أمام جموع الناس.

أخذ بكتمير يلقى بالقذيفة فى الهواء بخفة ويسر ثم أطلقها بيده فى الفضاء بقوة. فى هذا الوقت كانت هناك امرأة عجوز تغزل الخيط فى فناء بيتها. طارت القذيفة بالقرب من وجه العجوز حتى جرحت شفتيها واصطدم أحد أطرافها بالمغزل فحطمته تماما. ركض بكتمير صوب الاتجاه الذى سقطت به القذيفة حتى وصل إلى بوابة المنزل الذى تقطن به العجوز وسمعها من خلف البوابة تبكى وتقول:

ـــ ليحل بك الموت أيها الشرير

يا من حطم مغزلى الأثير

لو غفرت لك فعلك الحقير

فلن تغفر شفتاى الجرح الكبير

ليت السعادة لا تطرق بابك

والبؤس يغطى أحوالك

دلف بكتمير إلى داخل الفناء وألقى بالتحية على المرأة العجوز فى لطف وقال:

ـ ما الذى يبكيك هكذا أيتها الأم؟ من الذى أغضبك؟

ردت العجوز بلهجة غاضبة: هاه، ألا تدرى من السبب فى بكائى؟ إنها قذيفتك الذهبية ذات الأربعين طرفا، قد طارت بالقرب من وجهى فجرحت شفتى وحطمت مغزلى الذى أعيش منه. فإذا كنت تبحث عن أحد تتحداه وتستعرض معه قوتك فاذهب إلى ملك مصر لتجربها معه بدلا منى.

قال بكتمير: عما تتحدثين أيتها الأم؟ فسرى لى بربك قولك هذا.

ـ يوجد فى مصر ملك يحكمها يدعى شوكت. لدى هذا الملك ابنة اسمها أكبيلياك. حسنها يفوق جمال القمر، وعيناها أروع من عينى الغزلان. وقد بلغت سن النضج وأوج النضارة. وكم من الفتيان فقدوا رءوسهم فى سبيل حبهم وعشقهم لها. وإننى أرى فيك فتى كالليث فى قوته، والنمر فى مهارته. فلم لا تذهب إلى مصر وتحصل على الفتاة أكبيلياك لنفسك.

بعد حديث العجوز له نسى بكتمير كل شىء حول القذيفة الذهبية. وعاد إلى القصر فدلف إلى حجرة مظلمة ورقد سارحا على الأرض. ونادى عليه الملك للحضور لكنه لم يتحرك من مكانه. حينئذ ذهب إليه الملك بنفسه يستطلع الأمر وصار يطرح عليه الأسئلة. لكن بكتمير لم يجب عن أى من أسئلة الملك. حينئذ ذهبت إليه الأم تسأله فلم ينطق لها بحرف أيضا.

منذ هذا الوقت التزم بكتمير الصمت. ويوم بعد الآخر اشتد هزاله.

أمر الملك المنادين أن يتفرقوا فى أرجاء البلاد ويعلنوا التالى:



ـــ من يقدر على إخراج بكتمير عن صمته، ويعرف ما فى قرارة نفسه من أسرار، له من الملك قصعة مملوءة بالذهب.

جاء الكثيرون وحضر العديد من الناس الذين تحدثوا مع بكتمير، إلا أنهم لم ينجحوا فى إخراجه عن صمته ولو بكلمة واحدة. وأخيرا حضرت إلى القصر المرأة العجوز التى جرحت شفتيها قذيفة بكتمير وحطمت مغزلها.

ـــ اسمح لى يا مولاى الملك أن أتكلم مع بكتمير وسوف أعرف ما يخبئ بقرارة نفسه من أسرار.

دخلت العجوز على بكتمير فى حجرته وقالت:

ـــ هيا انهض يا بنى، فإنى أعرف ماذا يدور بخلدك من أفكار ويمكننى أن أساعدك على تحقيقها. اطلب العون من والدك وسوف يفعل كل ما بوسعه كى تذهب إلى مصر من أجل أكبيلياك. لكن عليك أن تنتبه إلى التالى: عندما يحضر لك والدك الثياب الفاخرة والجياد الأصيلة كى تأخذها معك عليك أن ترفض أخذها كلها. واطلب فقط أن تأخذ معك الفرس تارلانبوز المربوط لديكم فى الإسطبل الملكى.

استمع بكتمير إلى حديث العجوز ثم خرجت إلى الملك وقالت:

ـــ إن ولدك يا مولاى قد وقع فى غرام ابنة ملك مصر الجميلة أكبيلياك. ويطلب الإذن منك للسفر إليها. وإن لم توافق فهذا يعنى الموت المحتم له.

منح الملك عادل خان للمرأة العجوز قصعة مملوءة بالذهب. ومن فرط سروره بخروج ابنه عن صمته وافق على طلبه بالسفر إلى مصر من أجل الفتاة أكبيلياك. واختار الملك أربعين من أشجع الفرسان كى يرافقوه فى رحلته.

قال بكتمير: من أجل معشوقتى سوف أسافر بمفردى، ولست بحاجة إلى أى من الفرسان الشجعان معى فى هذه الرحلة..

عندئذ أمر عادل خان بإحضار أفضل الجياد والأفراس من الإسطبل الملكى وتحميلها بكميات كبيرة من الذهب والفضة.

أعلن بكتمير: لن آخذ معى جيادا ولا ذهبا ولا فضة.

قال الملك: يا ولدى العزيز لماذا ترفض أن تأخذ شيئا معك؟

أجاب بكتمير على الملك: أنا لا أريد سوى فرسك تارلانبوز، فأعطنى إياه بدلا من كل هذه الأشياء الثمينة.

أصدر الملك أوامره إلى الخدم فأسرعوا إلى الفرس تارلانبوز يغسلون جسمه وينظفونه ويمشطون ذيله وعرفه. ثم أحضروا سرجا ذهبيا سرجوه به ووضعوا له اللجام وساقوه بعد ذلك الى بكتمير.

قام بكتمير بوداع والده الملك، ثم ذهب إلى حجرة أمه وأخرج سيفه المفضل لديه فعلقه بسقف الحجرة وقال:

ــ انظرى يا أماه إلى هذا السيف، لو رأيته يقطر دما فاعلمى أن مكروها قد أصابنى وأننى قتلت ويمكنك البكاء على وتقبل العزاء فى، وإن لم يقطر بالدم فاعلمى أننى بخير وعافية.

خرج بكتمير من بوابة المدينة مغادرا وضرب الفرس تارلانبوز بالسوط حتى صار يصهل من الألم وانطلق طائرا كالسهم يسابق الريح، وارتفع محلقا فى السماء كما لو كانت له أجنحة الطير. مرت ثلاثة أيام وثلاث ليال والفرس يطير تحت السحاب حتى وصل إلى أرض مصر. قاد بكتمير الفرس نحو واحة نخيل خضراء وهبط بها. خلع الفتى السرج واللجام من على تارلانبوز ثم قام بإخفائهم فى موضع بين الحشائش الكثيفة. ثم مسد بيده على رأس الفرس وقال له:

ــ سوف أذهب للبحث عن محبوبتى وعليك أن تنتظرنى هنا بمفردك حتى أعود ومعى الجميلة أكبيلياك.

أطلق الفتى الفرس ترعى فى الواحة ووضع سوطه فى خرجه وحمله على ظهره ومضى فى طريقه. ولم يمر وقت طويل حتى شعر بكتمير بالأسى والقلق لتركه تارلانبوز وحيدا فى الواحة فعاد إليه. ولما رآه الفرس خمن سبب عودته فقال له بصوت آدمى:

ــ لا تدع القلق يا سيدى يصيبك على ولا تشغل بالك بى، بل اجعل محبوبتك هى شاغلك الوحيد فقط. فلن أسمح لأى من اللصوص أن يقربنى بيده. ولدى عودتك مع أكبيلياك سوف أحملكما على ظهرى وأحلق بكما عائدا إلى الديار. فاذهب أنت فى طريقك يا سيدى الكريم.

مضى بكتمير فى طريقه بعد أن اطمأن على فرسه. سار طويلا طويلا وقطع الكثير من الفيافى والدروب حتى وصل أخيرا إلى مدينة كبيرة. لم يدر الفتى بأى اتجاه يسير وبمن يلتمس النصح حتى رأى امرأة عجوز تجلس على قارعة الطريق تبيع شطائر الخبز فى سبت من الخوص.

قال بكتمير: أعطنى أيتها الأم بعض الشطائر التى يمكن أن تشبع جوعى.

تفحصت البائعة العجوز بكتمير باهتمام، فرأت فتى يشبه الأمراء فى هيئته التى توحى أيضا بأنه غريب عن هذه المدينة. فقدمت له السبت كله قائلة:

ــ كل يا بنى، كل ما تريد حتى تشبع.

أكل بكتمير من الشطائر حتى شبع وأعطى المرأة قطعة من الذهب.

ــ ما دمت جالسة هنا أيتها الأم فسوف أرقد بجوار الحائط وأغفو لبعض الوقت ــ قال الفتى ووضع خرجه أسفل رأسه وراح فى سبات عميق. وعند حلول المساء كانت العجوز قد باعت كل الشطائر فتأهبت للرحيل وأيقظت بكتمير قائلة له:

ــ إنى أرى أنك غريب عن هنا يا بنى، فأين تقيم؟

ــ إننى حديث العهد بهذه المدينة، فقد وصلت اليوم فقط ولم أنزل بعد بأى مكان. فلو أنك لا تمانعين أن أصبح ضيفك لبضعة أيام فسوف أكون شاكرا لك.

اصطحبت العجوز الفتى معها إلى بيتها. وفى الصباح أعطاها بكتمير قطعة ذهبية، وفى المساء أعطاها قطعة أخرى وقال لها:

ــ هذه لنفقات البيت يا أماه.

فرحت العجوز واجتهدت فى خدمة بكتمير. وفى اليوم الثالث قالت له:

ــ معذرة يا ولدى لفضول امرأة عجوز، أريد أن أعلم من أين أتيت؟ وما سبب مجيئك إلى بلادنا؟

أجاب بكتمير: إن موطنى هو بلاد فرجان. وقد حكوا لى عن فتاة بارعة الجمال تدعى أكبيلياك ابنة الملك شوكت. وقد جئت إلى هنا وأنا أمنى نفسى ولو بنظرة واحدة إليها. وسوف أجزل لك العطاء أيتها الأم لو عثرت على وسيلة تمكننى من لقائها.

وهنا أخرج الفتى من خرجه كيسا مملوءا بالذهب ونثره بين يدى العجوز.

قالت العجوز: إن الملك شوكت الآن قد غادر البلاد فى حملة بعيدة. وفى كل يوم جمعة تخرج أكبيلياك مع وصيفاتها وجواريها إلى الحديقة الملكية التى تشبه الفردوس. فعليك أن تتنكر فى هيئة بائع متجول وتطوف بالقرب من بوابة القصر مناديا بصوت عال على بضاعتك. عندئذ سوف تخرج إليك أكبيلياك ويمكنك أن تبوح لها بمكنون صدرك. فاذهب الآن إلى السوق كى تشترى بعض البضائع، وأنا سوف أذهب إلى أكبيلياك وأحدثها عنك حتى تقع فى هواك.

خرج بكتمير إلى السوق وذهب إلى دكان الحلى وطلب من صاحبه قائلا:

ـ أريد شراء أجمل ما لديك من أقراط وأساور وخواتم مصنوعة من الذهب الخالص ومن الياقوت والزمرد والماس.

دفع بكتمير لصاحب الدكان مقابل الحلى التى أخذها.

دلف الفتى بعد ذلك إلى دكان آخر يبيع شتى أصناف العطور والدهانات فاشترى منه كل الأنواع والألوان. ثم اشترى لنفسه ثياب بائع متجول ووضع كل الأشياء فى خرجه وانطلق عائدا إلى البيت.

فى هذا الوقت كانت العجوز قد وضعت خمارا على وجهها وذهبت إلى القصر فوقفت تنتظر عند بوابته. وعندما جاءت أكبيلياك من حمامها تصاحبها الوصيفات رأت الأميرة العجوز واقفة عند البوابة فقالت للوصيفات:

ـ اسألوا هذه المرأة عما تريد.

فسألت إحدى الوصيفات: لماذا تقفين هنا أيتها الأم؟

ردت العجوز: إننى منجمة أقرأ الطالع والغيب يا ابنتى. ألا تحتاج يا ترى أكبيلياك إلى خدماتى لقراءة طالعها؟

أخبرت الوصيفة الأميرة أن العجوز منجمة تعمل فى قراءة الطالع.

أمرت أكبيلياك: إذن فلتحضروها إلىّ.

قادت الوصيفات العجوز إلى داخل القصر. أمسكت المرأة بيد أكبيلياك تنظر فيها وقالت:

ـ ابنتى العزيزة الغالية، هل تريدين أن أخبرك عن قدرك؟ إن السعادة التى تنتظرك هى حقا سعادة كبيرة. ورغم إنى أرى شيئا يجثم على صدرك ويؤلم فؤادك ويسبب الحزن لك، لكنك سوف تعثرين على مفتاح السعادة قريبا فلا تستسلمى لهذا الحزن يا ابنتى. الكثير من الفتيان الرائعين يطلبون القرب منك. لكن هناك عدو خفى يعترض طريق سعادتك. هل هذا العدو هو والدك؟ أم أنها والدتك؟ أو ربما أحد الأقرباء منك؟ لست أدرى. لكننى سوف أخبرك عن فتى قد وقع فى غرامك، وهو ابن لأحد الملوك. والخطوط المرسومة فى كف يدك تقول إن هذا الفتى سوف يظهر لك فى هيئة بائع متجول، فلا تتركى هذا العاشق الولهان يفلت من يدك.

هتفت أكبيلياك فى دهشة: يا إلهى إن هذه المنجمة قد عرفت الحقيقة الكامنة بداخل نفسى ــ وأغدقت الأميرة بالذهب على المرأة العجوز.

مضت ثلاثة أيام وحل يوم الجمعة.

قالت العجوز لبكتمير: اليوم سوف تخرج الأميرة فى جولة بالحديقة الملكية، فاحزم أغراضك وانطلق اليها.

تنكر الفتى فى هيئة بائع متجول. وحمل خرجه فوق كتفه وخرج إلى الحديقة الملكية. نظر بكتمير فرأى الحديقة مترامية الأطراف لا ترى العينُ نهايتها. وكان بها كل أنواع الورود والأزهار المعروفة على الأرض.

أخذ بكتمير يسير بجوار سور الحديقة مناديا:

ـ لدى الأساور والأمشاط الذهبية، لدى كل الحلى الرائعة للفتيات، هيا إلىّ أيتها الفتيات والبنات لتشاهدوا الحلى، لدى كل ما تريدون.

سمعت أكبيلياك صوت بكتمير وهو ينادى على بضاعته.

أمرت الأميرة خادماتها: اذهبوا واعرفوا لى من هو صاحب الصوت المنادى فى الشارع.

عندما شاهد بكتمير الخادمات هتف قائلا:

ـ الحلى الجميلة أيتها الفتيات، الأمشاط الرائعة أيتها البنات، لدى البضائع التى تستحقها الحسناء أكبيلياك، من ماء الورد إلى مراهم البشرة، الأقراط والأساور الذهبية، الدلايات ، الخواتم والحلى الماسية، لدى كل ما هو نفيس وثمين، اقتربوا بأنفسكم وانظروا ماذا عندى.

أحاطت الفتيات ببكتمير، وصرن ينظرن ويقلبن فى بضاعته. أصابتهم الدهشة والذهول من جمال الحلى وروعتها فهرعوا إلى أكبيلياك يخبرونها عما رآوه.

عندئذ سارت أكبيلياك بخفة ورشاقة حتى وصلت إلى أبواب الحديقة. وتطلعت بعينيها إلى بكتمير وأشارت له أن يقترب منها:

سألت الأميرة: ما الذى تعرضه أيها البائع؟

فرد بكتمير بضاعته أمام الأميرة. ثم اختار منها زوجا من الأقراط الذهبية، وزوجا من الدلايات وزوجا من الأساور الماسية، وضعهم فى يده ومدها للأميرة قائلا:

ـ لقد أحضرت هذه الحلى خصيصا لك، فخذيها منى.

فى هذا الوقت لم ترفع أكبيلياك نظرها عن الفتى الذى دخل قلبها على الفور. وفي اللحظة التى مدت فيها يدها لتأخذ الحلى الذهبية هبت نسمة رقيقة رفعت

الخمار من على رأسها. وما إن شاهد بكتمير وجهها الذى كان يضاهى وجه القمر فى جماله حتى شهق وسقط على الأرض فاقدا للوعى.

"لابد أن هذا هو بعينه الفتى التى تكلمت عنه المنجمة العجوز" ــ فكرت الأميرة فى نفسها وأمرت الخادمات بحمل بكتمير إلى داخل الحديقة ووضعه داخل الأرجوحة التى تتوسط حوض الزهور. بعد ذلك رشوا وجه الفتى بالماء حتى أفاق وعاد إلى وعيه. ثم حضرت أكبيلياك إليه بنفسها حاملة قدح من الشربات على صينية ذهبية.

شرب بكتمير قدح الشربات وجلس دون أن يطرف بنظره عن أكبيلياك.

سألت الأميرة: أخبرنى أيها الفتى الرائع، أى زهرة أنت؟ ولأى نوع تنتمى من البلابل؟ ومن أى بستان جئت إلينا؟ وكيف جئت إلى بلادنا؟

حكى بكتمير للأميرة كل شىء عنه.

قامت أكبيلياك فدعته إلى مجلسها. وقدمت له أطيب المأكولات وأفخر النبيذ.

هكذا عاشا معا فى الحديقة لمدة أسبوع دون أن يشبع أحدهما من الآخر. وبعد أن مر أسبوع آخر قال بكتمير للأميرة:

ــ لقد جمعنا القدر إلى الأبد وحان الوقت كى أصحبك معى يا محبوبتى إلى بلادى فى فرجان. لقد تركت فرسى تارلانبوز يرعى فى واحة للنخيل بالقرب من المدينة وهو فى انتظارى. وسوف أسبقك إليه كى أرتب الأمور للسفر وأنت تتبعيننى بعد ذلك إلى هناك.

اتفق الاثنان على الرحيل بهذه الطريقة. وذهب بكتمير إلى المنجمة العجوز فأعطاها كل ما بقى لديه من ذهب ومن فضة ورحل نحو الواحة. وبعد أن وصل هناك رأى تارلانبوز حيث تركه يرعى فى سلام وسكينة. وما إن رأى الفرس صاحبه حتى صار يصهل وأقبل عليه مسرعا. اقتاده بكتمير إلى النهر وغسل

جسمه فى الماء ونظفه بالفرشاة. ثم قام بتمشيط ذيله وعرفه ووضع السرج عليه وجلس بجانبه فى انتظار حضور فتاته الأميرة.

فى هذا الوقت اجتمعت أكبيلياك مع وصيفاتها وخادماتها وقالت لهمن:

ـ لقد حان موعد رحيلى عنكم، لقد كنت سعيدة معكم وسوف أتذكركم دائما، وأرجو أن تتذكروننى أيضا. ولو بقيت على قيد الحياة فسوف أراكم ثانية.

ومنحت الأميرة وصيفاتها وخادماتها الهدايا الثمينة وأجزلت لهن العطاء. بكيت الفتيات وقالت بصوت حزين:

ـ لماذا تتركينا؟ لأجل من تتركينا؟

وقبل أن يطلع الفجر كانت أكبيلياك قد ارتدت ملابس الرجال وأسرجت فرسها الأثير من بين الأفراس، وانطلقت تنهب الطريق إلى خارج المدينة حيث ينتظرها بكتمير فى واحة النخيل.

ما إن رأى بكتمير أكبيلياك أمامه حتى قفز على ظهر تارلانبوز، وانطلق الاثنان جنبا إلى جنب يسابقان الريح. أربعون يوما مضت وأربعون ليلة انقضت وهما ينطلقان بلا راحة ولا نوم. ثم وصل بكتمير وأكبيلياك إلى مكان قررا التوقف به لنيل قسط من الراحة. فنصب بكتمير الخيمة ودلف الاثنان إلى داخلها.

قال بكتمير: لو رحت فى النوم فعليك عدم إيقاظى إلا بعد مرور أربعين يوما وأربعين ليلة، وإذا حدث أمر طارئ اغرسى هذه الإبرة فى كعب قدمى وسوف أستيقظ بعدها على الفور.

وضع الفتى رأسه على ركبتى أكبيلياك وراح فى النوم. ومضت عدة أيام.

وفجأة علت أصوات وقع أقدام ثقيلة بالقرب من الخيمة وتملك الخوف من أكبيلياك.

ـ أنت يا خاطف الفتيات، هيا اخرج من الخيمة ـ هتف صوت من الخارج ينادى.

انتاب الرعب أكبيلياك وأخذت ترتجف من الهلع والخوف، لكنها أشفقت على بكمتير من أن تغرس الإبرة بكعبه فصارت تبكى حتى ابتل ثوبها لكثرة الدموع المنهمرة من عينيها.

أما خارج الخيمة فأخذ الصوت يزداد حدة وغلظة ويصرخ مناديا:

ـــ هيا اخرج من عندك.

حينئذ حسمت أكبيلياك أمرها وقررت الخروج بنفسها. وفى هذه اللحظة سقطت دموعها على وجه بكتمير فاستيقظ من نومه ونهض يسأل قائلا:

ـــ ماذا حدث؟

أجابت أكبيلياك: هناك أحد يصرخ فى الخارج بصوت مخيف. يبدو أنهم أتباع والدى قد لحقوا بنا إلى هنا ويطلبون منك أن تخرج إليهم.

ـــ لا تخشى شيئا ولا تحملى هما يا حبيبتى الغالية، فسوف أخرج إليهم بنفسى الآن.

امتشق الفتى سيفه وخرج من الخيمة فرأى أمامه الملك شوكت بنفسه ومن خلفه تقف أعداد من الفرسان والجنود لا حصر لها.

سأل بكتمير: ها أنا أمامكم، فهل تنازلوننى فردا بفرد؟ أم نتراشق بالسهام؟.

صاح الملك: سوف نتراشق بالسهام.

قال بكتمير: عندئذ ابدأ أنت فى الرمى بالسهام، وبعد ذلك يأتى الدور على.

جذب جنود الملك أقواسهم ورموا بسهامهم ناحية بكتمير. غير أن سهامهم جميعها قد طاشت ولم يصبه منهما شىء.

ـــ والآن قد حان دورى ـــ قال بكتمير وشد قوسه وأخذ يضرب سهما بعد الآخر فتطير أسهمه وتشق الهواء نحو الجنود. لم يطش سهم واحد مما أطلقهم،

وأصابت الأسهم جميعها فرسان وجنود الملك فصرعتهم. ولم يبق فى الساحة أمام بكتمير إلا الملك شوكت بمفرده. عندئذ سأل الفتى أكبيلياك:

ــ لقد قتل جميع جنود أبيك ولم يبق سواه، فماذا نفعل معه؟

قالت أكبيلياك: إن أبى لو عاش فلن يغفر لنا أبدا ما قمنا به، وإذا لم نقتله فعاجلا أم آجلا سوف يجلب لنا من المكاره مالا طاقة لنا به.

هتف بكتمير يقول: لكن ما الذى بمقدوره أن يفعل وهو فرد واحد؟ كما أن قتل الحمو يعد ذنبا كبيرا، فهو فى النهاية والدك.

بعد ذلك الحديث طوى بكتمير الخيمة وحزم أغراضه، ثم امتطى كل منهما فرسه وانطلقا علي الطريق. سارا طويلا وقطعا الكثير حتى وصلا إلى مكان ضربا فيه خيمتهما ورقدا بداخلها للراحة.

كان الملك يقتفى أثرهما دون أن يشعرا. وسار متسللا من خلفهما حتى وصل إلى الخيمة فاستل خنجره وطعن به بكتمير طعنة نافذة فى قلبه.

شهق الفتى ومات. وأخذت أكبيلياك تصرخ وتولول.

ــ يا مصيبتى، فقدت زهرتى الحبيبة التى اخترتها فى البستان من بين آلاف الزهرات.

اقترب تارلانبوز من بكتمير وأخذ يتشممه، ثم انهمرت الدموع تتساقط من عينيه. وهكذا صار الاثنان يبكيان بكتمير معا ــ أكبيلياك وتارلانبوز عند جثمان بكتمير المسجى على الأرض. وبعد ذلك حفرا قبرا ودفناه فيه.

جلست أكبيلياك بجانب تارلانبوز وقالت وهى تذرف الدمع:

ــ أيها الفرس العزيز لم يعد لى فى مصر أحد أو مجيب

فاحملنى واذهب بى إلى بلاد فرجان موطن الحبيب

لأسير أينما سار وأزرع مثله الأزهار

وأعيش فقط لأسقيها وأرعاها ليل نهار

وطار تارلانبوز محلقا فى الفضاء صوب بلاد فرجان حاملا أكبيلياك فوق ظهره.

عندما رحل بكتمير إلى مصر كانت أمه تنتظره بأحر من الجمر. وكانت عيناها لا تغمضان عن سيفه المعلق بسقف حجرتها. وكانت كثيرا ما تتحدث قائلة:

ـــ يا فرحة قلبى الوحيدة، متى تعود كى أملى عينى بوجهك ثانية؟

وفجاة رأت الأم السيف يقطر دما.

صرخت الأم وبكت بكاء مريرا على بكتمير.

أصاب الحزن العميق الجميع وانتابهم الذهول وصاروا يهتفون متسائلين:

ـــ هل من المعقول أن هذا الفتى الجسور قد مات؟

أعلن الحداد فى أرجاء البلاد واتشحت بالسواد.

وفى هذه اللحظة هبط من السماء على الأرض تارلانبوز. كانت تجلس على ظهره امرأة شابة لا تبارى فى الحسن والجمال.

صرخت الأم مولولة تقول:

ـــ وأين ولدى؟

قالت أكبيلياك: إن ولدك سوف يأتى لا محالة.

صرخت الأم قائلة: من الأفضل أن تخبرينى بالحقيقة عن مقتل ولدى، وتعترفى بأن عينيه الصافيتين قد امتلئتا بتراب الأرض، وأن قلبه تنهشه النسور.

عندئذ انهمرت أكبيلياك فى البكاء، وارتمت على صدر الأم تحتضنها. كما بكى الملك هو وجميع الأقارب لموت الفتى.

وعندما انتهى البكاء وهدأت وطأة الحزن أخذ الملك عادل خان يسأل أكبيلياك عما جرى. فحكت له الفتاة كل ما رأته وما عرفته.

ــ لا يجوز أبدا ترك جثمان ولدى مدفونا بالوادى، بل ينبغى إحضاره إلى هنا لدفنه فى موطنه ــ قال الملك وخرج إلى الوادى مع أكبيلياك والأم وحشد كبير من المرافقين والفرسان. وبعد أن وصلوا إلى المكان الذى دفن فيه أخذوا يحفرون الأرض حتى أخرجوا جثمان بكتمير الذى انهمرت فوقه دموع الأم الثكلى. وهنا ظهرت فجأة المرأة العجوز المنجمة، ولا يدرى أحد من أين وكيف أتت.

قالت العجوز: أيها الملك المبجل، لا يوجد أحد خالد فى هذه الدنيا فكلنا فانين. لقد كان لديك أربعون ولدا، مات واحد فبقى لديك تسعة وثلاثون آخرون على قيد الحياة، فاشكر ربك على هذه النعمة.

هتف الملك عادل خان: إن التسعة والثلاثين ولدًا جميعا لا يساوون خصلة من شعر بكتمير. لقد كان هو فخرى الوحيد ومصدر سعادتى. وكان من الأفضل لى لو أن التسعة والثلاثين ولد ماتوا وظل هو على قيد الحياة.

رفعت العجوز يدها نحو السماء وقرأت تعويذة وقالت: "فليتحقق هذا الأمر بإذنك أيها الرب".

فى هذه اللحظة انتفض بكتمير ونهض من القبر يقول:

ــ آخ، لا بد أننى رحت فى النوم لفترة طويلة.

ابتهج الجميع لعودة الفتى إلى الحياة. وبعد عودتهم جميعا إلى القصر عرفوا أن أبناء الملك التسعة والثلاثون قد ماتوا وفارقوا الدنيا.

سلم الملك أمره لما جلبته الأقدار ودفن أبناءه. وبعد انقضاء فترة الحداد أقيمت الاحتفالات فى البلاد أربعين يوما وليلة بمناسبة زفاف الأمير والأميرة.

وهكذا حقق كل من بكتمير وأكبيلياك كل أحلامهما وأمانيهما.

ابن الصياد حكيم



في سالف العصر والأوان عاش في قرية اسمها شارالزاك، عجوز صياد يدعى حكيم مع زوجته وابنه. كان هناك نهر كبير يجري بالقرب من بيت حكيم.

كان الصياد العجوز يخرج في كل صباح لصيد الأسماك. وكان الصيد يكفيه بالكاد لإطعام نفسه وأسرته. وكان حكيم فقيرا للغاية وكان منعزلا مع أسرته لا يغادرون بيتهم ولا يحضر أحد إليهم إلا نادرا.

وفى صباح أحد الأيام حمل حكيم شباكه وخرج للصيد. كان الطريق إلى النهر وعرا مليئا بالمنحنيات والمرتفعات. وكان السير به شاقا. وعندما وصل العجوز منهكا إلى النهر جلس قليلا على ضفته يلتقط أنفاسه المتقطعة ثم شرع فى الصيد.

اصطاد العجوز الكثير من الأسماك وفجأة وقعت فى الشباك سمكة ذهبية. فرح العجوز كثيرا وأمسك بها فى يده يداعبها.

ولما رجع إلى البيت نادى على ابنه وقال له:

ــ أريدك يا بنى أن تحمل هذه السمكة الذهبية وتذهب بها إلى وزير الملك ثم تعود ثانية إلى البيت.

حمل ابن الصياد السمكة الذهبية وخرج مسرعا إلى الطريق الكبير وسار صوب المدينة. وعندما وصل إلى قصر الملك فكر قائلا: " ولماذا أعطيها للوزير؟ من الأفضل أن أمنحها للملك، فهو الذى يستحق هذه الهدية".

وفعل الابن كما هداه تفكيره. فأعطى السمكة الذهبية للملك. فتقبل الملك الهدية وأمر بوضعها فى نافورة حديقته. ثم قام بصرف الابن دون حتى أن يشكره.

سأل الولد ابنه: لمن أعطيت السمكة يا بنى؟

رد الفتى: لقد أعطيتها للملك بنفسه.

أصاب الحزن والكرب حكيم، لكنه لم يقل شيئا وانهمك فى تجهيز عدة الصيد.

وفى اليوم التالى كان الوزير يتجول فى الحديقة فشاهد بالنافورة سمكة ذهبية رائعة الجمال. فدفعه الفضول إلى الذهاب للملك وسأله قائلا:

ــ من أين أتت هذه السمكة التى تسبح فى النافورة؟

وحكى الملك للوزير عن ابن الصياد العجوز الذى يقيم بقرية شارالزاك، وكيف أحضر السمكة إليه.

ثار حنق الوزير على الفتى الذى أعطى السمكة الذهبية للملك ولم يهدها إليه. وأراد أن يمكر به بأية وسيلة ممكنة. فقال للملك:

ـــ مولاى ملك العالم، رغم أن هذه السمكة تزين النافورة بجمالها. إلا أنها وحيدة هناك، وينبغى أن يكون معها صديقة فى الماء. فاطلب من الفتى أن يحضر إليها صديقتها كى تصبح النافورة أكثر جمالا وروعة بوجود سمكتين ذهبيتين معا.

أعجب الملك بنصيحة الوزير وأمر بإحضار الصياد العجوز إليه على وجه السرعة. فلا يأتى إليه سائرا، بل طائرا لا تلمس قداماه الأرض.

حضر العجوز إلى قصر الملك فى لمح البصر، ومثل أمامه فى خشوع. فقال له الملك آمرا:

ـــ من حيث أحضرت السمكة الذهبية أريد منك أن تحضر لى أيضا صديقتها، وأمنحك مهلة أربعين يوما للقيام بذلك. وإن لم تفعل فسوف أشنقك وأترك جثتك تتأرجح على حبل المشنقة.

عاد العجوز مغموما يجرجر أقدامه إلى البيت وقال لابنه:

ـــ أرأيت يا بنى المصيبة التى حلت فوق رأسى؟ وكل ذلك بسبب إعطائك السمكة للملك بدلا من الوزير. ففى قلب الماء تسبح صديقة السمكة الذهبية التى ينبغى علينا صيدها. فكيف يمكننا القيام بذلك؟ وإذا لم ننجح فى صيدها خلال أربعين يوما فسوف يقوم الملك بشنقى وشنقك. فعلينا العثور عليها بأية وسيلة حيث لا يوجد مخرج آخر لنا من هذه الورطة. لهذا سوف نخرج معا إلى الشاطئ للصيد.

وهكذا خرج العجوز وابنه إلى شاطئ النهر. وبعد أن نالا قسطا من الراحة شرعا فى الصيد. وظل الاثنان طوال اليوم يصيدان الأسماك ويبذلان قصارى جهدهما فى العمل. واصطادوا الكثير والعديد من الأسماك. لكن السمكة الذهبية لم

تكن بينهم. وظل العجوز وابنه يصطادان الأسماك يومًا بعد الآخر حتى انقضى تسع وثلاثون يوما دون أن تقع السمكة الذهبية فى شباكهما. وعاد العجوز مع ابنه إلى البيت تعصف بهم الأفكار والخواطر الحزينة. ثم قال العجوز لابنه فى خوف وفزع:

– لم يبق سوى يوم واحد من الأربعين يوما ولم ننجح فى صيد السمكة الذهبية بعد. وسوف يعلقنا الملك فى المشانق ويترك جثتنا تتأرجح عليها.

وجاء اليوم الأربعون وفكر الأب وابنه قائلين: "لم يبق لنا سوى يوم واحد نحياه على هذه الأرض".

وخرج الاثنان إلى الصيد وهما على يقين بأن هذا اليوم هـو الأخير فى عمرهما، وأن ساعتهما قد دنت. وظل الاثنان يصيدان السمك بهمة ونشاط ويبذلان كل ما بوسعهما من جهد حتى حل المساء وأظلمت الدنيا. لكن الحظ ابتسم لهما أخيرا وظهرت أمامهما بارقة أمل فى الظلام عندما شاهدوا سمكة ذهبية أخرى تتلوى فى الشباك.

فرح الأب وابنه فرحا كبيرا. وارتعشت أيادى العجوز وانهمرت الدموع من عينيه وهو لايصدق نجاته من الموت المحتوم.

ومضى العجوز وابنه عائدين إلى البيت فى وقت متأخر من الليل. وكانت الزوجة تقف كعادتها على سطح المنزل ناظرة نحو الطريق تترقب وصولهما فى قلق وهى تفكر وتخمن فى أمرهما: "اليوم هو الأربعون، وبعد ذلك تنتهى المهلة الممنوحة لهما، فإذا لم ينجحا فى صيد السمكة فسوف أفارق زوجى العجوز وابنى إلى الأبد". وصارت المرأة العجوز تحدث نفسها على هذا النحو وهى تتنهد فى حزن والأفكار السوداء تعصف برأسها. وصارت تسير فى قلق وتوتر جيئة وذهابا على سطح البيت.

وأخيرا تراءى لها على الطريق شبح العجوز وابنه. لم تطق الزوجة صبرا فصارت تنادى عليهما وتصيح بصوت عال:

ـــ هل أمسكتم بالسمكة الذهبية؟

وعندما اقترب الصياد وابنه من البيت، رفع العجوز السمكة بيده من دلو الماء يريها لزوجته.

وما إن طلع الصباح حتى أعطى الصياد حكيم لابنه السمكة الذهبية وطلب منه الذهاب بها إلى القصر قائلا فى حسم وصرامة:

ـــ اذهب إلى القصر وأعط السمكة للوزير.

وانطلق الفتى مسرعا إلى قصر الملك. وفى هذا الوقت كان الملك قد طال انتظاره حتى ثار غضبه وأمر قائلا:

ـــ اليوم هو الأول بعد الأربعين. فاذهبوا فورا للبحث عن الصياد العجوز وأحضروه إلى هنا.

وفى هذه اللحظة دخل الفتى وانحنى راكعا أمام الملك. ثم أعطاه السمكة الذهبية التى كان يحملها. فرح الملك وهبط مسرعا إلى حديقته وألقى بالسمكة فى النافورة. أما الفتى فعاد إلى بيته.

كان الوزير ذاهبا إلى الملك عندما مر فى طريقه بالحديقة وشاهد السمكتين الذهبيتين يسبحان فى النافورة. فأسرع إلى الملك يهنئه. وخرج الملك مع وزيره يتجولان فى الحديقة ويتفرجان على السمكتين الرائعتين وهما تسبحان معا فى رشاقة وانسياب. ومكثا طويلا يداعبان السمكتين حتى قال الوزير:

ـــ مولاى ملك العالم، كم يبدو بستانك رائع الجمال لا نظير له عند الملوك. فلا ينقصه سوى شىء واحد حتى يكتمل بهاؤه. إنها النافورة الذهبية.

نظر الملك إلى النافورة سارحا فى أفكاره حتى أردف الوزير قائلا:

ـــ يا ملك العالم، يوجد فى إحدى البلاد التى يسكنها الجان نافورة ذهبية، مياهها تفور وترغى كالينابيع الصافية، ومن حولها يلتف سور من الذهب ومقاعد ذهبية. فإذا أحضرت هذه النافورة بما حولها إلى بستانكم فسوف يصبح مكتمل الروعة والجمال.


..СЫН РЫБАКА ХАКИМА

سال الملك: ومن يستطيع إحضارها إليّ؟

رد الوزير: إنه نفس الصياد الذى أحضر إليكم السمكة يمكنه إحضار تلك النافورة الذهبية أيضا، وما عليكم إلا أمره بذلك.

وأمر الملك بالبحث عن ابن الصياد حكيم وإحضاره إليه على الفور. بينما جلس الوزير يفكر بنفسه: "والآن سوف تقضى نحبك أيها الفتى، وتقع بين براثن الجان ليفتكوا بك".

قال الملك للفتى: أريد منك الذهاب إلى بلاد الجان حيث يوجد بها نافورة ذهبية، عليك إحضار تلك النافورة إلى وإلا شنقتك وتركت جثتك تتأرجح على حبل المشنقة.

توسل الفتى قائلا: مولاى الملك، وكيف يمكن لأحد أن ينقل نافورة كاملة؟ إنه من المحال.

تدخل الوزير صارخا فى الفتى:

ـ كيف تعارض أمر الملك؟ وكيف يمكنك المجادلة مع مولانا المعظم؟ هيا اغرب عنا من هنا أيها البائس.

وطرد الوزير الفتى من القصر. وعاد الابن حزينا مهموما إلى البيت. وما إن رآه والده حكيم حتى حزر أن هناك مصيبة أخرى حلت به. فسأل الابن قائلا:

ـ ماذا جرى يا بنى؟ لابد من أنك قد أعطيت السمكة للملك مرة أخرى. هيا انطق وأخبرنى بما حدث.

قص الفتى على أبيه كل ما جرى بالتفصيل. وعن طلب الملك بإحضار النافورة الذهبية، وعن طرد الوزير له من القصر. وفكر العجوز ثم قال:

ـ إن الوزير يسعى إلى هلاكك، فاذهب إلى الملك الآن واطلب منه أن يمنحك عكازا حديديا، وحذاء حديديا، وعددا من الأغنام والحمير. وسوف يلبى الملك طلبك ويأمر بمنحك ما تطلبه. وعندما تأخذ هذه الأشياء انطلق إلى الطريق وقم برعى الأغنام. وسر طوال الوقت راكبا على الحمير. وكلما تعب أحدها من السير اتركه واركب واحدا آخر.

ذهب الفتى إلى القصر وطلب من الملك عكازا حديديا وحذاء حديديا وغنما وحميرا، وفعل مثلما لقنه والده الصياد. ولم يعترض الملك بكلمة بل أمر بإعطاء الفتى كل ما طلبه.

وجلس الفتى على أحد الحمير يقود أمامه بقيتهم مع الأغنام وانطلق فى طريقه البعيد.

وبعد أن ودع أبيه وأمه سار على غير هدى لا يعرف بأى طريق يسير. فظل يسوق حميره وأغنامه قاطعا الوديان والجبال التى بدت بلا نهاية. وطال سير الفتى وكان يبدل الحمار الذى يتعب بآخر. ويأكل من لحم الغنم الذى يرافقه. ومضى الفتى طويلا يقطع الصحراوات المقفرة والجبال الوعرة. وبما أن لكل شىء نهاية فقد ذبح الفتى آخر الأغنام لديه ونفذ منه الزاد. وأصاب الإنهاك الحمير فصارت تجرجر أقدامها بالكاد على الأرض. ولم يعد بوسع الفتى أن يفعل شيئا. فوضع قدميه فى الحذاء الحديدى وأمسك بالعكاز الحديدى فى يده يتكئ عليه ومضى يسير على قدميه.

وأخذ يسير ويسير ويعبر السهول والدروب بلا راحة حتى حل به التعب تماما. وصعد إلى قمة إحدى التلال ولم يقدر على مواصلة السير. فلم تقو قدماه على الحركة وتهاوى بجسمه على الأرض وراح فى نوم عميق كالميت.

هبط الليل على المكان وساد انظلام الأرض والفتى مازال يغط فى نومه. ورأى فى منامه حلما رائعا: شاهد عجوزا وقور الهيئة ذا لحية بيضاء مثل القمر، وفى ثوب لامع براق يقترب منه ويسأله عن السبب الذى أتى به إلى هذا المكان. وحكى له الفتى عن طلب الملك وعن الأيام الصعبة المضنية التى قضاها فى السير بين الوديان والجبال. ثم تذكر قدميه اللتين فارت منهم الدماء، وظهره الذى انحنى من الألم، وصار يبكى بشدة على مصيره البائس. عندئذ قال له العجوز مهيب الطلعة: "لا تحزن ولا تبكِ يا بنى، فسوف أعاونك للخروج من محنتك. فإن النافورة الذهبية التى تتحدث عنها يقوم على حراستها الجان ليل نهار، وليس بمقدورك الحصول عليها. وسوف أعطيك هذه الثمرة من ثمار المشمش لتذهب بها إلى الملك

وتسأله عن المكان الذى يريد به النافورة. حينئذ سوف يثور الملك غاضبا ويسألك: "اين النافورة؟ ولماذا لم تحضرها؟". وبعد ذلك سوف يشير إلى المكان الذى يريد به النافورة. فاذهب إليه وقم بقذف الثمرة فى أرضه بأقصى قوتك. عندئذ سوف تنبثق من الأرض النافورة الذهبية وتنجو بنفسك من الموت. وبعد هذه الكلمات دس العجوز للفتى ثمرة المشمش المسحورة واختفى من أمام ناظريه بلا أثر كما لو أنه تبخر فى الهواء.

صحا ابن الصياد حكيم من نومه ودس يده فى لهفة بين ملابسه فأخرج منها بالفعل ثمرة المشمش. اغتبط الفتى وزال على الفور شعوره بالألم الذى أصاب قدميه وظهره. ثم هبط التلة عائدا أدراجه فى حماس وسعادة. وكان طريق العودة أسهل له بعد أن سار به وخبر دروبه.

سرعان ما وصل إلى بيته ورأى حراس الملك مع السيافين يسوقون والده وأمه على الطريق. وعرف منهم أن الملك ووزيره قد يأسا من انتظار عودة الابن بالنافورة الذهبية، فأمر الملك بقتل الصياد وزوجته. طلب الفتى من الحراس أن يطلقوا سراح والديه وذهب بنفسه إلى الملك الذى صرخ به فى غضب:

ــ أراك جئت خاوى اليدين، فأين النافورة؟

قال الفتى: جئت أسألك يا مولاى عن المكان الذى تريدها به.

اغتاظ الملك أكثر من ذى قبل وصرخ كالثور الهائج:

ــ أتحضر إلىّ فارغ اليدين ثم تسألنى عن مكانها؟ إلىّ أيها السياف.

سمع الوزير صراخ الملك فهرع مسرعا إلى الملك وقال بخبث:

ــ مولانا ملك العالم، لن تخسر شيئا لو أشرت للفتى على مكان النافورة الذى تفضله.

أشار الملك إلى أجمل بقعة بالحديقة قائلا:

ــ أريدها هنا.

ذهب الفتى إلى المكان المطلوب، وأخرج الثمرة السحرية من طيات ملابسه. ثم رمى بها على الأرض بكل ما أوتى من قوة. وفى هذه اللحظة ظهرت أمام الجميع النافورة الذهبية يحيط بها سياج من الذهب ومقاعد من الذهب أيضا. وفى منتصف النافورة تدفقت المياه الصافية كالينابيع يتطاير رذاذاها فى الهواء.

تملك الفرح من الملك وأمر الفتى أن ينقل السمكتين من النافورة القديمة ويضعهما فى النافورة الذهبية. فأمسك الفتى بهما ووضعهما فى النافورة الجديدة حيث صارتا تسبحان وتقفزان فى مياهها الشفافة.

اغتبط الملك والحاشية بالنافورة الذهبية الرائعة وصاروا يمضون أغلب أوقاتهم بالقرب منها.

إلا أن واحدا كان فى قمة الغيظ والغضب. إنه الوزير الذى أضمر الشر للفتى ومكر به، وإذا بالفتى يعود سالما غانما. فبدأ الوزير مرة أخرى يكيد للفتى مؤامرة أخرى. أما الابن فعاد إلى بيته وقص على والديه ما جرى له فى أثناء رحلته.

مر الكثير من الزمن وكبر ابن الصياد حكيم وصار شابا حلو الطلعة. وذات يوم ذهب الوزير إلى الملك وقال له:

ـ مولاى ملك العالم، لقد صرت تملك الأسماك الذهبية والنافورة الذهبية أيضا وذلك بفضل نصائحى التى أسديتها إليك. لكن بستانك مازال ينقصه شىء وحيد كى يكتمل جماله. وقد جئت إليك كى أحدثك فى أمره. فقد عرفت أن هناك جنية حسناء تعيش فى إحدى البلاد. لو أنك أمرت بالبحث عنها وإحضارها إلى البستان فسوف يصبح كامل الروعة لا ينقصه شىء على الإطلاق.

سأل الملك: ومن يمكنه القيام بهذه المهمة؟

أجاب الوزير: إنه نفس الفتى ابن الصياد العجوز حكيم الذى أحضر لكم من قبل النافورة والأسماك الذهبية.

أمر الملك بالبحث عن الفتى ابن الصياد وإحضاره على وجه السرعة.

جاء الفتى إلى القصر فقال له الملك:

ــ لقد لبيت لي مطلبين من قبل، وأريد منك أن تقوم بعمل ثالث. آمرك بالذهاب إلى بلاد الجنيات وإحضار الجنية الحسناء إلى هنا.

لم يسع الفتى الاعتراض على أمر الملك فخرج من القصر عائدا إلى بيته. ولم يعرف الابن أين وكيف يمكنه الحصول على الجنية الحسناء فحكى لوالده عن مطلب الملك الجديد.

ظل الصياد حكيم يفكر ويعمل ذهنه طويلا ثم قال:

ــ لقد أعطيت الملك كل شيء ولم تعط للوزير شيئا. لذلك فهو يتآمر عليك لقتلك والتخلص منك. وما بالأمر حيلة. فاذهب إلى الملك واطلب منه كما في السابق أن يمنحك عكازا حديديا، وحذاء حديديا، وعددا من الأغنام والحمير. وسوف يلبي الملك طلبك ويأمر بمنحك ما تطلبه. وعندما تأخذ هذه الأشياء انطلق إلى الطريق. وقد صرت شابا يافعا لديك من البأس والشجاعة قدر كبير وسوف تجد الوسيلة لتحقق مطلب الملك.

فعل الفتى مثلما أرشده والده. ولم يعترض الملك بكلمة بل أمر بإعطائه كل ما طلبه. فجلس الفتى على أحد الحمير يقود أمامه بقيتهم مع الأغنام وانطلق في طريقه المجهول.

ومضى يسير طويلا ويقطع الدروب والسهول حتى وصل أخيرا إلى إحدى القرى. ونظر وإذا بالناس من حوله يركضون وقد أحنوا رءوسهم. كان من بينهم العجائز والشباب والنساء والرجال من شتى الأعمار. كانت الحشود تضم أطفالا في السابعة من العمر وشيوخا في السبعين. وكل منهم يحمل ما وقعت عليه يديه من معاول وفئوس وجواريف وحبال، أما الأطفال فيحملون الأحجار والطوب، والنساء يحملن العصي والشوم.

سأل الفتى فى دهشة:

ـــ ماذا جرى؟ وإلى أين تذهبون جميعا؟

لكن أحدا لم يجبه بشيء. فسأل آخر وثالث بلا جدوى. فقد كان الجميع مسرعين فى عجلة من أمرهم.

وكان هناك طفل فى السابعة يركض خلف الناس فاقترب منه الفتى على حماره وسأله:

ـــ أخبرنى إلى أين يركض الجميع؟

رد الطفل قائلا:

ـــ لقد ظهر فى بلدنا لص عريق فى الإجرام، استطاع أن ينهب الكثير من أملاك السادة والباشوات حتى أفقرهم. ولم يقدر أحد على الإيقاع به من قبل. لكنهم نجحوا أخيرا فى الإمساك به ويندفع الناس لقتله.

لم يطل التفكير بالفتى حتى أدار حماره وانطلق هو الآخر يتبع الحشود من الناس وهو يسوق أمامه قطيعه من الأغنام والحمير. وبعد أن وصل إلى المكان المطلوب رأى مشنقة منصوبة يتدلى الحبل من فوقها والناس يلتفون من حولها بأعداد غفيرة. وأسفل المشنقة وقف أحد الأشخاص والحبل حول عنقه. وقد وقف الرجال والصغار يحملون المعاول والفئوس ومعهم النساء يحملن العصى والجميع يحاصرون اللص فلا تطرف أبصارهم عنه ولا يتركون له مجالا للحركة.

دفع الفتى بالأغنام والحمير إلى جانب الطريق واخترق الحشود إلى اللص.

وتحدث الناس للفتى عن مهارة اللص ومكره فى السرقة وفى الجرى والهرب. فإنه حقا زعيم اللصوص جميعا. إذا ركض فى الطريق لا يمكن لأحد أن يدركه. وفى الإفطار يمكنه التهام أربعين خروفا.

لكن اللص كان واقفا لا حول له ولا قوة، ولا يمكنه حتى أن يتحرك قيد أنملة من مكانه. فالحبل يلتف حول رقبته بإحكام.

صاح الفتى فى الجموع المحتشدة حول المشنقة لشنق اللص وقال لهم:

ـــ لا داع لأن تقتلوه. بل أخبرونى بكم تبيعوننى إياه؟

هتف أحد الحاضرين من الأثرياء قائلا:

ـــ لا يمكننا القبول بعرضك هذا، فحتى لوبعناه بعشرين أو أربعين خروفا، فسوف يسرقهم منا بعد ذلك ويواصل جراءمه كل ليلة. والتخلص منه هو الحل الوحيد لذلك.

لكن بعض الفقراء قالوا:

ـــ وماذا نربح من وراء موته؟ أليس من الأفضل أن نبيعه إلى هذا الفتى؟

واحتدم النقاش والشجار بين الأثرياء والفقراء حول قتل اللص أو بيعه. وفى نهاية الأمر أعطاهم الفتى كل ما لديه من الحمير والأغنام مقابل اللص وحرره من القتل.

وما إن فكوا الحبل من رقبة اللص حتى صار يضحك مقهقها: "هاهاهاها". ثم خرج من بين الحشود وضحك ثانية: "هاهاهاها". وبعد ذلك أطلق ساقيه للريح حتى اختفى عن الأنظار.

خرج الفتى من بين الجموع بعد أن فقد أغنامه وحميره. ووضع قدميه فى الحذاء الحديدى وأمسك بالعكاز الحديدى يتكئ عليه، ثم مضى فى طريقه البعيد.

ولنذهب إلى اللص ونشاهد ما جرى له. فبعد أن ركض بعيدا سار يفكر فى نفسه: "ما الذى دفع هذا الفتى لإنقاذى من الموت؟ وما السر وراء ذلك الأمر؟".

وطال تفكيره فى الأمر دون أن يعرف السبب. فعاد يبحث عن الفتى حتى عثر عليه وصار يسأله عن موطنه ومقصده. فحكى الفتى للص حكايته.

عندئذ قال اللص:

ـــ اجلس فوق كتفى.

جلس الفتى على كتفى اللص الذى انطلق به مسرعا كالسهم بأقصى قوته. ولم يمض وقت طويل حتى وصلا إلى بيت مرتفع من الحديد. فتح اللص البوابة الحديدية للبيت ودلف إلى الفناء. ثم قام بذبح أربعين خروفا وأخذ يأكلهم. لم تمض برهة ونظر الفتى فلم ير أمامه سوى عظام الخراف.

ونال اللص قسطا من الراحة ثم قال للفتى:

ـ سوف أحضر لك الجنية الحسناء، فانتظرنى هنا.

قال كلماته هذه وقفز خلف الفناء مسرعا حتى اختفى. وظل اللص يركض طويلا مثل الريح حتى وصل إلى قصر يحيط به سور عال. كان هذا القصر مسكنا للجنية الحسناء.

اقترب اللص من بوابة وطرقها برفق ثم توارى جانبا.

وفجأة خرج جنى مرعب يتلفت فى المكان، فباغته اللص وقتله بضربة واحدة. ودخل بعد ذلك إلى فناء القصر حيث حاصره أربعون من الجان الأشداء. ودخل اللص فى عراك عنيف معهم حتى صرعهم جميعا. وصعد إلى إحدى الحجرات حيث جلست الجنية الحسناء. لم تر الجنية بشرا منذ زمن طويل فسألت زعيم اللصوص عن الطريقة التى وصل بها إليها. وحكى لها اللص عن كل شىء من البداية وحتى وصوله إليها. ثم رافقها إلى خارج القصر وذهب بها إلى الفتى.

وأصبح على الفتى العودة إلى موطنه. فأعطاه اللص فرسا سحريا ليركبه مع الجنية. إلا أنه حذره قائلا:

ـ عليك ألا تلمس اللجام بأى حال من الأحوال.

واختفى اللص من أمامهما. وامتطى الفتى صهوة الفرس ومد يديه إلى الجنية الحسناء يساعدها على الركوب خلفه فلامست يديه اللجام دون قصد. وفجأة [illegible] رياح عاتية وارتفع الغبار فى الهواء. وظهرت ثلاثة طيور من الحمام فى

الفضاء قبضوا على الفتاة وارتفعوا بها فى الهواء محلقين حتى اختفوا بها فوق جبل ودخلوا فى أحد الكهوف.

وقف الفتى حائرا لا يدرى ما الذى عليه أن يفعل كى يعثر على الفتاة. فى هذا الوقت كان اللص مازال قريبا من المكان وشاهد ما جرى فعاد مسرعا إلى الفتى يسأله عن الاتجاه الذى طار نحوه الحمام بالفتاة. فحكى الفتى لص عما جرى وأشار له عى الكهف الذى طاروا إليه. فركض اللص إلى الكهف وصار يصرخ:

ـــ اخرجى إلىَّ أيتها الجنية الطيبة فإننى هنا فى انتظارك.

لكن الجنية لم تستطع أن تجد طريقها للخروج فى الظلام الدامس. فشرح لها زعيم اللصوص الوسيلة للخروج من الكهف. وخرجت الفتاة وقالت:

ـــ لا يمكننى الذهاب مع الفتى لأن الجان يلاحقوننى.

رد اللص قائلا: حسنا، انتظرى حتى يظهر الجان ثم اسأليهم قائلة: "لماذا يملك الناس أرواحا داخل أجسامهم بينما أرواحكم أنتم فى مكان آخر غير أجسامكم؟". وعندئذ سوف يصمتون. فاسأليهم مرة أخرى عن المكان الذى تختبئ فيه أرواحهم. فإذا لم يخبروك انخرطى فى البكاء واطلبى بإلحاح أن تعرفيه. وسوف يضطرون لإخبارك بسرهم الدفين. فاخرجى إلىَّ وأطلعينى على هذا المكان.

ولما انتهى اللص من تلقين الفتاة كلماته، عاد إلى الفتى مرة أخرى.

عندما ظهر الجان للفتاة سألتهم عن مكان أرواحهم فخشوا أن تقوم ضدهم بسوء. وتناقشوا بالأمر فيما بينهم حتى وصلوا إلى قرار: "ماذا بوسع هذه الفتاة الضعيفة أن تفعل لنا؟ ليس هناك شيء نخشاه". ونادى الجنى الأكبر على الفتاة وخرج معها إلى مدخل الكهف. ثم أشار لها إلى المكان قائلا:

ـ هناك أسفل هذه الشجرة الكبيرة توجد عين ماء. بداخل العين يرقد صندوق به أرواحنا. ومن يذهب إلى العين ويهز الماء بيديه تخرج إليه سمكة ذهبية وتهز ذيلها وتقذف بالصندوق إلى خارج الماء.

فرحت الفتاة ودعت الجان إلى الخمر. فشربوا منه وعبّوا بطونهم حتى الثمالة. وراحوا جميعا فى سبات عميق. حينئذ خرجت الجنية من الكهف وحكت للص عن المكان الذى يحتفظ فيه الجان بأرواحهم.

أسرع زعيم اللصوص إلى الشجرة الكبيرة ورفسها بقدمه رفسة هائلة أطاحت بها عن الأرض وظهرت أسفلها عين للماء. ثم دفع الماء بيده فخرجت سمكة ذهبية تسبح وحركت ذيلها فألقت بصندوق على الأرض. كسر اللص الصندوق وأمسك بأرواح الجان فى يديه وركض كالريح نحو الفتى. وأخذ الجان يركضون ويصرخون من الألم ويصيح أحدهم متأوها: "لقد كسر ظهرى". وآخرون يقولون:"إن رءوسنا تكاد تنفجر". وهرعوا جميعا إلى اللص ساجدين أمامه على الأرض وهم يرفسون بأقدامهم. وتوسلوا إليه قائلين:

ـ كن رحيما بنا ولا تقتلنا، وسوف نلبى كل أوامرك ونطيعها.

صاح اللص متوعدا:

ـ ابحثوا فورا عن الجنية وأحضروها إلى هنا، وإلا تهلك أرواحكم.

وفى لمح البصر اختفى الجان. ولم تمر ثوان حتى ظهروا مرة أخرى ومعهم الجنية الحسناء. أعطى زعيم اللصوص للجنية أرواح الجان. ثم رافقها مع الفتى إلى طريق العودة وودعهم.

وأخيرا عاد الفتى إلى قريته وراح لبيت والده حكيم.

سمع الملك بخبر عودته فأمر بإحضار الجنية إلى القصر على وجه السرعة. لكن الفتى لم يرغب فى التنازل عن الفتاة للملك. عندئذ أمر الملك جنوده

بالقبض على الفتى وربط يديه وقدميه وإحضاره إلى القصر حيا أو ميتا ومعه الجنية الحسناء. واضطر الفتى أن يختبئ مع الجنية بين أحراش الغابة ومستقعاتها.

فى هذا الوقت عرف زعيم اللصوص أن جند الملك يبحثون عن الفتى وقد أوشكوا أن يقبضوا عليه. فانطلق بكل عزمه لنجدة صاحبه. أما الجنية فقبضت بيدها على أرواح الجان وأخذت تعتصرهم. وفى لمح البصر ظهر الجان أمامها فأمرتهم بصد هجوم الجنود. ونشبت معركة حامية الوطيس بين الجان وبين الجنود الذين كثر عددهم ومال النصر إلى جانبهم بعد أن خارت قوى الجان. وفى هذه اللحظة ظهر على الساحة زعيم اللصوص الذى فتك بقوات الملك وأعمل فيهم القتل. وبعد هزيمة الجنود مات الملك ووزيره فى المعركة شر ميتة. وصار ابن الصياد حاكما على البلاد وتزوج من الجنية الحسناء.

وتاب اللص عن الإجرام والسرقة وعمل فى خدمة الملك الصغير. وهكذا سعد الجميع وتحققت أمانيهم وأحلامهم.

سوسامبل



يحكى أنه فى قديم الزمان، عاش فى أحد البلدان، حمار وثور متجاورين. كان الثور فى اليوم الواحد يحرث مساحة من الأرض لا يقدر الحمار على حرثها فى ثلاثة أيام. وعندما يحل المساء يدخل الثور إلى الحظيرة منهكا خائر القوى،

فلا يجد سوى حزمة من الأعشاب اليابسة طعاما له. أما الحمار فلم يقم بأى عمل على الإطلاق. بل كان يظل راقدا تحت أشعة الشمس طوال اليوم يستمتع بدفء حرارتها. وكان الحمار إذا عطش يصبون له اللبن وليس الماء، وإذا جاع يضعون له البرسيم الريان النضر وليس العشب الجاف.

فى أحد الأيام عاد الثور من العمل إلى الزريبة منهكا يجرجر أقدامه بالكاد من الإعياء. ثم وقف أمام معلفه يتناول منه الطعام، وصار يمضغ ويمضغ الأعشاب الجافة بصعوبة شديدة حتى لم يستطع أن يواصل تناولها. فهتف قائلا للحمار:

ـ أنت هناك أيها المحترم، أعطنى قليلا من طعامك، فأنا لا أقدر على تناول المزيد من هذه الأعشاب التى تؤلم حلقى وأبلعها بمشقة بالغة.

أشفق الحمار على الثور وأعطاه طعامه النضير ليأكله. ثم دلف المالك إلى الزريبة ونظر فلم يجد أمام الحمار طعاما.

ـ انظروا إلى حمارى كيف التهم طعامه، أحسنت أيها الحمار ـ قال المالك ووضع للحمار المزيد من البرسيم. ونظر بعد ذلك إلى معلف الثور وصرخ:

ـ أما أنت أيها الحيوان فلماذا لم تأكل طعامك؟ هل تنوى النوم غدا؟ ومن الذى سوف يخرج إلى الحقل ليحرث الأرض؟ هل هى والدتك يا ترى؟

تناول المالك عصى غليظة وأخذ يضرب بها الثور حتى تطاير الغبار من جلده.

ومنذ هذا الوقت صار الحمار يعطى للثور قسطا من عشائه كل يوم.

ذات مرة تسلل المالك إلى الزريبة وتلصص بنظره إلى داخلها، وإذا بالثور يأكل من طعام الحمار الذى وقف راضيا يقول: "كل بالهناء والشفاء أيها المبجل".

تملك الغيظ من المالك وهجم بالعصى على الحمار يضربه قائلا:

ـ أيها الحمار الخبيث، أسمنت من الشبع حتى صرت توزع الطعام هنا وهناك وتعطيه لهذا الثور العاطل؟ حسنا حسنا.

أشبع المالك الأصدقاء ضربا قبل أن يتركهم ويخرج.

وفى صباح اليوم التالى قال:

ــ هيا تفضل واخرج أيها السيد الحمار، لقد حان دور فخامتك لحرث الأرض.

ثم ربط المالك المحراث إلى رقبة الحمار، ودفعه إلى الحقل.

وظل الحمار يحرث الأرض حتى تصبب منه العرق . أما الثور فجلس مسترخيا يستمتع بدفء أشعة الشمس.

فى المساء قاد المالك الحمار وربطه إلى معلفه. ثم ألقى إليه بحزمة من الأعشاب اليابسة. ووضع فى معلف الثور كمية من البرسيم الطازج.

تململ الحمار وقال:

ــ أيها الصديق، لقد أشفقت عليك عندما كنت جائعا، وها أنت ترى حالى البائس، فأعطنى ولو قليلا من البرسيم الطرى آكل منه.

لكن الثور أعماه البخل ورد قائلا:

ــ انظر بنفسك إلى كمية الطعام القليلة التى لا تكفينى وحدى، فكيف يمكننى أن أعطيك منها؟

استسلم الحمار المسكين لقدره التعيس. وأصبح المالك يسحبه كل يوم ليحرث الحقل.

سمن الثور الذى كان بالأمس هزيلا بارز الضلوع. أما الحمار فقد أصابه الهزال وأصبح مثل الغصن اليابس بعد أن كان ممتلئا بالعافية.

وهكذا ساءت حال الحمار. وفى أحد الأيام قال للثور:

ــ أخبرنى أيها الثور ماذا أفعل؟ كيف يمكننى الخلاص من هذا العذاب؟ إن المالك لا يكف عن ضربى طوال اليوم حتى لم تبق فى جسدى نتفة حية.

نصحه الثور قائلا: فى الغد عندما يربطونك إلى المحراث لا تتحرك من مكانك وسوف يرق الملك لحالك ويقول: "لقد تعب حمارى المسكين" ــ ويمنحك بعد ذلك إجازة للراحة.

في الصباح ربط المالك المحراث إلى الحمار الذى لم يتزعزع من مكانه.

ــ هيا تحرك أيها الحيوان ــ صرخ المالك وانهال بالضرب على الحمار الذى لم يتحمل الضرب وانطلق خارجا.

فى المساء قاده المالك إلى الزريبة وربطه هناك. رقد الحمار منهكا وفكر فى نفسه:

ــ"آخ ، سوف أترك كل شىء وأهرب من هنا إلى أى مكان تأخذنى إليه قدماى"

وقفز الحمار من مكانه حتى انقطع الحبل المربوط به. ثم فر هاربا إلى الطريق.

لنترك الحمار يركض فى طريقه ولنستمع الآن إلى حكاية الديك.

كان هناك طحّان بخيل يحتفظ بديك ودجاجة. ولم يكن يعطيهما ولا حبة قمح واحدة ليأكلا. فكان الديك والدجاجة يتجولان فى الفناء يلتقطان الحبوب الواقعة سهوا من الطحّان حتى يشبعا.

فى يوم من الأيام دخل الديك إلى المطحنة وصار يلتقط حبوب القمح بمنقاره ويأكلها.

ــ هشش من هنا أيها الملعون ــ صرخ الطحّان وقذف الديك بعصى كان يمسكها فى يده. سقط الديك من الضربة وصرخ من الألم:

"كوكوكو".

وقفز الديك من فوق السور هاربا إلى حيث تقوده قدماه.

سار الديك على الطريق وسار حتى رأى الحمار. فحياه الديك وقال:

ـــ سلام عليك أيها الحمار.

رد الحمار: سلام عليك إلى أين تمضى أيها الديك؟

ـــ أنوى الذهاب إلى سوسامبل.

سأل الحمار: وما هذا المكان الذى يسمى سوسامبل؟

أجاب الديك: إنه موطن المراعى الخضراء والمياه الصافية والأعشاب النضيرة، إنه مكان للراحة والاستجمام حيث لا تضطر إلى العمل على الإطلاق.

وسارا الاثنان معا يشكو كل منهما للآخر ما تعرض له وما مر به من آلام وأحزان. وسارا طويلا طويلا حتى وصلا أخيرا إلى السهل الممتد.

سارا فى السهل وفجأة طارت نحلة فوق الحمار وقرصته فى رقبته. صرخ الحمار غاضبا:

ـــ خسئتى أيتها النحلة، ما الذى أعجبك بى حتى تقرصيننى؟ لقد ذاب الدهن من على جسمى، وجفت السوائل فيه، وأصبحت رقبتى فى نحافتها مثل عود القصب، ومهما تقرصيننى لن تجدى منى فائدة ترجى، ويبدو أن حظك عاثر مثل حظنا. ومن الأفضل لك أن تمضى معنا.

ـــ وإلى أين تذهبون؟ سألت النحلة.

ـــ إلى سوسامبل

ـــ وما هذا المكان الذى يسمى سوسامبل؟

ـــ إنه موطن المراعى الخضراء والمياه الصافية.

ـــ إذن سوف أطير وأصاحبكم إليه.

ـــ هيا طيرى معنا.

ـ لدى بعض الأصدقاء، هل يمكنني أن أناديهم لأصطحبهم معى؟

ـ نعم يمكنك.

وهنا سمع الديك والحمار صوت أزيز فى السماء. ونظرا يتطلعان فإذا بسرب من النحل يسير من خلفهم. وهكذا انطلق الجميع فى الطريق إلى سوسامبل.

لنتركهم يسعون فى طريقهم ولنستمع إلى شىء آخر.

عاش فى السهل سنجاب مع زوجته. ولم ينجح الرفيقان فى الحصول على طعام لهما. فكانا يخرجان كل يوم ويجدّان فى البحث بعيدا بكل شبر من الأرض، ويحفران التربة فلا يعثران على أى شىء يؤكل.

فى نفس هذا اليوم قال السنجاب الزوج لزوجته:

ـ هيا بنا يا عزيزتى نخرج اليوم إلى الطريق، فربما يحالفنا الحظ ونقابل بعض عابرى السبيل فنطلب منهم بعض الطعام.

خرج الرفيقان إلى الطريق. وسرعان ما ظهر أمامهم الحمار والديك يسيران فى همة ومن فوقهم يطير سرب النحل.

سأل السنجابان العابرين طعاما.

توقف الديك وقال:

ـ ويح لكم أيها الأصدقاء، إنكم إذن جائعين مثلنا، تتسكعون فى الطرقات بحثا عن الطعام. فإذا رغبتم فى الحصول عليه حقا انضموا إلينا فى سيرنا.

سألت السناجب: وإلى أين أنتم ذاهبون؟

ـ نحن ذاهبون إلى سوسامبل.

ـ وما هذا المكان؟

ـ سوسامبل هو موطن المراعى الخضراء والمياه الصافية.

أجابت السناجب: إذن فنحن بالطبع سوف نذهب معكم.

سار الجميع على الطريق وساروا. وفجأة سمعوا صوت أحد يصرخ من بعيد ويقفز نحوهم بهمة ونشاط.

توقف الجميع ينظرون وإذا بالثور يأتى مهرولا وينحنى أمامهم يحييهم قائلا:

ـــ سلام عليكم، إلى أين تقصدون أيها الأصدقاء؟

ـــ نحن قاصدون سوسامبل.

ـــ وما هذا المكان المسمى بسوسامبل؟

ـــ إن سوسامبل هى موطن المراعى الخضراء والمياه الصافية والعشب النضير.

قال الثور: إذن فطريقكم هو طريقى.

سأل الحمار: ما الذى جرى لك أيها الثور المبجل؟ لقد كنت تعيش فى أحسن حال من الشبع والترف عندما غادرتك.

حينئذ بدأ الثور يقص حكايته وقال:

ـــ بعد رحيلك أخذنى المالك إلى حلبة القتال ضد أحد الثيران. واستطعت أن أهزمه. فأخذنى المالك بعد ذلك لمصارعة ثور آخر. وهزمته أيضا لكن بصعوبة بالغة. ثم صرت أفكر: "إن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، ولن ينفك المالك يقيم المصارعات بينى وبين الثيران واحدا بعد الآخر حتى يصرعنى أحدهم فى نهاية الأمر".

وذات مرة عندما كنت نائما فى الحظيرة رأيت مناما مخيفا. شاهدت فيه ثورا هائل الحجم يتقدم نحوى ويصرخ فى قائلا:" أه .. لقد وقعت أخيرا فى يدى وسوف ألقنك درسا لن تنساه". وحينئذ تراجعت قليلا إلى الخلف ثم باغتته بنطحة

قوية أطاحت به فى الهواء وهو يعوى من الألم. صحوت من النومى ونظرت أمامى وإذا بالمالك قد تكوم على الأرض وقدماه مرفوعتان نحو السماء. وانجلى الحلم وبان أن السيد المالك قد جاء إلى الحظيرة ليضع لى الطعام فقمت بنطحه فى أثناء المنام. وما إن عاد المالك إلى رشده حتى نهض فربطنى إلى القائم وانهال علىّ ضربا بالعصى. وظل يضربنى حتى تشققت فروتى وتسلخت كلها. وتملك الغضب منى فتسللت بهدوء خارجا إلى الطريق دون أن أنطق بكلمة واحدة ـ بذلك انتهى الثور من قص حكايته.

هكذا سار الجميع معا فى طريق واحد. الثور والحمار والديك والسناجب وسرب النحل يحلق من فوقهم.

صاروا يقطعون الطرقات والدروب ويعبرون الجبال والسهول. ومضى عليه زمن طويل وهم يجدون فى طريقهم حتى وصلوا أخيرا إلى سوسامبل.

امتد أمام ناظرهم الوادى الرائع بعشبه الأخضر وهوائه النقى. حيث نمت ثمار الشمام وتدلت عناقيد العنب من فوق الغصون بجانب أشجار التفاح والكمثرى وجميع الفواكه والثمار الأخرى التى عرفها العالم. فهنا تتلألأ سنابل القمح والشعير بغزارة كبيرة. وهناك يزدهر البرسيم بأزهاره اليانعة فى مساحات شاسعة. وكل شىء موجود بوفرة لا مثيل لها.

استقر المقام بأصحابنا الرحالة فى سوسامبل. ومضت حياتهم فى رغد وهناء. فلا أحد يضربهم ولا أحد يسبهم. يقوم الثور مع الديك بجمع القمح. وينقله الحمار على ظهره إلى السناجب التى تقوم بتخزينه. أما النحل فيدور بين الأزهار يمتص منها الرحيق ويصنع العسل.

وعاش الثور مع الحمار والديك والسناجب والنحل فى سعادة وسرور لا يعرفون الهموم والأحزان.

لنترك أصحابنا هانئين بحياتهم ولنستمع الى شىء آخر.

فى الطرف الآخر من سوسامبل كانت هناك جبال ذات قمم عالية تغطيها الثلوج. وفى هذه الجبال عاش الكثير من الذئاب.

فى أحد الأيام اجتمع كبار القطيع من الذئاب وذهبوا إلى مقر ملكهم الواقع فى أعلى الجبال. جلس الجميع أمامه وشكوا له قائلين:"إن أحوالنا قد ساءت بدرجة كبيرة، فقد اختفت من الجبال جميع الجديان والعنزات البرية بعد أن التهمناها. ونحن الآن نعانى من الجوع الشديد".

وفجأة نظر الملك من جبله العالى فرأى الثور والحمار والديك يتجولون فى حقول سوسامبل يجمعون سنابل القمح.

ـ هاهاها ـ ضحك ملك القطيع وقال:"ها هو الكباب يسير على أقدامه أمامكم".

قفزت الذئاب وهى تزمجر تنظر إلى الناحية التى أشار إليها الملك. وصار اللعاب يسيل من أفواهها.

قال الملك: فليهبط إلى الوادى عشرة من الذئاب الشجعان ويأتوننا بالكباب إلى الجبل.

انتفض ذئب مغرور بنفسه وهز ذيله المنفوش قائلا:

ـ أيها الملك المبجل، ليس من المقبول أن نرسل عشرة ذئاب للإمساك بثور وحمار وديك، اسمحوا لى وأنا أذهب وأحضرهم إلى هنا بمفردى.

قاطع حديثه ذئب آخر وقال: أنت لا يمكنك أن تقوم بهذه المهمة أيها الواهم ومن الأفضل أن أذهب أنا للإمساك بهم.

وهنا اشتبك الذئبان فى شجار وعراك حتى صرخ الملك فيهما وقال:

ـ كفا عن الشجار فورا. ولتذهبا معا للقيام بالمهمة. وليبدأ الآخرون فى الإعداد للكباب وتحضير المائدة وإشعال النار.

اندفع الذئبان في سعادة وانطلقا إلى وادى سوسامبل.

نهق الحمار صارخا: "حا حا حا، الذئاب الذئاب، هيا اهربوا وانجوا بأنفسكم". وهمّ الحمار بالهروب من مكانه.

ثم صاح الديك: كوكاريكو وقفز فوق ظهر الحمار وقال: "قف أيها الجبان وثق فى حوافرك المتينة".

قال الثور: لكن ما الذى يمكننا أن نفعله؟ فالذئاب كثيرة وأسنانها كالحديد.

قال الديك: يمكننا فعل الكثير، فالثور له قرون جبارة يمكنه أن ينطح بها، والحمار حوافره قوية يستطيع أن يرفس بها، وللنحل إبر حادة قادر على أن يلدغ بها، والسناجب تحفر الجحور تحت أقدام الذئاب حتى يتعثروا فى سيرهم. والآن هل عرف كل منكم المطلوب منه؟

ـــ وأنت أيها الفصيح، ما الذى ستفعله؟ ـــ سأل الحمار وقدماه ترتعدان من الخوف.

ـ أنا أقود المعركة وأوجهكم. كوكاريو كوكاريكو.

فى هذا الوقت وصل الذئبان أمامهم. وقال أحد الذئبين للآخر وهو يشير إلى الحمار:

ـــ عليك أنت بهذا الحمار وأنا سأتكفل بالآخر. أشار الذئب برأسه إلى الثور وانقض عليه يهاجمه.

تراجع الثور إلى الخلف بضعة خطوات، ثم نطح الذئب بقرنيه نطحة قوية أطاحت به فى الهواء ثم وقع على الأرض وتدحرج سبع مرات.

أما الذئب الآخر فقد هجم على الحمار. لكن الحمار دار بسرعة حتى واجهه بمؤخرته ورفسه رفسة هائلة بحافريه أطاحت به حتى انقلب على الأرض سبع مرات.

وهنا جاء دور النحل الذى انقض على الذئبين يلدغهم فى أنوفهم وعيونهم وألسنتهم. شعر الذئبان بالعجز والهزيمة وبأنهما مشرفان على الهلاك ففرا يركضان من المعركة. لكنهما صارا يتعثران فى كل خطوة بالأرض بسبب الجحور التى حفرتها السناجب تحت أقدامهما حتى تكسرت عظامهما من الوقوع وخرجو بالكاد من الوادى.

فى هذا الوقت جلست الذئاب فى الجبال تنتظر عودة الذئبين الجسورين اللذين أرسلهما الملك. وصارت الذئاب تعد للوليمة المرتقبة واللحم المشوى. فأشعلوا النار وقطعوا شرائح البصل وجهزوا المائدة بكل ما تحتاجه وجلسوا ينتظرون.

وفجاة شاهدوا المبعوثين الجسورين يعودان أدراجهما ويجران أذيال الخيبة والعار وقد غطت الدماء والكدمات وجهيهما. سأل الملك فى لهفة:

ـــ ماذا جرى؟

أجاب المبعوثان: أه أيها الملك لو تدرى هذا الذى رأيته ليس كباب يسير على قدمين، بل إنه الموت بعينه.

وأخذ كل منهما بالتتابع يحكى ويقص ما جرى له من أهوال.

قال الذئب الثانى: لقد كانت محنة حقيقية فقد رأينا ملاك الموت عزرائيل وهو يسير هناك حاملا عصا حديدية إذا ضرب بها أحدا لا يقوم قبل أن يدور على الأرض سبع مرات.

قال الذئب الأول: إن هذا لا شىء بالنسبة لما رأيته فقد هجم على مقاتلون أشداء، ما إن ينغزوك بإبرهم الحادة حتى يرتعد جسمك كله من شدة الألم.

هتف الثانى: والأدهى من ذلك أنهم اصطحبوا معهم حفارين القبور الذين حفروا لكل منا عشرة قبور أو أكثر ونحن لم نمت بعد، وكانت أقدامنا تغوص فى تلك الحفر حتى خرجنا منها بالكاد.

قاطعه الأول قائلا:

ـ كما أن لديهم نافخ للبوق، ظل واقفا على إحدى الأشجار ينفخ فى بوقه حتى كاد يصيبنا بالصمم.

أصاب الفزع الذئاب مما سمعوه. وخاف الملك هو الآخر وانتابه الهلع والرعب. فقال:

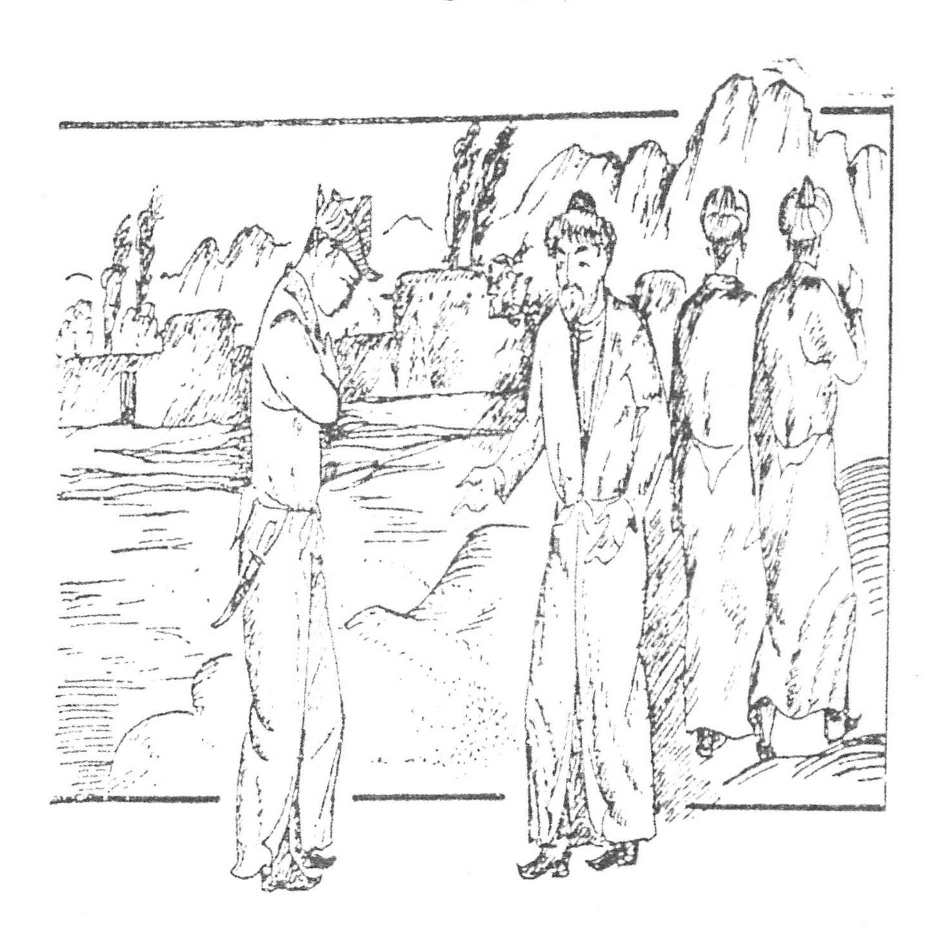
ـ والآن ما الذى يمكننا فعله؟ هل نذهب جميعا ونهاجمهم معا؟

ردت الذئاب: لا أيها الملك لا داع لأن نتورط فى معركة خاسرة، فحتى لو اجتمعت معنا كل ذئاب الأرض لن يمكننا تحقيق النصر عليهم، فهم ليسوا بمفردهم كما يبدو لكم، بل إن هناك قوى خفية تساعدهم.

ـ إذن فمن الأفضل لنا أن نغادر هذا المكان وبأسرع وقت ـ قال ملك الذئاب كلمته وفر مسرعا كالسهم ومن خلفه ركضت بقية الذئاب هاربة فى الجبال.

لم يعد للذئاب أثر فى سوسامبل. وعاش أصحابنا حياتهم فى سكينة وسعادة وتحققت كل أمانيهم وأحلامهم.

صاحب جان وأحمد جان



في سالف العصر والأوان. عندما كان الذئب هجاما، والثعلب متلصصا، والغراب عازفا، والعصفور نماما، والسلحفاة وزانة، والخنزير البرى جزارا، والضفدع بصاصا، عاش فى هذا الزمن البعيد رجل عجوز لا هو بالشبعان ولا هو بالجوعان مع زوجته العجوز. عاش الاثنان فى فقر شديد. وكان لديهم حوش به

زير متواضع من الفخار لا أكثر ولا أقل. كان العجوز يرتزق من صيد السمك وزوجته تخرج إلى البيوت لتنظيفها. وهكذا عاشا الاثنان معا. ولم يكن لديهما أبناء وكانوا يتمنون بشدة لو أن الله أنعم عليهما بطفل.

وفي أحد الأيام قال العجوز لزوجته:

ـ يا زوجتى العزيزة، لقد بلغت الخامسة والخمسين من العمر، وأنت قد بلغت الخمسين وليس لدينا أولاد ولا بنات. فماذا يكون مصيرنا عندما نهرم ونشيخ ولا نقدر على الخروج إلى العمل؟ ومن سوف يشعل الشموع فوق قبرينا بعد موتنا؟ فهيا نبتهل إلى الله متوسلين وراجين أن يرأف بحالنا ويرزقنا بطفل.

وظل العجوز وامرأته يبتهلان طويلا إلى الله داعين أن يرزقهما بولد. واستجاب الله إلى دعائهم وأنجبت العجوز طفلا أسمته صاحب جان.

كاد العجوز أن يطير من الفرح والسعادة وقال لزوجته:

ـ لقد تحققت أمنيتنا وجاء حلمنا وأصبح حلمنا حقيقة واقعة. فلنربى ابننا كما ينبغى. فالناس يقولون إن الأخيار يخلفون إنسانا، وغيرهم يتركون من وراءهم العويل والألم. وإذا أنشأناه على نحو طيب فسوف يذكرنا الناس بالخير. ولو أنشأناه على نحو سيئ فسوف يلعننا القوم.

أدركت الزوجة العجوز المغزى الحقيقى من وراء تلك الكلمات وتغلغلت أصداؤها فى أعماق روحها.

وبعد الولادة عاد الشباب والحيوية من جديد يدبان فى أوصال العجوز وزوجته. وشعرا بالنشاط يسرى فى أقدامهما وبالقوة فى أيديهما. وازداد حب العجوز لعمله فى صيد السمك، وفاض الخير بالبيت ولم يكن به شيء ينقصه.

ومضى صاحب جان ينمو ويترعرع ببطء حتى بلغ السادسة عشرة من العمر. فأصبح فتى يافعا عريض المنكبين رشيق القوام ملء العين والبصر.

وفى ذات مرة قال العجوز لابنه:

ـ لقد هرمت الآن تماما وصرت كهلا يا بنى وصار من اللازم عليك أن تخرج معى إلى الصيد. وسوف ألقنك فنون الصيد وأسراره. وفى نفس الوقت تستمتع بالهواء النقى فى الحقول على الشاطئ.

ـ حسنا يا أبى، سوف أخرج معك إلى النهر وأقوم بكل ما تطلبه منى.

وخرج العجوز وابنه إلى النهر حاملين الشباك للصيد. كان الهواء صافيا، وكست الخضرة أرجاء المكان وارتفع فى الفضاء شدو البلابل والعصافير. وانسابت مياه النهر الزرقاء يترقرق سطحها فى هدوء.

سار الاثنان بحذا النهر حتى وصلا إلى شجرة كبيرة ظليلة فأخذا مكانهما أسفلها. وقال العجوز لابنه:

ـ هنا سوف نجلس لنصطاد السمك.

ثم فرد شباكه ورمى بها بعيدا فى النهر. وبعد برهة من الزمن جذبها من الماء لكنها كانت خاوية فألقى بها مرة أخرى فى الماء. وعندما حاول جذبها من جديد وجدها ثقيلة للغاية حتى إنه لم يقدر بمفرده على رفعها فنادى على ابنه:

ـ تعال إلىَّ وساعدنى يا صاحب جان يا ولدى.

أسرع صاحب جان إلى والده يساعده لكنهما لم يقدرا على جذب الشبكة معا. جاهد العجوز وبذل قصارى جهده حتى سال العرق من على جبهته بلا جدوى فهتف يقول:

ـ آخ، لقد أصابنى الإنهاك والتعب. لابد من أن حوتا قد وقع بالشبكة.

ربط العجوز أحد طرفى الشبكة بالشجرة وقال لابنه:

ـ لا تفلت الطرف الآخر من يدك يا بنى، وسوف أذهب إلى القرية فى طلب المساعدة. لأننا بمفردنا لن ننجح فى إخراجها أبدا.

قال العجوز ما قاله وذهب إلى القرية.

وجلس صاحب جان على ضفة النهر يتطلع إلى الحشائش الخضراء الزاهية والأشجار الباسقة التى نمت على الشاطئ. وصار ينظر إلى ماء النهر يدفعه التيار فى هدوء ودعة. وفجأة أحس بحركة فى الشبكة. ورأى سمكة صغيرة عالقة بها تنظر إلى صاحب جان بحزن والدموع تترقرق فى عينيها.



أشفق صاحب جان على السمكة وفكر فى نفسه: "إنها مازالت صغيرة مثلى تماما، ولابد من أن لها أهل ينتظرون عودتها إليهم لكنها لن تعد. فلأطلق سراحها وأنقذها كى تسعد بحياتها". وفعل صاحب جان ما قرره فقطع طرف الشبكة المربوط بسكينه.

قفزت السمكة بحرية فى سعادة ودارت فى الماء بالقرب من أقدام صاحب جان، ثم غطست فيه حتى اختفت.

بعد برهة من الزمن عاد الوالد يرافقه اثنان من الفلاحين. ونظر العجوز فلم ير أثرا للشبكة فسأل ابنه بدهشة:

ـــ أين راحت الشبكة؟

أجاب الفتى:

ـــ لقد أشفقت على السمكة عندما رأيتها حبيسة تحاول الفكاك والخروج فأطلقتها.

أصاب الحزن العجوز وقال الفلاحان اللذان حضرا للمساعدة:

ـــ إذا كان للأهل ولد واحد فهو ينشأ إما شجاعا ذكيا، أو جبانا غبيا. ويبدو أنه من الصعب عليك أيها العجوز أن تربى ابنا وأنت فى هذا العمر الكبير. فبدلا من أن يساعدك فى الصيد يطلق سراح السمكة ويترك معها الشباك أيضا. إن ولدك هذا أحمق غير بار بك.

قال الفلاحان كلماتهما ورحلا من المكان. وصمت العجوز فلم ينطق بحرف.

أما صاحب جان فقد تأثر بما قاله الفلاحان وألمَّ الحزن بروحه.

وفى الصباح التالى تقدم إلى أبيه وطلب منه فى خجل قائلا:

ـ والدى العزيز، يبدو أن يدى ليستا ماهرتين فى الصيد. وقد رأيت ذلك بنفسك الليلة البارحة فلم نصطد سمكة واحدة. فأذن لى بالترحال بين المدن والقرى كى أتعلم حرفة أو صنعة. وعندما يبتسم لى الحظ ويحالفنى النجاح فسوف أساعدك فى أعباء الحياة.

تألم العجوز وزوجته لفراق الابن وعصف بهما الحزن. ولم يكن بوسعهما أن يفعلا شيئا للحيلولة دون رحيله. فقاما بمباركته وأذنا له بالخروج للبحث عن سعادته. وملأت العجوز خرجه بالزاد والخبز. وفى المساء غادر صاحب جان قريته.

وخرج العجوز مع زوجته يودعان الابن فى الطريق قائلين له كلماتهما الأخيرة:

"خذ قبل أن تعطى، ولتعد لنا سليما معافيا".

سار صاحب جان طويلا طويلا. حتى إنه أصبح لايعرف عدد المرات التى أشرقت فيها الشمس ثم غربت عنه. ومضى يقطع الدروب والوديان والجبال، ويعبر البحيرات والأنهار.

وصل الفتى أخيرا إلى إحدى القرى فقرر أن يأخذ قسطا من الراحة بجوار شجرة كبيرة. واقترب منه دون أن يلحظ رجل عابر فى الأربعين من عمره ذو لحية طويلة وعمامة على رأسه. وسأله الرجل قائلا:

ـ إننى أراك صغير السن أيها الفتى، فما وجهتك؟

رد صاحب جان: إننى جوال أسير فى بلاد الله خلق الله.

ـ إذن، فلنجب الأرض معا.

أراد صاحب جان أن يختبر الرجل فقال له:

ـ إننى أسير طويلا طويلا حتى يصيبنى التعب فأرتاح لمدة طويلة أيضا. ويهبط الليل على ثلاث مرات وأنا فى الراحة. فهل يناسبك ذلك؟

ـــ كلا ـــ إن طريقك يختلف عن طريقى ـــ قال الرجل ومضى فى سبيله.

أما صاحب جان فقد نال وقتا من الراحة ثم مضى يواصل طريقه. وسار زمنا حتى أدركه التعب فجلس يستريح على ضفة نهر واسع. واقترب منه عابر ذو لحية قصيرة حاسر الرأس وسأله قائلا:

ـــ إلى أين تسعى أيها الأخ؟

رد صاحب جان: أجوب بلاد الله.

عرض العابر قائلا:

ـــ إننى جوال أيضا. ما رأيك لو أننا سرنا معا؟

أجاب صاحب جان: لكننى أسير طويلا وأرتاح كثيرا. حتى إن الليل يهبط على الأرض ثلاث مرات فى أثناء سيرى أو راحتى.

اعترض العابر وقال: إن ترحالك الطويل على هذا النحو لا يناسبنى، ومن الأفضل لى أن أمضى بمفردى.

بعد أن نال صاحب جان راحته نزل إلى الماء وملأ قربته منه، ثم انطلق مواصلا طريقه. وظل يسير ويسير حتى وصل إلى تقاطع عدة طرق فجلس على صخرة دون أن يلحظ شابا يقترب منه قائلا:

ـــ مرحبا أيها الصديق، إلى أين المقصد؟

رد صاحب جان: مرحبا، إننى أطوف الأراضى والبلاد.

اقترح الشاب قائلا: أنا أيضا أجوب الطرقات، فهيا نطوف معا.

أجاب صاحب جان: لكننى أيها الصديق أسير طويلا طويلا. وعندما أشعر بالتعب أجلس للراحة كثيرا. وينزل الليل على الأرض ثلاث مرات حتى أنتهى من راحتى.

قال الفتى: لا عليك أيها الصديق ، فإننى أيضا أحب السير طويلا والراحة كثيرا، وأعتقد بأننى لست أقل منك فى هذا الأمر.

فكر صاحب جان فى نفسه: "يبدو أن هذا الفتى لا بأس به. فهو نشيط ويصلح أن يكون رفيقا لى". وقال للفتى بصوت مسموع:

ـ حسنا، فلنمض معا.

جلس الفتى بجوار صاحب جان وصار يتبادلان الحديث وسأله الفتى عن اسمه.

ـ اسمى صاحب جان. ما اسمك أنت؟

رد الفتى: اسمى أحمد جان، أخبرنى كم تبلغ من العمر؟

ـ لقد بلغت السادسة عشر منذ وقت قريب. وما عمرك؟

قال أحمد جان: لقد أتممت الخامسة عشر. ما رأيك لو أصبحنا إخوة وتصبح أنت شقيقى الأكبر وأصير أنا شقيقك الأصغر؟

عندئذ أخرج صاحب جان من خرجه رغيفا وقسمه إلى نصفين أعطى أحدهما لأحمد جان قائلا:

ـ من الآن فصاعد كل ما نعثر عليه نوزعه بالتساوى بيننا.

وبعد أن أكل كل منهما نصف الرغيف قاما يواصلان الطريق الطويل. وطال سيرهما وهما يقطعان الجبال والوديان، ويعبران البحار والأنهار، حتى وصلا أخيرا إلى إحدى المدن. وسارا يتجولان فى المدينة حتى وصلا إلى السوق. وهناك شاهدا المنادى يعلن بصوت جهورى:

ـ اسمعوا أيها الناس اسمعوا جيدا، إن رجل مدينتنا الفاضل الوجيه قاسم باى يبنى مدرسة ويحتاج إلى عمال وبنائين وسقافين ومبلطين ونقاشين ونجارين، فمن يريد العمل فليذهب إليه، وليعلم الحاضر منكم الغائب.

قال صاحب جان لأحمد جان:

ـ هيا نذهب إلى الباى أيها الأخ لنعمل ونتعلم صنعة تنفعنا.

وافق أحمد جان على اقتراح رفيقه وذهب الاثنان للعمل فى بناء المدرسة.

قال الصديقان لرئيس العمال:

ـ أعطنا جاروفا وقادوما، وسوف يقوم أحدنا بخلط الطين والآخر بصنع الطوب.

أحضر رئيس العمال الجاروف والقادوم وأعطاهما لهما.

غير أن الصديقين اعترضا قائلين:

ـ إن حجم هذا الجاروف وهذا القادوم صغيرا للغاية ولا يناسبنا. أحضر لنا جاروفا لا يقل وزنه عن خمسين كيلو جرام، وقادوما لا يقل وزنه عن ثلاثين كيلو جرام.

طلب رئيس العمال من الحداد أن يصنع له جاروفا وقادوما بالحجم الذى طلبه الصديقان. واستغرق العمل من الحداد أسبوعا لصنع الجاروف والقادوم الهائلين. وتسلم صاحب جان وأحمد جان أدوات العمل الضخمة وشرع أحدهم فى خلط الطين والآخر فى صنع الطوب. وصار يعملان بمقام عشرة أفراد. ومر شهر حتى جاء يوم السوق فقال أحمد جان لصاحب جان:

ـ أيها الأخ، هيا بنا نأخذ أجرنا من رئيس العمال عن الفترة التى عملنا بها كى نخرج إلى السوق ونتسوق فيه.

قبض الاثنان أجرهما وذهبا يتجولان. كان السوق مكتظا بكافة الفواكه والثمار، من التفاح الأحمر والمشمش الأصفر والزبيب، إلى البطيخ والشمام بكميات هائلة لم تسعها أرفف الدكاكين فغطت طرقات السوق. واشترى الأخان ما يكفى من الثمار والفواكه المجففة وجلسا يأكلان منها.

وبعد أن شبعا عادا ثانية إلى العمل. واستمرا فى العمل بهمة ونشاط بمقام عشرة أفراد حتى إنتشر صيتهما فى أرجاء البلاد. ووصلت أخبارهما إلى كل مكان حتى عرف بها ملك بلاد كاراخان المجاورة. وفكر الملك فى نفسه:

ـ ما السر وراء هذين الشابين؟ لابد من أن آتى بهما وأتحدث معهما.

بعث الملك برسله إلى الشابين. ومضى الرسل يقطعون الطريق ليومين كاملين بلا نوم ولا طعام حتى وصلوا إلى حيث يعمل الأخان فقال الرسل لهما:

ـ لقد وصلتنا الأخبار تقول بأنكم شباب جبابرة. وإن ملكنا يرغب فى رؤيتكم والتحدث إليكم. وإذا نجح أحد منكم فى تنفيذ ثلاثة مطالب للملك فسوف يزوجه من ابنته الوحيدة. وقد تقدم من قبل إلى الأميرة الكثير من الفتيان والأمراء الذين لم تنقصهم الشجاعة والجسارة، غير أنهم جميعا قد قتلوا ولم ينجح أحد منهم فى تنفيذ مطالب الملك.

قرر الأخان الذهاب إلى ملك كاراخان. وقال لهما الملك:

ـ لقد سمعت الكثير عن شجاعتكما ومهارتكما، وبما أن لدى ابنة عزباء فقد وضعت ثلاثة شروط لمن يريد الزواج بها. لكن أحدا لم ينجح بعد فى تنفيذ هذه الشروط. فإذا نجحتما فى تحقيق شروطى فسوف أزوج ابنتى بأحدكما، وأمنح الآخر نصف مملكتى.

صاح الشابان: ونحن على استعداد للقيام بذلك، فأخبرنا عن شروطك.

ـ لقد ظهر فى بستانى تنين هائل مخيف يلتهم فتاة كل شهر. وقد جاء الدور على ابنتى. وهى الآن مربوطة إلى شجرة بالبستان. وفى القريب سوف يهبط التنين ليأكلها. آه يا ابنتى العزيزة الغالية التى لم تستمتع بحياتها بعد ليقتلها التنين. وشرطى الأول هو أن تقتلوه وتنقذوها من براثنه. كما توجد فى حديقتى شجرة تين هى أعجوبة من الأعاجيب ثمارها مذهلة. من يأكل منها يظل شابا ولا يشيخ إلى الأبد. وفى كل عام عندما تنضج ثمارها يظهر جنى ويلتهم هذه الثمار. وشرطى الثانى هو أن تقتلوا هذا الجنى. وأخيرا فإن مدينتنا خالية من الماء. وهناك نهر

يسير بين الجبال ويصب فى الصحراء حيث تضيع مياهه فى الرمال. وشرطى الثالث أن تقوما بشق قناة تصل النهر بالمدينة.

قبل الشابان بشروط الملك إلا أنهما قالا له:

ـ نريدك أن تأمر الحدادين بصنع سيف يمكن طيه. على أن يكون طوله مطويا عشرة أمتار، ومفرودا خمسين متر. كما يصنعون لنا أيضا جاروفا ومعولا، على أن يكون طول كل منهما وعرضه أربعين مترا.

شرع الحدادون بهمة ونشاط فى تنفيذ العمل الذى أمر به الملك. ولم يمر يوم حتى حصل الشابان على كل ما طلباه. وخرجا إلى بستان الملك وصارا يتنازعان على قتل التنين. فيقول صاحب جان: "أنا الذى سأقتله". لكن أحمد جان يعترض قائلا: "كلا، إن مصرعه لابد أن يكون بيدى أنا، فالأخ الأكبر يترك هذه الأعمال للأصغر".

وحمل أحمد جان السيف الضخم وخرج إلى البستان فرأى تنينا هائل الحجم ينظر نحو الأميرة المقيدة ويتحفز للهجوم عليها. وكانت الفتاة فى هلع فانهمرت الدموع على خديها. ثار التنين لما رأى الفتى وانقض عليه وهو يشفط الهواء من منخريه كى يسحب الفتى إليه. لكن أحمد جان استطاع بالكاد أن يقفز جانبا مبتعدا عنه. وأخذ التنين يشفط الهواء أكثر وأشد فهوى أحمد جان بالسيف على فمه حتى خرج من ذيله وشطره نصفين. فخر التنين صريعا على الأرض. ونجت ابنة الملك من الموت بعد أن كاد التنين أن يقضى عليها. وفى لمح البصر انتشر الخبر فى أرجاء المدينة. وسارت حشود من الناس نحو قصر الملك ليلقوا نظرة على الشابين الجبارين. وقام الجميع بالدعاء لهما والثناء على ما فعلاه.

وفى اليوم التالى خرج صاحب جان وأحمد جان إلى النهر وهما يحملان الجاروف والقادوم ليحفرا القناة. وعندما وصلا إلى هناك شاهدا جمعا غفيرا من البشر قد سبقوهما يقومون بالحفر ونقل التربة يحدوهم الأمل أن يصل الماء إلى مدينتهم.

صاح الشابان فى الناس: أيها القوم الطيبين، لقد مات التنين والأفراح تعم المدينة بهذه المناسبة السعيدة. فاذهبوا إلى بيوتكم لتشاركوا الجميع فرحتهم. وسوف نقوم نحن بحفر الساقية المطلوبة.

ابتهج الحضور وتفرق الكثير منهم عائدين إلى منازلهم. وظل البعض يترقبون الشقيقين ليشاهدوهما فى أثناء مهمتهما. شرع الأخان فى قطع الأشجار وربطها معا. ثم قاما بإلقائهما فى النهر. وجمعا الكثير من الحطب والأغصان اليابسة وكدسوها على قاع النهر ومعها كمية كبيرة من الأحجار. بدأ النهر يثور ويهدر، وصارت مياهه ترغى وتزبد، وأخذت أمواجه تلقى بالأحجار على الشابين لتضربهما وتغرقهما فى مياهها. ومضى الشابان فى صراع بطولى مع النهر حتى انتصرا عليه ونجحا فى إقامة سد فوق مياهه. وأخيرا ارتفعت المياه فى النهر وانسابت عبر الساقية لتتدفع صوب المدينة.

ذهب الأخان إلى الملك وطلبا منه الصعود إلى برج القصر كى يشاهد المجرى الجديد للنهر. نظر الملك فرأى نهرا عريضا يتهادى حثيثا نحو المدينة ليروى فى طريقه الوديان والسيول الجدباء ويبعث الحياة فيهم. وسرعان ما بدأت براعم الأزهار فى الظهور والنماء. وبدأ بعض الفلاحين يشغلون أماكنهم على جانبى الوادى.

ـ أحسنتم صنعا أيها الشابين، والآن لم يبق أمامكم سوى مهمة واحدة لنقيم بعدها الأفراح بالزفاف.

خرج صاحب جان إلى البستان حيث قام بحفر حفرة أسفل شجرة التين المدهشة. ثم رقد فى الحفرة ومكث فى انتظار حلول الليل. وأرخى الليل سدوله وسادت العتمة أرجاء المكان حتى أصبح من الصعب رؤية شجرة التين. وفجأة انبثق ضوء شحيح ولمح صاحب جان الجنى المرعب الذى يلتهم ثمار التين. فخرج الفتى متسللا من الحفرة ورفع سيفه يهوى بها على الجنى حتى شطره نصفين. اغتبط الملك بالخبر السعيد وخرج إلى البستان يأكل من ثمار التين. وقضى الملك أسبوعا كاملا بلا نوم ولا طعام وهو يأكل ثمار التين حتى أصابته التخمة ولم يقو

على الحركة. وعلى الرغم من ذلك لم يعد إليه الصبا والشباب كما كان يرجو. وأخيرا ذهب إلى الشابين وقال:

ـ والآن أخبرانى لمن منكما أزوج ابنتى؟

هتف صاحب جان يقول: إن أحمد جان أظهر بسالة وشجاعة كبيرة أكثر منى وهو الأجدر بزواج الأميرة.

لكن أحمد جان اعترض قائلا: كلا يا مولاى، ينبغى على المرء أن يحترم الأكبر منه، وصاحب جان أكبر منى عمرا فزوجه لابنتك.

وفى النهاية اتفقوا أن يتزوج صاحب جان من الأميرة. وانتشر فى المدينة خبر الزفاف المرتقب. فدقت الطبول وصدحت الأبواق ونحرت الذبائح وبدأت الاحتفال بالزفاف. واستمرت الأفراح أربعين يوما وليلة. وجاء الضيوف من أرجاء العالم يحملون للعريس والعروسة مختلف الهدايا من الأبسطة المشغولة بالفضة والأقمشة المركشة، إلى الذهب والأحجار الكريمة والمرآة السحرية التى يمكن للمرء فيها أن يشاهد أى بقعة فى العالم مهما بعد مكانها.

ومضى وقت قليل وفى أحد الأيام قال أحمد جان لصاحب جان:

ـ سوف أقضى ليلتى اليوم فى الفناء، فاطلب من عروستك أن تفرش لى مرقدا هناك.

وعندما هجعت المدينة وراح الجميع فى النوم، خرج أحمد جان إلى البستان. وكان القمر فى السماء مثل الصحفة الذهبية التى يضعون عليها الفاكهة فى القصر.

كان الهدوء يسود المكان. وفجأة حلق غرابان وحطا على الشجرة الكبيرة بالفناء. صاح أحد الغرابين قائلا:

ـ كلى آذن صاغية لك أيها الغراب، يا صاحب الأقاويل الحزينة والحكايات السوداء.

ـ آه لو أننى استطعت أن أتحول إلى فرس أشهب جسور يقفز فوق الصخور ويرمح فى الوديان، ويعبر البحار والجبال. عندئذ من يكون الشخص القوى الجسور الجدير بركوبى؟ لا يوجد سوى صهر الملك صاحب جان. فإذا امتطى صهوتى سوف أنطلق به كالسهم ثم أحرن وألقى به من فوق ظهرى لتتكسر عظامه. ولو سمع أحد قولى هذا ونقله إلى الآخرين فلتتحول قدماه إلى حجر.

ثم هتف الغراب الثانى بحكايته السوداء:

ـ أيها الغراب أيها الغراب.

ـ كلى آذان صاغية لك أيها الغراب.

ـ وأنا، على أية صورة أصير؟ أظن أنه من الجيد لو صرت طائرا ذا ريش لامع براق. لحلقت طائرا فوق السوق فأشدوا وأغرد حتى أطرب الجميع بصوتى. وعندئذ من يكون الشخص الجدير بامتلاكى؟ لا يوجد سوى صهر الملك صاحب جان. فإذا أمسك بى ووضعنى فى راحة يده سوف يموت على الفور. ولو سمع أحد قولى هذا ونقله إلى الآخرين فليتحول جسمه إلى حجر من خصره حتى قدميه.

ثم حط الغراب الثالث الذى ينقل للناس الأخبارا السوداء.

ـ أيها الغراب أيها الغراب.

ـ نحن طيور الظلام كلنا آذان صاغية.

ـ وأنا أيضا على أى صورة أصير؟ فلأصبح تنينا مجنحا أحلق مع الرياح من بطن الكهوف والمغارات بالجبال. عندئذ سوف أبتلع صاحب جان وزوجته الأميرة. ولو سمع أحد قولى هذا ونقله إلى الآخرين فليتحول جسمه كله إلى حجر.

انتهى الغربان من أقاويلهم ونظروا إلى أسفل الشجرة فشاهدوا أحمد جان. ضحكت الغربان مقهقهة وطارت مبتعدة.

وفى الصباح جلس صاحب جان وأحمد جان يتناولان طعام الفطور. كانت المائدة زاخرة بشتى صنوف الطعام من اللحم المقدد والأسماك الطازجة ولحم الضأن المحمر وأنواع الحلوى المختلفة والفواكه المتنوعة.

وبعد انتهائهما من الإفطار خرج الاثنان إلى السوق وشاهدوا هناك فرسا رائعة الجمال. كان للفرس عرف ذهبى وعينان متوهجتان مثل جمرتين من النار. وكان الجميع يتساءلون قائلين:

ـ من هو الجدير بهذا الفرس؟ إنه بالطبع صهر الملك صاحب جان.

وعندما شاهد صاحب جان الفرس قرر شراءها. لكن أحمد جان قال له:

ـ انتظر أيها الأخ ودعنى أجرب ركوبه فى الأول وأمتحن قدرته. وإذا صمد فى امتحانى يمكننا عندئذ شراءه.

رد صاحب جان: حسنا أيها الأخ.

ورفع أحمد إصبعه الذى يضع خاتما فيه ومر به على ظهر الفرس فانشطر إلى نصفين. وأصابت الدهشة الجميع وكان صاحب جان أكثر الناس ذهولا مما جرى. ومضى الشقيقان يواصلان التجوال فى السوق حتى شاهدا رجلا يحمل طائرا بديع الشكل يسير خلفه عدد كبير من الناس. كان الطائر فريدا فى هيئته ولا نظير لجماله فى العالم. وصار يشدو ويغرد بصوت آية فى العذوبة. وهتف أحد الحضور متسائلا:

ـ ترى من هو الجدير للحصول على هذا الطائر؟

رد الحضور فى صوت واحد: إنه صهر الملك صاحب جان.

سأل أحمد صاحب أخيه: أيها الأخ، هل تشترى لى هذا الطائر لو أنه راقنى؟

رد صاحب جان قائلا: نعم سوف أشتريه لك.

ورفع أحمد إصبعه الذى يضع خاتما فيه ومسد به على رأس الطائر فهوى ميتا على الأرض فى الحال. واعترت الدهشة الجميع وكان صاحب جان أكثرهم ذهولا مما جرى.

وفى المساء قال أحمد جان لأخيه:

ـ من الآن فصاعدا سوف يكون فراشى بجوار الموقد.

أجاب عليه صاحب جان:

ـ ما الذى يدعوك للنوم هناك؟ ولماذا تريد أن تبدل مكان نومك؟

قال أحمد جان: لا لشىء، إنما أريد اليوم فقط النوم بجوار الموقد.

وعندما جاء الليل وضع أحمد جان سيفه واقفا فى حفرة بجوار الموقد وجلس أمامه. وفجأة هبت عاصفة شديدة وصفرت الرياح تعوى وظهر تنين هائل الحجم مخيف الطلعة. وما إن رأى أحمد جان حتى هجم عليه فابتعد الفتى عن الحفرة التى وقع بها التنين وشطره السيف إلى نصفين. وتدفق دم الوحش متناثرا فسقطت نقطة منه على وجه الأميرة. فهرع إليها أحمد جان وأخرج منديلا من الشاش طواه إلى سبع طبقات ووضعه على خد الأميرة وصار يشفط بفمه من خلاله نقطة الدم. فى هذا الوقت استيقظ صاحب جان من نومه ورأى أحمد جان يشفط الدم بفمه من على وجه زوجته فصرخ فى ثورة وغضب:

ـ ماذا تفعل؟ لقد عرضت عليك الزواج بها فرفضت العرض. ألهذا السبب إذن كنت تطلب المبيت تارة فى الفناء وتارة أخرى عند الموقد؟ لقد تملكتك إذن مشاعر الحسد والغيرة لزواجى من الأميرة.

رد أحمد جان قائلا:

ـ إنك لاترى الأمور على حقيقتها أيها الأخ، فقلبى خالٍ تماما من هذه المشاعر البغيضة. وهناك سبب آخر لما جرى سوف أطلعك عليه فى الصباح.

وفى الصباح أعدت الزوجة مائدة الطعام. وعندما جلس الأخان يتناولان الفطور قال صاحب جان من جديد:

ـ أحمد جان، لقد عرضت عليك الزواج من الأميرة فرفضت. فكيف واتتك الجرأة للقيام بهذا العمل الفاضح المعيب؟

قال أحمد جان: أيها الأخ، لقد بات من الضرورى أن أقص عليك كل شىء. ففى تلك الليلة التى خرجت فيها للنوم فى الفناء حطت ثلاثة غربان على الشجرة الكبيرة.

وما إن حكى الفتى عما قاله الغراب الأول حتى تحولت قدماه إلى حجر. تملك الذهول من أحمد جان ومن زوجته لما شاهداه. وعندما شرع أحمد جان فى قص حكاية الغراب الثانى منعه صاحب جان من مواصلة الحديث صارخا:

ـ كفى، اصمت ولا تحكِ شيئا.

لكن أحمد جان رد قائلا:

ـ لا يهرب المرء من مصيره المحتوم.

وأردف يسرد حكاية الغراب الثانى. وبعد أن انتهى منها تحول جسمه حتى الخصر إلى حجر. وعندما أخبرهم بحكاية الغراب الثالث انقلب بالكامل إلى قطعة من الحجر الأصم. انهمرت الدموع من عيون الزوج والزوجة وأصابهما الحزن والحيرة فخرجا إلى الطريق حاملين الحجر. وفجأة ظهر أمامهما عجوز ذو لحية طويلة يتكئ على عكاز وسألهم قائلا:

ـ لماذا تبكون بمرارة على هذا النحو يا أولادى؟

حكى صاحب جان للعجوز الحكاية من أولها حتى آخرها. فقال له العجوز:

ـ ضع الحجر على الأرض.

وضع صاحب جان الحجر برفق على الأرض. واقترب العجوز من الحجر وطرق عليه بعُكازه فتحول من جديد إلى أحمد جان. عطس أحمد جان وصاح يقول:

ـ يبدو أننى قد غفوت طويلا أيها الأصدقاء.

فرح الجميع فرحا كبيرا ثم قال أحمد جان:

ـ أيها الأخ، لابد من أن لك أب وأم مثلما لى أنا أيضا. ولابد من أن انتظارهم لعودتنا قد طال. فهيا بنا نعود إلى بيوتنا وأهلنا.

راقت كلمات الفتى لصاحب جان فذهب الاثنان إلى الملك وأخبراه برغبتهما فى الرحيل.

ـ لقد تركنا أهلنا من خلفنا، ومن الواجب علينا العودة إليهم كى نقوم على خدمتهم ومساعدتهم. فقد طال انتظارهم لنا حتى يأسوا من رؤيتنا. فاسمح لنا يا مولاى أن نذهب إليهم.

رأى الملك الصواب فيما يقولانه فأذن لهما بالرحيل. وعندئذ سأله صاحب جان:

ـ وهل تبقى ابنتكم معكم بالقصر أم ترحل معى؟

رد ملك كاراخان: إن موقع الزوجة لابد من أن يكون بجوار زوجها.

ومنحهم الملك أربعين صندوقا مملوءين بالذهب والهدايا الثمينة. وأعطاهم الكثير من الزاد والطعام لرحلتهم الطويلة وقال لهم:

ـ أتمنى لكم الوصول إلى دياركم سالمين هانئين. وأرجو أن تتذكرونا دائما بالخير.

كان الناس فى حزن لفراق الشابين الجسورين. فودعوهم بالطبول والأغانى فى شوارع المدينة.

ومضى الأخوان فى طريقهم يوم بعد الآخر، وساروا طويلا حتى وصلوا إلى شاطئ نهر كبير.

حينئذ قال أحمد جان:

ـ هنا سوف أفترق عنك أيها الأخ العزيز. فهل تتذكر حديثنا السابق عندما التقينا معًا لأول مرة؟

رد صاحب جان على صاحبه:

ـ نعم أتذكر جيدا، فقد اتفقنا على اقتسام كل شىء نحصل عليه مناصفة بيننا بالتساوى. وأن نقتسم معا الطعام والشراب.

ـ إذن فلنقتسم ما لدينا.

قال صاحب جان: حسنا، فليكن نصيبك أكثر من نصيبى.

اعترض أحمد جان وقال: كلا أيها الاخ، نقتسم كل شىء مناصفة بما فيه زوجتك.

اعترت الدهشة صاحب جان وقال:

ـ وكيف يمكننا أن نقتسم زوجتى فيما بيننا؟

ـ إن الأمر بسيط للغاية، نقوم بربطها إلى شجرة ونقطعها إلى نصفين، ولك الحرية فى اختيار الجزء العلوى منها أو السفلى كما تشاء.

وربط أحمد جان الأميرة إلى إحدى الأشجار وما إن اقترب بسيفه من جسمها ولامسه به حتى صرخت بصوت عال وخرجت من فمها دفقة من الدم المتخثر. فألقى أحمد جان بسيفه وداس دفقة الدم بقدميه. ثم التفت إلى أخيه وقال له:

ـ هل تتذكر يا أخى عندما وضعت منديل الشاش على وجه الأميرة محاولا شفط نقطة الدم من عليه؟ إن هذه النقطة ما هى إلا سم زعاف من لعاب التنين يؤدى إلى موت زوجتك. والآن قد خرج منها السم وأصبحت فى خير وأمان.

فلتحتفظ بزوجتك لنفسك ولتحمل كل الثروة إلى أهلك كى يسعدوا بها. ففى أحد الأيام منذ وقت طويل قمت بإنقاذ سمكة صغيرة من شباك والدك ورحمتها من الموت. لو كنت تتذكر ذلك فأنا هى السمكة ذاتها.

وعانق أحمد جان أخيه بحرارة وودعه هو وزوجته. ثم رمى بنفسه فى مياه النهر. وعلى الفور تحول إلى سمكة وغطس فى الماء. وظل صاحب جان ينظر طويلا إلى النهر حيث غطست السمكة وإلى دوائر الماء التى اندفعت تجرى من حولها. ومضى صاحب جان حزينا لفراق أخيه حتى وصل مع زوجته إلى بيته فى قريته.

كان والده العجوز وأمه قد جفت دموعهما من مآقيها من كثرة ما ذرفوها على ابنهما الغائب. وبعد أن أصابهما الكرب واليأس من عودته إليهما. ولما شاهدوا ابنهما زال حزنهما وحل مكانه الفرح والسرور حتى عاد إليهما الشباب والحيوية من فرط السعادة.

أخذ صاحب جان يحكى طويلا عن مغامراته وأسفاره.

واستقبل العجوز وزوجته الأميرة بحفاوة وأمطروها بالقبلات والعناق. ولم تسعهم الدنيا بها من الفرح والبهجة.

وأدخل صاحب جان البشر والحبور إلى بيت والديه. وعاش مع زوجته عمرا مديدا. وعندما كبر أبناؤه خرجوا أيضا يرتحلون فى بقاع الأرض. لكن الحكى عن أسفارهم ورحلاتهم المثيرة يتطلب منا وقتا طويلا. فلنؤجله لنقصه عليكم فى أسطورة أخرى لاحقة.

الكروان الحكيم



كانت هناك يمامة تسكن إحدى الأشجار. أقامت اليمامة عشا لها فى أعلى قمة الشجرة. ووضعت بالعش خمسة من الصغار. وما إن بدأ الصغار يتعلمون الطيران حتى وصلت أخبارهم الى مسامع الثعلب.

جاء الثعلب إلى أسفل الشجرة وهتف مناديا:

ـ أيتها اليمامة، هيا ألقى إلىَّ بأحد صغارك حتى أتركك لحال سبيلك، وإن لم تفعلى فسوف أقتلع شجرتك هذه من جذورها، وأمتص دماءك الحمراء، وبعد ذلك ألتهم لحمك مع عظامك أنت وصغارك جميعا فأبيدكم من الدنيا.

خافت اليمامة المسكينة وأصابها الرعب. وألقت من العش بأحد صغارها وهى تبكى وتتألم من الحزن عليه.

أمسك الثعلب بالصغير وذهب لحاله.

وفى الصباح نهش الجوع معدة الثعلب فذهب إلى الشجرة وصرخ مهددا كما فعل بالأمس:

ـ أيتها اليمامة، هيا ألقى إلىَّ بأحد صغارك حتى أتركك لحال سبيلك، وإن لم تفعلى فسوف أقتلع شجرتك هذه من جذورها، وأمتص دماءك الحمراء، وبعد ذلك ألتهم لحمك مع عظامك أنت وصغارك جميعا فأبيدكم من الدنيا.

خافت اليمامة فألقت بصغير آخر أغلى عليها من عينيها إلى الثعلب، آملة بهذه التضحية فى إنقاذ بقية الصغار.

أمسك الثعلب بالصغير وذهب لحاله.

اشتعلت نار الحزن فى القلب ولم تنطفئ. وجاء الثعلب فى اليوم الثالث والرابع.

والتهم الثعلب الصغار الأربعة خلال أربعة أيام.

وظل لليمامة صغير واحد. فجلست على الشجرة تبكى وتولول.

وطار بالقرب منها طائر الكروان ورآها تبكى فسألها:

ـ ما الذى يبكيك أيتها اليمامة؟

قصت اليمامة كل ما جرى لها. استمع الكروان لحكايتها بدهشة ونصحها قائلا:

ـ عندما يأتى إليك الثعلب ويقول :" أيتها اليمامة، هيا ألقى إلىَّ بأحد صغارك حتى أتركك لحال سبيلك، وإن لم تفعلى فسوف أقتلع شجرتك هذه من جذورها .." ويأخذ فى تهديدك أجيبى عليه بقولك:" اقتلع الشجرة إذا أردت، وامتص دمائى وكل لحمى مع عظامى لو رغبت". لكن لا تلقى إليه بصغيرك الأخير.

وما إن حلــق الكروان حتى ظهر الثعــلب ثانية وبدأ فى إلقاء الوعيد كما فى السابق.

أجابته اليمامة وقالت:

ـ اقتــلع الشــجرة إذا أردت، وامتص دمــائى وكل لحمى مع عظــامى لو رغبت، فأنا لم أعد أخشاك ولا أخافك.

دهش الثعلب مما سمعه وقال:

ـ من علمك تلك الكلمات أيتها اليمامة؟

أجابت اليمامة قائلة:

ـ الكروان هو الذى علمنى.

جلس الثعلب أسفل الشجرة وظل هناك لمدة طويلة. لكن اليمامة لم تعد خائفة منه. فنهض الثعلب ومضى يبحث عن الكروان. كان الطائر قد حط فوق غصن كبير وراح فى النوم. ورآه الثعلب نائما، فتسلل إليه بحذر وأمسك به.

سأل الكروان الثعلب :

ـ ما الذى سوف تفعله معى أيها الثعلب؟

أجاب الثعلب وقال:

ـ لقد حرضت اليمامة ضدى وأوعزت إليها ألا تعطينى صغيرها الأخير، ولهذا فسوف ألتهمك أنت.

ـ إننى صغير الحجم ليس بى لحم، وإذا التهمتنى فلن أشبعك وتظل جائعا. فإن لم تأكلنى سوف أطعمك جيدا.

ـ وكيف يمكنك إطعامى؟

ردّ الكروان:

ـ اليوم فى القرية المجاورة سوف يقام عرس كبير. نخرج معا إلى الطريق الواسع. ثم تختبئ أنت على جانب الطريق بين الحشائش. وعندما تظهر النساء على الطريق تحملن الأوانى المملوءة باللحم والطعام أظهر أمامهن وأنا أسير على الأرض كما لو كنت عاجزا عن الطيران. وأظل أغرد بحزن وشجن. حينئذ سوف تهتف النسوة لدى رؤيتى ويقلن: "انظروا إلى هذا الكروان". ثم يتركن أحمالهم من الأوانى والطعام على الأرض ويركضن ناحيتى للإمساك بى. وأقوم أنا باستدراجهم بعيدا عن الطريق. وأنت بالطبع تعرف ماذا يمكنك فعله بعد ذلك.

فرح الثعلب باقتراح الكروان.

خرجا معا إلى الطريق الواسع. واختبأ الثعلب بين الحشائش. وظهرت النساء بالفعل وهن يحملن فوق رءوسهم أوانى الطعام المملوءة بالفطائر واللحم المسلوق. وكانوا يتجهون جميعا إلى العرس. وفجأة هبط الكروان الحكيم على الأرض وصار يغرد بشجن. فهتفت إحدى النسوة:

ـ انظروا إلى هذا الكروان.

قالت امرأة أخرى:

ـ لقد كان لدى ابنى الصغير كروان شبيه به. وقد تركه وطار. ومنذ ذلك الحين وابنى لا يكف عن طلب شراء كروان آخر. فهيا نمسك به خاصة أنه يعرج فى مشيته ولا يستطيع التحليق.

تركت النساء الأوانى على الأرض واندفعن يتسابقن خلف الكروان للإمساك به.

فى بادئ الأمر صار الكروان الماكر يفر ببطء. وكلما اقتربت منه النسوة زاد من سرعته حتى إستدرجهم بعيدا عن الطريق، وفجأة حلق بجناحيه طائرا فى السماء. أما الثعلب فقد انقض على أوانى الطعام فأكل منها الخبز واللحم حتى شبع وامتلأت معدته. ثم مضى الثعلب بعد ذلك فى طريق العودة إلى بيته. ولمح الكروان طائرا فنادى عليه:

ـ لقد أطعمتنى أيها الكروان حتى انتفخت معدتى وأصبحت أسير بصعوبة. والآن قص على شيئا يضحكنى ويسرى عنى.

حينئذ طار الكروان وحط هابطا فوق قرن بقرة تحلب لبنها امرأة عجوز فى دلو. وما إن رأت العجوز الطائر حتى صاحت منادية على زوجها: حضر الزوج وألقى بعصى كبيرة على رأس البقرة. وطار الكروان هاربا لكن العصا أصابت أحد قرون البقرة فكسرته. وهاجت البقرة ورفست دلو اللبن فسال ما به على الأرض.

شاهد الثعلب ما جرى وظل يضحك حتى انهمرت الدموع من عينيه. وطار الكروان دون أن يودعه.

فى الصباح التالى سار الثعلب يبحث عن الكروان. كان الطائر قد جلس فوق إحدى الأشجار بعد أن جمع بعض الحبوب والحشائش لطعامه. ثم بدأ فى التغريد والغناء. ولولا عنائه لما استطاع الثعلب العثور عليه ولو ظل يبحث حتى المساء.

أصدر الثعلب أوامره وقال: اليوم أيضا عليك أن تطعمنى ثم تسرى عنى وتضحكنى بعد ذلك وإلا فإننى سوف أقوم بالتهامك.

فكر الكروان فى نفسه قائلا: "لقد حان الوقت للتخلص من هذا الثعلب اللحوح، فإنه عدو خطير، وإن أمسك بى فسوف يأكلنى بالطبع بلا رحمة". ثم أجاب قائلا بصوت مسموع:

ـ حسنا أيها الثعلب، سوف أطعمك اليوم أيضا. لكن المشكلة أنه لا توجد أية أفراح بالقرب من هنا، ولا تسير النساء على الطريق تحملن الطعام. لكننى رأيت قطعة كبيرة من اللحم ملقاة فى درب قريب من القرية. ويمكننى أن أقودك إليه.

سارا الاثنان طويلا معا حتى لمح الثعلب قطعة شهية من اللحم ترقد أمامه على الطريق. وفى لمح البصر انقض عليها بأسنانه قابضا عليها.

وفجأة سمع فى الهواء صوت فرقعة شديدة. فقد أطبق الفخ على الثعلب وقتله.

وهكذا تخلص الكروان من الثعلب اللحوح المتعطش للدماء وأراح منه اليمامة.

أما الصياد فقد فرح كثيرا عندما رأى الثعلب فى الفخ. لأنه سوف يصنع من فرائه غطاء جميلا للرأس.

ناصر الأصلع



فى زمن بعيد حكم أحد الملوك مدينة كوكاندوم. كان للملك قدح نادر أثير يعتز به. فمن يطوف بقاع الأرض ألف مرة لا يمكنه العثور على مثل هذا القدح. وبالإضافة إلى جمال القدح فقد كان فى الليالى المظلمة يعكس نورا مثل ضوء القمر.

احتفظ الملك بقدحه داخل صندوق من الذهب. وفى الحجرة التى حفظ بها الصندوق وضع حراسا ليل نهار يتناوبون على حراستها.

وعندما كان الملك يجلس لشرب الشاى كان يرسل أقرب خدمه لإحضار القدح. وكان الخادم يحمل مفتحا خاصا لفتح الصندوق الذهبى. ثم يحمل القدح الثمين بحذر شديد ويذهب به إلى الملك كى يصب الشاى فيه.

كان الملك فى كل مرة يشرب فيها الشاى، يمسك بالقدح فى يده ويتمعنه بإعجاب.

وفى أحد الأيام نادى الملك على خادمه الأمين وطلب منه إحضار القدح الثمين.

أخذ الخادم المفتاح وخرج على الفور. لكنه تعثر فى أثناء حمله القدح وأوقعه على الأرض فتحطم إلى ألف قطعة.

خشى الخادم من غضب الملك فرحل عن القصر هاربا.

جلس الملك ينتظر القدح فلم يظهر. أصاب الملل الملك من الانتظار فأرسل خادما آخر. وخرج الخادم ولم يعد بدوره. فعاد الملك وبعث بثالث لم يعد إليه أيضا. فقام بإرسال وزيره الذى خرج وشاهد حطام القدح متناثرة على الأرض فى قطع صغيرة. فقال الوزير فى نفسه:

ـ لقد عرفت السبب وراء اختفاء الخدم. فقد فروا خشية غضب الملك بعد أن كسر القدح. ولو أنهم ظلوا لأمر الملك بقتلهم.

وجمع الوزير حطام القدح الثمين من على الأرض ووضعها فى ثوبه وذهب إلى الملك قائلا:

ـ أرجو ألا تغضب يا مولاى الملك، فقد حدثت كارثة كبيرة.

صاح الملك: أية كارثة؟

رد الوزير:

ــ أعطنى الأمان وأنا أقول لك.

قال الملك: أعطيك الأمان فهيا تحدث.

ــ لقد كسر يا مولاى قدحك الأثير، وخاف الخدم من ثورتك فهربوا إلى خارج القصر. وهذه الحطام هى ما تبقى من قدحكم الأثير.

وأعطى الوزير للملك حطام القدح.

تملك الكرب من الملك فامتنع عن تناول الطعام لعدة أيام حتى هزل بدنه وتدهورت حاله وأصابه المرض فلزم الفراش. وظل الملك طريح المرض أربعين يوما وليلة. وعندما عاد إلى وعيه طلب أن يحضروا إليه صناع الفخار من كل أرجاء مملكة كوكاندوم. وعندما أتى إليه الفخارون قال الملك لهم:

ــ أيها الفخارين، لقد كان لدى أجمل وأروع قدح فى العالم بأسره. لكن الأقدار شاءت أن يتحطم القدح. فإذا استطاع أحد منكم أن يصنع لى مثيلا له، فسوف أمنحه كل ما يطلب من كنوز الدنيا. ولو خدعنى أحد منكم وادعى بقدرته على صنع القدح وفشل فى ذلك فسوف تطير رقبته وتصادر أملاكه. فاختاروا بأنفسكم واحدا منكم أهلا للثقة كى توكلوا إليه القيام بالعمل.

جلس الفخارون يتشاورون فيما بينهم، وطلبوا من الملك ان يمنحهم مهلة أربعين يوما. ثم حملوا حطام القدح المكسور وغادروا القصر.

وظل الفخارون أربعين يوما يحاولون ويجربون بشتى الوسائل أن يصنعوا مثيلا للقدح بلا جدوى. فأمر الملك بقتلهم جميعا.

بعد ذلك أحضروا للملك فخارين آخرين من المدن الأخرى. لكن أحدا منهم لم ينجح فى صناعة القدح المطلوب. فثار غضب الملك وأمر بقطع رقابهم.

وهكذا قتل الملك جميع صناع الفخار على أرض كوكاندوم.

ثم نادى على الناس وقال لهم:

ــ أما زال بينكم بعد أحد من الفخارين؟

خرج من بين الحشود فتى وقال:

ــ سمو الملك المبجل، لم يعد فى البلاد بأسرها سوى أربعين من صناع الفخار بإحدى القرى. غير أنهم جميعا ليسوا حاذقين فى عملهم. وأنت تعلم يا مولاى أن أفضل الفخارين والصناع لم ينجحوا فى صناعة قدحكم المطلوب. لذلك لا يمكنك أن تعتمد على ألئك الأربعين الباقين غير المهرة.

غير أن الملك أمر بإحضار الأربعين صانعا من القرية.

وخرج فرسان الملك إلى القرية وأكرهوا الصناع على الذهاب إلى الملك.

عرض الملك على الفخارين حطام القدح وقال لهم:

ــ انظروا جيدا، أريد منكم أن تصنعوا لى قدحا مثله، وإن لم تقدروا فسوف أرغمكم على عمله.

رفع الفخارون أكتافهم بيأس قائلين:

ــ لم نصنع فى حياتنا مثل هذا القدح من قبل.

ثار الملك من الغضب وصرخ قائلا:

ــ اصنعوه وإلا أقطع رقابكم جميعا. وأمامكم مهلة أربعين يوما للانتهاء منه.

أسقط فى أيدى الفخارين ولم يعد بوسعهم الاعتراض على أمر الملك فانحنوا أمامه صاغرين وقالوا:

ــ حسنا يا مولانا، سوف نحاول أن نصنعه.

وحمل الفخارون حطام القدح ورحلوا عائدين إلى قريتهم.

وأخذوا يتحدثون فيما بينهم فى أثناء سيرهم قائلين:

ـ إذا كان الموت هو مصير الفخارين المهرة السابقين، فلن يصبح مصيرنا أفضل منهم.

وبعد أن وصلوا إلى القرية جلسوا يتشاورون فيما بينهم ويتحاورون حول الوسيلة لصنع مثيل للقدح. لكنهم لم يهتدوا إلى طريقة للقيام بذلك. وظلوا فى جدل ونزاع دون جدوى. وكان لدى أحد الصناع فتى ماهر يلقنه أصول الحرفة. كان اسمه ناصر الأصلع. ولما عرف ناصر عن اجتماع الفخارين ونزاعهم حول الوصول إلى وسيلة لصنع القدح، جاء إليهم وقال:

ـ فيما نزاعكم أيها الصناع؟ وعن أى شىء يدور هذا الجدل الحامى؟

رد عليه الفخارون:

ـ وما شأنك بما نناقشه؟ اذهب إلى عملك فى نقل الطين.

وقاموا بسب الفتى وطرده من مجلسهم.

مرت تسعة أيام ورأى ناصر أن الصناع مازالوا يتجادلون ويتهامسون فيما بينهم فقال:

ـ إنى فى دهشة من أمركم. ما الذى يشغلكم جميعا وتتنازعون من أجله على هذا النحو؟ لماذا تركتم أشغالكم ونسيتم أعمالكم؟ ولماذا تخفون عنى سر نزاعكم؟ أخبرونى فربما أفيدكم بشى.

لكن الفخارين لم يستمعوا إلى ناصر وصرخوا به:

ـ من يتدخل فيما لا يعنيه يسمع ما لا يرضيه. اغرب عن وجوهنا قبل أن نوسعك ضربا بالعصى حت تتكسر عظامك.

وفجاة صاح فخار عجوز وقال:

ـ صبرا أيها الإخوة، لا يوجد عقل خال من الأفكار، والأصلع ربيب لأحد الفخارين ولا يبغى سوى مساعدتنا. فلماذا ننبذه ونطرده؟ لقد أعملنا عقولنا لتسعة أيام وأجهدناها بالتفكير دون أن نصل إلى شىء. فلنخبره بمحنتنا وربما يمكنه تقديم العون وإيجاد المخرج لها.

فكر الفخارون: "حقا يقول العجوز".

عندئذ تقدم أحدهم من ناصر قائلا:

ـ سوف أحكى لك عن الأمر أيها الأصلع. لقد ذهبوا بنا إلى الملك الذى أعطانا حطام قدحه المكسور وقال: " أريد منكم أن تصنعوا لى قدحا مثله، وإن لم تقدروا فسوف أرغمكم على عمله". وقد أكرهنا الملك على القيام بهذا العمل بعد أن قتل الكثير من الفخارين الآخرين لفشلهم فى صنعه. ويبدو أن الدور قد أتى علينا لنقتل مثلهم بسيفه. فلم يصل أحد منا إلى طريقة لصنع هذا القدح. ولن ينجح أحد منا فى خلال مهلة الأربعين يوما، ولا حتى فى أربعين عاما.

حينئذ قال ناصر:

ـ مادام الأمر هكذا فلدى طريقة للقيام بها العمل.

صاح الأربعون صانعًا فى صوت واحد:

ـ أحقا ما تقول؟ هيا إذن أخبرنا عن الطريقة.

قال ناصر: بعد انقضاء الأربعين يوما سوف يأتى إليكم رجال الملك فقولوا لهم: "إن والد هذا الأصلع كان من أمهر الفخارين على الإطلاق. وعندما صنعوا قدح الملك النادر شارك بنفسه فى صناعته. وقد تعلم الأصلع من والده الكثير من فنون الحرفة وأسرارها. وهو يريد الآن أن يعيد صناعته. فهل يقبل الملك أن نطلب من الأصلع المحاولة؟".

فرح أحد الفخارين بما قاله الأصلع وقال:

ـ إن الأمر سيان لنا. لكن عليك أن تعرف أيها الأصلع بأنك لو فشلت فى صناعته فسوف يطيح الملك برقبتك.

وصاح الفخارون الآخرون لناصر:

ـ حسنا، مادامت هذه رغبتك فنحن موافقين ولن نخسر شيئا.

ونفذت مهلة الأربعين يوما وجاء فرسان الملك إلى القرية، فجمعوا الأربعين صانعا وسألوهم قائلين:

ـ هل صنعتم القدح المطلوب؟

رد أحد الفخارين قائلا:

ـ أيها الفرسان المحترمين، لقد بحثنا فى الأمر وعرفنا أن أحد صانعى قدحكم الثمين كان والدا لهذا الأصلع. وكان والده الماهر يقول دائما قبل موته إن أحدا غيره لا يمكنه صناعة مثل هذا القدح. وقد تعلم منه ناصر الأصلع فنون الحرفة وأسرارها. حتى إننا جميعا تعلمنا الكثير منه.

سأل فرسان الملك ناصر:

ـ هل يمكنك صناعة القدح أيها الأصلع؟

رد ناصر: نعم سوف أصنعه.

ما دمت تستطيع القيام بالعمل فاذهب معنا إلى الملك كى نخبره بأمرك.

اعترض ناصر قائلا: كلا، لن أذهب إلى الملك.

قال فرسان الملك:

ـ كيف ترفض الذهـــاب؟ لابد من حصولك على إذن من الملك للشروع فى العمل.

أجاب ناصر: كيف يمكننى الذهاب معكم وأنتم جميعا تركبون الجياد وأنا بلا فرس؟ فهل تريدوننى الركض على أقدامى من خلفكم؟ إننى أيضا أريد ركوب فرس.

قال أحد الفرسان:

ــ اجلس خلفى على حصانى أيها الأصلع ولنرحل.

اعترض ناصر ثانية: كلا، لن أرحل بهذه الطريقة، بل أريد فرسا أصيلة امتطيها.

وصاح الأربعون فخارا فى الفرسان قائلين:

ــ فلتعطوه فرسا يركبه حتى يذهب معكم.

عندئذ ترك أحد الفرسان فرسه للأصلع وركب هو خلفه. وعندما وصل الرجال إلى القصر شاهد الملك أن أحد فرسانه المحترمين يجلس خلف الأصلع، فثار حنقه وصرخ يقول:

ــ كيف تسقطون هيبتى الملكية وتحضرون إلى قصرى هذا الأصلع راكبا حصان فرسانى؟

رد الفارس قائلا:

ــ اعذرنا يا مولانا الملك، فقد جئنا بهذا الأصلع لسبب وجيه؟

ــ وما هو السبب؟

ــ أعطنا الأمان فنخبركم.

قال الملك: أعطيك الأمان.

قال الفارس:

ـ إن والد هذا الأصلع كان من أفضل وأمهر الفخارين فى العالم. وقد شارك بنفسه فى صناعة قدحكم النادر. ولم ينجح الأربعون فخارا فى صناعة القدح المثيل، فوكلوا الأصلع لصنعه.

نظر الملك إلى الأصلع وقال سائلا:

ـ هل يمكنك صناعته أيها الأصلع؟

رد ناصر: نعم يمكننى.

ومنحه الملك مهلة أربعين يوما.

ثم سأل ناصر الملك:

ـ وما المقابل الذى أحصل عليه لأشرع فى العمل؟

كيف تجرؤ على مساومتى أيها البائس الأحمق؟ على أية حال، ماذا تريد نظيرا لعملك؟

قال ناصر: أرجو الانتباه جيدا لما أقوله ـ أريد أفضل فرس تتمنى بنفسك أن تركبها، كما أريد بقرا وغنما وكل أنواع الماشية والطيور المنزلية، بالإضافة إلى أربعين جوادا محملين بالذهب والفضة والأحجار الكريمة والثمينة من خزائنكم. ثم أرسل كل هذا إلى بيتى. عندئذ سوف أبدأ فى صناعة قدحكم المطلوب.

أمر الملك بإعداد كل مطالب الأصلع وإرسالها إلى بيته. ثم قال للاربعين فخارا:

ـ لن أقوم بقتلكم الآن كى تراقبون الأصلع فى عمله. ولو فشل فى صناعة القدح فسوف آمر بقتلكم معه.

بعد أن رجع الأصلع إلى بيته قام بتوزيع المواشى والذهب والأحجار الكريمة على الأربعين فخارا بالتساوى وقال لهم:

ـ والآن أيها الصناع قد صار لدينا ما يكفى من المال لأربعين يوما وليلة. وعندما انتهى من صنع القدح بعد انقضاء الأربعين يوما فسوف أجلب لكم المزيد من الثروة التى تكفيكم طوال حياتكم. فاذهبوا وأنتم هانئين البال مطمئنين على أحوالكم.

وحمل الأصلع إلى كوخه الفقير حطام القدح المكسور ووضعها على أحد الرفوف. ومضى بعد ذلك يقضى أيامه فى لهو ومرح دون التفكير فى القدح ولا فى عمله. ودبت السكينة أيضا فى نفوس الفخارين وفكروا: "سوف ينجح الأصلع فى صنع القدح بالتأكيد". فارتدوا أجمل الثياب، وأقاموا الولائم والاحتفالات الصاخبة دون أن يشغلوا بالهم بأمر القدح.

وبعد مرور عشرين يوما تذكر الفخارون وفكروا: "ترى هل صنع الأصلع القدح الملعون أو لم يصنعه بعد؟". وذهبوا جميعا إلى كوخه البائس يختلسون النظر. ونظروا فرأوا ناصر راقدا على جنبه فى سكون، وحطام القدح مازالت قابعة على الرف كما وضعها من قبل، لكن التراب قد كساها. فأصابتهم الدهشة وصاحوا يسألون:

ـ ما الذى تفكر به أيها الأصلع؟ لماذا لم تصنع القدح حتى الآن؟ ومتى تنوى أن تنتهى من عمله؟

قال ناصر: لا تشغلوا بالكم أيها الصناع، فسوف أصنعه بطريقة أو بأخرى. اذهبوا وامرحوا ولا تقلقوا أنفسكم بهذا الأمر.

أدرك الفخارون أن الحوار مع الأصلع لن يفضى لشىء فتركوه يائسين وذهبوا إلى حالهم. وأخيرا حل اليوم الأربعين من المهلة. وجاء الفخارون ثانية إلى كوخ ناصر فرأوه نائما. فصاحوا به فى غضب:

ـ أنت أيها الأصـلع، ألم تصنع القدح بعد؟ هيا انهض من نومك واشرع فى العمل.

رد ناصر: أيها الفخارين، كفاكم تذكيرا لى بهذا الأمر، فسوف أصنعه بطريقة أو بأخرى.

ثم قام وفرش بساطا للصناع ودعاهم للجلوس. وبعد أن جلسوا قال ناصر لهم:

ــ ينبغى عليكم أيها الصناع أن تفكروا فى هذا الأمر. فأنتم المعلمين المهرة وأنا مجرد عامل بسيط لديكم.

خفقت قلوب الفخارين من الخوف عندما سمعوا تلك الكلمات. وأردف ناصر يقول:

ــ إذا كان المعلم لا يستطيع إنجاز العمل فما بالك بالتلميذ؟ لقد وقفت أمام الملك فى ذلك اليوم وأنا أفكر بأنه سوف يقتلكم جميعا. فأشفقت عليكم وقلت لنفسى: "لو أن الموت أصبح قدرا محتوما، فلا داعى أن يموت الناس هباء، بل يقضوا أيامهم الأخيرة فى مرح وسعادة، فيأكلون ويشبعون ويلهون قبل الموت". ولهذا السبب وزعت عليكم الثروة التى أعطاها لى الملك. والآن لما تأتون إلى؟ وماذا تريدون منى بعد ذلك؟ فأنا مازلت على حالى الذى كنت عليه من قبل.

فكر الفخارون قائلين: "لقد أسقط فى يدنا ولم يعد بوسعنا شىء نفعله. والآن سوف نواجه الموت الأكيد". وتفرقوا إلى منازلهم. أما ناصر فعاد إلى نومه.

وفى منتصف الليل تذكر ناصر أمر القدح فنهض واغتسل بالماء البارد وجلس يفكر: "كم من الناس فقدوا رءوسهم بسبب حطام هذا القدح؟ ما الذى سوف يحدث لو أننى لم أصنع القدح؟". ثم جلس بحماس وأخذ فى العمل. ولم يمض وقت حتى استطاع أن يصنع قدحا جديدا مماثلا للقدح المكسور ولا يقل عنه جمالا. نظر ناصر إلى القدح فلم يعجبه وألقى به على الرف. وتحطم القدح إلى قطع صغيرة متناثرة. وشرع ناصر فى عمل آخر حتى انتهى منه ونظر إليه. إلا أنه لم يعجبه أيضا فرماه حتى تحطم. وصنع الثالث الذى كان رائع الجمال مقارنة بالقدح القديم. بل إنه فاقه روعة وبهاء.

كانت جوانب القدح الجديد منقوشة بصور الأزهار البديعة. ومن الداخل كان يعكس النور من على مختلف الأشياء بألوان متنوعة. كما كان القدح يتسم بصفة فريدة. فلو أنك نظرت إليه من جانبه الأيمن يبدو لك أن هناك سبعة أقداح فى يدك. وإذا نظرت إليه من الجانب الأيسر يظهر لك كقدح واحد. أمسك ناصر القدح بيده ناظرا إليه فى سعادة وهو يقول لنفسه: "ها هو القدح المطلوب الذى أردت صنعه". ثم لفه بحذر فى منديل ورقد للنوم.

طلع الصباح وحضر فرسان الملك إلى القرية. فذهبوا إلى بيت الأصلع وطرقوا الباب. صحا ناصر ودعاهم إلى الدخول. وبعد أن دخلوا سألوا قائلين:

ــ والآن أيها الأصلع، هل صنعت القدح؟

رد الأصلع: نعم صنعته.

فذهب الفرسان بالأصلع إلى القصر. وعندما رأى الملك أن ناصر يسير فرحا قال فى نفسه: "لابد من أن الأصلع نجح فى صناعة القدح". وسر الملك سرورا شديدا وسأل ناصر:

ــ هل صنعته؟

ــ نعم يا مولاى.

ــ هيا أعطنى إياه لأشاهده.

أعطى ناصر للملك فى يده المنديل الذى يضم القدح. وعندما بسط الملك المنديل لمست أظافره جانب القدح فأصدر رنينا تردد صوته فى أرجاء القصر.

هتف الحاضرون جميعا فى انبهار: "إننا لم نسمع من قبل رنينا عذبا مثل هذا الرنين"

نظر الملك إلى القدح وظل طويلا لا ينطق بشىء من فرط سعادته. وأخيرا قال لوزيره:

ـــ والآن بماذا نكافئ الأصلع؟

رد الوزير: ليس هناك حاجة أن نعطيه شيئًا.

قال الملك فى دهشة: وكيف هذا؟ إن الأصلع صنع قدحا أفضل مما كنت أتمنى. وينبغى أن نكافئه بشىء.

لكن الوزير قال بحسم: كلا، إنه لم يصنع شيئا.

ـــ وكيف ذلك؟ ومن أين أتى بهذا القدح إذن؟

ـــ لقد كان هناك اثنان من هذه الأقداح. أحدهما كان لديك وانكسر، والآخر سرق منذ زمن بعيد. ولم نعثر وقتها على السارق. والآن قد وقع اللص فى أيدينا. إنه الأصلع بعينه الذى أحضر إليك القدح المسروق بدلا من أن يصنع آخر. وهو لا يستحق مكافأة بل يستحق القتل.

وافق الملك على كلام الوزير:

ـــ أنت محق أيها الوزير، وسوف أريه نتيجة فعله الآثم.

ثم جمع الملك مقربيه وقال لهم:

ـــ لقد كان فى العالم كله اثنان من هذه الأقداح الثمينة. أحدهما سرق منذ زمن والآخر كسره الخدم لدى. ومر وقت طويل ونحن لا نجد اللص. حتى وقع أخيرا فى أيدينا بنفسه. وهذا هو القدح المسروق أمامكم، وهذا هو اللص الذميم ـــ وأشار الملك بيده نحو ناصر الأصلع.

ثم نادى الملك على السياف الذى أوثق يدى ناصر وقدميه وساقه إلى الإعدام.

وصرخ ناصر مستنجدا:

ـــ الرحمة والعطف يا مولاى الملك، ليس لى سوى طلب واحد أخير.

قال الملك بغضب: أى طلب أيها اللص الذميم؟

ـ أرجو منك أن تسمع طلبى ثم اقتلنى بعد ذلك.

ـ حسنا، تكلم بسرعة فإن الوقت يمضى.

ـ أرجو أن تتعطف وتأمرهم بحل الحبال من يدى قبل أن أقول طلبى، فإننى لن أهرب إلى أى مكان. وبعد أن أخبرك بطلبى يمكنك قتلى.

أمر الملك بحل وثاق يدى ناصر ففكوها.

ورجا ناصر الملك متوسلا: أيها الملك الرحيم والسلطان العادل، أرجو منك قبل الموت أن أمسك القدح بيدى. ولن أطلب شيئا آخر بعد ذلك.

أعطى الملك القدح للأصلع.

ـ أهذا القدح ملك لك إذن أيها الملك؟

صرخ الملك: أيها الوغد اللص، إنه بالطبع ملك لى.

سأل ناصر: وكم من هذه الأقداح امتلكت؟

ـ اثنان.

ـ وقد سرق أحدهما والآخر تحطم. أليس كذلك؟

ـ نعم، هيا خذه أيها السياف.

ـ وهل تقول الحق يا مولاى؟

ـ نعم أقول الحق. ماذا تريد بعد ذلك؟

ـ أريد القول إن الحقيقة التى تقولها ليست بحقيقة.

ـ كيف تجرؤ على تكذيبى أيها اللص الحقير؟ لقد كان هناك اثنان من هذه الأقداح كما قلت لك.

عندئذ هتف ناصر يقول للحضور:

ـ لقد سمعتم بآذانكم أيها الحاضرين إن الملك يقول بوجود اثنين من هذه الأقداح، واحد تحطم والآخر سرق.

قال الحضور فيما بينهم:

ـ اسمعوا ما يقوله اللص.

وأدار ناصر القدح إلى اليمين فظهر أمام الجميع سبعة أقداح بدلا من قدح واحد. واعترت الدهشة الملك ووزيره والحضور جميعهم الذين التفوا حول الأصلع. ثم تقدم ناصر من الملك قائلا:

ـ أيها الملك المعظم، لك واحد من هذه الأقداح بدلا من المكسورة، والآخر المسروق للوزير، والباقى منهم لزوجتك وبناتك وشقيقتك. ويبدو أيها الملك أن لديك قرعة لم تنضج بدلا من الرأس.

قال ناصر كلماته للملك وضع أمامه الأقداح السبعة. نظر الملك إليهم وتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعه. واحمر خداه حتى صارا مثل الجمر المتقد. وضحك الحضور بصوت خفيض مكتوم: "هاهاها". ووقف الملك متسمرا فى مكانه. وأخيرا عاد إلى رشده وأمر فى ثورة من الغضب بإعدام الوزير وقطع رقبته. ثم منح ناصر معطفا ثمينا وأعطاه الكثير من الذهب والفضة وأطلق سراحه.

عاد ناصر إلى قريته وقام بتوزيع الأشياء الثمينة على الأربعين فخارا.

محستار



فى قديم الزمن كان هناك خليفة يدعى عادل يحكم مدينة بغداد. كان له ثلاث زوجات لم ينجبن له أولادا ولا بنات لمدة طويلة من الزمن. وأخيرا وضعت زوجة الخليفة الصغرى ديلور ولدا أسموه شوكت. وألبسوا الأمير الصغير الحرير

والدمسق وأحضروا له عددا من المربيات والمرضعات. كان الولد جميلا كنجمة الصباح فى السماء. وفرح الخليفة بابنه المولود كثيرا فأمر بإقامة الموائد التى تقدم اللحم والطعام فى أرجاء البلاد، وتوزيع الهدايا والهبات على الفقراء من العباد تكريما للأمير الصغير.

ومرت الشهور واحدًا بعد الآخر، وانقضت السنوات سنة تليها الأخرى حتى بلغ الأمير السابعة من العمر ومضى فى عامه الثامن. فأحضر الخليفة أفضل العلماء والحكماء فى بغداد لتلقين ابنه شتى فنون العلم والدراسة. وأظهر شوكت نبوغا فريدا وذكاء كبيرا فى التحصيل. فما يكاد المعلم يعطيه درسا حتى يراه وقد حفظه وفهم مغزاه.

وعندما بلغ عامه الخامس عشر تفوق فى معارفه على جميع معلميه فى البلاط. ولم يكن هناك علما إلا وعرفه ولا لغزا إلا وحل طلاسمه. بالإضافة إلى كل هذا فقد كان ملما بالغناء والموسيقى، ومجيدا فى فنون القتال والسلاح.

أتم شوكت عامه السابع عشر ومضى فى عامه الثامن عشر. وقد ألم بالفنون العسكرية بصورة ممتازة حتى إن أبيه الملك عينه قائدا للجيش وجعل تحت إمرته ثلاثة آلاف من الجند والفرسان.

فى أحد الأيام خرج شوكت إلى الصيد مع جنوده.

وما إن وصلوا إلى ثغر بأحد الجبال حتى قفزت أمامهم ظبية رائعة الجمال. كانت قوائمها الأربعة مكسوة بالصدف، ويلتف حول كل قائم منهم ثمان حلقات من الذهب. كما أن لها قرونًا من الذهب مزينة باللآلئ والماس. وكان فراؤها ملونا بالألوان الاثنى والثلاثين، من الأبيض إلى الأسود، والأخضر فالأحمر والأصفر والوردى ومن جميع الألوان.

مرقت الظبية بجوار الأمير وهى ترمقه بنظراتها، ثم قفزت مبتعدة عنه وركضت كالسهم بينما أخذت تتموج تحت أشعة الشمس ألوان فرائها المختلفة، وصارت الحلقات الذهبية حول قوائمها تصدر أصواتا مجلجلة فى الفضاء.

تسمر الأمير فى مكانه مبهورا من الدهشة والذهول وهتف يقول:

ـ أريد الحصول على هذه الظبية بأية وسيلة، حتى لو دفعت حياتى ثمنا لها.

ثم صاح على فرسانه آمرا:

ـ أريد منكم أن تأسروا لى هذه الظبية وهى على قيد الحياة.

أسرع الجنود والفرسان فى مطاردة الظبية وحاولوا الإمساك بها بلا جدوى. غضب الأمير واندفع بنفسه يطاردها، وظل يركض خلفها هنا وهنا لكنه فشل هو الآخر فى أسرها. عندئذ أمر جنوده بتطويق الظبية من كافة الأنحاء وأردف يقول:

ـ إننى أحذركم ألا يفلت أحدكم الظبية وإلا أمرت بقتله.

وأخذ الفرسان يضيقون الحصار على الظبية ويطبقون عليها الدائرة شيئًا فشيئًا ، بينما الظبية لا يبدو عليها أى أثر للخوف، بل أخذت تتلفت حولها وهى تقفز فى الهواء وتضرب الأرض بقوائمها. وأخيرا ضاقت الدائرة حتى إنها لم تتسع للجنود فكونوا حلقة ثانية حول الظبية.

وما إن بدأوا بالاقتراب منها حتى رفست بقوائمها فرس الأمير فى جنبه وقفزت هاربة. اعترى الخجل الأمير ولم يعد بمقدوره أن يلقى باللوم على أحد من فرسانه. فقد أفلت بنفسه الظبية وفرت من تحت يديه.

لكز الأمير فرسه وانطلق بكل قوة وحماس خلف الظبية يطاردها.

كان فرسه قويا سريعا فاستطاع اللحاق بالظبية. غير أنه كلما حاول الإمساك بها لم ينجح فى ذلك ولا مرة.

قرر الأمير فى نفسه قائلا: "إن لم أقدر على أسرك حية فسوف أحصل عليك ميتة إذن". ثم ترجل من على فرسه وأخرج سهما من جرابه وشد قوسه عليه

مصوبا ناحية الظبية وأطلقه. لكن السهم مر بجوار الظبية ولم يصبها. فأطلق سهما ثانيا مر بالكاد أمام فمها، فثالثا طاش وأخطأها أيضا.

تملك الغضب من شوكت وأخذ يطلق سهامه واحدا بعد الآخر ناحية الظبية التى لم تعره اهتماما وظلت تقفز وتركض أمام عينيه.

كان الأمير يحمل خمسمائة سهم فى جرابه أطلقهم جميعا نحو الظبية ولم ينجح فى إصابتها بسهم واحد منهم.

فرت الظبية تركض نحو الجبل والأمير من ورائها. وأخذت تقفز من صخرة لأخرى والأمير أيضا يقفز على فرسه من خلفها. وصارت تثب فوق الصخور ثم تلتفت ناظرة نحو الأمير وتواصل القفز ثانية.

صعدت الظبية إلى أعلى صخرة تقع فى قمة الجبل. وعلى الرغم من صعوبة الصعود للفرس إلا أنه تمكن من اللحـــاق بها وشوكت على ظهره وهـــو لا يفكر إلا فى الإمساك بالظبية حية كانت أو ميتة.

نظر شوكت إلى الصخرة العالية فرأى بداخلها ممرا ضيقا للغاية يمر عبره المرء بالكاد. كان الممر يفضى إلى سهل فسيح تنمو به الأعشاب بكثافة. ركضت الظبية عبر الممر وهى ترفس الأرض بمرح ومن خلفها الأمير وعيناه تقدح شررا من فرط الغيظ.

تشبث الأمير برقبـــة الفرس وهو يعـــدو وراء الظبية بعزيمـــة وإصرار ولا يريد أن يمنحها فرصة كى تلتقط أنفاسها. اندفعت الظبية إلى الغابة المترامية وشوكت يركض على فرسه خلفها. كانت الغابة تعج بأنواع من الأشجار الباسقة آية فى الجمال، لم ير الأمير مثيلا لها من قبل. وتنتشر بها شتى الأزهار فى كل الأركان، وتحلق فيها الطيور المغردة والبلابل الصداحة. أخذ الأمير يعدو ويسير فى أرجاء الغابة دون أن يعثر على أثر للظبية التى اختفت.

هبط الليل على المكان دون أن يفكر شوكت بالرحيل خاوى اليدين فقرر فى نفسه قائلا: "فلأقضى ليلتى هنا وغدا فى الصباح أواصل مطاردة الظبية".

توقف الأمير فى مكان مكشوف فى الغابة وترجل من على فرسه. ثم مسح العرق من على جسم الفرس ونزع السرج من فوقه وخلع اللجام من على رقبته وخاطبه قائلا:

ـ يا فرسى العزيز، إن العشب هنا أخضر وكثيف، فاذهب وارعى منه حتى تمتلئ معدتك وتتخم من الشبع.

ثم افترش الأمير العشب ورقد عليه واضعا تحت رأسه السرج بدلا من الوسادة وبدأ النوم يداعب جفونه. وما إن أغمض عينيه حتى تناهى إلى مسامعه صخب أصوات عالية. صحا الأمير وتلفت حوله فأدرك أن الغابة تكتظ بالوحوش المفترسة من كل نوع وصنف. عندئذ طار النوم من عينيه ولم يعد يفكر إلا فى وسيلة للهروب من هذه المحنة. وقاده تفكيره إلى تسلق شجرة عالية وصار يصعد عليها من فرع لآخر. وما إن استقر به المقام على أحد الفروع حتى جاءت كل انواع الوحوش إلى الشجرة، من الأفيال والأسود والنمور، إلى الذئاب والثعالب والدببة والثعابين واجتمعوا جميعا حولها.

وهكذا جلس شوكت فوق الشجرة ولم يستطع أن يغفو حتى الصباح. وبعد طلوع الفجر تفرقت الوحوش وغادرت المكان. حينئذ استطاع شوكت الهبوط من على الشجرة وذهب يبحث عن فرسه وهو يفكر فى نفسه: "ليت أن الفرس نجا من هذه الوحوش ولم يفترسوه بعد". وبعد ذلك عثر على فرسه يرعى العشب فى سلام فاغتبط وسرّجه ثم امتطاه منطلقا فى أثر الظبية.

ظل شوكت يسير فى أرجاء الغابة باحثا عن الظبية حتى انتصف النهار ووصل الأمير إلى الأطراف حيث تنتهى الغابة وتبدأ حقول القصب من بعدها. فكر الأمير :"من الجائز أنها تختبئ بين عيدان القصب النامية". ومضى شوكت يبحث ويفتش فى الحقول دون أن يعثر للظبية على أثر.

أسدل الليل ستوره على المكان وحان وقت العودة. لكن شوكت كان قد ابتعد كثيرا ولم يعد بمقدوره أن يعرف موقعه أو طريقا للعودة يسير به.

واضطر إلى المبيت فى الغابة فوق إحدى الأشجار العالية مرة ثانية.

وفى الصباح هبط الأمير من على الشجرة. وأسرج فرسه ومضى يبحث عن طريق للخروج من الغابة. ومضت عليه أربع ساعات فى الطريق حتى وصل إلى بقعة مكشوفة رأى فى نهايتها بعض التلال. رأى الأمير دارا صغيرة تقوم على أحد هذه التلال.

فكر الأمير: "لابد من أن هناك أناس يعيشون فى هذه الدار، فلأذهب إليهم وأسألهم عن الطريق". وانطلق شوكت على فرسه صوب الدار حتى وصل إلى التل وصعده فرأى خلفه وادى يشقه نهر كبير تمتد على شاطئيه البساتين. سار الأمير بمحاذاة الشاطئ حتى وصل إلى الدار.

عبر شوكت البوابة فوجد نفسه داخل فناء واسع على أحد جوانبه يرتفع حائط عريض، وعلى الجوانب الأخرى تمتد صفوف من الحجرات واحدة بعد الأخرى. البعض منها يكسوها القيشانى الأخضر، والبعض الآخر بالأحمر، والثالث بالأصفر. ومن بينهم أيضا حجرات تزينها البلاطات الوردية والزرقاء ومختلف الألوان الأخرى. وخلف الفناء تقع صالة واسعة من الرخام تتوسطها نافورة من المياه الصافية كالحليب. وفى أركانها الأربعة ترتفع أربع شجرات مورقة.

خلف هذه الصالة كان هناك الإسطبل والمعالف التى امتلأت بالزبيب والتبن والحبوب. كان كل شىء فى المكان نظيفا براقا إلا أنه كان خاليا من الناس.

فكر شوكت فى نفسه: "فلأمكث فى هذا المكان لبعض الوقت حتى يحضر أحد من أصحاب الدار فأسأله عن الطريق، وإن لم يحضر أحد أكون قد أخذت قسطا من النوم وأرحل بعد ذلك".

ثم ربط الأمير فرسه فى الإسطبل وقال له:

ــ هيا انعم وكل ما شئت من الحبوب أو التبن حتى تشبع وتصاب بالتخمة.

بعد ذلك جرجر شوكت قدميه وهو منهك من التعب حتى وصل إلى الصالة المرمرية فرقد أسفل إحدى الأشجار وراح فى النوم.

طال نومه أو قصر لا أحد يدرى المهم فى الأمر أنه استيقظ من سباته على صوت ما صادر من حوله. نظر الأمير فرأى باب إحدى الحجرات قد فتح وخرجت منه حسناء ممشوقة القوام تحمل زلعة ذهبية فى يدها. سارت الفتاة نحو نافورة المياه وملأت الزلعة منها وعادت إلى الحجرة مرة أخرى دون أن تلقى ولو نظرة على شوكت.

قال شوكت مندهشا:

ـ ما هذا الذى يجرى من حولى؟ تخرج الفتاة دون أن تنطق بحرف أو تعيرنى بنظرة منها ثم تعود مرة أخرى.

كانت الفتاة على قدر كبير من الحسن والجمال والرشاقة مما جعل قلب شوكت يدق عاليا. فظلت عيناه عالقتين بالباب الذى دخلت منه الفتاة.

مرت برهة من الزمن وانفتح باب نفس الحجرة مرة ثانية، لكن فى هذه المرة خرج منها رجل عجوز بهى الطلعة فى الخامسة والخمسين من العمر، ذو هيئة وقورة ولحية يتخللها الشعر الأشيب وابتسامة هادئة.

تقدم العجوز من الأمير شوكت وعقد يديه حول صدره وقال:

ـ مرحبا بك أيها الضيف الكريم.

رد شوكت على تحية العجوز بلطف وقال:

ـ لقد تهت وضاع منى الطريق. وقد أنهكنى التعب حتى رأيت هنا ظلا وارفا فاستظليت به للراحة. فاعذرنى لتطفلى على حديقتكم دون إذن أو تصريح سابق.

رد العجوز قائلا: هيا انهض وامض معى أيها الفتى.



لكن شوكت ارتاب فى الأمر فسأل قائلا:

– إلى أين تريد منى الذهاب؟

رد العجوز بلهجة واثقة:

– اتبعنى ولا تخش شيئا ولا تقلق على فرسك فسوف يقومون برعايته.

قاد العجوز الأمير شوكت إلى نفس الباب الذى خرجت منه الفتاة. وعندما دخل شوكت معه رأى حديقة أخرى أكثر روعة وجمال من الأولى. كان يحيطها من الأركان الأربعة أبنية لم ير شوكت مثلها فى الجمال ولا حتى فى قصر أبيه الخليفة البغدادى. وكانت أركان الحديقة تفيض بالأزهار والورود والأشجار المثمرة بالثمار من كل الأنواع. ولما شاهدها شوكت قطف واحدة منها كى يتذوقها. لكنه لم يستطع قضمها لأنها كانت يابسة كالصخر. وعندئذ أدرك الأمير أن كل هذه الثمار التى تتدلى من الأغصان هى بالفعل من الأحجار. لكنها ليست من الأحجار العادية بل الكريمة. قاد العجوز الأمير إلى القاعة المرمرية ذات الأعمدة الذهبية. كانت القاعة مفروشة بالأبسطة الحريرية الملونة والوسائد المخملية الطرية. ودعا العجوز شوكت إلى الدخول.

كانت هناك امرأة تقف أمام القاعة. ما إن رأتهم حتى عقدت يديها أمام صدرها وانحنت لهم فى احترام.

أخذ كل من العجوز والأمير أماكنهما فى القاعة واقتربت المرأة من شوكت تحييه وترحب به. كانت المرأة فى الخامسة والعشرين أو الثامنة والعشرين من العمر على الأكثر. كان لها خدان مثل التفاحتين، وجسم أبيض بلون اللؤلؤ تماما. وعلى جبهتها حاجبان مرسومان كالقوسين، وعيناها نجمتان تلمعان. وشفتاها لهم نعومة عود البصل النامى وحمرة زهرة الخشخاش. وأعلى شفتها العليا توجد شامة سوداء، وأخرى أنعم تقع أسفل ذقنها الصغير. وضفائرها السوداء تتدلى كالثعبان على ظهرها حتى تصل إلى ركبتيها.

جلست هذه المرأة بجوار العجوز. وبعد وقت قليل دخلت الفتاة التى جاءت من قبل وملأت الزلعة الذهبية بالماء من النافورة. ثم قامت بإلقاء التحية على شوكت عدة مرات وقالت:

ـ مرحبا بك أيها الضيف العزيز.

ثم قالت المرأة للفتاة:

ـ هيا أحضرى لضيفنا أطباق الطعام والحلوى.

انحنت الفتاة فى احترام ودخلت إلى البيت.

لم يمض سوى وقت قليل حتى جاءت فتاة أخرى تشبه الأولى بعض الشيء إلا أنها كانت على قدر أكبر من الجمال والرشاقة. ثم نظرت إلى شوكت ومالت بخصرها أمامه قائلة:

ـ مرحبا بالضيف العزيز.

نهض شوكت وعقد يديه أمام صدره وانحنى هو الآخر أمام الفتاة يرد تحيتها.

دخلت الفتاة إلى البيت وأحضرت منه مفرشا ذهبيا فردته أمام الأمير. وبعد ذلك جاءت فتاة أخرى قامت بتحية الحضور ودلفت إلى البيت. وأخيرا أخذت الفتيات يدخلن إلى القاعة واحدة بعد الأخرى وهن يحملن ما لذ وطاب من أطباق الطعام الفاخر والحلوى ويضعهن أمام الأمير. فكان هناك اللحم والخبز الأبيض بلون الثلج، والفطائر والعسل والعصائر والفاكهة وكل أنواع الحلوى.

كانت المرأة الجميلة تجلس بجوار العجوز. وصارت تقطع الخبز والفطائر وتقدمهم إلى الضيف وتدعوه إلى الأكل. فى هذا الوقت حملت الفتاة الأولى السماور الذهبى إلى القاعة ووضعته بجانبهم وأخذت تصب لهم الشاى فى الأقداح. ثم قدمت أول الأقداح إلى شوكت وبعد ذلك قدمت إلى أصحاب الدار وجلست هى الأخرى فى ركن بالقاعة. وأخذ الجميع يشربون الشاى ويتناولون الطعام فى هدوء وهم يتجاذبون أطراف الحديث والحوار.

عندئذ قال العجوز للفتيات:

ـ لقد أصاب التعب ضيفنا وحل به الإرهاق، فجهزوا له فراشا كى يستريح بعض الوقت.

حملت الفتيات فراشا ذهبيا إلى الحديقة أسفل إحدى الأشجار. ثم أحضروا الوسائد المخملية ووضعوها عليه، وفردوا عليه غطاء من الحرير الناعم حتى أصبح الفراش جاهزا للنوم.

رقد شوكت للنوم بينما جلست فتاتان بجانبه تحركان مراوح من الريش أمام وجهه لتبعدا عنه الذباب والهوام.

وعندما صحا الأمير من النوم حملت إليه الفتيات الماء المعطر فى إبريق من الذهب. فغسل شوكت وجهه ويديه ثم جففهم بمنشفة حريرية بيضاء. بعد ذلك ذهبت الفتيات إلى البيت وجاء العجوز مع المرأة وسأل الأمير:

ـ كيف حالك أيها الضيف؟ هل كان نومك مريحا؟

وهنا دخلت إحدى الفتيات وأخبرتهم بأن العشاء قد أعد. ثم فرشت المائدة ووضعت عليها أطباق الطعام من كل صنف ونوع. وجاءت إحدى الفتيات تحمل إبريقا ذهبـيا مملوءًا بالنبيذ وصبت منه فى أقداح من الذهب قدمتها للحاضرين وهى تقول:

ـ فلنشرب نخب ضيفنا العزيز.

وعندما انتهوا من تناول الطعام ومن الشراب خرج من البيت طابور من الفتيات الصغيرات كل واحدة منهن أجمل من الأخرى. فالحواجب سوداء، والعيون عسلية، والأعناق بيضاء. والجميع يرفلن فى ثياب من الحرير. كانت كل فتاة تحمل فى يديها آلة موسيقية. من الدف إلى الكمان والناى والطبل والقيثارة. وأخذوا فى العزف والغناء ورقصت الحسان على أنغام الموسيقى. وظلوا فى مرح ولهو حتى طلوع الفجر.

وبعد انقضاء السمر رافقت الفتيات الضيف المتعب إلى فراشه.

وفى الصباح حضرت الفتيات إلى شوكت. إحداهن تصب له الماء من إبريق ذهبى ليغتسل، والأخرى تحمل له منشفة بيضاء بلون الثلج كى يجفف بها جسمه.

ثم جلس الجميع إلى مائدة الإفطار. وبعد تناول الطعام اصطحبت الفتيات الأمير فى جولة بالحديقة الجميلة.

ظل الأمير يتجول فى الحديقة حتى انتصف النهار، ودعوه بعد ذلك إلى الغداء حيث قدموا له الطعام والنبيذ. ولما حل المساء تكرر ما حدث فى الليلة السابقة فأخذت الفتيات فى العزف والغناء والرقص، واستمر اللهو والمرح وطال حتى بزوغ الفجر.

وهكذا كانت الفتيات طوال الليل والنهار يقمن على خدمة شوكت وتسليته وإطعامه ثم يضعنه بالفراش لينام.

فى الصباح التالى وبعد تناول طعام الإفطار أمر العجوز الفتيات بالانصراف. وظل هو والمرأة الجميلة بمفردهما مع شوكت حيث دار بينهم الحوار التالى الذى بدأه العجوز بقوله:

ـ معذرة لما سوف أقوله لك أيها الضيف، لقد مر يومان وأنت تقيم معنا. فى اليوم الأول لمقدمك كان التعب قد نال منك ولم يكن من اللائق سؤالك عن أصلك ووجهتك. أما الآن أرجو أن تخبرنا عن هويتك وسبب مجيئك إلينا.

أجاب شوكت عليهم قائلا:

ـ أنا ابن الخليفة عادل، وقد جئت من مدينة بغداد التى تقع وراء هذه الجبال. ومنذ وقت قريب خرجت مع فرسانى إلى الصيد. وصادفتنى ظبية خارجة من إحدى الكهوف الجبلية. كانت ظبية رائعة الجمال، قوائمها الأربعة مكسوة بالصدف، ويلتف حول كل قائم منهم ثمان حلقات من الذهب. كما أن لها قرونا من الذهب مزينة باللآلئ والماس. وكان فراؤها ملونا بالألوان الاثنى والثلاثون لون. وكانت تقفز فى رشاقة وجمال حتى إننى رغبت فى الإمساك بها حية. فأصدرت

أوامرى إلى جنودى أن يأسروها، إلا أنهم فشلوا فى ذلك فشلا ذريعا. وعندئذ قررت أن أطاردها بنفسى حتى أصرعها. وأطلقت عليها خمسمائة سهما طاشوا جميعهم ولم يصبها منهم واحد. وفرت الظبية إلى الجبال وأنا أطاردها. وبعد ذلك دخلت إلى قلب الغابة حيث اختفت فيها ولم أجد لها أثرا هناك.

لم ينته الأمير من سرد حكايته حتى فتح فجاة أحد الأبواب وغمر الحديقة ضوء ساطع ساد أركانها وغطى أرجاءها. وإذا بفتاة فى السادسة عشرة من العمر تخرج من البيت. كانت عيناها تماما مثل حبتين من العنب الأسود، فوقهم حاجبان مرسومان، ولها ضفائر سوداء تتدلى فوق ظهرها، وجيد ممشوق، وثديان تحت الثياب نافران مثل تفاحتين ناضجتين، وشفتان قرمزيتان، وعنق كالثعبان، وخدان أحمران متوردان، وأسنان مثل اللؤلؤ، فبدت مع كل هذا مثل حورية من الجنة. ركضت الفتاة بالقرب من شوكت ورمقته بنظرة من خلف كتفيها وهى تبتسم. ثم أغلقت الباب واختفت. لوح العجوز لها بيديه قبل أن تختفى ولسان حاله يقول: "آخ منك أيتها الشقية".

اختلطت الأفكار فى رأس شوكت بعد أن رأى الفتاة وتشوش ذهنه فنسى حديثه، وتجمدت الكلمات فوق شفتيه وتسمر فى مكانه.

قطع العجوز الصمت وقال:

ـ هيا واصل سرد حكايتك أيها الأمير.

جمع شوكت شتات أفكاره وبدأ يواصل حكيه فقال:

ـ مضيت ساعيا خلف الظبية دون أن أجد لها أثرا حتى حلول الليل. وفى اليوم التالى أيضا واصلت البحث عنها بلا طائل. وأدركت عدم جدوى المطاردة وضرورة العودة. لكننى لم أعثر على الطريق كى أعود أدراجى منه، لذا جئت إلى هنا للسؤال عنه.

فى هذا الوقت فتح الباب مرة أخرى وخرجت منه نفس الفتاة الشقية فضربت الأرض بأقدامها وهى تبتسم ثم أغلقت الباب واختفت خلفه. زاغت عينا شوكت ثانية وتمالك نفسه بصعوبة وأكمل حديثه قائلا:

ـ هذا ما يمكننى أن أقوله عنى، والآن أتى دوركم لتحكوا لى عن أنفسكم.

رد العجوز على الأمير قائلا:

ـ عندما يحين الوقت لذلك فسوف نحكى لك، أما الآن فقد أزف وقت التريض والمرح.

نادى العجوز على الفتيات اللاتى اصطحبن الأمير ثانية إلى الحديقة ليمرحوا بها.

مرت أربعة أيام. كان شوكت فى أول الأمر سعيدا بتجواله فى الحديقة وتمضية الوقت بها. لكن الملل أصابه بعد ذلك فسقط حاجباه وتملك الحزن منه. وعندما لاحظت الفتيات حالته هذه صرن يكثرن من العزف والغناء للترويح عنه، غير أن الحزن لم يفارقه وكانت الابتسامة فقط هى التى فارقت وجهه. فلم يكن الأمير يفكر إلا بالفتاة اللعوب المرحة صاحبة الابتسامة الفاتنة.

وفى إحدى الأوقات ذهب شوكت إلى العجوز وسأله قائلا:

ـ أريد أن تقص على حكايتك، من أنت؟ ولماذا تعيش فى هذه الجبال المقفرة؟

حاول العجوز التملص من الكلام والتطرق إلى حديث آخر لكنه فى النهاية رضخ تحت إلحاح الأمير وسؤاله وبدأ فى سرد حكايته قائلا:

ـ لقد ولدت فى مدينة هيرات، وكان أبى من أثرياء التجار ويملك من الجمال والبعير أكثر من ألف رأس. فكان ينقل البضائع والسلع من هيرات إلى المدن الأخرى، ويأتى إليها بمختلف المنتجات والمصنوعات. وعندما أصاب أبى العجز وبدأ الهرم يدب فى جسده طلبنى وقال لى: "ولدى صادق، لقد كبرت وأصبح

لديك عقل راجح، بينما صحتى فى تقهقر ولم يعد بمقدورى السفر مع القوافل. لذا فإننى أنقل إليك كل تجارتى لتدير شئونها وتسافر إلى شتى المدن والبلدان بدلا منى".

ركعت باحترام أمام والدى وأجبته قائلا:

ـ حسنا يا والدى، إننى رهن إشارتك وطوع أوامرك، أسافر أينما تشير، وأذهب لأى مكان تريدنى أن أذهب إليه.

وانطلقت قوافلنا من مدينتنا إلى بلاد الهند. حمّل والدى ألف جمل بمختلف البضائع والسلع، وأحضر لى عددا من الجمالين والأدلاء ومضيت فى طريقى على رأس القافلة. كانت الأجراس تدق حول أعناق الجمال وأنا أتنقل من مكان لآخر، تارة انطلق على الحصان وتارة فوق الجمل أسير. وعندما يصيبنى الضيق من الركوب أترجل وأمضى سيرا على الأقدام. وهكذا صرنا نرتحل من مدينة لأخرى ونسافر من بلد لآخر. وأخذنا نقطع الفيافى والصحراوات القاحلة التى عانينا فيها الكثير من قلة الماء والزاد وانعدام العشب. فلم يكن بها سوى الرمال والحرارة اللاهبة. وسرنا أياما عديدة ونحن على هذا الحال حتى وصلنا فى آخر الأمر إلى بلاد الهند. وحطت قافلتنا الكبيرة الرحال فى إحدى مدنها، ومن ضخامتها شغلت جميع استراحات التجار الموجودة بها.

قضينا اليوم الأول لوصولنا فى الراحة من عناء الطريق. وأمضيت يومى فى الاستراحة ولم أغادرها. وفى اليوم التالى شرعنا فى عرض بضاعتنا على التجار فى المدينة. ومر علينا اليوم الأول فى المساومة والتجارة حتى هبط الليل فذهبنا للراحة والنوم. وفى اليوم التالى صحوت فى الفجر فاغتسلت وذهبت إلى الجامع. ونظرت أثناء سيرى فى الطريق فرأيت جموعا من الناس تركض خارجة من الجامع فصرت أركض معهم. وفى الشارع شاهدت حشدا كبيرا من الناس من بينهم أطفال وكبار وعجائز ونساء وفتيات والجميع يهرولون مسرعين إلى ناحية لا أعرفها وأنا أفكر فى نفسى قائلا: "إلى أين يندفع كل هذا الجمع يا ترى؟". ووجدت نفسى مندفعا وراءهم حتى وصلت الحشود إلى بوابة هائلة الحجم يقف على

جانبيها حراس أشداء. عبرت البوابة فرأيت ميدانا واسعا تحيطه الأشجار من جوانبه الثلاثة، وعلى الجانب الرابع يمتد سور عال. وفى وسط الميدان اصطف طابور من الفرسان على جيادهم. كانت الجياد تقف شامخة بأعناقها المرنة وذيولها الطويلة وصدورها العريضة. والفرسان على ظهورها من الفتيان الحسان جميعهم على قدر كبير من بهاء الطلعة وحسن المظهر وهم يرتدون ملابس متماثلة. وقبالة الفرسان عند أحد الأعمدة وقف شاب فى الثامنة عشر من العمر مفتول القوام، مستدير الوجه، أسود الشعر والحاجبين، يكاد الدم من فرط احمرار وجنتيه أن يسيل على الأرض. وكان يرتدى عباءة حريرية حمراء ناصعة اللون، ويلف خصره بمنديل ذهبى وآخر حول رقبته. كما يضع على رأسه تاجا من الذهب. كان الميدان فى هذا الوقت قد اكتظ عن آخره بالناس. فلم أر فى حياتى من قبل مثل هذه الحشود المجتمعة. كان الناس ينظرون إلى الفرسان ثم يتحولون بانظارهم إلى الشاب صاحب العباءة الحمراء ويتحسرون قائلين بصوت عال:

ـــ واأسفاه على هذا الشاب الجميل.

كان الحزن يكسو وجوه المجتمعين كلهم كما لو كانوا يقولون فى صوت واحد: "لماذا تضيع حياة هذا الشاب هباء؟".

تصاعدت حالة الأسى بين الحضور حتى إن بعض العجائز وكبار السن أخذوا فى البكاء. وفجأة ظهر أحد الفرسان واندفع على حصانه نحو عمود من الأعمدة معلق به طبل كبير. ترجل الفارس من على حصانه وانتزع الطبل من فوق العمود وصار يدق عليه بقوة أربع مرات. وفى هذا الوقت كان الناس المحتشدون يرنون جميعا بأبصارهم نحو السور المرتفع الذى ضم بوابتين. على إحداهم علقت رءوس القتلى تتأرجح على الأطراف الحديدية المدببة لها. وما إن قرع الطبل حتى فتحت البوابتان على مصراعيهما وخرجت منهما إلى الميدان عشرة فتيات حسان يرفلن فى ثياب حريرية بيضاء. كانوا جميعا من ذوات العيون والحواجب السوداء والضفائر الطويلة. ركضن جميعا وهن يبتسمن نحو الشاب صاحب العباءة الحمراء وأمسكن به من يديه وساقوه نحو البوابة التى أغلقت خلفهم بعدما اختفوا ورائها. بعد

ذلك ازداد القلق وعلت الهمهات بين الناس. ومن خلف السور ارتفع صوت الأبواق والبروجى منذرا. ثم خرج يسير فوق السور رجل قبيح الهيئة تغطى التجاعيد وجهه يرتدى زيا مبرقشا تغطيه الدماء. كان هذا القبيح يحمل بيده اليمنى خنجرا طويلا، وباليد اليسرى ويا للأسف والحسرة يحمل رأس الشاب الجميل. رفع الرجل الرأس فى يده ملوحا بها، ثم قام بغرسها فوق إحدى الأطراف المدببة للبوابة بجانب بقية الرءوس المقطوعة. وما إن شاهد الناس الجلاد على السور حتى ارتفع صوت الصراخ والعويل بين الحضور. فهتف البعض صارخا فى أسى: "يا للهول"، ثم سقطوا على الأرض. وآخرون أخذوا يصيحون فى حسرة قائلين: "يا لها من خسارة أن يقتل مثل هذا الفتى وهو مازال فى ربيع العمر". أما النسوة فصرن يولولن صارخين: "آه.. ليتك لم تولد أيها الفتى المنكوب أفضل لك من أن تقتل بيد الجلاد". ثم أخذ الناس يجففون دموعهم ويتفرقون كل فى طريقه. وعدت أنا الآخر إلى محل إقامتى فى الاستراحة وأغلقت على نفسى باب الحجرة. لكن الصورة المرعبة لإعدام الفتى لم تفارق مخيلتى، وصرت أتحرق شوقا لمعرفة السبب وراء كل ما جرى. لكننى لم أقرر بعد أن أسأل أحدا عن هذا الأمر.

وفجاة سمعت صوتا صادرا من الشارع يصرخ قائلا:

ـ يا للمصيبة، يا للنكبة.

خرجت لأستطلع الأمر فرأيت رجلا عجوزا يسير متكئا على عصاه وهو يكرر كلماته بين الحين والآخر: يا للمصيبة، يا للنكبة. ثم توقف العجوز أمام إحدى حجرات الاستراحة ودلف إليها. بعد ذلك تبعته وخبطت على باب حجرته ففتح العجوز الباب لى وقال: "ادخل يا بنى تفضل". فدخلت وألقيت عليه بالتحية ودعانى إلى الجلوس. ولاحظت أن الدهشة بادية على وجهه بسبب زيارتى له. وبعد برهة سألنى قائلا:

ـ أى ريح طيبة حملتك إلى يا بنى؟

صرحت للعجوز إننى غريب عن المدينة، وسألته عن سبب الإعدام الرهيب الذى جرئ فى هذا الصباح. أجاب العجوز قائلا:

ـ لأنك غريب عن هذه الأنحاء يا بنى لذلك فأنت لا تعرف السبب وراء عملية الإعدام البشعة التى جرت. ومن حسن طالعك أنك لا تعرف السبب وليس هناك داع لأن تعرفه. ولو سألك أحد عند رحيلك عن هذا الأمر فأجب قائلا: "لا أعرف".

غير أن الفضول كان يدفعنى لمعرفة السر فيما جرى وصرت ألح فى سؤال العجوز:

ـ أيها الوالد المبجل، لقد حضرت إلى مدينتكم وشاهدت بعينى هذا الأمر الشنيع. وبعد عودتى إلى موطنى سوف أقص ما رأيت على والدى وأمى وأقربائى، وعندئذ سوف يسألنى الجميع: "وما السبب وراء قتل هذا الفتى؟". فهل من اللائق أن أجيب عليه قائلا: "لا أعرف السبب لما جرى"؟

فكر العجوز مرة وفكر ثانية حتى وافق أن يتكلم وقال:

ـ حسنا، فلتمض الأمور على هذا النحو الذى تريده، فسوف أخبرك عن حقيقة الأمر وأنت بدورك تخبر الآخرين من السائلين.

وبدأ العجوز فى سرد الحكاية:

ـ إن حاكم هذه البلاد الملك سلامة له ابنة تدعى محستار. ولا أحد يدرى إن كانت قد ولدتها أم عادية أم جنية من جنيات هذا العالم. هذا لأن الفتاة على قدر من الحسن والجمال لا مثيل له فى بلادنا وفى بقية بلدان العالم التى عرفت هى الأخرى عن محستار وعن جمالها الساحر. لم يشاهدها ملك أو أمير أو باشا إلا وطار لبه من فرط جمالها. وصار الأمراء والفتيان العاشقون يأتون من كل صوب وركن ليركعون أمامها طامعين أن تصبح عروسا لهم. غير أن محستار وضعت شروطا للزواج منها: "إذا نجحت فى تنفيذ شروطى أصبح زوجة لك، أما إذا أخفقت فسوف تفقد رأسك". ويندفع الشبان مسحورين بجمالها الأخاذ لا يميز منهم أحد

الأبيض من الأسود من فرط افتتانهم بها، حتى إنهم مستعدون للقفز عن طيب خاطر فى قلب النار فى سبيل الحصول عليها. لكن محستار وضعت شروطا مستحيلة التنفيذ على أرض الواقع. ولهذا صار الفتيان يفقدون رءوسهم التى تقطعها أياد الجلادين بعد فشلهم فى تحقيق تلك الشروط. واليوم فقد أمير من البصرة رأسه ثمنا لعشقه.

استمعت إلى حكاية العجوز وشكرته، ثم تركته وخرجت عائدا إلى حجرتى. فى هذا الوقت كان أتباعى قد باعوا البضائع التى جلبناها وربحوا ما ربحوا ولم يبق لنا سوى شراء البضائع الجديدة والرحيل إلى الديار. وخرجت إلى السوق أتفقد أحواله لأختار منه السلع والبضائع التى يمكننا شرائها. فرأيت فى أثناء تجوالى امرأة عجوز تجلس فى أحد الأركان وهى تضع أمامها ربطة ملفوفة لا يظهر شيء بداخلها وتهتف منادية:

ـ هيا أيها الناس تقدموا إلىّ، من منكم سعيد الحظ ليشترى منى هذ الحزمة مقابل عشرة آلاف دينار ذهبى فقط؟

تقدمت نحو العجوز وسألتها قائلا:

ـ أخبرينى أيتها الأم، ما الذى يوجد بداخل هذه الربطة؟

قالت العجوز: لا يمكننى أن أخبرك شيئا سوى أنها تساوى عشرة آلاف دينار من الذهب، وإذا أصبحت من نصيبك وأخذتها معك إلى بيتك فسوف تجد بداخلها سعادتك الأكيدة.

تملك الفضول منى فدفعت للمرأة العجوز عشرة آلاف دينار من الذهب، وأسرعت إلى حجرتى أفض الربطة لأرى ما بداخلها. نظرت فرأيت بداخلها ثوبا نسائيا مصنوعا من الخيوط الذهبية والفضية. كان الثوب رائع الجمال حتى إننى بهرت من مهارة الخياط الذى حاكه وأخرجه على هذه الصورة المدهشة. صرت أقلب الثوب على مختلف جوانبه أتفحصه، وفجأة رأيت وجه لفتاة مرسوم عليه

ومكتوب أسفله: "الأميرة محستار". نظرت أتمعن فى الوجه فطار صوابى وهويت على الأرض فاقدا الوعى.

بعد ذلك أفقت من غيبوبتى وفتحت عينى فرأيت رفاقى يقفون من حولى. وما شاهدونى أفتح عينى حتى صاحوا بفرح يهتفون:

ــ لقد فتح عينيه أخيرا، إذن فقد كتبت له الحياة من جديد.

أخبرنى الرفاق بأننى رقدت فاقدا للوعى لا أشعر بشىء حولى لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال. وما إن دبت فى الحياة مرة أخرى حتى اندفع أصحابى يسألوننى عن سبب إغمائتى. فقلت لهم:

ــ لقد سرت طويلا فى الطريق ولابد من أن الحرارة الشديدة قد أثرت على.

لم أخبر أحدا من حولى بحقيقة السبب والسر الذى أفقدنى الوعى. وعندما خرج أصحابى وصرت بمفردى دفعنى الشوق إلى النظر فى صورة محستار ثانية. لكننى ما إن نظرت لوجهها حتى سقطت مرة أخرى فاقدا وعيى.

رقدت فى غيبوبة عن الدنيا لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال. صحوت بعدها واعترفت لأصحابى بالسر الحقيقى وراء ذلك.

كان التجار الذين رافقونا قد انتهوا من شراء ما يلزمهم من سلع وبضاعة وراحوا يلحون علىَّ فى الرحيل. بينما كان عقلى بعيدا عن التجارة وأمورها وامتلأ ذهنى فقط بصورة محستار. وهكذا مرت عدة أيام ثم جاء الى التجار وأخبروننى بعزمهم على الرحيل عند طلوع الفجر. كنت راقدا أمامهم بوجه شاحب وجسد نحيل لا يشغل فكرى إلا محستار. ولما رأونى على هذا الحال اعترتهم الدهشة لما أصابنى وقالوا لى:

ــ ما الذى يمكننا أن نفعله وأنت على هذا الحال؟

قلت لهم:

ــ ارحلوا أنتم واتركونى أمكث هنا لبعض الوقت ريثما أسترد عافيتى وألحق بكم.

أدرك التجار أن هناك شيئًا غامض أخفيه عنهم. فحاولوا أن يعرفوا منى سبب رفضى العودة إلى الديار، وألحوا فى سؤالى لكننى لم أعترف لهم بشىء مما يجول بصدرى. وفى النهاية اضطروا إلى الرحيل بدونى عدا واحدا منهم ظل معى. واعترفت لرفيقى بمكنون سرى وبقرارى فى الذهاب إلى قصر الملك سلامة وطلب الزواج من محستار. فصرخ صديقى فزعا وقال:

ــ ما هذا الذى تقوله أيها الأخ؟ اطرد هذه الفكرة من فكرك. لقد جئنا إلى هنا للتجارة وليس من أجل البحث عن عروس. وقد أنجزنا ما جئنا له وبعنا بضاعتنا وحان الوقت كى نعود لبيوتنا. لقد سمعت مثلك عن جمال محستار، لكننى عرفت أيضا أن كل من تقدموا لها قد فشلوا فى تنفيذ شروطها. فلماذا إذن تسعى بنفسك إلى موت محقق وهلاك أكيد؟

أجبته قائلا: لو كان لى من الرءوس مائة لضحيت بهم جميعا فى سبيل أن أحظى بنظرة من محستار وإن لم أنجح فى تنفيذ شروطها، لكن عيناى سوف تستمتعان برؤيتها، وهذا ما يكفينى من الحياة.

وعندما تأكد رفيقى أننى قد عزمت أمرى ولن آخذ بكلامه نصحنى قائلا:

ــ ما دمت قد وقعت فى هوى محستار إلى هذا الحد فافعل ما تريد فى سبيل حبك لها. لكن هذا لا يبرر التضحية بناسك وأموالك وجمالك. يمكنك شراء ما تحتاجه من بضائع ثم نرحل معا إلى الديار كى لا تخذل أبيك فى المهمة التى كلفك بها، ثم تعود ثانية إلى هنا بعد ذلك لتطلب يد محستار.

أدركت صحة كلام رفيقى وحكمته فيما قاله لى فأعطيته وعدا بالسفر معه. وبفضل مساعدته صرت جاهزا للرحيل بالبضاعة بعد يومين وانطلقنا معا فى طريق العودة. ومضت عدة أيام سرنا بعدها نقطع صحراء قاحلة وقد نفذ الماء لدينا. وذات ليلة تعكر الجو فى المساء فهبت الرياح تدوى وسرعان ما تحولت إلى

عاصفة رملية. فاضطررنا إلى التوقف وأنزلنا الأحمال عن الجمال. وفجاة انبثق بين الأرض والسماء عمود سميك وصار يتلوى كالثعبان وهو مندفع إلينا حتى أمسك بى. ثم رفعنى فى الهواء إلى أعلى وأخذ يدور بى فى سرعة حتى غبت عن الوعى. وحين أفقت وفتحت عينى وجدت نفسى ملقى فى هذه الحديقة بين أولئك الحسناوات من الفتيات. وعقد الخوف لسانى فلم أستطع النطق ولا الكلام. لكن الفتيات قلن لى:

ـ لا تخف وانهض كى تغتسل وتنظف جسمك من تراب الطريق.

ساعدتنى الفتيات على الاستحمام وأحضروا لى ثيابا نظيفة ، ثم اصطحبوننى إلى أجمل الجميلات من بين جميلاتهم. استقبلتنى الفتاة برقة ولطف ونظرت نحوى بابتسامة ساحرة وأمسكت بيدى وسارت بى حتى أجلستنى على مقعد من الذهب، ثم جلست هى الأخرى على مقعد ذهبى مثيل له بالقرب منى. بعد ذلك أخذت الفتاة تهدئ من روعى بشتى عبارات الترحيب والمودة حتى سألتها قائلا:

ـ أين أنا؟ وما هذا المكان من حولى؟

ضربت الفتاة الأرض بقدميها فى رقة وهى تضحك وأمسكت بيدى تمسد عليها فى راحتها وأجابت قائلة:

ـ سوف أخبرك بكل شىء أيها الفتى الهمام، أدعى سانوبار. وقد كنت أعيش قبلا فى بلاد الجنيات. لكننى أغضبت ملكتنا المبجلة فأرسلتنى إلى هنا وقضت أن أمكث فى هذا المكان لستين عام وأقوم بحراسة هذه الحديقة. وهؤلاء الفتيات هن وصيفاتى اللاتى يقمن على خدمتى. كما أن الملكة قد أذنت لى بالزواج من أى إنسان يخفق له قلبى. وعلى الرغم من أسفارى الكثيرة إلى العديد من الأماكن إلا أننى لم أقابل فيها شابا جديرا بحبى له. حتى رأيتك عندما حملتك العاصفة الرملية وطارت بك فى الفضاء فخفق قلبى لك فى الحال. والآن ينبغى عليك الزواج منى حتى نعيش معا هنا فى هناء وسعادة. وكن مطمئنا على جمالك وقافلتك فهى بخير ولم يصبها سوء.

بعد أن انتهت الفتاة من حديثها أدركت حقيقة الأمور وزال الخوف عنى وفكرت فى نفسى قائلا: "ماذا على أن أفعل الآن؟". والفتاة ما زالت ترفرف من حولى كالفراشة وتشد عينى نحوها. ومضيت أفكر وأفكر وأقلب الأمور فى ذهنى على الوجه التالى: "لقد وقعت صريعا فى هوى محستار حتى ملكت عقلى وأصبحت لا أفكر إلا فيها. وإذا نجحت فى الحصول على قلبها فسوف تغمرنى السعادة إلى الأبد. أما إذا أخفقت فسوف أفقد حياتى. فلماذا الإقدام على مثل هذه المخاطرة الحمقاء؟ أليس من الأفضل لى الزواج من هذه الحسناء سانوبار؟"

وكان قرارى هو الزواج منها. وسعدت سانوبار بهذا فوضعت يدى على رقبتها وأخبرت الفتيات بقرار زواجنا.

وفى اليوم التالى احتفلنا جميعا بالزواج الميمون. وأصبحت من سكان هذا المكان. ومنذ هذا الحين مر على أربعون من الأعوام. فقد كان عمرى حينئذ ثمانية عشر عام، أما الآن فأنا فى الثامنة والخمسين. "وها هى سانوبار التى صارت ملكا لى" ــ قال العجوز مشيرا إلى المرأة الحسناء التى جلست بالقرب منه. فابتسمت سانوبار ابتسامتها الساحرة وأطرقت برأسها ناظرة نحو الأرض. واصل العجوز حديثه قائلا:

ــ بعد ذلك رزقنا بطفلة سميناها سايرة.

فى هذا الوقت فتح أحد الأبواب وخرجت تركض منه نفس الفتاة الشقية التى ظهرت من قبل. أشار العجوز برأسه ناحيتها وقال:

ــ وها هى قد كبرت وأصبحت عفريتة. فتارة تراها وقد أصبحت زهرة مورقة، وتارة أخرى تتحول إلى بلبل يصدح فوق التلال المترامية أو إلى حمامة محلقة فى الفضاء. وأحيانا تتحول إلى سمكة تسبح فى الماء أو تراها وقد صارت ظبية تمرح راكضة بين الصخور فى الجبال. وهى نفس الظبية بعينها التى قمت بمطاردتها والسعى خلفها. وقد أحبتك لما وقعت عيناها عليك فساقتك خلفها إلى هذا المكان الذى يبعد عن بيتك مسافة شهر ونصف الشهر من السفر.

وعندما أنهى الرجل حديثه كان شوكت قد اعترته الدهشة مما سمعه وصار ينظر بعينيه إلى الأرض فى حيرة. وظهرت الفتاة مرة ثانية خلف الباب فصاح العجوز بها قائلا:

ـ أيتها الشقية العفريتة، لماذا ترهقين ضيفنا على هذا النحو؟ كان الأحرى بك أن تصطحبيه معك مباشرة إلى هنا بدلا من كل هذه المشقة.

بعد ذلك توجه العجوز بحديثه الى شوكت وقال:

ـ أظن يا بنى أنك قد عرفت الآن السبب الحقيقى الذى دفعك للمجىء إلى هنا. فلتصبح إذن زوجا لابنتى وصهرا لى، ونعيش جميعا فى هذا المكان البديع.

استمع شوكت إلى حكاية العجوز وتذكر مطاردته للظبية الجميلة فخفق قلبه واشتعل بالحب لها أكثر من ذى قبل، غير أنه لم يرد بكلمة واحدة على العرض الذى قدمه العجوز.

فى هذا الوقت جاءت الفتيات يدعونهم لتناول الغداء. وجلس الأمير والعجوز وزوجته سانوبار والفتيات إلى مائدة الطعام.

التفت العجوز إلى إحدى الفتيات وقال لها:

ـ اذهبى إلى سايرة واطلبى منها الانضمام إلينا، ولا داع لأن تخجل من وجود ضيفنا.

عقبت الأم وقالت:

ـ دعها وشأنها الآن، ففى جميع الأحوال سوف يعتريها الخجل من وجود الضيف.

لم تعجب الأمير الكلمات التى قالتها الأم وكان يرغب فى داخله أن يهتف قائلا: "دعوها تشاركنا جلستنا". غير أنه كان يعلم أنه من غير اللائق الحديث على هذا النحو. وفجاة صاحت إحدى الفتيات قائلة:

ـ ينبغى عليها الانضمام إلينا سواء خجلت أم لم تخجل.

قالت الفتاة كلماتها وأسرعت إلى داخل البيت. أما الأمير فجلس شاردا يفكر فى الفتاة الظبية التى استحوذت على عقله فلم يرفع عينيه من على الباب. وعندما خرجت من البيت تراءى له أن الفجر قد بزغ فى غير أوانه. ومضت تخطو نحوهم فظهرت مثل الشمس وهى تشرق من خلف الجبال وتغمرها بخيوطها الذهبية. ولما اقتربت منهم بدت مثل مولد النهار الذى يغرق العالم فى نوره الساطع. ومن حوله تبعث الشمس والكواكب بتحياتها إليه. لكن الشمس والكواكب قد جعلوا النهار يحمر حمرة شديدة ويهبط بعينيه نحو الأرض لدرجة التفكير فى أن يعود أدراجه من حيث أتى. أو أن يتحول إلى حمامة ويحلق مبتعدا فى الفضاء الرحيب.

وفى النهاية تقدمت سايرة بخطوات ثابتة نحو النافورة المرمرية ونطقت قائلة: "أهلا وسهلا بك أيها الضيف". ثم اندست جالسة بين الفتيات.

كانت هذه اللحظة هى زمن السعادة الذى هبط على شوكت. وبدا له أن العالم بأسره يبتسم أمامه راجيا له الرفاء والهناء، وأن البلابل تشدو له بأغان الفرح والزفاف.

فى أثناء تناول الغداء التقت عينا الأمير بعينى سايرة عدة مرات وتبادلا الابتسامات. وبعد انتهائهم من الطعام نظرت سايرة نحو الأمير وقالت: "إلى اللقاء". ثم نهضت وغادرتهم حتى اختفت خلف الباب.

لاحظت سانوبار بعينيها النظرات العذبة التى تبادلتها سايرة مع شوكت، وفاض قلبها بالفرح والسعادة لذلك.

جلس العجوز وشوكت يواصلان الحديث. وسأله شوكت:

ـ وما الذى فعلته بالثوب النسائى بعد ذلك؟

رد العجوز: لم أفعل به شيئا ومازلت أحتفظ به حتى الآن.

طلب شوكت من العجوز أن يسمح له بالنظر إلى الصورة المرسومة على الثوب ولو لمرة واحدة. غير أن سانوبار أعطت للعجوز إشارة بشفتيها وعينيها لرفض هذا الطلب. عندئذ قال العجوز:

ــ لنترك هذا الأمر يا ولدى ولا داع للنظر إلى صورتها.

مضت عدة أيام والأمير يقيم فى الحديقة فى انتظار مراسم الزفاف. وفى أحد الأيام تحولت سانوبار والفتيات إلى سرب من الحمام وطاروا محلقين فى الفضاء. وظل العجوز بمفرده فى البيت فاستغل شوكت هذه الفرصة وطلب منه ثانية أن يريه الثوب. وبعد جدال ونقاش طويل أحضر العجوز صرة مربوطة وقام بحلها وعرض الثوب على الأمير. فكر شوكت فى نفسه قائلا: "لأن سايرة لو ارتدت هذا الثوب فسوف تبدو فيه رائعة الجمال". ثم قلب الأمير الثوب على جوانبه يتفحصه حتى وقعت عيناه على الصورة المرسومة لمحستار. وأدرك على الفور أن جمالها الرائع لا مثيل له، حتى إن جمال سايرة يختفى أمامه. وبدا حسن محستار كالقنديل الضخم الذى يغمر البيت بضوئه. أما جمال سايرة فبدا بجانبه كشمعة صغيرة تخبو شعلتها بين الحين والآخر. وما أن رأى شوكت الصورة حتى خرّ على الأرض فاقدا وعيه. وبعد مرور وقت قليل أفاق الأمير من إغمائته وكان حوله العجوز وسانوبار والفتيات. صرخت سانوبار من الغيظ فى العجوز:

ــ لقد حذرتك ألا تريه الثوب فلم تستمع إلى نصيحتى. والآن لا أحد يعلم ما الذى سوف يحدث بعد ذلك.

وقف العجوز مرتبكا فى حيرة من أمره. وانهمرت الدموع تسيل من عينى سايرة.

اختفى المرح من المكان وصار الجميع يسيرون فى حزن وصمت. وخرج شوكت عن طوره فلم يعد يلق بالا إلى سايرة بل ظل يطلب ويلح فى رؤية صورة محستار مرة أخرى. إلا أنهم قاموا بإخفاء الثوب ولم يسمحوا له برؤية الصورة

ثانية. وتبدلت أحوال الأمير فلم يعد يبتسم او يتحدث إلى أحد. وفى صباح اليوم التالى طلب شوكت من العجوز قائلا:

ـ أرجو أن تعطينى فرسى كى أرحل من هنا.

لكن العجوز لم يعطه الفرس وظل يحاول تهدئته وإقناعه بالعدول عن ذلك. أما سانوبار فاشتاطت غيظا وصبت جام غضبها على العجوز الذى عرض الثوب الملعون على شوكت.

ومضت عدة أيام أخرى والأمير غارقا فى أحزانه. وحاولت سايرة أكثر من مرة التحدث إليه وملاطفته إلا أنه لم ينظر حتى إليها ولم تبرح ذهنه صورة محستار.

بعد مرور بضعة أيام ذهب الأمير بنفسه إلى الإسطبل يبحث عن فرسه بلا جدوى. عندئذ أعلن الأمير محذرا: "إن لم تعطونى فرسا فسوف أرحل سيرا على الأقدام".

عندئذ أسقط فى يد العجوز واضطر إلى إعطائه الفرس، وقال له شوكت قبل أن يودعه:

ـ ايها الوالد، لقد وقعت فى هوى محستار ما إن رأيت صورتها على الثوب، وسوف أسافر إليها الآن، وأرجو منك أن تدلنى على طريق الوصول إليها.

أجاب العجوز: آه يا بنى، إنك لن تستطع الوصول إليها بمفردك. فالمدينة تبعد كثيرا عن هنا، والطريق إليها فى غاية الخطر والصعوبة. وحتى إذا نجحت فى الوصول إلى هناك فما الذى سوف تحصل عليه فى نهاية الأمر؟ إن عمر هذه الصورة قد تجاوز الأربعين أو الخمسين عامًا حتى الآن. وقد أصبحت محستار عجوزا وفقدت جمالها إلى الأبد. لذلك لن أخبرك بشىء عن الطريق.

غير أن شوكت قال بإلحاح:

ـ حسنا، سوف أحاول حتى أنجح بطريقة أو بأخرى فى الوصول إلى هناك بمفردى، ما دمت ترفض إرشادى إلى الطريق.

فشل العجوز فى إقناع الأمير بالعدول عن سفره وفكر فى نفسه: "إن لم أدله على الطريق فسوف يضيع ويفقد حياته هباء".

واضطر العجوز إزاء إصرار الأمير أن يصف له الطريق المؤدى إلى بلاد الهند. وعبّر الأمير للرجل بكلمات الشكر والعرفان على الخبز والملح والضيافة الكريمة التى قوبل بها. كما شكر الفتيات على ما بذلوه من رعاية وخدمة له. أما سانوبار فلم تنطق بكلمة واحدة ترد بها على كلمات الأمير وشكره.

وهكذا ودّع شوكت العجوز وانطلق فى طريقه. أما سايرة فقد انفجرت بالبكاء المرير بعدما رأت محبوبها يغادر المكان ويرحل عنها.

سار الأمير يقطع الطريق حتى مر عليه يومان وليلتان انتهت بعدهما الجبال وظهرت من خلفها الصحراء الممتدة بلا نهاية أو حدود. وبعد مرور ثلاثة أيام وثلاث ليال ظهر بحر الرمال. ومضى الأمير يسير لليوم الخامس دون أن تظهر له نهاية للصحراء المترامية.

ظل الأمير يقطع الصحراء ويسير فى الرمال وفجاة هوى خلفه على الفرس شىء ما. وضرب هذا الشىء شوكت على رأسه ضربة قوية جعلت عينيه يتطاير منهما الشرر. تلفت الأمير ينظر حوله فرأى مسخا مخيفا يجلس خلف ظهره. كانت له عينان كبيرتان كالقصعتين، وأنف مفلطح وشعر كثيف مثل وبر الغنم. ولا يمكن وصفه بالإنسان حيث إنه بعيد الشبه عنه، ولا حتى بالقرد لأنه أيضا لا يشبهه. كان المخلوق ينظر إلى الأمير وهو يقهقه ضحكا تارة، ويصر بأسنانه تارة أخرى، أو يأخذ فى النباح كالكلب. وفكر الأمير فى نفسه: "ما هذا المسخ الغريب الجاثم على ظهرى؟ وماذا ينبغى علىَّ أن أفعل معه؟ هل أقتله أم أتركه حتى يتضح لى أمره؟". وظل الأمير يفكر دون أن يصل إلى قرار حاسم بشأن المخلوق. ثم وقف المسخ على عجز الفرس وأنشب مخالبه فى كتف الأمير

وانقض عليه حتى التصق به من الخلف. شعر شوكت بأنه سوف يسحق تحت وطأة ثقل الوحش. كما شعر الفرس أيضا بذلك فانتصبت أذناه وصار يصهل فى خوف ومضى يعدو كالسهم. لملم الأمير قوته وجمع أنفاسه، وأمسك المسخ بكلتا يديه ورفعه من على الفرس، ثم رمى به بكل ما أوتى من عزم. هوى المخلوق وارتطم بالأرض وأخذ يركض مبتعدا وهو يعوى بصوت عال.

فكر الأمير وهو يتنهد فى ارتياح: "تخلصت أخيرا من المسخ المخيف". وسار مواصلا طريقه. ولم يبتعد شوكت كثيرا حتى سمع أصواتا مزعجة تنبعث من حوله. تلفت الأمير يستطلع الأمر فرأى خلفه أعمدة من الغبار ترتفع فى الهواء تثيرها جحافل من نفس فصيلة الوحش المسخ، والتى أخذت تتدافع نحوه من كل صوب وحدب. فكر الأمير: "ماذا أفعل الآن يا ربى؟ لو أننى حاولت الهرب منهم فسوف يلحقون بى لأنهم يركضون كالسهم. من الأفضل أن أظل فى مكانى وأحاول تدبر الأمر معهم بطريقة أو بأخرى". وسار الأمير فى مواجهة الوحوش التى أصبح عددها بالمئات. وأحاطوا به من كل جانب وسدوا عليه الطريق. وظلوا واقفين على هذا الحال لثلاثة أيام وثلاث ليال وهم يحيطون به فى دائرة مغلقة. وأخيرا امتشق شوكت سيفه واندفع بفرسه مخترقا حشودهم واعمل فيهم القتل والضرب حتى شق لنفسه طريقا للخروج بينهم. واندفع فى طريقه وهو يواجه أعدادا كبيرة منهم وأخذ يقاتلها بين الحين والآخر.

مر شهر بالتمام والكمال والأمير مازال فى الطريق حتى نفذ الزاد ونفدت المياه. كانت الحرارة شديدة فى الصحراء خاصة فى وقت الظهيرة الذى يصبح الهواء فيه ساخنا يلفح الأجساد والوجوه كالماء المغلى فى القدور.

سقط الفرس على الأرض صريعا بعد أن أصابه الإنهاك والتعب. لم يعد بوسع شوكت أن يفعل له شيئا، ومضى يقطع الطريق على أقدامه. سار الأمير وسار حتى مرت عليه خمس عشرة ليلة وهو مازال فى سيره. وفى إحدى الليال كان الأمير راقدا فى الظلام عندما سمع فجاة أصواتا غريبة. تلفت شوكت حوله ليعرف مصدر الصوت. كانت الأصوات فى أول الأمر هامسة خفيضة ثم ما لبثت

أن أخذت تعلو تدريجيا مقتربة منه . تملك الفزع من الأمير وأخذ يمعن النظر فى الرمال المحيطة به فرأى عددا من الحيات تزحفن أمامه. حبس أنفاسه وظل متجمدا فى مكانه حتى ظهرت أول خيوط للفجر فمضى مبتعدا يسير فى طريقه. ومرت عليه أيام كثر وهو يسير ويقطع الرمال دون أن تبدو له نهاية لهذه الصحراء. وفكر شوكت قائلا فى نفسه: "ما الذى سوف يحدث لى؟ هل سأنجح فى عبور هذه الصحراء فى يوم ما أم إننى سأموت هنا؟".

مرت بضعة أيام والأمير يسير حتى رأى فى الأفق ظلا أسود. اقترب من الظل الذى انجلى عن شجرة كبيرة بالقرب منها عين ماء رائق عذب تتفجر من الأرض بجانبها ساقية كبيرة. وكانت الفروع الكثيفة للشجرة تلقى بدائرة من الظلال فوق الرمال. اندفع الأمير نحو العين ليشرب لكن قواه لم تسعفه فى الوصول إليها. فهوى على الأرض وظل راقدا لبرهة من الزمن يستجمع أنفاسه اللاهثة. ثم زحف بصعوبة بالغة حتى وصل إلى العين فدمعت عيناه من الفرح بالنجاة وصار يعب من الماء ما بوسعه أن يشرب حتى ارتوى تماما وراح بعدها فى نوم عميق. وفى الصباح استيقظ شوكت وقام ينظر إلى صورته فى صفحة الماء فهاله ما أصابه من هزال. ونظر إلى جسده الذى نحل حتى اتسعت عليه ملابسه وصارت فضفاضة. اغتسل الأمير بالماء وأغرق قدميه المكدودتين به كى يزيل عنهم الأوساخ ويريحهم من عناء الطريق.

مكث شوكت للراحة عند العين لخمسة أيام. وفى اليوم السادس تغير الجو فجأة. وظهرت فى السماء غيمة سوداء اسودت الأرض بظلها. وانبثقت أربعة من الأعاصير الهوجاء واتجهت مباشرة صوب الأمير. ثم سرعان ما تبددت الأعاصير فى الهواء وخرج منها أربعة من المردة الجان. كانوا جميعا من العمالقة حتى إن رءوسهم تناطح السحاب، وأنوفهم طويلة كالأبراج. أسرع شوكت مفزوعا يتسلق الشجرة ممسكا بأغصانها حتى اختفى كامنا بين أوراقها الكثيفة.

حط المردة أسفل الشجرة وجلسوا فى ظلها، واتجه المارد الأكبر بحديثه إلى الآخرين الأصغر منه وقال لهم:

ـــ لقد حان الوقت أيها الإخوة كى نتفق معا.

اعترض أحد المردة على حديثه وقال:

ـــ إنه من الصعب للغاية علينا أن نتفق معا.

ـــ لماذا تقول هذا؟

ـــ لأننى لو رغبت فى الحصول على شىء فإنك تعترض قائلا: "كلا لن تأخذه لك فهذا ملكى أنا". وأيضا سوف يقول الآخرون: "كلا فهذا ملكنا نحن". وعلى هذا الحال سوف نظل فى نزاع لقرن من الزمان ولن نتفق على شىء أبدا.

عندئذ قال المارد الأكبر فى حسم:

ـــ إذن ما دمنا لا نستطيع الاتفاق فيما بيننا فلنطلب العون من أحد الرجال العادلين ليستمع إلى ما يقوله كل منا. وليحكم بعد ذلك بيننا إما بالقرعة أو يختار واحدا منا ويقول له: "هذا لك"، أو يحدد واحدا آخر ويقول: "وهذا ملك لك". وعلينا جميعا الانصياع لأحكامه وقراراته.

حاز هذا الاقتراح على قبول المردة الآخرين وقبلوا به. لكنهم هتفوا قائلين:

ـــ لكن من أين لنا بهذا الإنسان العادل؟ وأين نبحث عنه؟

رد المارد الأكبر قائلا:

ـــ لا داع للبحث عنه فهو موجود هنا بالجوار.

ثم نادى على الأمير وصاح:

ـــ أيها الفتى الهمام، هيا اهبط من فوق الشجرة.

أصاب الفزع والخوف من الأمير بعد أن سمع النداء لكن المارد هدأ من روعه وقال له:

ـ لا تخش شيئا أيها الفتى فلن نلحق بك أذى. بل نريدك أن تساعدنا فى أمرنا وفى المقابل سوف نساعدك فى أمرك.

غير أن شوكت تسمر فى مكانه من الفزع وألجم الخوف لسانه فلم ينبس بكلمة واحدة. وظل المردة جالسين أسفل الشجرة ينتظرون الأمير بينما هو جالس بين فروعها لا يتحرك. وبعد أن نفذ صبرهم مد أحدهم يده نحو الشجرة ـ دون أن يغادر مكانه ـ فأمسك بالأمير من ملابسه ورفعه من على الشجرة، ثم وضعه أمامهم على الأرض. عندئذ تمالك شوكت رباطة جأشه وسألهم قائلا:

ـ إذن، ما الذى تريدونه منى؟

قال المارد الأكبر:

ـ نحن أربعة من الإخوة. وقد ورثنا عن أبينا بعد موته بعض الأغراض السحرية. وها قد مرت أربعة أعوام ونحن فى نزاع وشجار ولم نصل إلى اتفاق بيننا لتوزيع التركة فيما بيننا. ونريد منك أن تقسمها بيننا.

اعترت الدهشة شوكت من عجز هؤلاء المردة عن القيام بأمر بسيط كهذا الأمر. لكنهم فسروا له سبب ذلك قائلين:

ـ إن كل شىء من الأشياء التى ورثناها يتمتع بصفة خاصة أو قدرة فريدة. فهناك طاقية الإخفاء التى تضعها على رأسك فتصبح خفيا ولا يراك مخلوق. وهناك البساط الطائر الذى تفرده قائلا: "طر بى" وإذا به يرتفع بك على الفور إلى عنان السماء، ويدور بك حول بلدان العالم فى ثوان. وهذا الإبريق العجيب لو أنك ملأته بالماء ونظرت إليه وأنت تقول أمنيتك فسوف تتحقق فى الحال. أما هذا القوس المدهش فيمكنك إطلاق سهم به فيصيب هدفه أينما كان، بل إنه يعود إليك بالطريدة التى أصابها.

فكر الأمير طويلا فى الوسيلة التى يمكنه بها أن يوزع التركة الثمينة ثم قال أخيرا للمردة:

ـــ سوف أطلق أربعة سهام كل منها عليه رقم معين مواز لإحدى القطع السحرية. فالسهم الذى يحمل الرقم الأول هو مساو لطاقية الإخفاء، والرقم الثانى للبساط الطائر، والسهم الثالث يحمل رقم الإبريق العجيب، وأخيرا الرابع هو القوس المدهش. وبعد أن أقوم بإطلاق السهام تركضون جميعا مسرعين خلفها. وكل سهم يمسك أحدكم به يعطى لصاحبه الحق فى تملك الشىء الذى يحمل رقمه.

أعجب المردة باقتراح الأمير وفرحوا به كثيرا.

جمع شوكت أربعة سهام وضعهم بجانبه وتأهب لإطلاقهم وقال:

ـــ أيتها السهام، إننى أطلقك فطيرى بلا تأخير ولا توقف واحذرى أن تصيبى فى طريقك أحدا من المردة.

قال الأمير ما قاله وأطلق سهامه الأربعة فى اتجاهات مختلفة. وطارت الأسهم بعيدا بعيدا حتى اختفت عن الأنظار.

ركض المردة خلف السهام واختفوا أيضا فى لمح البصر. وظلت الأشياء السحرية بحوزة الأمير الذى لم يفكر فى الأمر طويلا بل حملها معه وفرد البساط، ثم جلس عليه وهتف قائلا:

ـــ طر بى أيها البساط إلى المدينة التى تعيش فيها الأميرة محستار.

ارتفع البساط بالأمير إلى عنان السماء وحلق به فى الفضاء.

لم يكد شوكت يدور بنظره فى الفضاء حتى هبط البساط على الأرض عند مشارف إحدى المدن. طوى الأمير البساط وحمله فى جرابه ومضى فى طريقه نحو المدينة. وصل شوكت إلى استراحة المسافرين ووضع الطاقية والقوس فوق رف بالحجرة. أما البساط والإبريق فوضعهم على رف داخل الخزانة. جلس الأمير فى الحجرة لبرهة من الزمن حتى شعر فجأة بجوع شديد يمسك به. فقد مرت عليه الكثير من الأيام دون أن يذق بفمه طعما للزاد. والآن صار الجوع ينهش معدته

وليس معه مال لشراء الطعام. حمل شوكت الإبريق وخرج به إلى الفناء فملأه بالماء، ثم عاد إلى حجرته وقال:

ـ أيها الإبريق، أحضر لى صرة مملوءة بالذهب.

ما إن نطق الأمير برغبته حتى شاهد صرة مملوءة بالذهب ترقد أمامه على الرف. خرج شوكت إلى السوق وأكل حتى شبع واشترى لنفسه ثيابا جديدة، وعرج على الطبيب الذى عالج له الجروح والقروح التى أصابته فى أثناء رحلته الشاقة.

فى إحدى المرات عندما كان شوكت نائما فى حجرته اخترقت آذانه أصوات موسيقى صاخبة فاستيقظ من نومه. كانت الأصوات العالية للطبل والزمر تنبعث من أحد الأماكن. فكر الأمير: "ما هذه الموسيقى التى تعزف فجأة فى الليل؟ هل يجوز أن هناك مراسم زفاف فى هذا الوقت؟". نهض الأمير من فراشه وارتدى ملابسه وخرج إلى الشارع يستطلع الأمر. تطلع شوكت فشاهد على سطح القصر أربعين رجلا يقرعون الطبول، وأربعين عازفا ينفخون فى الأبواق، وأربعين يعزفون على الناى. وصار الجميع يعزفون وهم يتقهقرون إلى الخلف حتى اختفوا. راح النوم من عينى شوكت وظل يتسكع فى طرقات المدينة طوال الليل حتى سمع صوت المؤذن ينادى بالصلاة على الناس فدخل الأمير إلى الجامع وقام بالصلاة. وعندما خرج إلى الشارع ثانية رأى حشودا هائلة من الناس. كان من بينهم الشبان والأطفال والعجائز اجتمعوا كما فى وقت السوق والكل يسرع الخطى نحو أحد الأماكن. وعندما سأل الأمير المارة عن الامر الذى يسعون إليه أخبروه بأن الجميع ذاهبون إلى قصر الملك ليعرفوا مصير الفتى الذى تقدم بالأمس طالبا يد الأميرة محستار.

اجتمعت الحشود فى الميدان أمام قصر الملك. نظر شوكت فرأى شابا جميل المحيا فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر يقف فى الميادن بانتظار قدره. وفجأة قرعت الطبول وفتحت البوابات التى خرج منها عدد من الفتيات الرشيقات يرتدين ثيابا بيضاء من الحرير الناعم. وركضت الفتيات نحو الفتى

وتأبطن ذراعيه. ثم سرن به نحو القصر خلف البوابات التى أغلقت بعد دخولهم. لم يمض وقت طويل حتى خرج السياف يحمل فى يده رأس الفتى التعيس ورفعها أمام الحشود يريها لهم. ثم رشقها بعد ذلك على أحد الأطراف المدببة للبوابة. انطلقت الآهات الحزينة والصرخات العالية بين الحشود. أخذت العجائز تولول باكية وهن يتساقطن على الأرض.

بدأت الجموع فى الميدان تتفرق بعد هذا المشهد. وعاد شوكت إلى حجرته بالاستراحة حيث مكث بها عدة أيام قرر بعدها التقدم إلى محستار لطلب يدها والزواج منها. فحمل القوس المدهش على كتفه، ثم وضع طاقية الإخفاء والإبريق العجيب داخل البساط الطائر. وطوى البساط مع بقية الأغراض وحمله تحت إبطه وانطلق يسير فى خطوات ثابتة إلى قصر الملك. بعد أن وصل إلى القصر وقف الأمير برهة عند البوابة يتطلع بعينيه فلم ير أحدا ولا شيئا عدا الطبل الذى كان معلقا يتدلى من فوق البوابة. أمسك الأمير بالطبل وصار يقرعه ويدق عليه. كانت محستار فى هذا الوقت تجلس مع أربعين من الوصيفات وهى فى لهو ومرح معهم عندما سمعت فجاة قرع الطبل الصادر من البوابة.

هتفت محستار تقول:

ـ يبدو أن هناك أحد يريد أن يفارق الحياة.

أما والدها الملك سلامة فتنهد بعمق وهو يفكر: "ها قد جاء تعيس آخر ابن رجل سيئ الطالع ليخسر عمره".

مضت محستار بفخر فى إصدار الأوامر والتعليمات إلى الوصيفات والخدم والحراس الذين أخذوا يركضون مسرعين لتلبية أوامرها. وأخيرا فتح أحد رجال الملك البوابة وخرج إلى الميدان واقترب من شوكت. أخذ الرجل يتفحص الامير بعينيه من رأسه إلى أخمص قدميه ثم قال له مبتسما:

ـ لماذا تقرع الطبل أيها الأخ؟

أجاب الأمير قائلا:

ـ لقد وقعت فى هوى الأميرة محستار. وأريد أن أحكى لها عن حبى وهيامى بها.

عاد الرجل إلى قصر الملك وصرح قائلا لمحستار:

ـ مولاتى الأميرة، هناك شاب مختل العقل يقف بالميدان، يحمل قوسا على كتفه ويتأبط بساطًا عتيقًا ويقول: " لقد وقعت فى هوى الأميرة محستار. وأريد أن أحكى لها عن حبى وهيامى بها".

التفتت الأميرة برأسها فى دلال وقالت:

ـ ما العمل إذن؟ إن رءوس مثل هؤلاء الحمقى ليس لها مستقر إلا على بوابة القصر.

طال وقوف الأمير شوكت بجانب الطبل حتى أصابه الملل. فأمسك بالطبل وصار يقرعه ثانية. لكن محستار فى هذه المرة لم تلق بالا إلى صوت الطبل.

بعث الملك سلامة بأحد رجال البلاط إلى الميدان وأمره بإحضار هذا القارع إليه. اصطحب الرجل الأمير إلى القصر. وعندما عبر شوكت البوابة رأى فناء واسعا مكسيا بالمرمر. ويطل الفناء على أبنية رائعة الطراز وينتهى ببيت يقف عند مدخله حراس أشداء. رافق الرجل الأمير إلى داخل هذا البيت وساقه إلى صالة كبيرة أرضها مفروشة بالأبسطة الحمراء الزاهية، وحوائطها مزينة بنقوش ورسومات لمختلف الحيوانات المفترسة والوحوش من الأفيال والأسود والنمور والديناصورات. وعلى عرش فخم من الذهب جلس رجل له لحية بيضاء طويلة. قال الرجل للأمير:

ـ أهلا ومرحبا بك أيها الفتى ـ وأشار بيده داعيا له بالجلوس.

خمن الأمير أن هذا الرجل ما هو إلا والد محستار الملك سلامة. فوقف وانحنى أمامه. ثم مشى ناحية الملك خطوتين وانحنى ثانية. وسار خطوتين وانحنى، وظل يكرر ما فعله سبع مرات حتى وصل إلى العرش بهذه الطريقة. فلثم يد الملك

وتقهقهر إلى الوراء دون أن يلتفت بظهره. ولم يجلس إلا بعد أن أشار له الملك بيده للمرة الثانية. أعجب الملكِ بتواضع الضيف وأدبه الشديد فجلس بجوار الأمير ونادى على الحاشية وأمرهم بالقيام بأصول الضيافة. حضر الخدم ومدوا المائدة وجلبوا إليها مختلف أنواع الفاكهة وأطباق الحلوى المسكرة. ثم دعا الملك ضيفه إلى تناول الطعام. وبعد أن انتهت مراسم الضيافة وأكل الحلوى رفع الخدم الأطباق من المكان وسأل الملك شوكت عن سبب حضوره إلى القصر.

أجاب الأمير قائلا:

ــ مولاى سيد العالم، لو أنك تعطف على وتمنحنى الأمان فسوف أتكلم.

منح الملك الأمان للأمير الذى بدأ فى الحديث وقال:

ــ إن الحديث عن الحب لا يدعو للخجل. لذلك فإننى لست خجلا من الاعتراف بوقوعى فى غرام ابنتكم محستار. إن اسمها قد ذاع صيته فى كل أرجاء العالم. وقد فقد الكثير من الناس السكينة والاستقرار من فرط عشقهم لها. وبما أننى واحد من هؤلاء العشاق فقد قررت تنفيذ جميع شروطها كى أصاهركم.

ــ اسمعنى جيدا أيها الابن، إن الله لم يرزقنى بابنة بل ابتلانى ببلوة. وأنت مازلت شابا جميل فى ريعان الحياة، فلا تنجرف خلف هذه البلوة. إنها ليست بفتاة بل جلاد قاسى القلب لا يعرف الرحمة. فهل يمكن أن تحب جلادا؟ لو أنك تريد الزواج فيمكننى أن أعثر لك على فتاة أخرى حسناء تتزوجها غير محستار التى لا تستحق حتى نظرة منك.

إلا أن شوكت اعترض وقال:

ــ إن محستار لم تعرف بطباعها السيئة ولا بصفاتها الشريرة، بل اشتهرت بجمالها الأخاذ الذى يسحر القلوب. فمهما قلت عنها فإنها سوف تظل الوحيدة فى هذا العالم التى يمكنها إطفاء نار الحب فى قلبى وإدخال السكينة إلى روحى القلقة.

قال الملك سلامة للأمير:

ـ نعم، من ناحية الجمال فقد وهبها الله حسنا لا يبارى فى العالم كله. وقد جاء قبلك إلى هنا الكثير من الملوك والأمراء والباشوات بعد أن سمعوا عن هذا الجمال الربانى. إلا أنهم فقدوا جميعا رءوسهم فى سبيل الحصول على قلبها. وقد حاولتِ جاهدا إقناعهم بالعدول عن المحاولة والعودة إلى ديارهم غير أنهم لم يستمعوا إلى نصحى، ولم ينجح منهم أحد فى تنفيذ شروط محستار وقتلوا جميعا بعد فشلهم. هل تعلم أن عدد الرءوس التى قطعها الجلاد والمعلقة فوق أسوار القصر تجاوز ألفى رأس حتى الآن؟ حتى أصبح هذا الأمر مصدر كابوس دائم يؤرقنى. لذلك كله عليك أن تدرك أن ابنتى ما هى إلا جلاد حقيقى يسير على قدمين ويحصد الأرواح. ومن الأفضل لك أن تبتعد عنها على قدر المستطاع.

وظل الملك سلامة لفترة طويلة يحاول إقناع الأمير بالرحيل، لكن كلماته ذهبت أدراج الرياح ولم يتزحزح شوكت عن موقفه وقال:

ـ عندما يقع الإنسان فى الحب لا يخشى الموت. وإن لم أنجح فى تنفيذ شروط محستار فيكفينى أن أملى عينى برؤيتها ولا أبغى من الدنيا شيئا بعد ذلك.

أدرك الملك سلامة أن الأمير لن يتراجع ولم يتأثر بنصحه. فأعطى أوامره للفتيات أن يصطحبن الأمير إلى محستار. وذهبت الفتيات مع الأمير إلى مجلس الأميرة. نظر شوكت فرأى حجرة فى أبهى زينة، تنسدل على حوائطها عدة طبقات من الحرير الأبيض الناعم. ومن خلف طبقات الستائر تنساب أنوار المصابيح فى أركان الحجرة. دخل الأمير فسمع صوتا صادرا من خلف الستائر يقول:

ـ تفضل واجلس أيها الفتى الهمام فأنت ضيفى الآن.

تربع شوكت على وسادة حريرية. ووضعت الفتيات أمامه أطباق الطعام من كل نوع وصنف. وبعد أن تناول الأمير الطعام صدر الصوت ثانية من خلف الستائر. كانت الأميرة محستار بنفسها قد دخلت إلى المكان ووقفت خلف الستارة. وما إن وطئت الأرض بقدميها حتى انعكس ضياؤها وأغرق أرجاء الحجرة. لم يكن

بمقدور أحد أن يتحمل بعينيه هذا النور الساطع القوى. لذلك علقت فى حجرتها سبع طبقات من الستائر.

سألت محستار قائلة:

ـــ ما الذي أتى بك إلى هنا أيها الضيف؟

أجاب الأمير قائلا:

ـــ إنها روحى التى تسعى إليك. فصوتك يسحرنى وحبى لك يا محستار أصبح نارا تتوهج فى جسمى ولا تنطفئ. فإما أن تلبى رغبتى أو تأخذى حياتى.

قالت محستار للأمير:

ـــ يا لك من شاب شجاع أيها الضيف. لكن عليك أن تطرد من ذهنك هذه الأفكار. لأن من يحبنى عليه أن ينفذ الشروط التى أمليها عليه كى أصبح زوجته. وإن لم ينجح فسوف يفقد رأسه.

عندئذ هتف الأمير قائلا:

ـــ للأسف يا محستار إننى لا أملك سوى رأس واحدة، ولو كانوا ألفا لوضعتهم أمامك فى جميع الأحوال عن طيب خاطر.

قالت له الفتاة: لو أنك تسعى للزواج فيمكننى إحضار فتاة جميلة لك.

لكن الأمير رد قائلا:

ـــ إن قلب العاشق ليس بالطائر الجوال الذى يحط اليوم على غصن وغدا يهبط على غصن آخر.

قالت محستار:

ـــ إذن عليك أن تكتب هذا الاعتراف: "لقد أحببت محستار وجئت طالبا يدها، وأن لم أستطع تحقيق شروطها فسوف أواجه الموت ولن يكون أحد مسئولا عن مصرعى". ثم وقع بخاتمك على هذا الاعتراف. أما عن شروطى فهى: أن

تقضى اليوم ليلتك فى القصر، وعليك أن تجاذبنى الحديث طوال الليل. وإذا نجحت فى أن تجعـلنى أبادلك الحـديث وأظل يقظـة لا يغالبنى النعاس عندئذ أصبح زوجة لك.

وافق الأمير على شرط محستار وظل بالقصر.

ــ حسنا، والآن أسمح لك أن تبدأ فى تنفيذ شرطى.

بدأ الأمير فى طرح كافة الأسئلة على محستار حتى يرغمها على الحديث معه، غير أنها التزمت الصمت ولم ترد عليه. ثم مضى يسرد عليها كل أنواع الحكايات والقصص دون أن يفلح فى إخراجها عن الصمت. وظل الأمير يتحدث بلا كلل حتى أصابه التعب فى النهاية وتراءى له خاطر فى ذهنه: "فلأجعلها تضحك على الأقل". وشرع فى قص كل أنواع الحكايات والنكات المضحكة بلا جدوى. وفكر فى نفسه: "أظن أنه قد حان الوقت كى أنل قسطا من الراحة". ورقد شوكت وراح فى النوم. أزاحت محستار الستارة فى هدوء ونظرت فرأت الفتى مستغرقا فى نومه. وصاحت تقول:

ــ نوما هنيئا أيها الصديق، فغدا سوف تتأرجح رأسك على أسوار القصر.

فتح شوكت عينيه بعض الشىء فرأى أمامه محستار واقفة تفيض روعة وجمالا فشعر بجسمه يذوب من فرط سعادته. أما محستار فأسدلت الستائر وفتحت بابا جانبيا وخرجت منه. وما إن غادرت المكان حتى ساد الحجرة ظلام دامس. اعترت شوكت الدهشة فقام من مرقده ووضع على رأسه طاقية الإخفاء وحمل بقيه أغراضه وخرج يسير فى القصر خلف محستار.

كانت محستار مثل القمر فى يومه الرابع عشر، كلما دلفت إلى حجرة ...تها بنورها الوضّاء. وفى الحجرة الأخيرة كان هناك الكثير من الأسلحة والعتاد الحائط. خلعت محستار ثيابها وارتدت ملابس القتال والحرب حتى صارت الفرسان المحاربين.

كما كان هناك زنار طويل يتدلى منه ثلاثة خطاطيف معلق على نفس الحائط. أخذت الأميرة الزنار وخرجت إلى الحديقة والأمير يسير خلفها لا يفارقها مثل ظلها. وصلت محستار إلى السور وألقت فوقه بالزنار ثم تسلقت السور. وبعد ذلك هبطت خلف السور حتى قفزت إلى الشارع بمساعدة الزنار.

أما الأمير ففرد بساطه السحرى وجلس عليه وطار فوق السور. ونظر من عل فرأى محستار تسرع الخطى وتسير بسرعة كبيرة تسبق من يتبعها بمائة خطوة. مضت محستار تسير على هذا الحال لمدة ساعة حتى وصلت إلى أحد الأكواخ. كان الأمير يتبعها طائرا فهبط ببساطه بجوار الكوخ وطواه تحت إبطه ودلف إلى الداخل. كانت نار المدفأة تتوهج مشتعلة فى إحدى الحجرات. فتح الباب ودخلت محستار فقابلتها امرأة عجوز وقالت لها:

ـ أخيرا وصلت يا ابنتى؟ إن رفيقاتك ينتظرن منذ وقت طويل.

خلعت محستار ثياب الفرسان وارتدت ثوبا ثمينا رائع الجمال وسارت إلى داخل الحجرة. كان هناك عدد من الفتيات الحسان يجلسن مجتمعات. قامت الفتيات بتحية محستار وقالوا لها:

ـ لماذا تأخرت اليوم هكذا يا عزيزتنا؟

ردت محستار قائلة:

ـ آه لو تعلمون يا صديقاتى، لقد وصل اليوم إلى القصر مجنون آخر وهتف يقول لى: "لقد وقعت فى غرامك ولا أبخل برأسى فى سبيل حبك". لكننى استطعت أن أجعله يروح فى النوم حتى يستريح قبل أن يقطعوا له رأسه فى الغد. وينبغى عليكم أن تحضروا جميعا كى تشاهدوه.

قالت الفتيات وهن يضحكن:

ـ ضاع المسكين وراح عمره.

فى هذا الوقت أطلت العجوز برأسها فى الحجرة وهتفت تقول:

ــ لقد أصبح البلوف جاهزا للأكل، فهل أحمله إليكن؟

ردت الفتيات: نعم بالتأكيد، فسوف نتناول العشاء.

صبت العجوز الماء على أياديهن ليغتسلوا وحملت إليهم أطباق البلوف. ثم انضمت إليهن العجوز وجلست بجانبهن. وأيضا جلس الأمير واضعا على رأسه طاقية الإخفاء فلم تره واحدة من الفتيات.

وهكذا جلس شوكت بجوار محبوبته مثل زوج وزوجة، بل إنه أكل معها أيضا من البلوف. وعندما انتهى الجميع من تناول الطعام قالت إحدى الفتيات للعجوز محتجة:

ــ يا أماه، لماذا كان البلوف اليوم قليلا حتى إننا لم نشبع منه؟

قالت العجوز: لا أعلم السبب، فإننى قد طهوت نفس كمية الأرز التى أطهوها لكم دائما فى كل يوم. وأنا أيضا لم أشبع اليوم مثلكم. على أية حال لو كنتم تريدون إكمال طعامكم يمكنكم الذهاب إلى السوق والإمساك ببائع الأرز والتهامه.

قهقهت الفتيات من الضحك. ورفعت العجوز أطباق الطعام ثم أحضرت لهم الشاى. كان الجميع يشربن الشاى من كوب واحد بالتتابع ومحستار تقف فوق رءوسهن تتعجلهن.

ــ هيا أسرعوا أيتها الفتيات فلا داعى لأن نجعل أمنا تنتظرنا طويلا.

قامت الفتيات وخرجن إلى الحديقة. ثم جلسوا جميعهم على أريكة ذهبية. وفجأة ارتفعت الأريكة محلقة بهن فى السماء. وجلس شوكت على بساطه السحرى وطار هو الآخر خلفهن طاروا طويلا وحلقوا بعيدا ثم بدأت الأريكة الذهبية بالهبوط مع الفتيات إلى الأرض وأخذ الأمير يتبعها هابطا على بساطه. نظر الأمير فرأى حلقة من النار تشتعل والفتيات يجلسن بجوارها على الأريكة كما شاهد بستانا واسعا يمتد خلف المكان. تركت الفتيات الأريكة وسرن إلى البستان. وطوى الأمير بساطه وحمله ومضى خلفهم يتبعهم دون أن يراه أحد بفضل طاقية الإخفاء التى وضعها

على رأسه. كانت أسوار البستان من المرمر، وأبوابه من الذهب. تتشعب الطرقات من داخله إلى أرجائه المختلفة. وتنتشر به السواقى ونافورات المياه الصافية البيضاء بلون الثلج كاللبن. وتنساب المياه من إحدى السواقى فى جانب من البستان، ومن ساقية أخرى تنساب إلى الجانب الآخر. كانت الطرقات مزينة بمختلف الأحجار الكريمة التى تتلألأ أنوارها وتفيض فى أرجاء البستان. وعلى ضفاف السواقى نمت كل أنواع الزهور وأجملها. وكانت البلابل تقف بين أوراق الأشجار ويرتفع صوت شدوها فى موجات لا تنقطع. وفى وسط البستان عرش رابض على الأرض ومن حوله امتدت طاولات ذهبية. وفى كل الأركان كانت تقف فتيات رائعات الجمال وحول العرش الذى تربعت عليه ملكة كل هذا الجمال. وما إن رأت الفتيات أن الضيوف قادمين حتى صحن يهتفن فى صوت واحد:

ـ مرحى مرحى، لقد حضرت محستار مع صديقاتها.

ركع الضيوف أمام الملكة فى إجلال.

سألت الملكة قائلة:

ـ أختى العزيزة محستار، لماذا تأخرتِ عن الحضور كل هذا الوقت؟ لقد ظلت عيوننا تبحث عنك طويلا ونحن بالانتظار. فما الذى أخر حضورك الينا؟

أجابت محستار: أستميحك عذرا أيتها الأخت، لقد كان هناك سبب خارج عن إرادتى لتأخرنا اليوم. فقد حضر إلى مختل آخر من المجانين وهتف يقول لى "إننى وقعت فى غرامك، ولن يمنعنى شىء عن الزواج منك إلا الموت". وبعد ذلك جعلته يروح فى النوم ثم طرت مسرعة إليك. ويمكنك الحضور غدا للفرجة على مصرعه.

بعد ذلك جلست محستار مع بقية صديقاتها بجوار الفتيات الحاضرات. وصار الجميع يتجاذبن أطراف الحديث والحكايات المضحكة، ثم مضوا فى اللعب والرقص والغناء.

كان هذا البستان يقع فى عالم الجنيات. فقد كانت والدة محستار فى الأصل جنية من الملكات؛ لذلك اعتادت محستار الطيران إلى هذا البستان فى كل مساء لتقضى الليل مع صديقاتها من الجنيات فى السمر والمرح. وتشاركهن الحسناء بادية شقيقة محستار الكبرى التى تعيش هنا والتى كانت جالسة على العرش الذهبى. بعد أن انتهين من الغناء واللهو تفرقت الفتيات مثنى وثلاث يتريضن فى دروب البستان.

هتفت محستار تقول للفتيات:

ـــ يا صديقاتى العزيزات، إن النعاس يداعب جفونى لذلك سوف أرقد للنوم قليلا.

ورقدت محستار على الأريكة حتى راحت فى النوم. أما الأمير فصب الماء فى الإبريق العجيب وصاح يقول:

ـــ أيها الإبريق العجيب، أريدك أن تجعل روحى تحل بجسم محستار وتجعل روحها تحل بجسمى وذلك لوقت قصير من الزمن.

ما إن أنهى شوكت كلماته حتى فارقت محستار روحها وحلت بجسمه. ومضى الأمير إلى البستان فاجتمعت الفتيات مرة أخرى وشرعن فى الرقص والغناء ثانية. ثم قالت إحدى الفتيات:

ـــ والآن نريد من محستار أن تقوم بالرقص.

صفق الجميع فى حماس وبدا الأمير الذى اتخذ هيئة محستار فى القفز والرقص. وكان رقصه رشيقا رائعا حتى إن الحاضرات صفقن طويلا له. ثم قالت إحداهن:

ـــ والآن فلتشدوا لنا محستار بأغنية.

نهضت محستار بروح الأمير وصارت تغنى بين الفتيات وتشدو بصوت عذب رخيم حتى إن الحاضرات تمايلن وذابت أرواحهن من النشوة والشجن.

وصارت الفتيات يصفقن بكفوفهن فى حماس وهم يرددن معها مقاطع الأغنية. اغتبطت الملكة بادية لحالة البهجة والمرح التى سادت المكان فنادت محستار وقالت لها:

ـ آه يا محستار يا نور عينى، لم أكن أعلم أنك ماهرة فى الرقص وبارعة فى الغناء إلى هذا الحد. كيف أخفيتِ عنا مواهبك الرائعة طوال هذا الوقت ولم نعلم عنها شيئًا حتى الآن؟ ولولا أن خزانتى بعيدة ولا تطولها يدى الآن لكنت أغرقتك بالذهب نظير هذا الرقص المبهر والغناء البديع. اقتربى منى أيتها الغالية فقد أحضروا إلى ثوبا جديدا وأريد أن أمنحك إياه.

وخلعت الملكة ثوبها الحريرى الثمين وألبسته لمحستار ثم لثمتها فى جبهتها. صفقت الفتيات ثانية وأعلنوا عن استراحة من الوقت. وذهبت محستار بروح الأمير مسرعة إلى الأريكة. ثم نظر شوكت إلى الإبريق العجيب وقال:

ـ والآن فلتجعل روحى تعود إلى جسمى وروح محستار تعود إلى جسمها ثانية.

وما إن انتهى الأمير من نطق جملته حتى صارت الأمور كما تمنى.

استيقظت محستار من نومها ونهضت وهى تفكر: "ما لى أشعر كما لو أننى لم أذق طعما للنوم!". وسارت إلى الحديقة فعزفت الموسيقى مرة أخرى وصاحت الفتيات:

ـ فلترقص لنا محستار ثانية.

وبدأت الفتيات فى التصفيق لها. لكن محستار نظرت إليهن بدهشة وقالت:

ـ ما هذا الذى تطلبونه منى؟ ألا تعلمون أننى لا أجيد الرقص على الإطلاق؟

لكن الملكة بادية هتفت بها تقول:

ــ فلترقصى لنا رقصة أخرى أيتها الأخت العزيزة. فكيف يمكنك القول بأنك لا تجيدين الرقص وقد قدمتى لنا منذ لحظات أروع ما يكون من رقص؟

لم تفهم محستار الكلمات التى قالتها أختها، غير أنها فى النهاية رضخت لمطلبها وصارت ترقص فكان رقصها رديئا وحركاتها متعثرة. وعندئذ قالت الفتيات:

ــ إذن فلتغن لنا أغنية أخرى.

وغنت لهم محستار لكن صوتها فى هذه المرة لم يعجب أحدا. وقالت لها الملكة:

ــ يا محستار يا أختاه، لقد قمتِ من قبل بالغناء والرقص بصورة رائعة. وبعد ذلك حدث لك شىء ما لا أفهمه، فأصبح رقصك رديئا، وصوتك يتحشرج فى الغناء. فما الذى جرى يا ترى؟

أجابت محستار قائلة: لا أعلم يا أختاه.

بعد ذلك قامت الفتيات بالرقص واللهو حتى مطلع الفجر. وصدحت طيور الصباح على الأشجار وحان وقت عودة الفتيات إلى الديار.

جلست محستار ورفيقاتها على الأريكة الذهبية التى طارت فى الفضاء محلقة بهم. وطار شوكت على بساطه السحرى خلفهم حتى هبطوا عند منزل العجوز. فوضعوا الأريكة فى مكانها وبدلت محستار ثيابها وانطلقت عائدة إلى القصر. أما الأمير فحلق على بساطه الطائر وسبقها إلى القصر ورقد فى مكانه السابق متظاهرا بالنوم.

عادت محستار إلى القصر، فخلعت رداء الفرسان وارتدت ثيابها ودلفت إلى حجرتها. ثم صارت تتصنت وسمعت شخير الأمير وهو يغط فى نومه. ونظرت إليه قبل أن تذهب إلى فراشها وهى تفكر فى نفسها قائلة: "لقد ضعت أيها

الفتى المسكين وغدا سوف تقتل فى الصباح. ترى من الذى جعلك تقع فى حبى وتضحى بحياتك؟".

مضت برهة من الزمن وتثاءب شوكت مرتين كما لو كان قد استيقظ فى التو من نومه. ثم قفز من مكانه جالسا وشرع فى الحديث كى ينفذ شرط محستار الذى وضعته. كانت محستار راقدة فى فراشها تضحك على ما يقوله. ثم رغبت فى النظر إليه والتطلع إلى وجهه. وأردف الأمير يقول لها:

ـ يا عمرى، يا محبوبتى الغالية الرائعة محستار، لقد رأيت حلما مدهشا فى منامى أريد أن أقصه عليك.

فكرت محستار: "أى حلم يريد أن يحكيه لى هذا المعتوه؟". ومضت تضحك فى قرارة نفسها. أما شوكت فشرع يحكى حلمه وقال:

ـ لقد رأيتك فى منامى تنهضين وتخرجين من الحجرة. ثم تسيرين فى القصر وتدخلين آخر حجرة به. وهناك تبدلين ثيابك فترتدين ملابس الفرسان وتذهبين إلى الفناء. وأنا أسير من خلفك أتبعك مثل ظلك وأنت تقطعين الحديقة حتى تصلين إلى السور المحيط بها. فتتسلقينه وتقفزين من عليه إلى الشارع وأنا خلفك. وبعد ذلك تصلين إلى أحد الأكواخ وتدخلينه حيث تنتظرك امرأة عجوز. وتلتقين برفيقاتك من الفتيات. وتقدم لكم العجوز أطباق البلوف وتجلسون لتناول العشاء. وأنا أيضا أجلس معكم وأتناول بعضا من البلوف. ولهذا لم يكفيكم الطعام ولم تشبعوا منه. وبعد العشاء جلستم على الأريكة الذهبية التى طارت بكم إلى البستان حيث كانت فى انتظارك على أحر من الجمر الجنيات الحسان وشقيقتك الملكة بادية. ثم أخبرتى أختك قائلة لها: "لقد تأخرت اليوم عن الحضور بسبب أحد المجانين الذى جاء طالبا يدى بعد أن وقع فى غرامى، وقد استطعت أن أجعله ينام حتى أستطيع المجيء إليك، ويمكنك الحضور غدا كى تشاهدين مصرعه". ثم بدأ فاصل من الرقص والغناء والمرح، وبعدها داعب النوم جفونك فرقدتى على الأريكة حتى رحتى فى النوم. عندئذ أخذت روحك إلى جسدى ووضعت روحى بداخل جسمك، ومضيت إلى الفتيات أرقص وأمرح وأغنى لهم. وقد قوبل رقصى وغنائى بإعجاب

الفتيات ومديحهم وأيضا الملكة بادية التى قبلت جبهتى وألبستنى ثوبها الرائع من فرط سرورها. وإذا لم تصدقى ما أقوله فانظرى بنفسك: أليس هذا هو الثوب الجميل؟

نظرت محستار إلى الثوب وصارت تتفحصه فإذا به بالفعل ثوب أختها الملكة. أصابت الدهشة الفتاة حتى إن لسانها انعقد ولم تستطع النطق من فرط الذهول الذى تملكها. أما الأمير فلم يتوقف عن الكلام والحديث معها. فروى لها بالتفصيل كل ما شاهد وما حدث فى الليلة السابقة. وأصبحت كلماته تنساب إلى أذنيها كنغمات الموسيقى العذبة. وأدركت محستار أن الأمير يحكى الحقائق. فرفعت الستائر المحيطة بها بصورة عفوية واقتربت من شوكت تتمعن فى وجهه. وقالت فجأة:

ـ أيها الفتى المدهش، إنه لمن الرائع حقا الاستماع إلى حديثك الصادق. إن الناس يطلقون علىَّ اسم ملكة الحسناوات، وذلك لجمالى الذى يسلب العقول. وتقدم الكثير من الشباب والرجال يطلبون يدى، كانوا جميعا يريدون الاستحواذ على جمالى ويأخذونه لأنفسهم. لذلك أرسلتهم جميعا بلا هوادة ولا رحمة إلى الموت. ولم تطأ من قبل قدما أحدا منهم عتبة هذه الحجرة واستطاع بعد ذلك الخروج منها حيا. ثم وقعت أنت فى غرامى. وإذا كان الجميع يسموننى بملكة الحسناوات، فإننى سوف أطلق عليك اسم ملك الغرام. وبعد أن تصارع الملكان معا استطاع ملك الغرام أن يحرز النصر على ملكة الحسناوات فى النهاية.

قالت محستار ما قالته وارتمت على صدر الأمير. وكانت يداها البيضاء البضة تلتف حول رقبة الأمير مثل الصفصافة التى تعانق الشجرة الكبيرة. وذابت شفتاها فوق شفتيه تقبله حتى غرق الاثنان فى بحر من الحب. وهكذا نجح شوكت فى تنفيذ شرط الأميرة محستار.

عندما كان الخطاب والعرسان يتقدمون لتنفيذ شروط محستار، كان سكان المدينة جميعا ومعهم رجال البلاط ينسون همومهم وأشغالهم ولا يفكرون فى شىء إلا فى المصير المرعب الذى ينتظر أولئك العرسان من الشباب. ولما طالت المدة

التى قضاها شوكت فى حجرة محستار بعد الليلة الساهرة التى مضت عليه بدون نوم، أشفق الجميع عليه أكثر من الآخرين.

جاء الصباح وحضر السياف وقد امتشق سيفه من غمده وأخذ يشحذه على الحجر. ثم أعاده إلى غمده ووقف متأهبا فى الانتظار. ظل الجلاد واقفا ينتظر وينتظر خروج الأميرة من القصر ومعها العريس الجديد كى ينزع عنه رأسه كمن يقطف البرعم من على الغصن. وفى هذا الوقت كان الناس قد احتشدوا فى الميدان للفرجة على مصير الشاب المسكين. واقترب الموعد المرتقب لخروج عريس محستار من القصر.

دار الهمس بين الناس وصاروا يقولون:

ـ لو أن الفتى نجح فى تنفيذ شروط محستار فسوف يخرج لنا الآن من القصر، وإذا لم يخرج فذلك يعنى أنه قد فشل فى الاختبار.

رد آخرون وقالوا:

ـ لم يكرهه أحد على هذا الأمر كى يفقد رأسه هباء، فإنه بالتأكيد سوف يقتل اليوم ويلقى مصير سابقيه.

ومضت الفتيات فى القصر تنتظرن ظهور الشاب التعيس وهن يتحسرن عليه. حتى إن الدموع انهمرت من مآقيهم وهم فى الانتظار ولم يخرج الأمير بعد. وصلت الأخبار إلى والد محستار الملك سلامة الذى أصابته الدهشة وفكر فى نفسه: "ما الذى يجرى؟ لقد مرت عشر دقائق على ميعاد خروج الأمير ولم يظهر بعد".

لم يكن أحد بالقصر يعلم شيئا عن قرار الأميرة. لذلك ذهب الملك سلامة بنفسه إلى مقر محستار ليعرف القرار الذى اتخذته.

تسللت الفتيات فى هدوء وحذر إلى حجرة الأميرة يتلصصن فلم يروا للأمير أثرًا فى مكانه. أزاحت الفتيات الستائر المعلقة فرأوا الأمير راقدا بجوار

الأميرة وهما متعانقين فى نومهما. أسرعت الفتيات إلى الملك سلامة يخبرنه عن الأمر وقالوا له:

ـ لقد نجح الفتى يا مولانا فى تنفيذ شرط الأميرة.

اغتبط الملك الذى كان يخشى على الفتى أن يلقى مصير سابقيه من العرسان الصرعى وهتف فى لهفة من فرحته يقول: "إذن فلتتزوج الأميرة على وجه السرعة أو آمر بقتلها". ثم نادى الملك سلامة على خازن المال وأمره: "فلتغدق بالذهب على الفتاة التى حملت لى هذا الخبر السعيد". ثم أمر أن تعزف المزامير وتدق الطبول فى أرجاء المدينة احتفالا بالحدث، وأن يعلن الخبر الميمون للناس جميعا. وعمت الفرحة رجال القصر والناس عندما عرفوا بالأمر.

قدم الملك التهانى إلى الأمير وإلى ابنته. وأمر خدمه أن يلبسوا العريس الثياب الملكية حتى يصبح فى أبهى صورة. ومن فرط سعادته أقام الملك الولائم والمآدب فى كل أرجاء البلاد. وأخرج من خزائنه الذهب والفضة وأمر بتوزيعها على الناس احتفالا بهذه المناسبة.

فجأة نظروا فرأوا أربع حمامات يطرن فى السماء. ثم سرعان ما حط الحمام على الأرض وتحولن فى لمح البصر إلى أربع جنيات حسناوات. حملت الجنيات رسالة إلى محستار قدمنها إليها. كانت الرسالة من ملكة الجنيات بادية التى كانت تشكو فيها لمحستار من الوحدة والحزن. وتسألها عن سبب غيابها عنها وعدم زيارتها لها لمدة أسبوع كامل. عندئذ أمسكت محستار بالقلم والورقة وكتبت رسالة لبادية تشرح لها فيها كل ما جرى. ثم أعطت الرسالة للجنيات اللاتى تحولن ثانية إلى حمامات وطاروا مسرعين إلى بادية يحملون لها الرسالة.

ما إن قرأت بادية رسالة محستار وعرفت مضمونها حتى امتقع وجهها واصفر وارتعد جسمها، واخذت تضرب جبهتها بيدها وتصرخ فى فراشها قائلة: "لقد ضاع كل شىء إذن". ومضت تقذف بالوسائد على الأرض فى غل وغضب. أصاب الخوف الجنيات من ثورة بادية فسألتها:

ـ ما الذى حدث يا مولاتنا؟ وما السبب الذى كدرك هكذا؟

لكن بادية لم تجب على الجنيات بشىء بل أمسكت بقلم وورقة وبدأت تكتب رسالة لمحستار تقول فيها:

"أختى العزيزة محستار، أظن أنك تعلمين كم عانيت من القلق عليك طوال الأسبوع لغيابك عنى فى هذه الفترة. وعندما تسلمت رسالتك عرفت منها ما جرى معك. وتقولين فيها إنكِ قد تزوجتِ من إنسى ابن إنسان. ألا تعلمين أن هذا معناه الموت بالنسبة الينا نحن الجنيات؟ أرجو أن تحضرى على وجه السرعة".

قرأت محستار رسالة أختها فتبدل وجهها واكتسى بملامح الحزن. ثم تأهبت للرحيل وتحولت هى وشوكت إلى حمامتين وطارا مع رسل أختها حتى وصلوا إلى بستان الجنية بادية. ركعت محستار أمام شقيقتها الملكة وقدمت لها فروض الطاعة. وعرفت شوكت إليها بينما كانت شتى الأفكار تدور وتعصف بذهنها. لاحظت بادية حالة محستار وأرادت أن تهدئ من روعها فنادت على جميع الفتيات وأمرتهم بإقامة وليمة فاخرة على شرف الأمير شوكت بمناسبة زواجه.

سارت بادية مع محستار واصطحبتها إلى بيتها وقالت لها:

ـ محستار يا أختى الحبيبة، كيف جرت الأمور على هذا النحو فتجلبين معك هذا الفتى وتحضرينه إلى هنا؟ وقد كنت أظن أنك أنت التى ترقص وتغنى على هذا الشكل الرائع حتى إننى قمت بتقبيله فى جبهته. ألا تعلمين بأن لمس البشر محرّم علي الجنيات أمثالنا؟ وأن هذا الأمر يمكن أن يجلب اللعنة والدمار على جنسنا إلى الأبد؟ ولن يمر عليك بعد ذلك سوى ثلاثة أيام تتحولين بعدها إلى عجوز متهالكة.

وفى هذه اللحظة بدأ الهرم يدب فى أوصال محستار وأخذ جمالها يتبدد شيئًا فشيئًا أمام أنظار الجميع.

أصاب شوكت الفزع مما جرى. وتحولت محستار إلى حمامة وطارت وهى تصرخ مولولة فى حزن. ومن خلفها طارت بادية وبقية الجنيات حتى اختفوا فى السماء.

جلس شوكت المصدوم على بساطه الطائر وحلق به فى الفضاء يبحث عن محستار. وظل الأمير يبحث طويلا وهو طائر فى السماء حتى وصل أخيرا إلى الحديقة التى تعيش بها سايرة. وقفت سايرة وأمها سانوبار والأب والفتيات الأخريات يتطلعون إلى الضيف الطائر على بساطه، وخرجوا جميعا لاستقباله بعد هبوطه على الأرض بالترحاب والسرور. فى المرة السابقة عندما رحل شوكت عن هذا المكان ظلت سايرة طويلا تبكى فى الليل والنهار. وكانت لا تفكر إلا به وتنتظر عودته إليها شوق ولهفة بين اللحظة والأخرى. وقد عانى الأب والأم الكثير من الألم بسبب حالة ابنتهم والحزن الذى تملكها. وعندما شاهدت سايرة شوكت قادما إليها تنهدت بعمق فى راحة وسقطت بين ذراعيه.

أكرموا وفادة الضيف وأجلسوه فى أفضل مكان بالحديقة وصار كل من أصحاب البيت والضيف يتبادلون الأسئلة ويتحدثون عن مختلف الأمور. وفى المساء أقاموا للضيف وليمة فاخرة أحضروا إليها أطايب الطعام والشراب ومضوا يتسامرون ويمرحون طوال الوقت.

أصبحت سايرة فى أحسن الأحوال بعد وصول شوكت. صارت تركض وتلهو فى سعادة. فتارة تتحول إلى سنبلة زاهرة، وتارة تصبح كروانا يشدو بصوت جميل، وتارة أخرى تنقلب إلى ظبية تقفز بين الأحراش فى الغابة.

عندما رأى شوكت سايرة عاد إليه صوابه واستعاد بصيرته. وبدأ يفهم حقيقة الأمور وأدرك أن محستار ما هى إلا جنية شريرة وقاسية أعمته بجمالها الخارجى وهى لا تملك إلا روحا فاسدة وقلبَ وحش. فكف عن التفكير بها وطلب يد سايرة من صادق وسانوبار.

احتفل الجميع بالزفاف لأربعين يوما وليلة. وأقاموا الولائم والاحتفالات فى الحديقة حيث قاموا بالرقص والغناء ابتهاجا بعرس شوكت وسايرة.

بعد ذلك رحل شوكت مع عروسه إلى بيت والده. وهناك أقاموا الأفراح مرة أخرى احتفالا بزفافه.

وعاش الأمير شوكت حياته فى هناء وسعادة بعد أن تحققت كل أحلامه وأمانيه.

كاراسوتش ذات الحكمة



قديما قديما كانت هناك بلاد تدعى شوم يحكمها ملك من الملوك. وعلى الرغم من الثروة الطائلة التى جمعها الملك وكدسها فى خزائنه، فإنها لم تجلب له من السعادة شيئًا. فقد كان يسير دائما حزينا مهموما، لأنه كان محروما من الأبناء والبنات. كان رجال البلاط كثيرا ما ينظمون للملك رحلات الصيد والتجوال، وذلك كى يساعدوه ويخففوا عنه أحزانه.

فى أحد الأيام خرج الملك مع حاشيته لصيد الغزلان فى الجبال. وفجاة تلبدت السماء بالغيوم الكثيفة وزمجر الرعد ولعلع البرق وانهمرت الأمطار تهطل بغزارة. أسرع الملك واحتمى مع حاشيته من الأمطار فى أحد الكهوف.

ما إن دخل الملك إلى الكهف حتى رأى هناك طفلة ذات عامين تزحف تارة وتحاول السير على قدميها الضعيفتين تارة أخرى. "كيف ظهرت هنا هذه الصغيرة؟" ـــ فكر الملك بدهشة. ومثله دهش الآخرون أيضا وصاروا يهزون رءوسهم متسائلين. دفع الفضول الملك وتحركت رغبته لمعرفة سر الطفلة فأمر أحد حراسه قائلا:

ـــ ابحث لنا فى أمر الطفلة واعرف سرها.

أخذ الحارس يقتفى أثر الطفلة ويسير خلفها فى قلب الكهف حتى رأى امرأة شابة فى حوالى العشرين من العمر، مسجاة على الأرض فاقدة للوعى. كانت الدماء تغطى وجهها، والجروح فى كل مكان على يديها، وترقد فى ملابس ممزقة. حملها الحارس على ذراعيه وذهب بها إلى الملك. عاد إلى المراة وعيها، ونظرت حولها فرأت أناسا واقفين يحملقون فيها.

كانت المرأة لم تفق بعد من الصدمة عندما أخذ الملك يسألها عما جرى لها ومن الذى ألقى بها فى هذا الكهف.

صرحت المسكينة قائلة بأنها زوجة لأحد الرعاة. وفى أثناء سيرها مع زوجها تعرضت لهجوم من بعض المجرمين الذين غدروا بالزوج وقتلوه، وبعد ذلك ساقوها إلى هذا الكهف حيث أذاقوها صنوف العذاب.

وهنا انفجرت المرأة فى البكاء وأخذت تصرخ وتولول قائلة:

ـــ أين أنت يا ذات الضفائر السوداء؟ أين أنت الآن يا كاراسوتش يا ابنتى المحبوبة؟

أحضروا الابنة إلى المرأة التى نظرت إلى طفلتها ببلادة دون أن تحرك ساكنا كما لو كانت مسلوبة الإدراك، وظلت تبحلق فى طفلتها بعينيها السوداوين. ثم ضمت الأم البائسة الطفلة إلى صدرها المثخن بالجراح تحتضنها وسقطت ميتة بجوارها.

أشفق الملك على الطفلة اليتيمة فاصطحبها معه إلى المدينة.

مرت الأيام والشهور ومضت الأعوام عامًا بعد الآخر حتى بلغت كاراسوتش ثلاثة عشر عامًا بالتمام والكمال. أنهت الفتاة تعليمها المدرسى وصارت تتلقى العلوم على أيدى نخبة من أفضل الحكماء.

وعندما أتمت الفتاة عامها السادس عشر، لم يكن فى البلاد بأسرها عالم أو حكيم يفوقها علما. وأصبح جمالها وعلمها مثارا للحديث فى أرجاء المعمورة. واشتهرت بمعرفة شتى العلوم والمهن المختلفة. وبسبب ذكائها الحاد وحسنها الباهر أطلق الناس عليها اسم كاراسوتش ذات الحكمة. ولذلك فقد أطلقنا عليها نحن أيضا نفس الاسم فى حكايتنا.

وأصبح الملك لا يقرر أمرا مع وزرائه فى كافة شئون المملكة، إلا بعد أن يستشير كاراسوتش ذات الحكمة. وكان الوزراء دائما يستحسنون كل آرائها ويأخذون بنصائحها.

ذات يوم جاء أحد الرجال من بلاد كشمير. كان الرجل مشهورا بسحره الجبار. طلبت كاراسوتش ذات الحكمة أن يحضر إليها فى القصر. وعندما حضر أمامها سألته قائلة:

ـــ ما الفائدة التى جنيتها من وراء سحرك الشهير؟

انتفخت أوداج الساحر من الغرور وصار يحكى قائلا:

ــ لقد قمت باستخدام سحرى وحولت به عددا من الناس بصورة نهائية إلى كلاب وقطط، كما أحرقت بعض القرى عن بكرة أبيها وذررت رمادها ليطير مع الرياح. وأيضا فرّقت بين الأصدقاء حتى صاروا أعداء إلى الأبد.

رمقته كاراسوتش ذات الحكمة بنظرة غاضبة وهتفت تقول:

ــ ألم تقم بأى عمل طيب للناس طوال حياتك؟

وهنا ارتبك الساحر من سؤال الأميرة فوقف أمامها ثم سجد وقال:

ــ لقد قابلت عبر حياتى ملوكا وأمراء أكثر من ألف مرة، ودار بيننا الكثير من الحوارات والجلسات. لكن أحدا منهم لم يطرح علىّ مثل هذا السؤال من قبل.

بعد ذلك أصبحت كاراسوتش ذات الحكمة تدرس لدى الساحر جميع أسرار السحر الذى يعرفه وفنونه. وظلت سنتين تتعلم منه حتى قال لها الساحر فى أحد الأيام:

ــ مولاتى الأميرة، لقد علمتك كل ما أعرفه، ولم يعد لدى شىء أكثر أعلمك إياه.

خلع الساحر خاتما من إصبعه الخنصر وأعطاه للأميرة وقال لها:

ــ فى هذا الخاتم تكمن كل أسرار السحر التى علمتها لك. عندما تديريه إلى اليمين سوف يصدر عنه صوت، يمكنك أن تطلبى منه ما ترغبين فيه وسوف يحقق لك أمنيتك على الفور. وعندما تديرين الخاتم إلى اليسار سوف يعود كل شىء إلى ما كان عليه فى السابق. أما إذا لم تديريه فسوف يظل كل ما طلبتيه على حاله إلى الأبد. وإذا فقد منك هذا الخاتم فسوف تفقدين معه كل فنون السحر التى لقنتها لك وتتبخر فى الهواء.

قال الساحر ما قاله، ثم وضع الخاتم فى إصبع الأميرة ورحل إلى حال سبيله.

صارت كاراسوتش ذات الحكمة فى الثامنة عشر من العمر وأصبحت أشد فطنة وأكثر جمالا. وذاع صيتها فى مختلف البلدان الأخرى. وتقدم لخطبتها الحكام والأمراء والملوك ذرافات ذرافات دون أن يرونها. وصل الأمر إلى أن الملوك من أطراف الأرض السبعة قرروا فيما بينهم أن تصبح كاراسوتش ذات الحكمة عروسا لهم بالقوة ما دامت لم تقبل الزواج منهم بالطرق السلمية. فخرجوا جميعا بجيوشهم لغزو بلادها.

عندما وصلت الأخبار إلى مسامع أهل مدينة شوم حل بهم الخوف والهلع، وصاروا يفكرون: "ما الذى سوف يحدث لنا؟ فحتى لو قبلت كاراسوتش ذات الحكمة الزواج من أحد هؤلاء الملوك فإن الستة ملوك الآخرين سوف يشعلون حربا ضروس ضدنا يبيدون فيها الأخضر واليابس"

كتب السبعة ملوك سبعة خطابات وبعثوها مع رسلهم إلى والد كاراسوتش ذات الحكمة. وكان كل خطاب منهم يضم هذه الكلمات:

"أعطنى كاراسوتش ذات الحكمة كى تصبح زوجة لى، وإن لم توافق فسوف أدمر عاصمة بلادكم شوم وأجعلها رمادا تذروه الرياح".

قرأ الملك الخطابات واحدا بعد الآخر حتى دارت الخواطر السوداء برأسه. ثم دعا وزراءه واجتمع بهم يناقش الأمر. لكن أيا منهم لم يبد رأيا ولا نصحا يعتد به. حمل الملك خطابات الملوك السبعة وذهب إلى كاراسوتش ذات الحكمة وقرأ الخطابات لها فتملك الضحك منها.

قالت الفتاة: ماذا بك أيها الملك الحكيم؟ هل يجوز أن يأتى إليك أولئك الضيوف بكل الود والاحترام ولا تخرج إلى أبواب المدينة للترحيب بهم؟ إن هذا أمر سيئ يا والدى. ينبغى عليك أن تدعوهم جميعا للحضور إلى القصر فى المساء كى نحتفى بهم ضيوفا علينا.

كتبت الأميرة الرد على كل خطاب منهم وأعطتهم لوالدها وصرحت قائلة:

ـ أبلغ الرسل خالص احترامى وأعطهم الخطابات كى يحملوها إلى ملوكهم.

أخذ الملك الخطابات وأعطاها لرسل الملوك.

وفى المساء غطت الزينة والأعلام أرجاء القصر. وتراقصت ألسنة النيران على المشاعل، وفرشت الأرض بالأبسطة الحريرية، وامتدت فى أركان المضيفة الملكية الرياش الملونة والوسائد المخملية.

جلس فى المضيفة السبعة ملوك ينتظرون ظهور كاراسونتش ذات الحكمة. وأخيرا دخلت الأميرة مع وصيفاتها وانحنت أمامهم فى خشوع:

ـ أهلا ومرحبا بالضيوف الأعزاء ـ قالت وهى تزيح الخمار من على وجهها. وما إن رأى الملوك جمالها الوضاء حتى طار لبهم وجلسوا خرسا مثل الأسماك.

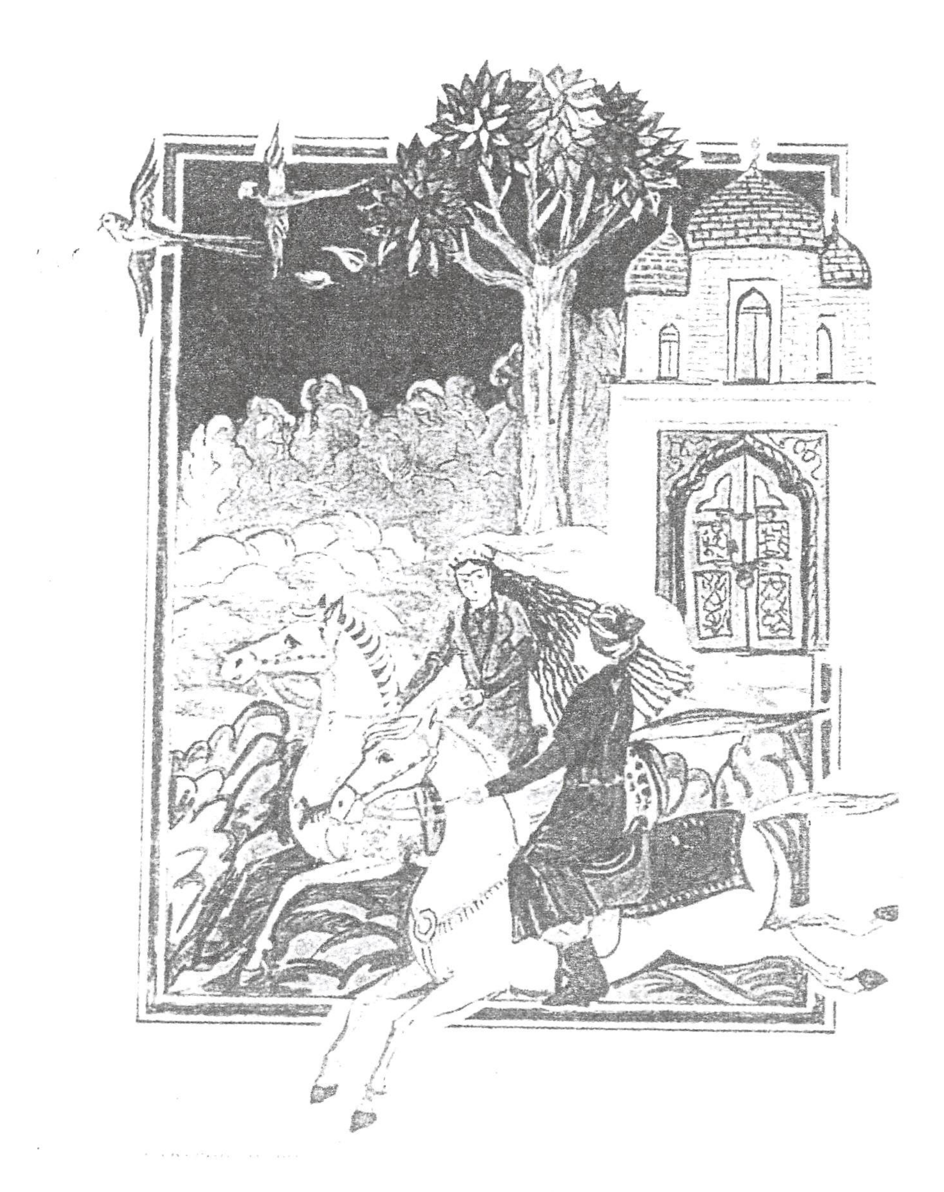
ساد السكون أرجاء القصر حتى قطعته كاراسونتش ذات الحكمة بقولها:

ـ لقد قرأت خطاباتكم بكل الفرح والسرور. فكل منكم يطلبنى زوجة له. لكنكم كثر وأنا واحدة فقط. لذا يجب عليكم أن تجلسوا معا وتتشاوروا فيما بينكم حتى تختاروا واحدا منكم ليصبح زوجا لى. وإن لم تتفقوا فيما بينكم على اختيار واحد منكم فسوف أضع لكم بنفسى شرطا للزواج. ومن يستطيع أن ينفذ هذا الشرط يصبح زوجى. وسوف أخبركم على هذا الشرط لاحقا.

قالت كاراسونتش ذات الحكمة كلماتها وخرجت من المجلس. وتأهب الضيوف أيضا للرحيل.

جلست الأميرة تستجمع رباط جأشها وتفكر فيما يجرى حولها. ثم أدارات الخاتم حول إصبعها. وعلى الفور صدر منه صوت يجلجل قائلا:

ـ فى انتظار أوامركم كى نلبيها على الفور.



حينئذ أصدرت كاراسوتش ذات الحكمة أوامرها بإحضار مائتى أسد إلى البلاط على ظهر كل منهم يجلس محارب جسور حاملا سلاحه.

أجاب الصوت: أوامرك مطاعة يا مولاتى.

بدأ الملوك يخرجون من مجلسهم واحدًا بعد الآخر. لكنهم صعقوا من الدهشة وحل عليهم الذهول. فبدوا مثل بطيخة سقطت من جوال ممزق. وامتقعت وجوههم من الاصفرار وظهرت مثل خبز منفوخ من البلل فى الماء.

فما إن خرج الملوك من القصر حتى اصطدموا فى الفناء بالأسود الهائلة وهى تزمجر بصوت كالرعد، وعلى ظهورها يجلس المحاربون بالرماح والسيوف. بعد أن رأى الملوك الأسود والمحاربين خفقت قلوبهم داخل صدورهم من الخوف، وتقهقروا عائدين بسرعة إلى القصر. وخروا ساجدين عند أقدام كاراسوتش ذات الحكمة وصاروا يتوسلون إليها:

– أيتها الأميرة المبجلة، ألا تساعدين ضيوفك على الخروج أحياء من قصرك بالحسنى؟

خرجت كاراسوتش ذات الحكمة من القصر فاصطف المحاربون الراكبون على الأسود فى صفين متقابلين وانحنوا أمامها فى خشوع. مرت بينهم الأميرة تصاحبها الوصيفات، ومن خلفها سار الملوك السبعة وأوصالهم ترتجف من الفزع. وهكذا رافقتهم الأميرة إلى الخارج وعادت بعد ذلك إلى قصرها.

فى فجر اليوم التالى بعث الملك برسوله كى يعرف قرار الملوك الذى اتخذوه. لكن الرسول ظل يسير فى المدينة ويسير عند أسوارها باحثا عنهم، فلم يجد أثرا لأحد منهم على الإطلاق كما لو أن الأرض قد انشقت فابتلعتهم جميعا. وانجلى الأمر وظهر أن الملوك قد تملكهم الهلع والخوف. فتسللوا جميعا هاربين تحت جنح الليل كالأرانب المذعورة دون أن يحدث أحدهم الآخر بكلمة واحدة. وفروا بجيوشهم عائدين إلى بلادهم.

لكن الخطاب والعرسان من الأمراء والباشوات الذين يطلبون كاراسوتش ذات الحكمة للزواج ازداد عددهم يوم بعد يوم. غير أنها لم تقبل عرض أحد منهم، وكانوا جميعا يعودون إلى ديارهم بأيد خاوية.

في أحد الأيام جاء الملك إلى الأميرة الحسناء وصار يتحدث إليها والدموع تنهمر من مقلتيه وقال:

ـــ يا نور عيني الوضّاء، يا روحي وعقلي، رحماك لشيبتي ولعيني اللتين لا تسعدآن إلا برؤياك ولا ترغبان إلا أن تراك جالسة في زفاف عرسك. ها هم العرسان والخطّاب من الأمراء وعلية القوم يطلبون يدك. فاختاري منهم واحدا زوجا لك وخذي بنصيحتي.

فكرت كاراسوتش ذات الحكمة طويلا ثم قالت:

ـــ والدي العزيز، امنحني مهلة أخيرة لثلاثة أيام.

حينئذ طلب الملك من الخطّاب أن ينتظروا بالقصر ثلاثة أيام.

في اليوم الثالث طلبت كاراسوتش ذات الحكمة من جميع الحاضرين في القصر أن يجتمعوا عند النهر بالقرب من تل كيرك كيز.

وعندما حل المساء ذهب الضيوف وعلية القوم إلى التل، فرأوا المشاعل تضيء أرجاء المكان، والورود منثورة تغطي الأرض. ومن فوق التل تنساب جداول الماء الصافي في هدير ناعم رقيق. والطيور تغرد وتشدو بأصوات عذبة جميلة. صار الوزراء يتهامسون فيما بينهم متسائلين:

ـــ أهذا الذي نراه حلم أم علم؟

وفجأة هتفت أصوات تقول:

ـــ انظروا هناك، انظروا هناك.

بدأت المشاعل تنطفئ واحدًا بعد الآخر وغرق النهر في ظلام تام. وتملك الخوف من الحضور. وفجأة عزفت الموسيقى وعلا صوت الفتيات بأغان مرحة، وعلى قمة التل ظهرت كاراسوتش ذات الحكمة ومن حولها المشاعل تضيء وجهها. وانحنت الأميرة أمام الحاضرين لتحيتهم قائلة بصوت رخيم:

ـ من يقدر منكم على صعود التل والإمساك بيدى ثم النزول منها إلى أسفل سوف أتخذه زوجا لى.

عزفت الموسيقى ورقصت الفتيات الحسان على أنغامها وأحاطوا بكاراسوتش ذات الحكمة. وبعد ذلك رفعوها إلى الهواء بعرشها الذى تجلس عليه. انطلق الشباب مندفعين إلى أعلى التل. وكلما اقترب أحدهم وأشرف على الوصول للقمة ما يلبث أن يسقط متدحرجا إلى أسفل. ومن كان منهم يهوى مرة ساقطا لا يعاود الكرة ثانية، ولا تكفيه الشجاعة ليحاول الصعود مرة أخرى.

لنترك الآن كاراسوتش ذات الحكمة واقفة مع وصيفاتها على قمة التل والخطاب يحاولون الصعود إليها ولنستمع إلى شىء آخر.

كانت بلاد روم خاضعة لحكم أحد الملوك الطغاة والذى اشتهر بالقسوة والظلم على شعبه، وألقى بالكثير منهم فى غياهب السجون والزنازين. وكانت أخبار كاراسوتش ذات الحكمة والأحاديث عن جمالها قد وصلت إلى مسامعه. فانضم هو الآخر الى خطاب الأميرة وأراد أن يتخذها زوجة له. وقاد قواته وزحف بها إلى بلادها. وعندما فشلت حملته مثل غيره من الملوك لم تواته الشجاعة كى يكرر محاولته ثانية.

حينئذ أكره الملك الطاغية رساميه أن يرسموا صورة لوجه كاراسوتش ذات الحكمة. ثم قام بوضع الصورة فى خزينته الملكية. كان للملك ابن فى الثامنة عشرة من العمر يدعى الأمير قادر. وفى أحد الأيام كان الأمير جالسا يتسامر مع صديقه نادر. وصار يتجول معه بالقصر حتى دخلا إلى الخزانة. وهناك شاهد الأمير صورة كاراسوتش ذات الحكمة التى رسمها رسامو البلاط. وما إن وقعت عيناه على الصورة حتى افتتن بجمالها وطار لبه من الانبهار بها حتى إنه وقع مغشيا عليه. وعندما أفاق وعاد إليه رشده سأله الملك:

ـ ما الذى حدث لك يا نور عينى؟ هيا احك لى حكايتك.

فتح الأمير قادر عينيه ببطء، وأشار إلى صورة الفتاة قائلا:

ـ أخبرنى أنت يا والدى العزيز وقل لى من تكون هذه الأميرة؟ احك لى أنت بسرعة وأخبرنى أين موطنها؟

أخذ الملك يهدئ من روع الابن ويطيب خاطره وقال:

ـ إن هذه الصورة قد ورثناها عن الأجداد يا بنى. فلماذا تعذب نفسك وتجهد عقلك بالسؤال عن امرأة جميلة كانت تعيش فى القدم؟ وإذا كنت تريد الزواج فيمكننى أن أجد لك عروسا أجمل بكثير من هذه الصورة.

هكذا كذب الملك على ابنه الأمير ولفق ما قاله، ثم تركه وذهب إلى جناحه.

ظل الشوق يعصف بقلب قادر ويزداد حزنه يوم بعد يوم. وأخيرا علم من بعض المقربين إليه أن صورة الفتاة ما هى إلا للأميرة كاراسوتش ذات الحكمة، وأنها ساحرة ماهرة لن تقبل الزواج إلا بمن يقدر على كشف أسرار سحرها.

عند ذلك ذهب الأمير قادر إلى الملك وسأله السماح له بالرحيل إلى بلاد كاراسوتش ذات الحكمة وفك طلاسم سحرها. لكن الملك خشى أن يذهب ابنه إلى بلاد شوم فيضيع هناك ولا يعود منها إلى بيته ثانية، لذلك رفض الملك طلب ابنه ولم يسمح له بالسفر. غير أن قادر أقسم على أن يرحل حتى لو لم يوافق الملك على منحه الإذن بذلك.

أسقط فى يد الملك واضطر أن يمنحه الإذن بالسفر. وأصدر أوامره أن ترافقه فى رحلته فرقة من ألفى فارس.

لكن قادر أعلن للملك قائلا:

ـ أنا لا أحتاج إلى جند ولا سلاح. وإذا خشيتم على السفر بمفردى فاسمحوا لصديقى نادر أن يرافقنى فى رحلتى.

كان نادر ابنا لمربية قادر ومعلمته. وكان والده عالما مبجلا كبير المقام. لكنه مات ونادر لم يتم بعد عامه الثانى. كان الملك يعلم أن نادر شاب يتصف بالفطنة والحكمة، لذلك وافق أن يصبح رفيقا لابنه الأمير.

عانقت الأم ابنها نادر وقالت له وهى تودعه:

ــ اسمعنى جيدا يا بنى، سوف أعطيك ثلاث نصائح احفظهم كالحلقات فى أذنيك. أول هذه النصائح لك ــ لا تكذب على أى أحد مهما حدث. والنصيحة الثانية فهى ــ لا تفطر قلب أحد أبدا، أما الثالثة ــ عندما تحط الرحال ببلدة ما فأول ما تفعله قبل القيام بعملك هو الذهاب إلى شيوخ وحكماء هذا البلد واطلب منهم النصح والمشورة.

وهكذا رحل قادر ونادر فى طريقهما البعيد. وسار الاثنان طويلا طويلا. فقطعا الوديان والسهول، وعبرا الأنهار وصعدا الجبال حتى وصلا أخيرا بعد بضعة أيام إلى مشارف مدينة شوم حيث تعيش هناك كاراسوتش ذات الحكمة. عبرا بوابة المدينة وتوقفا فى ضواحيها عند أحد الفخارين ويدعى كابول وذلك بناء على رأى نادر.

كان كابول صانع الفخار مشهورا بجودة أعماله. وكان كثيرا ما يسافر الى البلدان الأخرى. كما كان مضيافا يحب استقبال الزوار. أكرم الرجل وفادة الضيفين الشابين وسألهما عن هويتهما وموطنهما.

تبادل قادر ونادر النظرات وقال نادر مجيبا على الرجل:

ــ لقد قدمنا من مدينة روم. نسافر من مدينة لأخرى ونرتحل هنا وهناك. وقد مضى علينا زمن طويل منذ غادرنا موطننا ونحن فى أسفارنا. وقد طفنا بالعديد من الأماكن والبقاع. وها نحن اليوم قد وصلنا إلى مدينتكم نستمتع بالحديث الدائر بيننا. ولو سألتنا عن وجهتنا القادمة فلم نحددها بعد حتى الآن.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى كابول صانع الفخار وقال لضيفيه:

ـ إن كل إنسان يضع نصب عينيه هدفا ما لأسفاره. فإما يسعى للتجارة وكسب الرزق، أو أنه يمضى لتحصيل العلوم أو لتعلم حرفة تفيده. وأحيانا يترك الإنسان وطنه إذا أغضبه شيء أو أحد ما.

أجاب نادر على تساؤل الرجل قائلا:

ـ أما هدفنا من السفر فهو أن نتعلم كيف يمكن أن نصبح بشرا حقيقيين.

بعد أن سمع كابول صانع الفخار تلك الكلمات لم يوجه المزيد من الأسئلة بل قال:

ـ أنتم لم تصرحوا سوى بالحقيقة أيها الضيوف الأعزاء، فإن بلادكم روم قد صارت تسمى بالسجن الكبير. ويقولون إن مظالم الأمراء والسادة قد تجاوزت جميع الحدود. وإن الشرفاء وأصحاب العقول عندكم يساقون إلى الزنازين والمشانق. وقد كان فى بلادكم رجل حكيم يدعى زاهد. كان الناس يحبونه لمواقفه الشجاعة ضد ظلم الملك وجوره. حينئذ ضاق به الملك وأمر بشنقه وجعل من زوجته خادمة ومربية لابنه. وقد حدث هذا الأمر منذ ثمانية عشَر عامًا.

جلس الأمير قادر يستمع إلى ما يقوله صانع الفخار عن أبيه ـ ملك روم ـ حتى احمر وجهه من شدة الخجل وأطرق برأسه لا يقوى على النظر إلى عينى نادر. وعندما لاحظ كابول أن ضيفيه قد قطبا جبينيهما كفّ عن الحديث حول ملك روم، ثم أردف قائلا:

ـ أما فى بلادنا فالأمر يختلف كثيرا. وذلك بفضل وجود الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة. فهى تتصف بالبساطة وحب العدل. مما سهّل حياة الناس عندنا وصاروا جميعا راضين سعداء. فقد اختفت من عندنا المشانق والزنازين بأمر الاميرة. وازدهرت العلوم والحرف المختلفة. حتى أصبح الشعب كله يدعو بالعمر المديد والزوج الصالح لكاراسوتش ذات الحكمة.

أنهى كابل صانع الفخار حديثه ونهض خارجا. فنهض نادر هو الآخر يرافق الرجل إلى خارج الحجرة. بينما جلس الأمير قادر يلفه الحزن وتفور فى نفسه مشاعر الكراهية لوالده. اقترب منه نادر واقترح عليه قائلا:

ــ هيا بنا لنذهب فى جولة بالمدينة.

خرج الاثنان إلى الطريق فشاهدا حشودا كبيرة من الناس يسيرون جميعا صوب الاتجاه الذى تشرق منه الشمس. انطلق الشابان أيضا يتبعان الحشود فى سيرها.

وسارا قليلا حتى وصلا إلى نهر كبير. كان النسيم عليلا والرياح تتحرك فى رقة وهدوء تحمل معها عطر الأزهار وفوح الرياحين. فكانت الروائح الطيبة تملأ الهواء فتزيح الهموم من النفس وتنتشى منها الروح.

على الرغم من الحشود الكبيرة التى تجمعت عند النهر، فإن السكون ساد بين الناس ولم يسمع صوت واحد. بل كان الجميع يتطلعون بعيونهم فى هدوء الى قمة التل.

وقف قادر ونادر بين الناس ينظرون معهم إلى أعلى القمة. وفجاة عزفت الموسيقى فوق التل، وبعد أن كان الناس واقفين كالمسحورين فى صمت، صاروا يتحركون ويتدافعون منطلقين نحو قمة التل.

على قمة التل وقفت الفتيات يعزفن على الآلات الموسيقية ويرقصن على أنغامها. وفجأة دوى التصفيق بين الحضور عندما ظهرت بين الفتيات كاراسوتش ذات الحكمة وهى تزيح النقاب عن وجهها وتدور بعينيها بين الناس. وما إن لمح وجهها الأمير قادر حتى سقط مغشيا عليه. فحمله نادر ووضعه جانبا بعيدا عن أقدام الناس.

فى المساء اجتمع نادر وقادر فى كوخ كابول صانع الفخار وجلسا مع أصدقائه يتسامرون. واستمعوا إلى ما حكاه نادر ثم عقب أحدهم قائلا:

– اسمح لى أيها الضيف العزيز أن أعلن رأيى وأقول بأنكم حقا تستحقون أن تصبحوا صهرا لمليكنا. فهو لن يرفض أن يزوج ابنته كاراسوتش ذات الحكمة من أمير ابن ملك مثلكم.

هتف رجل آخر يقدم نصحه: كلا كلا، من الأفضل أن تذهبوا مباشرة إلى الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة.

صرح الرجل الأول معترضا: كيف يمكنه الذهاب إليها ولا أحد يستطيع الصعود والاقتراب منها؟.

– هناك من يستطيع بسهولة الوصول إليها: نضع لك سلما ويمكنك أن تصعد عليه إليها.

قال الضيف مزحته حول السلم فضج الجميع بالضحك مقهقهين لدى سماعهم المزحة.

أراد نادر أن يحول مجرى الحديث إلى نحو آخر فقال:

– من كان آخر المعلمين لكاراسوتش ذات الحكمة؟

صمت الجميع حتى هتف أحد العجائز قائلا لنادر:

– طبقا لما أعرفه فقد كان آخر معلميها هو الحكيم أكرم. وقد طعن الآن فى العمر وأصبح مرابطا بيته لا يغادره. ويقضى وقته كله فى قراءة الكتب والمراجع.

طلب نادر من العجوز أن يقوده إلى منزل الحكيم. فخرجا حتى وصلا إلى منزل صغير متواضع. وعند الباب قابلهم الحكيم صاحب التسعين عام بلحية طويلة بيضاء. قدّم العجوز نادر إلى الحكيم، وتبادل معه حديثا قصيرا ثم غادر البيت تاركا نادر معه. نظر الحكيم إلى نادر وقال:

– ما الذى تريده منى يا بنى؟ حدثنى عنه فسوف أساعدك لو كان هذا بمقدورى.

أجاب نادر قائلا:

ـ لابد لى من تقديم العون إلى صديقى الحميم. لكن الأمر بالغ الصعوبة والتعقيد. لهذا السبب جئت إليكم التمس النصح والمشورة.

ابتسم الحكيم ورد قائلا:

ـ لابد من أن هذا الأمر يتعلق بكاراسوتش ذات الحكمة. أليس كذلك؟

أجاب نادر وهو يقف: لقد حزرتم الحقيقة.

قال الحكيم: من الواضح أنك تتمتع ببصيرة حادة وإدراك واسع أيها الفتى. كل ما يمكننى قوله إننى كنت معلما لكاراسوتش ذات الحكمة حتى صارت فى الخامسة عشرة من عمرها. بعد ذلك صارت تتعلم عند الساحر الكشميرى. وبعد مرور عامين لم يصبح فى جعبته شيء يعلمه لها فرحل واختفى. أما عن الوسيلة لصعود التل فإننى أعتقد بأنها ممكنة فقط عن طريق مغارة سرية يقع مدخلها فى قلب النهر بعيدا عن التل.

استمع نادر جيدا إلى كل ما قاله الحكيم وقفل راجعا إلى كوخ كابول صانع الفخار.

اعتاد الناس أن يتجمعوا عند شاطئ النهر أسفل التل، وعند حلول المساء يتفرقون عائدين إلى بيوتهم. ابتعد نادر جانبا واختبأ خلف إحدى الأشجار. وعندما غربت الشمس ظهرت فجأة على سطح الماء فتاة خرجت من فتحة زير فخارى وانطلقت تسير صوب قصر الملك. وبعد مرور بعض الوقت عادت الفتاة مرة أخرى وقفزت إلى الماء. ثم دارت ثلاثة مرات حول زهرة طافية واختفت عبر فتحة الزير تحت الماء. حينئذ قفز نادر إلى الماء ودار هو الآخر ثلاثة مرات حول الزهرة وغطس من خلال فتحة الزير حتى شاهد مدخل المغارة. شاهد الفتاة تهبط أربعين درجة من السلم وعيناها مغمضتين.

حاول نادر دخول المغارة. وما إن هبط أول درجة من السلم حتى سمع دويا هائلا وتأججت أمامه شعلة ضخمة من النار. رفع قدمه مسرعا من فوق الدرجة فهدأ الصوت وانطفأت الشعلة على الفور. جرب نادر فوضع قدمه هذه المرة على الدرجة الثانية متخطيا الأولى فلم يحدث شيء. حينئذ تخطى الثالثة ووضع قدمه على الدرجة الرابعة، ثم السادسة. وهكذا ظل يهبط بهذه الوسيلة حتى وصل إلى قاع المغارة. دار بعينيه فرأى سلما آخر يقود إلى أعلى المغارة. وفى أعلى السلم يجلس أسدان مرعبان رابضان كما لو كانا يتحفزان للانقضاض عليه فى التو واللحظة. وضع نادر طرف قدميه على أول درجة من السلم فزمجر الأسدان بصوت كالرعد. حينئذ وضع قدميه على الدرجة الثانية فزمجر الأسدان بصوت أعلى مما سبق. جرب نادر فوضع قدميه على الدرجة الثالثة فسكن الأسدان تماما وجلسا في هدوء. أدرك نادر ضرورة أن يتجاوز درجتين فى الصعود على السلم ويطأ بقدميه الدرجة الثالثة مباشرة.

عاد نادر إلى كوخ كابول. وفى الصباح التالى ذهب إلى قصر الملك وطلب منه الإذن بأن يحل اللغز ويكشف السر.

منحه الملك الإذن، وأرسل مناديا ليعلن فى جميع أرجاء المدينة:

ـــ يا سكان مدينة شوم، اسمعوا الأخبار والمعلوم، اليوم قد حضر شاب غريب عابر سبيل، ويريد أن يصعد إلى قمة التل كى يهبط من عليها متأبطا ذراع الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة.

اجتمع الكثير من الخلق عند شاطئ النهر، كما وصل الملك مع وزرائه. ثم وصل نادر ووقف عند حافة النهر. حبس الناس أنفاسهم وهم يترقبون محاولين التخمين بنوايا نادر وهم يتهامسون فيما بينهم: "ترى ماذا سيفعل الشاب الغريب؟". قفز نادر فى الماء ودار ثلاث مرات حول الزهرة الطافية ثم اختفى فى قلب المياه. شهق الناس وسمعت آهات الخوف والفزع. هتف أحد الحضور يقول: "لقد غرق الفتى تماما". وآخر يعلن: "لم يغرق بل ابتلعته الأرض". أما نادر فقد ظهر على قمة التل سالما معافا. ونظر من حوله فإذا بأرض التل تغطيها الأحجار من كل لون.

خطا الشاب على الحجر الأصفر فزلزلت الأرض من تحت أقدامه. فمضى يخطو فوق الحجر الأخضر فإذا بالتل يهتز ويتصدع. ثم جرب وضع قدميه على الحجر الأحمر فلم يتحرك شيء. حينئذ صار نادر يخطو فوق الأحجار الحمراء فقط حتى وصل إلى البوابة. وكان عليها ترباس ضخم وكتابة تقول: "أيها الفتى نادر يا من كشف السر، إذا فتحت البوابة واستطعت عبورها فسوف أقبل بك".

وما إن خطا نادر أولى خطواته نحو البوابة حتى دفعته بعنف قوة خفية فى صدره ومنعته من الدخول. فاستجمع نادر كل قواه وانقض على البوابة مرة ثانية، لكن القوة الخفية دفعته بشدة حتى سقط متدليا على صخرة كبيرة. تعلق نادر بحافة الصخرة حتى لا يهوى لأسفل التل وصعد واقفا عليها. وفى هذه اللحظة فتحت البوابة واندفع نادر عبرها إلى الجانب الآخر من التل.

وقف الناس أسفل التل ينتظرون ظهور نادر وقد اعتراهم الخوف والقلق. وكان بينهم كابول صانع الفخار وأصدقاؤه وقد ترقرقت الدموع فى أعينهم من فرط إشفاقهم عليه. وفجأة رأى الجميع نادر وقد ظهر فوق قمة التل. حينئذ صفق الحضور بحرارة من فرط سعادتهم لرؤيته.

هبط نادر برشاقة إلى النهر حتى وصل إلى الملك فانحنى أمامه ساجدا. قبّل الملك نادر فى جبهته وأعطى أوامره للمنادين أن يعلنوا بين الناس عن بدء مراسم موكب الزفاف.

وهنا طلب نادر من الملك قائلا:

ـ أيها الملك الحاكم، أرجو أن تؤجلوا هذا الإعلان حتى أجيب على ثلاثة أسئلة سوف توجهها لى كاراسوتش ذات الحكمة. فإذا استطعت الإجابة عليهم يمكنكم الإعلان عن الزفاف.

قال الملك فى دهشة: أية أسئلة أخرى تريدها ابنتى؟ لم تكن هناك أسئلة فى الشروط التى وضعتها. فلنعلن عن الزفاف الآن.

لكن نادر ألح فى طلبه بالانتظار حتى اضطر الملك إلى الموافقة على التأجيل.

اجتمع فى بهو القصر جميع العلماء والعارفين وعلية القوم كى يستمعوا إلى الأسئلة وإجاباتها.

دخلت إلى البهو إحدى وصيفات الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة وهى تحمل لؤلؤة وأعطتها لنادر وقالت:

ــ إن الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة تنتظر الإجابة منكم.

طلب نادر أن يحضروا له صندوقا مليئا باللآلئ. وعندما أحضروه صار يقلب فيها حتى اختار واحدة تماثل تماما اللؤلؤة التى أرسلتها له كاراسوتش ذات الحكمة.

أعطى نادر اللؤلؤتين إلى الوصيفة قائلا:

ــ ها هى إجابتى.

حملت الوصيفة اللؤلؤتين إلى الأميرة التى ابتسمت قائلة:

ــ أعيديهما إلى الفتى ثانية واطلبى منه الإجابة عن السؤال الثانى.

ذهبت الوصيفة باللؤلؤتين إلى نادر مرة أخرى. ابتسم نادر واختار أجمل لؤلؤة فى الصندوق وأعطى الثلاثة لآلئ للوصيفة وقال:

ــ هذه هى إجابتى.

عادت الوصيفة بالإجابة إلى كاراسوتش ذات الحكمة. فحملت الأميرة مزقة وأخذت تمسح بها اللؤلؤة الكبيرة، ثم جمعت القشور البيضاء التى وقعت من على سطحها وفركتها حتى أصبحت مسحوقا. بعد ذلك خلطتها الأميرة بالسكر وأرسلتها إلى نادر.

ــ فليجب على السؤال الثالث.

وضع نادر الخليط في وعاء وصب عليه الماء. وأخذ يقلب الماء بملعقة ثم أعاد الوعاء إلى الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة.

ما إن تلقت الأميرة هذه الإجابة حتى هتفت تصيح:

ـ إنك حقا شاب نجيب يا نادر، لقد استطاع الإجابة على جميع أسئلتى.

ابتهج جميع من بالقصر بالأخبار السعيدة. وصارت كاراسوتش ذات الحكمة تفسر لهم:

ـ فى سؤالى الأول أرسلت له لؤلؤة واحدة، وكنت أقصد من وراء ذلك أن أوضح له جوهرى وأن أسأله: "ما هو جوهرك وأصلك؟". وعندما بعث لى بلؤلؤة مماثلة كان يقصد أن يجيب بأنه مثلى من أسرة مرموقة ونسل من العلماء. وعندما أرسلت له باللؤلؤتين ثانية كنت أعنى أن أسأله: "هل يمكن أن يكون فى العالم شيء أسمى من الحب؟". وعندما أجاب بأجمل اللآلئ كان مقصده من ذلك أنه ليس هناك شيء أسمى من الحب سوى الأبناء. وفى المرة الثالثة خلطت اللؤلؤ بالسكر كى أسأله عما يمكن أن يفرق بيننا وبين الجمال والمتعة. فكانت إجابته بصب الماء البارد على المزيج وهو يعنى من ذلك أن البرد والموت هما اللذين يمكنهما التفريق بيننا وبينهم.

اقتربت كاراسوتش ذات الحكمة من نادر وانحنت أمامه فى إجلال وتقدير. توجه نادر إلى الملك وقال:

ـ قبل مراسم الزفاف، هل يسمح لى مولاى الملك أن أطلب من الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة أن تلبى لى طلبين فى غاية الأهمية بالنسبة لى؟

تطلع الملك الى كاراسوتش ذات الحكمة التى أومأت برأسها علامة الموافقة.

قال نادر: إننى ابن وحيدا ليس لدى أب ولا إخوة أو أخوات. لذا أرجو أن تصبح كاراسوتش ذات الحكمة أختا لى. وأنا كأخ لها سوف أعرض عليها زوجا يليق بها، وأقيم لها حفل الزفاف بنفسى.

حلت الدهشة على الجميع وخيم عليهم الصمت وهم لا يحولون أنظارهم عن كاراسوتش ذات الحكمة. وأطرقت الأميرة برأسها تفكر فيما قيل ثم قطعت الصمت قائلة:

ـ أيها الفتى الجسور نادر، لقد عانيت الكثير من البؤس والألم فى حياتك. امنحنى أنا شقيقتك الضعيفة ولو قليلا من الحب الكبير والولاء الذى تكنه لصديقك.

ثم التفتت كاراسوتش ذات الحكمة إلى الحضور وأردفت:

ـ منذ هذه الساعة قد أصبح لدى شقيق. سوف يدافع عنى ويقوم بحمايتى دائما. لذلك لم يعد بى حاجة إلى سحر يحمينى.

وخلعت كاراسوتش ذات الحكمة من إصبعها الخاتم السحرى وقامت بتحطيمه. وفى هذه اللحظة اختفت الورود التى كانت تغطى أرض التل. كما تبخرت الصخور الملونة التى كانت تفرش قمته.

أعلنت كاراسوتش ذات الحكمة: لقد أصبح مصيرى رهنا برغبة شقيقى فإذا كان يرى فى صديقه الجدارة ليصبح زوجا لى فإننى أوافق على رأيه.

قال نادر: إن مطلبى الثانى لك أيها الملك أن توافق على زواج أختى الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة من الأمير قادر ابن ملك روم.

وافق الملك على الفور. فتعالت أصوات الأبواق وبدأت الاحتفالات بالزفاف.

فلنتركهم يواصلون الاحتفال ولنذهب لنستمع إلى ما يجرى فى هندوستان. وصلت الأخبار إلى مسامع ملك هندوستان تقول بأن أحد الشبان استطاع أن يحل لغز الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة، وبعد ذلك لم يقبل الزواج بها. فما كان منها

إلا أن حطمت خاتمها السحرى من شدة الغضب، وقبلت الزواج وهى مكدورة من أحد الغرباء العابرين.

عرف الملك بهذه الأخبار فجحظت عيناه من فرط الدهشة وانتابه الذهول والغضب. وفى نفس هذا اليوم أعطى أوامره بإعداد ألف فيل مقاتل وألف محارب. وتجهيز المحاربين بالدروع والسيوف والرماح. ثم وضعهم على الفيلة وأمرهم قائلا:

ــ الآن سوف أقوم بتسوية مدينة شوم بالأرض، وآخذ ملكهم أسيرا ذليلا، ومعه أميرتهم كاراسوتش ذات الحكمة، كى أجعل منها عبدة لى وجارية تقوم على خدمتى فى القصر.

قاد الملك قواته زاحفا بها نحو مدينة شوم. وهناك كان حفل الزفاف قائما على قدم وساق. حمل الرسل والبصاصون إلى الملك أخبارا تقول بأن القوات الهندوستانية قد صارت على الأبواب. فأخذ الملك يحشد الناس ويعدهم للمعركة. وجمع نادر مائة جمل حمّلهم بالقش وجعل الجنود يركبونهم، وسار معهم لمواجهة الأعداء. وما إن اقتربت الأفيال منهم حتى أمر نادر قائلا:

ــ أضرموا النار فى القش وانفخوا فى الأبواق بأعلى صوت.

فعل الجنود كما أمرهم نادر، ففزعت الأفيال من الدخان المتصاعد ومن صوت الأبواق فتفرقت وفرت مدحورة فى شتى الأرجاء، وانسحق جنود الأعداء مهزومين. أما ملك الهندوستان فلم يصمد معه سوى ثمانون رجلا واضطر إلى الهروب لينجو بعمره.

احتمى الملك بأحد الكهوف وجلس فيه تلاحقه أذيال الخيبة والعار. ومن فرط ذله أصـــبح لا يجرؤ على الظهور أمام أحد.

دخلت عليه امرأة عجوز وصاحت:

ـــ مولاى الملك، إن عرشك فى انتظارك فعد إليه، أما كاراسوتش ذات الحكمة فسوف آتيكم بها.

أجاب الملك قائلا:

ـــ إذا صدقت فى قولك وأحضرت إلى كاراسوتش ذات الحكمة، فسوف أمنحك نصف خزائنى مكافأة لك.

ردت العجوز:

ـــ أريد مركبا واسعا وعشرين جنديا مقاتلا متعطشين للدماء. وأن تزودوهم بالزاد لثلاثة شهور. وسوف أحقق لكم مأربكم بعد ذلك.

أمر الملك بتنفيذ كل ما طلبته العجوز. جلست العجوز مع العشرين مقاتلا فى المركب وساروا بها فى النهر. وبعد مرور بضعة أيام وصلوا إلى قصر الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة.

أمرت العجوزة الجنود قائلة:

ـــ سوف أذهب بمفردى إلى القصر، أمـــا أنتم فانتظروا هنـــا ســـاكنين بلا صوت ولا حركة ريثما أعود. وعندما تسمعوننى أصيح بعبارة : "الوقت ثمين"، عليكم الانقضاض على الفتاة والقبض عليها، ثم الابتعاد بالمركب بأقصى سرعة.

كان هذا هو اليوم الأخير من أيام الاحتفال بالزفاف. مضى الناس فى اللهو والمرح بهذه المناسبة. ورافقت الفتيات الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة إلى الحمام قبل الذهاب بها إلى زوجها. وفجأة ظهرت امرأة غريبة بينهم. وصارت المرأة تغنى وترقص وتضحك مع الجميع، وبعد ذلك دخلت إلى الحمام.

كانت الموسيقى تعزف أمام الحمام، والفتيات يرقصن ويصدحن بالغناء على أنغامها فى انتظار خروج كاراسوتش ذات الحكمة والمرأة الغريبة. ومر الوقت يمضى حثيثا ولم يخرج أحد. وأخيرا دخلت إحدى الفتيات تستطلع الأمر. كان الحمام خاليا والحائط الخلفى له محطما.

لم تكن المرأة الغريبة الراقصة سوى العجوز التى أرسلها ملك هندوستان. وقبض الجنود فى المركب على الفتاة ثم ذهبوا بها إلى الملك الهندوسى.

ابتهج الملك وأقام احتفالا ضخما بهذه المناسبة.

اصطحبت الوصيفات كاراسوتش ذات الحكمة إلى الملك الذى أجلسها بجواره على العرش الذهبى. فنظرت إليه الأميرة وقالت:

ـــ مولاى الملك المعظم، قبل أن أصبح زوجة لكم أرجو أن تلبوا أمنيات عزيزة لى بهذه المناسبة. وأمنيتى الأولى هى ألا يتعذب أو يتألم أحد فى هذا اليوم، ولا يذرف أحد الدمع منذ هذه اللحظة، وليسعد الفقراء وليخرج إلى الحرية كل المحبوسين فى الزنازين.

فكر الملك فيما قالته الأميرة وفكر ثم أصدر أوامره بتنفيذ ما طلبته.

قالت كاراسوتش ذات الحكمة: "الأمنية الثانية تتلخص فى التالى: منذ مئات السنين والناس لا يمكنهم أن يدخلوا قصور الملوك. فلتفتح أبواب قصركم ولو فى أثناء الاحتفال بالزفاف أمام جميع الفقراء والمحتاجين".

وافق الملك على تحقيق هذه الأمنية أيضا.

أردفت كاراسوتش ذات الحكمة قائلة: أما الأمنية الأخيرة فهى تأجيل زواجنا أربعين يوما حتى تنقضى أيام العدة طبقا لعاداتنا. فعلى الرغم من أنه لم تلمسنى يد رجل إلا أن زفافى قد تم لشاب آخر وينبغى أن تنقضى تلك المدة قبل زواجى برجل آخر احتراما لتقاليدنا. فلتستمر الاحتفالات بالزفاف طوال الأربعين يوما حتى نتزوج.

رضخ الملك لهذا الطلب أيضا.

حينئذ نهضت كاراسوتش ذات الحكمة وخرجت مع وصيفاتها إلى جناحها. وبدأت الاحتفالات فى القصر أربعين يوما وليلة.

كان لملك الهندوس ابنة فى السابعة عشرة من العمر. وكانت على قدر كبير من الجمال والذكاء. وكانت تدعى ديل نواز. صارت الابنة تقضى الأيام بطولها تتحدث وتتسامر وتأكل مع الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة.

على الرغم من ذكاء ديل نواز وفطنتها فإنها لم تستطع أن تحل لغزا واحدا. كان هناك شخص يرتدى ملابس سوداء يحضر إلى بستان القصر كل مساء. وكان يجلس أسفل شجرة التوت فى صمت، لايحدث أحدا ولا يجيب على أسئلة أحد ولا حتى يقرب الطعام الذى يحضرونه إليه. بل كان يأخذ مكانه وينخرط فى بكاء مرير ثم يرحل مغادرا الفناء. وفى إحدى المرات انتحت به ديل نواز جانبا وسألته:

ـ من أنت؟ وأى قوى شريرة تسبب لك كل هذا الألم؟ احكِ لى فربما أستطيع تخفيف معاناتكم.

لكن الشخص صاحب الملابس السوداء صار ينظر إليها بحزن، ثم رحل دون أن ينطق بكلمة. أخذت ديل نواز تشفق على هذا الإنسان حتى أحبته فى نهاية الأمر.

وأصبحت تنتظره على أحر من الجمر إذا تأخر عن ميعاد حضوره مترقبة وصوله. وباتت تسهر فى الليل وهى تفكر به. وتبدلت ملامح وجهها وامتقع لونه. ولاحظت كاراسوتش ذات الحكمة تلك التغيرات فقالت لها:

ـ ما الذى حل بك أيتها الأخت؟ ما الذى يقلقك؟ وما سبب هزالك المفاجئ؟

وهنا قصت عليها ديل نواز كل شىء عن الشخص صاحب الملابس السوداء، وعن حبها له. فكرت طويلا كاراسوتش ذات الحكمة ثم قالت لها:

ـ عندما يحضر فى الغد أريد منك أن تسأليه: "كم كان عددكم عندما رحلتم من روم؟ وكم أصبح عددكم لما وصلتم إلى شوم؟ وكم عددكم فى هندوستان؟" ثم أخبرينى فيما بعد بإجابته.

في اليوم التالى جلست ديل نواز تنتظر ظهور صاحب الملابس السوداء بفارغ الصبر. وعندما ظهر أخذته جانبا وسألت:

ــ أيها الشاب الغارق فى الأحزان، أرجو أن تخبرنى: كم كان عددكم عندما غادرتم روم؟ وكم صار عددكم عندما وصلتم شوم؟ وكم هو عددكم الآن فى مدينتنا؟

أجاب الفتى بالكاد وهو يكفكف دموعه المنهمرة وقال:

ــ أيتها الأميرة المبجلة، إنك ترغميننى على الحديث معك وبذلك تحرميننى فرصة الرحيل عن مدينتكم. لقد عانيت الكثير من المصائب وتريدين منى أن أقرر البقاء فى مدينتكم. لقد كنا اثنين عندما غادرنا روم، وفى شوم أصبحنا ثلاثة، أما هنا فقد صرت بمفردى. أما عن تفسير ذلك فسوف أشرحه لك فى اللحظة الأخيرة. وإذا منحتنى الفرصة لقضاء ليلة واحدة فى القصر حينئذ يمكننى أن أقص عليك كل شىء.

قادت ديل نواز الفتى إلى تعريشة بالبستان وأخفته هناك. ثم ذهبت إلى كاراسوتش ذات الحكمة التى ما لبثت أن بادرتها بالسؤال وقالت:

ــ كيف سارت الأمور معك؟ هل عرفت الأجوبة؟

ردت ديل نواز: لقد قال لى كنا اثنين عندما سافرنا من روم، وصرنا ثلاثة لما وصلنا إلى شوم، وهنا صرت بمفردى.

وحكت ديل نواز كيف أنها أخفت الفتى فى التعريشة بالبستان.

فى ظلام الليل تسللت كاراسوتش ذات الحكمة إلى التعريشة فى البستان. وصارت تتلصص عبر فروعها فرأت الفتى جالسا فى ملابس سوداء. وتعرفت عليه فى الحال، فلم يكن الفتى سوى نادر بشحمه ولحمه. فقد اقتفى أثرها بعد أن اختطفوها حتى وصل إلى هندوستان.

انقضت تسعة وثلاثون يومًا قضتهما كاراسوتش ذات الحكمة فى قصر ملك الهندوستان. وفى عشية ليلة الزفاف كتبت الأميرة إلى الملك الرسالة التالية:

"مولاى الملك المعظم، غدا تنتهى المهلة الممنوحة لى ويأتى اليوم الموعود لكلينا لتحقيق أحلامنا. ولن يصبح بمقدورى مغادرة هذا القصر بعد أن أصير زوجة لك. وأنا أصبو بشدة إلى مشاهدة معالم مدينتكم. لذا أرجو أن تسمحوا لى بالخروج مساء اليوم مع وصيفاتى للقيام بنزهة فى شوارع المدينة".

قرأ الملك الرسالة وأعلن قائلا:

ــ حسنا حسنا، إذا كانت هذه رغبتها فإنى لا أمانع.

أعطى الملك أوامره فى الحال بمنع كافة الرجال من الخروج إلى شوارع المدينة فى المساء. ثم سرجت الخيول وتزينت الوصيفات والخدم فى أبهى الحلل. ووقفوا ينتظرون خروج الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة. لكن الأميرة أعلنت تقول:

ــ مازال الوقت مبكرا للخروج، هيا نغفو ونستريح لبعض الوقت.

رقد الجميع حتى راحوا فى النوم. حينئذ نهضت كاراسوتش ذات الحكمة فأغلقت الأبواب على الخدم بالمزلاج، وخرجت تتسلل إلى البستان فى حذر. أخرجت نادر من التعريشة وامتطى الاثنان الجياد منطلقين بأقصى سرعة إلى الوادى.

سارا طويلا طويلا حتى وصلا إلى أحد الكهوف التى وضع بها نادر الأميرة وقال:

ــ عليك الاختباء هنا وانتظارى ريثما أذهب إلى المدينة وأسوى الأمور مع الشريرة الشمطاء كى لا تتعرض لنا ثانية وتجلب لنا من المحن ما لا يسر.

انطلق الفتى إلى المدينة وذهب إلى منزل العجوز. ثم أمسك بقادوم حطم به باب بيتها وقتلها شر قتلة. بعد ذلك حمل جثتها وربطها على بوابة قصر الملك.

قام الملك فى الصباح وخرج إلى الجامع. وعندما رأى العجوز عند البوابة بادرها قائلا:

ـ هل جئت أيتها العجوز كى أكافئك؟ عليك إذن أن تعلمى أنه لن يتم زفافى حتى أجزل لك العطاء على ما فعلت. فاذهبى إلى القصر وانتظرينى هناك ريثما أعود من صلاة الصباح.

لكن العجوز لم تحرك ساكنا وظلت على صمتها. حينئذ هتف الملك فى حراسه:

ـ خذوها إلى القصر.

ما إن إقترب الحراس من العجوز حتى تهاوت على الأرض جثتها بلا حراك. خشى الملك وفزع فأرسل خادمه ليطمئن إلى أحوال كاراسوتش ذات الحكمة. ذهب الخادم فرأى الوصيفات محبوسات فى جناحهن ولا يوجد أثر للأميرة كاراسوتش ذات الحكمة.

ثار الملك ثورة عارمة وأرسل الفرسان والجنود للبحث عن الأميرة. فمضوا يفتشون كل ركن من الأرض ويبحثون هنا وهناك بلا جدوى. وعادوا إلى مليكهم بأيد خاوية.

عندما استطاعت العجوز الشريرة أن تمكر بالأميرة كاراسوتش ذات الحكمة وتحملها إلى ملك هندوستان، حزن الأمير قادر وأصابه من الكرب والهم قدر كبير حتى هزل وكاد يقع فريسة للمرض. وخشى ملك شوم أن يصيب الفتى داء أو مكروه ويقع عليه اللوم من ملك روم ويظن به السوء وأنه تعمد إيذاء ابنه قادر، فيغير عليه بقواته فى حرب لا يعلم أحد مداها.

أخذ ملك شوم يلح على قادر أن يرحل عائدا إلى بلاده. فمنحه أثمن الهدايا والعطايا القيمة، وأمر أن تصاحبه فى طريق العودة أربع كتائب من الجند وحرس الشرف. أصاب قادر الاكتئاب والحزن وحاول التملص من الرحيل، إلا أنه فى النهاية غادر المدينة وسافر متجها صوب بلاده روم.

ما إن وصل قادر إلى جبال تاكيرتاش حتى رأى أمامه فى الطريق المقابل الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة ومعها نادر. ففرحوا جميعا وتعانقوا فى سعادة وقرروا أن يذهبوا إلى روم. وساروا طويلا حتى حل بهم التعب فتوقفوا للراحة أسفل شجرة عملاقة. راح قادر والأميرة فى النوم، وظل نادر متيقظا يحرسهما.

فجأة عند منتصف الليل حلقت أربع ببغاوات وحطت على غصن من أغصان الشجرة.

قالت إحدى الببغوات لرفيقاتها:

ـ انظروا وتعجبوا من الأمور التى تجرى هنا. واحد يسعى ويكافح والآخر يرفل فى السعادة دون جهد أو عرق.

أجابت الببغاء الثانية وقالت:

ـ الأدهى من هذا ما هو آت، وما ينتظرهم عندما يصلون إلى روم. فبعد أن علم ملك البلاد بقرب قدومهم، أحضر سما زعاف وأعطاه لأحد عبيده كى يدسه لابنه قادر فى شرابه حتى يقتله وينتزع زوجته الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة لنفسه.

أضافت الببغاء الثالثة معقبة وقالت:

ـ لقد جهز الملك أيضا حصانا وصقرا مسمومين وقال: "عندما يصل ولدى دعوه يمتطى ظهر هذا الحصان ويضع الصقر على يده فيموت وتصبح زوجته ملكا لى".

فى نهاية الحديث قالت الببغاء الرابعة:

ـ وقد أقام الملك جناحا خاصا لابنه الأمير وأطلق به العقارب الكبيرة السامة لتلدغه وأعلن قائلا: "فليقم ابنى بعد وصوله فى هذا الجناح حتى تلدغه العقارب السامة ويموت، وحينئذ تصبح زوجته ملكا لى". وليظل ما قلناه سرا بيننا لا يخرج إلى أحد.

هكذا تحدثت الببغاوات فيما بينهن وطرن يحلقن فى الفضاء.

فى الصباح امتطى الجميع ظهور الجياد وانطلقوا على الطريق. وبعد مرور بضعة أيام لاح أمامهم قصر الملك. وتعالت أصوات الأبواق والنفير يعلنون عن وصولهم.

سألت كاراسوتش ذات الحكمة: ما الذى يجرى هناك؟

أجاب قادر مفاخرا: إنه والدى يحتفل بوصولنا.

وفى مواجهتهم خرجت من المدينة أفواج من الفتيات يرتدين الملابس المزركشة الجميلة، ويحملن كئوسا ذهبية بها العصائر ومشروب الكوميس.

(الكوميس مشروب احتفالى من لبن الجياد ـ المترجم)

قالت الفتيات: لابد أن الأمير قد أصابه العطش من طول الطريق، تفضل كى تروى عطشك.

أخذ قادر كأسا من إحدى الفتيات ورفعه إلى شفتيه، وفى هذه اللحظة أمسك نادر بيده قائلا:

ـ تمهل قليلا أيها الأخ، فقد نذرت نذرا عندما كنت مع الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة فى قصر ملك الهندوستان، وعاهدت نفسى أن أريق الكوميس على الأرض بدلا من شربه لو نجحنا فى الوصول إلى بلادنا مع الأميرة سالمين. وها نحن قد وصلنا فهل تأذن لى بإراقته على الأرض؟

لكن قادر لم يوافقه الرأى وهمّ بشرب الكأس من شدة عطشه. فضرب نادر الكأس بقبضته ضربة قوية كسرته وأراقت ما به على الأرض.

غضب الأمير قادر من نادر ولكز حصانه مبتعدا على الطريق.

كان الملك بنفسه واقفا مع وزرائه عند أبواب القصر متأهبا لاستقبالهم. ترجل قادر والأميرة كاراسوتش ذات الحكمة من فوق الجياد وانحنوا راكعين أمام

الملك. وما إن شاهد الملك الأميرة حتى طار لبه من حسنها ولم يستطع الترجل من على حصانه وعجز أيضا عن عناق ابنه الأمير. بعد ذلك تقدم الوزراء بالهدايا الثمينة احتفالا بالأمير. فساق أحدهم فرسا رائعة وتقدم وزير آخر بصقر نادر الجمال.

أعلن الوزيران: نرجو الأمير العائد من رحلته الطويلة أن يتقبل هذه العطايا المقدمة من مولانا الملك.

ـــ استعد قادر لركوب الفرس والإمساك بالصقر لكن نادر تدخل قائلا:

ـــ أيها الوزراء المبجلون، لقد تعرضنا فى الطريق إلى الكثير من المصاعب والمخاطر، وقد نذرت نذرا وعاهدت نفسى قائلا: "لو أننا تجاوزنا كل هذه الصعاب ونجحنا فى الوصول إلى بلادنا سالمين، فسوف أضحى بأولى الهدايا التى يمنحنا إياها الملك وأحرقها".

وامتشق نادر سيفه وهوى به على الفرس والصقر فقطعهما إربا اربا ونثر فوق أشلائهما الرمال.

تملك الغيظ من ملك روم لما فعله نادر، لكنه لم يجرؤ على الحديث أو الاعتراض أمام كاراسوتش ذات الحكمة، فدار على حصانه منطلقا نحو القصر. وأمر خدمه باصطحاب قادر وكاراسوتش ذات الحكمة ونادر إلى جناحهم الملكى المقام خصيصا لهم.

انتصف النهار وأصبح الجو خانقا من شدة الحرارة. أسدلت كاراسوتش ذات الحكمة الستائر على النوافذ كى ترطب الجو بعض الشىء. وفرشت غطاء من القطيفة فوق البساط الأحمر الذى يغطى الأرض. ورقدت الأميرة وتناثرت خصلات شعرها الأسود على الوسادة البيضاء، وراحت فى نوم عميق. فجأة خرج من أسفل البساط عقرب كبير، وزحف تحت ملابس كاراسوتش ذات الحكمة وسار على جسمها حتى وصل إلى صدرها. ووقف عليه رافعا ذيله السام إلى أعلى. ثم أراد العقرب أن يتسلل خلف ياقة ثوبها لكن شهيق الأميرة منعه من الخروج فزحف على

كتفها حتى وصل إلى وجهها وصار يسير عليه. وفى هذه اللحظة وصل نادر وأخذ يجول ببصره فى الجناح. ولمح العقرب فأزاحه من على وجه الأميرة وداس عليه حتى قتله. ورأى قطرة من سم العقرب تسيل على وجه الجميلة النائمة، فأخرج منديلا وصار يمسح به مسرعا القطرة السامة من على وجهها. وهنا دخل قادر الحجرة وهتف صارخا:

ــ هكذا إذن تجرى الأمور، وأنا الذى كنت أعتبرك أخا وصديقا حميما لى.

صحت كاراسوتش ذات الحكمة من نومها فزعة لا تدرى شيئا على صوت قادر الذى صار يصرخ بصوت أعلى قائلا:

ــ لقد كنت تخدعنى طوال هذا الوقت وانكشفت أوراقك أخيرا. وها أنت تسير على درب والدك الذى كان يعارض والدى دائما. وقد خنتنى على الرغم من صداقتى واستضافتى لك فى القصر. لا أريد رؤية وجهك بعد الآن.

وأخرج قادر سيفه من غمده وهجم به على نادر. فقفزت كاراسوتش ذات الحكمة وأمسكت بيد الأمير وصرخت فى وجهه قائلة:

ــ ما الذى يجرى هنا؟ أخبرانى.

قال نادر لقادر:

ــ اجلس أيها الأخ، واجلسى أيتها الأخت. فسوف أحكى لكم الآن كل شىء حتى لو كان هذا آخر حديث بيننا، وكان هذا المجلس آخر مجلس يجمعنا. هل تتذكرون عندما تقابلنا فى الطريق وتوقفنا للراحة أسفل الشجرة الكبيرة؟ لقد رحتم بعدها فى النوم وبقيت أنا جالسا للحراسة. ولم يمر سوى وقت قليل حتى حطت أربع ببغاوات على غصن من أغصان الشجرة ودار بينهم حديث قالت أولهن فيه: "انظروا وتعجبوا من الأمور التى تجرى هنا. واحد يسعى ويكافح والآخر يرفل فى السعادة دون جهد أو عرق". وإن لم تصدقوننى فلتتحول قدماى إلى حجر. وبعد ذلك أجابت الببغاء الثانية وقالت: "الأدهى من هذا ما هو آت، وما ينتظرهم عندما

يصلون إلى روم. فقد أحضر الملك سما زعافا وأعطاه لأحد عبيده كي يدسه لابنه قادر فى شرابه وقال: "فليشرب منه ابنى حتى يسقط ميتا وتصبح زوجته ملكا لى". وإن لم تصدقوننى فليتحول ظهرى إلى حجر. وأضافت الببغاء الثالثة معقبة وقالت: "لقد جهز الملك أيضا حصانا وصقرا مسمومين وقال: عندما يصل ولدى دعوه يمتطى ظهر هذا الحصان ويضع الصقر على يده فيموت وتصبح زوجته ملكا لى". وإن كنتم لا تصدقوننى فليتحول صدرى إلى حجر. وفى نهاية حديث الطيور قالت الببغاء الرابعة: "وقد أقام الملك جناحا خاصا لابنه الأمير وأطلق به العقارب الكبيرة السامة لتلدغه وأعلن قائلا: فليقم ابنى بعد وصوله فى هذا الجناح حتى تلدغه العقارب السامة ويموت، وحينئذ تصبح زوجته ملكا لى". وهكذا وقفت أترقب رؤية العقارب حتى قتلت واحدا منها على عتبة الجناح، والآخر أبعدته عن وجه أختى الأميرة ورحت أمسح بالمنديل قطرات السم من على وجهها عندما دخلت ورأيتنى على هذا الحال...

ثم أشار نادر إلى العقرب المقتول وأضاف قائلا:

ـ والآن إن لم تصدقوا روايتى فليتحول جسمى كله إلى قطعة من الحجر.

قال الفتى ما قاله وفى لمح البصر تحول إلى تمثال من الحجر الأصم. وما إن رأته كاراسوتش ذات الحكمة على هذا الحال حتى صرخت فى الأمير قادر قائلة:

ـ خسئت يا قادر، لم أكن أعلم أن لك قلبًا بهذا السواد. أهكذا تكافئ صديقك المخلص الذى تحمل بسببك شتى صنوف الهوان والعذاب؟ أهذا جزاء الوفى الذى ما كان يبخل بحياته من أجلك؟ انظر إلى صديقك الذى أصبح حجرا بعد أن أنقذك من سم أبوك ومن غدره بك.

ندم قادر على ظنونة السوداء وتهاوى جالسا على الأرض وانخرط فى بكاء مرير. نظرت إليه كاراسوتش ذات الحكمة وقالت:

ــ لن يفيد جلوسك شيئا، انهض وابعث برسلك فى كل ركن ومكان ليأتوا بالأطباء والحكماء. حتى لو اضطررت إلى إنفاق كل ثروتك وأموالك لإنقاذ حياة نادر. وإن لم تقم بهذا فلن أدعك ترانى ثانية، وسوف أتركك وأعود إلى والدى.

بعث قادر برسله إلى كل أرجاء البلاد وأحضر الحكماء والأطباء لكن أحدا منهم لم ينجح فى علاج الفتى نادر. وفى المساء رقد قادر فى فراشه وراح فى سبات. إلا أن كاراسوتش ذات الحكمة لم تستطع النوم. وفجأة رأت الأميرة حية بيضاء تخرج من ركن بالحجرة، ومن ركن آخر خرجت تزحف حية أخرى صفراء. قالت الحية البيضاء للصفراء:

ــ إن جميع المخلوقات الأرضية تكرهنا وترى فينا أعداء لها، ذلك على الرغم من أنهم يقومون بأفعال شريرة وشنيعة. وها هو شاب عاش مخلصا وفيا لصديقه فكان جزاؤه أن تحول إلى صخر بيدى صديقه. وفرح الملك لما علم بذلك وصار يفكر طوال الوقت فى الطريقة التى يزيح بها ابنه من على وجه الأرض.

ردت الحية الصفراء وقالت:

ــ من الممكن إعادة الفتى إلى الحياة لكن هذا لن يتم إلا بصعوبة شديدة. فمن أجل هذا الأمر لابد من إبادة الشر وقتل الملك المستبد نفسه وإراقة دمه على جسم الفتى المتحجر. ثم غسل الجسم بماء العين الموجودة أسفل الشجرة الكبيرة التى وقفت عليها الببغاوات.

هكذا تحدثت الحيّتان، ثم زحفت كل منهما عائدة إلى جحرها. أيقظت كاراسوتش ذات الحكمة قادر من نومه وقصت عليه ما سمعته من الحيّتين.

وفجأة فتح باب الحجرة ودخل الملك فاستل خنجره وهجم به على قادر.

جثا الأمير عند أقدام أبيه متوسلا وقال:

ـ الرحمة يا والدى، ألست ابنا لك؟ إننى لم أرتكب ذنبا ولم أقترف إثما.

لكن الملك القاسى أغمد خنجره فى قلب قادر. فسقط الأمير على الأرض جثة هامدة بلا حراك. ثم انقض الملك كالحيوان المفترس وهجم على الأميرة كاراسوتش ذات الحكمة وأخذ يضمها إلى صدره. وفجأة اندفع الدم يخرج من فمه ووقع ميتا مضرجا فى دمائه.

حينئذ قالت كاراسوتش ذات الحكمة:

ـ لم يوجد على سطح الأرض من هو أشد طغيانا ولا أكثر قسوة من ملك روم هذا.

وغمست الأميرة جسم نادر المتحجر فى دماء الملك المراقة وقالت: "ملعون إلى الأبد هذا القصر الذى شهد كل هذه الشرور".

ثم حملت الأميرة نادر المتحجر وانطلقت فى طريقها. وبعد أن وصلت إلى العين المجاورة للشجرة الكبيرة أنزلت الجسم المتحجر فى الماء وتركته حتى غطس فى العين. ومرت ثوان قليلة حتى خرج نادر من العين حيا معافى. تملكت السعادة من الأميرة وهى تنظر إلى نادر ولا تحول بصرها عنه. أما نادر فأخذ ينظر حوله فى دهشة وسأل قائلا:

ـ أين أخى؟ وما الذى أتى بنا إلى هذا المكان؟

وهنا حكت الأميرة لنادر عن مصرع قادر بيد أبيه الملك. ثم أشارت له إلى فرسين واقفتين بالقرب منهما وقالت:

ـ هيا بنا نركب الفرسين وسوف أقص عليك بقية الحكاية فى أثناء الطريق.

ورحل الاثنان عائدين إلى بلاد شوم.

مقبل الحجار



في الماضي البعيد كان هناك ملك طاغية ظالم يحكم مدينة بخارى. وكانت للملك ابنة تدعى ميهرى، وهى كلمة معناها "اللطيفة". وكانوا ينادونها بـ "نيجيار" ، أى الجميلة. وقد كانت الفتاة حقا بارعة الحسن حتى إن ضياء وجهها كان يغطى على نور القمر.

وبقدر ما كانت ميهرى ــ نيجيار رائعة الجمال، كانت أيضا على نفس القدر من البأس والشجاعة. فلم تستكين روحها إلى البقاء خلف أسوار القصر الملكى، بل كانت ترتدى ملابس الفرسان، وتمتطى فرسا أشهب كالبرق فى عدوه، وتخرج إلى الصيد.

فى أحد الأيام خرجت ميهرى ــ نيجيار إلى الوادى يرافقها ثمانمائة من أشجع الفرسان.

كان فرسانها جميعا من أمهر القناصة الذين لا يخطئون أهدافهم فى الرمى بالسهام. ولو أشار أحد لهم إلى نجمة صغيرة فى الفضاء لأصابوها بسهامهم. وكانت ميهرى ــ نيجيار لا تقل عنهم، فلا يخطئ سهمها هدفه على الإطلاق حتى لو كان معلقا فى أعالى السماء.

مر عليهم فى الصيد وقت طال أو قصر، الخلاصة أنهم فى أحد الأيام المشرقة وجدوا أنفسهم أمام جبال شاهقة الارتفاع.

وعند سفح أحد هذه الجبال كان هناك أيل يرعى العشب. التفتت ميهرى إلى رفاقها الصيادين وقالت لهم:

ــ هيا نحيط بهذا الأيل كى نمسك به حيا.

أحاط الثمانمائة صياد بالأيل. ومن جميع الأنحاء طارت السهام وعلا أزيزها فى الهواء. لكن الأيل كان ماهرا، واستطاع بفطنة أن يجد له مخرجا من بينهم ويفر من تحت قدمى ميهرى.

غضبت الفتاة فنغزت فرسها وانطلقت خلف الأيل تطارده.

وفجاة سمع صوت زئير مخيف، وخرج من بين الأعشاب نمر ضخم. وتراجع فرس ميهرى جانبا وهو مذعور، فوقعت الفتاة من فوق سرجه على الأرض. وتحفز النمر المتوحش لتمزيقها إربا، إلا أن أحد الرعاة كان بالقرب منها فى هذا الوقت. فرمى النمر بحجر من مقلاعه أصابه فى رأسه فهشمها.

سقط الوحش صريعا على الأرض وهو لا يبعد عن ميهرى ـــ نيجيار سوى خطوتين. ولم ينظر الراعى إليه، بل ركض نحو الفارس المجهول الواقع على الأرض ليعاونه على النهوض. وإذا به يرى فتاة راقدة لم يشهد أحدًا من قبل فى جمالها، ووجهها الأبيض تزينه خصلات شعر أسود مجعد. ساعد الراعى الفتاة على النهوض. فقامت دون أن تنطق بكلمة من أثر الصدمة.

وهنا وصل رفاقها الفرسان الصيادون. وصاروا ينظرون فى دهشة ويتساءلون: ما الذى جرى؟

امتطت ميهرى ـــ نيجيار فرسها، وخلعت خاتم من إصبعها ألقت به إلى الراعى. ثم دارت بفرسها وانطلقت به فى طريقها.

لندعها تواصل طريقها إلى البيت ولنستمع إلى سيرة الراعى.

كان أصل هذا الراعى ينحدر من قبيلة جبلية. وكان اسمه مقبل، بما يعنى "السعيد". وأطلقوا عليه لقب الحجار لأنه كان بارعا فى رمى الحجارة بالمقلاع.

بعد أن افترق مقبل المسكين عن ميهرى، مضى فى طريقه والعشق ينهش قلبه. فوصل بالكاد إلى قريته. وما إن دخل بيته حتى رقد مريضا.

أصاب سكان الجبل القلق والحزن لمرضه. فقد كانوا يحبون الراعى ويقدرونه. ذلك لأن مقبل الحجار كان أفضل من يرعى قطعانهم ويحافظ عليها من الوحوش الكاسرة. فما كان وحش مفترس يظهر أمام قطيعه حتى يقذفه مقبل بحجر يطيح برأسه على الفور. لذلك كانت الوحوش كلها تهاب مقبل الحجار.

وأصبح سكان الجبل كل يوم يذهبون إلى بيت المريض كى يطمئنوا على صحته.

وفى أحد الأيام ذهب إلى مقبل مع الزوار عجوز حكيم. فجلس بجواره ونظر يحدق إلى عينيه وقال:

ـــ قل الحق يا بنى، من الفتاة التى تتحرق شوقا إليها؟

لوح مقبل الحجر بيده معترضا.

ـــ ما هذا الذى تقوله أيها الوالد؟

لكن العجوز ألح قائلا:

ـــ يا بنى، لابد من أن تفتح لنا أسرار قلبك.

تدافعت الكلمات واحدة بعد الأخرى، حتى مضى الحديث يتدفق. وحكى مقبل الحجار كيف أنه أنقذ الأميرة من الموت المحقق، وكيف أعطته خاتمها، وكيف اخترق قلبه سهم حبها..

أفشى العجوز سر الراعى إلى جميع سكان الجبل.

صرح العجوز: إن مقبل الحجار قد وقع فى غرام الأميرة ابنة الملك ولابد من أن نجد له حلا.

اجتمع سكان الجبل فى دائرة وصاروا يفكرون ويبحثون الأمر.

هتف أحدهم قائلا:

ـــ لن يقبل الملك بأى حال من الأحوال أن يزوج ابنته لراع.

لكن آخرون لم يوافقوه الرأى:

ـــ لن نخسر شيئا من المحاولة، فلنبعث إليه رسلا من قومنا، فإذا قبل كان قبوله خيرا وبركة، وإذا رفض نجتمع ثانية لندرس الأمر.

وفى نهاية الاجتماع اتفق الجميع على قبول الاقتراح: أن يوفدوا إلى الملك علية القوم وكبارهم يترأسهم العجوز الحكيم.

وها هو الوفد قد وصل الى قصر الملك.

شاهد الملك رسل الجبل فسألهم:

ـــ من أنتم ؟ وما شكواكم؟

أجاب العجوز الحكيم: مولاى لقد جئنا إليكم برجاء وأمل ــ وحكى العجوز كل ما كان.

ثار الملك وهاج من الغضب وصرخ يقول:

ــ أيها المختلين كيف واتتكم الشجاعة أن تأتوا إلىَّ خطّابا؟ هل ترون فى شخصى واحدا من مقامكم؟. وأمر الملك بإلقاء الخطّاب فى السجن.

ثم استدعى الملك ألفا من حاملى السيوف.

أمر الملك: انطلقوا فورا إلى الجبل، أريدكم أن تنهبوا قطعان سكانه وجميع خيراتهم وتأخــــذوها غنيمة لكم. اســتبيحوا دماءهم، واقبضوا على مقبل وأحضروه إلىَّ.

ومثل قطيع من الذئاب الجائعة انقض جنود الملك على الجبل واعملوا القتل والتشريد فى سكانه، وأخذوا ينهبون قطعانهم وأملاكهم.

حكى والد مقبل الحجار لابنه عن المصيبة التي حلت بسكان الجبل. فما إن سمع الأمر حتى قفز مقبل من فراشه ناسيا مرضه.

قال مقبل: لقد جرى كل هذا ووقعت هذه المصيبة على الناس بسببى أنا.

ثم حمل مقلاعه وخرج لمواجهة جند الملك.

استطاع مقبل أن يصرع كل الجنود تقريبا، وما نجا منهم سوى عدد قليل نجح فى الهرب. وقف الناجون أمام الملك وقالوا له:

ــ مولانا المعظم، إن مقبل رجل خطير للغاية، لا تدعوه يقترب منكم بأى حال من الأحوال، فأحجاره تسبق كل شيء وتسحقها بلا هوادة.

ثار الملك أكثر من ذى قبل. فجمع ألفا من أشجع الفرسان، وانطلق بنفسه على رأسهم فى حملة لمطاردة مقبل.



كمن مقبل الحجار للملك فى ممر ضيق بين الجبال حيث نصب مقلاعه. ثم صار يقذف بأحجاره على الفرسان فيطيح بهم صرعى على الأرض.

أدرك الملك أن حملته لن تثمر شيئا، فأرسل مبعوثه إلى مقبل وقال له:

– أبلغه عن لسانى بأننى أوافق على منحه ابنتى لكن بشرط واحد: أن يحضر إلىّ بيديه ثمانية نمور، أربعة فى كل يد.

علم مقبل بما قاله الملك فوافق على طلبه وقال:

– سوف ألبى طلب الملك، لكن قبل ذلك أريد منه أن يطلق سراح الرسل المحبوسين لديه الذين ألقى بهم فى السجن بلا جريرة أو ذنب اقترفوه.

عاد الملك إلى المدينة وحرر الخطّاب المحبوسين. وخرج مقبل الحجار للبحث عن النمور.

فى أحد الأحراش الكثيفة كان هناك نمر نائم. لمحه مقبل الحجار فتسلل إليه وباغته ممسكا برقبته.

حاول النمر أن يفلت لكن الراعى أحكم قبضته حول رقبته، ورفعه إلىّ أعلى مثل هر صغير، ثم هوى به على الأرض. لم يفق الوحش من الضربة حتى وضع مقبل حلقة فى أنفه وربطه بسلسلة سميكة إلى إحدى الأشجار.

وهكذا مضى مقبل الحجار فى الجبال يصيد ويقتنص النمور حتى جمع منها ثمانية. بعد ذلك استطاع أن يدربهم بالعصا على طاعته، حتى صارت النمور تحنى رءوسها لتلامس الأرض كما لو كانت مسلوبة الإرادة. وفى اليوم السابع أمسك مقبل فى كل يد بأربعة نمور وقادهم صوب قصر الملك.

عندما سرى الخبر فى المدينة أن مقبل قادم فى الطريق يقود ثمانية نمور، ساد الفزع بين الناس. فهربوا من الطرقات واختبأوا فى بيوتهم.

عرف الملك من حراسه بما يجرى فى المدينة ففكر فى نفسه: "كنت أظن أن الراعى سوف يهلك فى أثناء مطاردته للنمور وإذا بالأمور تسير على نحو مغاير". ولم يعد بوسعه أن يفعل شيئا، فخرج مع كتيبة من فرسانه ليستقبل مقبل الحجار.

قال الملك: مرحى لك يا بنى مرحى، لكن لا داع أن تقود نمورك فى المدينة، فقد يفلت واحد منهم ويفتك بالناس. ومن الأفضل أن تذهب بهم إلى الجبل، وهناك يمكنك أن تسلخ فروتهم أو تحررهم وافعل بهم ما يحلو لك. وإنى أرى فيك رجلا يفى بكلمته. ولهذا لى عندك مطلب آخر. تتلخص مهمتك فى التالى: عليك أن تأتنى برأس حاتم الجبار الذى يعيش فى مدينة تاهى. كما أن حاتم يقتنى فرسا رائعة أريدك أن تأتنى بها أيضا. وعندما تقوم بمهمتك الثانية سوف أزوجك من ابنتى.

لم يرض مقبل الحجار بأن يتراجع الملك عن وعده. لكنه فكر فى نفسه قائلا: "لابد من أن حاتم هذا من عتاة المجرمين وإلا لما طلب الملك رأسه، ومادام الأمر هكذا فلا داع للاعتراض. فلألبى الطلب الآخر للملك وأقوم بعمل طيب فى نفس الوقت بأن أخلص الناس من مجرم دنىء".

عاد مقبل الحجار إلى بيته، وقام بوداع أهله وسكان الجبل، وخرج فى طريقه. سار طويلا يقطع الطرق ويعبر الجبال، حتى مرت عليه وهو فى سيره أربعة شهور بالتمام والكمال، وحينئذ وصل إلى مدينة تاهى.

كان المساء قد هبط حين جلس مقبل الحجار يفكر فى مكان يبيت فيه ليلته. وفجأة رأى رجلا فى الأربعين يرتدى ملابس متواضعه ويغسل فرسه فى مياه قناة واسعة. اقترب مقبل الحجار من الرجل وسأله:

ــ هل حاتم موجود بالمدينة أو أنه غائب عنها؟

أجاب الرجل: نعم، إن حاتم فى المدينة. يبدو أنك غريب عن المكان، لهذا فأنا أدعوك أن تقضى الليل عندى وغدا يمكنك الذهاب لحاتم.

قبل مقبل الحجار دعوة الرجل.

أكرم الرجل وفادة مقبل. وقدم له الطيب من الطعام والشراب. وبعد ذلك سأله قائلا:

ــ ما الأمر الذى تريد حاتم من أجله؟

أجاب مقبل الحجار: أحتاجه لأمر ضرورى هل تعرفون طبيعته كإنسان؟

ـــ نعم، إنى أعرف حاتم، فهو حاكم هذه البلاد. لكنه لا يعيش كبقية الملوك فى قصر منيف جالسا على عرشه، بل يحيا بين ناسه وشعبه كرجل بسيط ـــ قال صاحب الدار والتفت إلى مقبل مرة أخرى ـــ لكن ما الأمر الذى تريده منه؟

ارتبك حاتم وفكر: "كيف يمكنه أن يكون على هذا الشكل؟ يبدو أنه ليس بالمجرم الذى تصورته على الإطلاق، لو كان يعيش بين الناس كرجل بسيط فلا يمكنه أن يؤذى شعبه".

قال مقبل لمضيفه: لا أدرى ماذا أقول لكم إلا أننى جئت كى أقطع رأسه.

أصابت المضيف الدهشة فقال:

ـــ وما الأذى الذى ألحقه بك حاتم؟

ـــ حاتم لم يؤذنى على الإطلاق ـــ أجاب مقبل الحجار وحكى للرجل عن السبب الذى جعله يبحث عن حاتم.

قال صاحب الدار: حسنا خذ راحتك اليوم وفى الغد سوف أصحبك إلى حاتم.

فى الصباح صاح مقبل قائلا:

ـــ ألم يحن الوقت كى ترينى بيت حاتم؟

أجاب عليه صاحب الدار:

ـــ أنت موجود الآن فى بيت حاتم، لأن حاتم هو أنا. أما الفرس التى طلبها منك الملك فقد كنت مضطرا إلى ذبحها بالأمس، لأنى لم أجد ببيتى طعاما أدعوك إليه. وإن كنت تبحث عن سعادتك فإننى أقسمت من قبل: ألا أبخل بحياتى على أى إنسان لو أنها تجلب له السعادة. ولن أبخل برأسى عليك فها هى ـــ وأحنى رب الدار رأسه أمام مقبل.

أصاب الذهول مقبل الحجار إزاء نبل حاتم وانهمرت الدموع من عينيه.

قال مقبل: كلا لن أقطع رأسكم، بل أضحى راضيا بسعادتى من أجل حياة رجل عظيم مثلكم.

كان لحاتم ابن يافع فى العمر. نظر إلى والده وقال:

ـ إن ضيفنا على حق يا والدى. فمثل هذا الملك الذى لا يفى بوعده قد يطلب مطلبا ثالثا. ولو كنت تريد مساعدة الضيف اذهب معه إلى الملك وهناك يمكنكما معا أن تتدبرا الأمر.

قبل حاتم اقتراح الابن. وفى نفس اليوم رحل مع مقبل الحجار إلى مدينته. وبعد أن وصل الاثنان إلى بخارى ذهبا إلى قصر الملك.

رأى الملك مقبل فسأله:

ـ كيف سارت الأمور معك؟ هل جلبت لى رأس حاتم؟ وأين الفرس؟

أجاب مقبل الحجار: إن حاتم رجل كريم الخلق نبيل النفس فعندما نزلت ضيفا عليه فى بيته ذبح فرسه الوحيد كى يطعمنى أنا الغريب عنه. وعندما عرف سبب حضورى وضع رأسه أسفل سيفى. إلا أننى لم أقطعها بل جئت به إليك بنفسه.

امتقع وجه الملك وانتفض بدنه من الغضب وهتف يقول:

ـ وأين حاتم الآن؟.

سجد حاتم وصرخ:

ـ أنا حاتم بشحمه ولحمه.

قفز الملك من عرشه هائجا ووقف أمام مقبل صارخا فى وجهه:

ـ لقد أمرتك بإحضار رأس حاتم وأنت أحضرته حيا.

تقدم حاتم إلى الأمام وقال:

ـ لقد عرضت عليه رأسى فى منزلى لكنه رفض، وقد جئت إليك بنفسى. فإذا كانت رأسى تلزمك يمكنك أن تأمر بقطعها، شريطة أن تلبى رغبة هذا الفتى.

نادى الملك على السياف وأمره بأخذ حاتم وقطع رأسه. وما إن أمسك السياف بيد حاتم حتى انقض مقبل عليه ولطمه بقبضة يده لطمة هائلة أطاحت به على الأرض.

بعد ذلك التفت مقبل إلى الملك وقال له:

ـ هل يجوز إعدام إنسان بهذه الأخلاق والصفات العظيمة؟ إذا كنت ترغب فى إعدام أحد فقم بقتلى أنا بدلا منه.

قال الملك: حسنا، ما دامت هذه رغبتك يا سياف، اقبض على مقبل واعدمه.

وفجأة اقتحمت المكان من داخل القصر ميهرى ـ نيجيار، وألقت بنفسها على مقبل متشبثة برقبته.

هتف الملك فى ثورة من الغضب وقال:

ـ فلتعدموها معه هى أيضا.

حينئذ تقدم حاتم مرة ثانية إلى عرش الملك وصرح:

ـ لقد أفقدك الغضب عقلك أيها الملك التعيس ـ ولطمه حاتم بقبضته فى وجهه لطمة قوية فأطاح به من فوق العرش.

اختار النـــاس بالإجماع مقبـــل حاكما عليهـــم وارتضـــوا به ملكا فى سعادة وفرح.

وظـــل حاتم فى المدينة حتى شهد الزفاف السعيد لمقبل على عروسه ميهرى ــ نيجيار.

وهكذا، نجح مقبل الحجار وميهرى نيجيار أن يعبرا بأمانيهما بحر الأحلام حتى تحققت جميع أحلامهما.

المترجم فى سطور :

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

ـــ مواليد عام ١٩٥٧.

ـــ تخرج فى كلية الآداب جامعة عين شمس.

ـــ درس تاريخ الفن بجامعة موسكو فى الاتحاد السوفييتى.

ـــ ترجم من اللغة الروسية إلى العربية بعض الأعمال المهمة مثل كتاب محاكمة البريسترويكا وكتاب أساطير شعبية من أوزبكستان (الجزء الأول) والعديد من الدراسات السياسية.

ـــ كتب الكثير من المسلسلات الدرامية والأعمال التليفزيونية للأطفال، والتى نالت العديد من الجوائز.

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــل